الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية قسنطينة

كلية أصول الدين والشريعة
والحضارة الإسلامية
قسم العقيدة ومقارنة الأديان

الرقم الترتيبي:...../2001

رقم تسجيل الطالبة:.....

عقيدة التثليث
وموقف المفكرين المسلمين منها

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

شعبة العقيدة ومقارنة الأديان

من الطالبة: آسيا شكيرب

أمام أعضاء اللجنة	الإسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية
1- الرئيس	عمّار جيدل	أستاذ	جامعة الجزائر
2- المقرر	بشير بو جنانة	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر
3- العضو	أنور حسن حمادي	أستاذ محاضر	جامعة وهران
4- العضو	عبد القادر بخوش	مكلف بالدروس	جامعة الأمير عبد القادر

نوقشت يوم: 23 جانفي 2001 الموافق لـ 28 شوال 1421 هـ

﴿ يَاأَهْلَ الكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ، وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا
الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ
وَرُوحٌ مِنْهُ، فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَٰثَةٌ
انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ
سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ
لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَكَفَىٰ بِاللَّهِ
وَكِيلًا ﴾

النساء/171

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء

إلى السيد المسيح

روح الله وكلمته التي ألقاها إلى مريم

إليه بعدما عايشت مرارة فرية المسيح الإله ، فلهج فمي بالسلام عليه عبدا لله

ورسولا، وتحركت قريحتي للدود عنه، فسلام عليه

يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا

إلى الوالدين الكريمين

إلى روح أبي في ثراه، وإلى حبيبة قلبي أمي حفظها الله

إلى زوجي صالح

أهديه هذا الجهد اعترافا بأفضاله، وتقديرا لشخصه

وامتنانا لكل التضحيات التي قدّمها من أجلي

إلى عائلتي

إلى اخوتي وأخواتي

إلى زهرتي القلب، سيف الدين وإسراء قطر الندى

إلى الأيادي التي امتدت إليّ بالعون

أخي إلياس ، وأختيّ عبلة وقمرة

إلى كل الصديقات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

الحمـــد لله رب العالمين، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد و لم يولد، و لم يكن له كفؤا أحـــد، المنزه عن الصاحبة والولد، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، رسول التوحيد الخالص إلى الناس أجمعين. أما بعد:

فـــلم تخلو المجتمعات الإنسانية منذ فجر التاريخ، من رسالات سماوية تبعث فيها الروح الإيمانية وتخلصـــها مـــن براثن الشرك والإلحاد، وتغرس فيها حقيقة التوحيد. ولأن يد الإنسان امتدّت إلى بعض الديانـــات الســـماوية فغيّرتها وحرّفتها ، وجدنا الديانة النصرانية، أخذت طابع الثالوث بعد التوحيد، واتخذت تجسيد ذات الله أساسا للإيمان بها، جارية على ما كان ساريا في تصورات الفلاسفة ومعتقدات الشـــعوب الوثنية، فقطعت بذلك على العقل السبيل إلى الله، إذ مثلته إلها في صورة إنسان، وإنسان في ذات اله، وجعلته إلها واحدا في ثلاثة أقانيم هي:**الأب والابن وروح القدس** .

ولأن التاريخ غربال لا يقبل المزيفين، وجدنا في تاريخنا الإسلامي العريق، من اشتغل بالرد على النصـــارى و محاورتهم ومناظرتهم، فكان أن خلف لنا الفكر الكلاسيكي تراثا فكريا تبرز فيه جميع فنون الجـــدل والمـــناظرة، فأنشأوا علم مقارنة الأديان، وتتبعوا الديانات وأصولها ونصوصها. وطبقوا المنهج العقلي، والمنهج التفسيري، والمنهج النقدي التاريخي، الذي أبدعوا في تأسيس قواعده.و لم تتغير معالم هذا التراث الفكري إلا في منتصف القرن الماضي، إذ أخذت منعرجا آخر على اثر تغير الظروف التاريخية، إذ أصبح المسلمون في موقف الدفاع لا حضاريا فقط بل دينيا أيضا، بسبب الحركة التبشيرية البروتستانتية والكاثوليكية المواكبة للمد الاستعماري، فظهر من المفكرين المسلمين من اشتغل بعلم مقارنة الأديان من جديد، وأبدع فيه أيما إبداع.

موضوع البحث :

إن الكلام عن موضوع البحث، يحتم تحديد المصطلحات المعنونة له، والتي على أساسها تتضح معالمه الأساسية .

عقيـــدة التثليث: هي عقيدة نشات وترعرعت في احضان الديانات القديمة، وهي في النصرانية الإيمـــان بوجود ثلاثة أقانيم في الذات الإلهية؛ الله الأب، الله الابن، الله الروح القدس، وهذه الأقانيم لا تشكل سوى اله واحد، أزلي، جوهره غير مرئي، وأقانيمه متساوية القدرة والمجد[1] .

وهـــذه العقيدة تتبنّاها جميع الفرق النصرانية، من كاثوليك، وأرثوذكس، وبروتستانت، إلا ما نذر.

ومن تعريف عقيدة التثليث، يتضح مجال الدراسة في الديانة النصرانية، و الذي هو النسق التثليثي والأنمـــاط المكونـــة لـــه، والتي يمكن تحديدها بالجوهر و الأقانيم، وبهذا لا يمكن دراسة مواضيع العقائد الأخـــرى (التجسد، الصلب والفداء والخلاص) دراسة مفصلة، ولكن لا بد من التطرق إلى موضوع الكلمة المتجسدة باعتبارها "ابن الله" الأقنوم الثاني من الثالوث. كما يتحتم تناول جذور هذه العقيدة، خاصة وأنها كانت معروفة في الديانات الوثنية السابقة على النصرانية.

الموقـــف: إن المقصود من الموقف، هو عرض ورد المفكرين لعقيدة التثليث، وتحليل الحجج التي اســـتعملوها لدحض المنظومة اللاهوتية النصرانية، وليس معنى الرّد أن النصارى هاجموا الإسلام فانبرى المســـلمون لـــلرّد عليهم، وإنما هو فن كلامي قد يندرج ضمن باب التوحيد في كتب علم الكلام، وقد تخصـــص لـــه كتب أو رسائل مفردة. والغرض من الرّد هو دحض العقائد النصرانية، وكثيرا ما يكون موجها إلى المسلمين ، لتثبيت عقيدتهم وتحذيرهم من ضلال النصارى.

وليـــس المقصود من الموقف النقد، لأن النقد عملية تقويمية، تعالج الجانبين السلبي والإيجابي لأي قضية، وعلى ذلك يكون الموقف هو الرد، الذي يهتم بالجانب السلبي من الموضوع المدروس، كما أنه لا يهتم بنقاط الاختلاف بين مذهب الراد ومذهب المردود عليه.

المفكرون المسلمون : إن المقصود، هو دراسة نماذج من الرادين المسلمين، في القديم وفي العصر الحديث.

ففي القديم اخترت نماذج من أهم الفرق الإسلامية في ذلك الوقت، وهي:

1-E. Royston Pike: **Dictionnaire des religions**, adaptation francaise: Serge hutin (Paris: Presses universitaires de France, 1954) p: 308

- الباقلاني (النموذج الأشعري).
- القاضي عبد الجبار (النموذج الاعتزالي).
- ابن حزم (النموذج الظاهري).
- ابن تيمية (النموذج السلفي) .

وقد اخترت نماذج من فرق مختلفة لإثراء الموضوع أكثر، و للتّأكد من قابلية الفكر الإسلامي على اختلاف مدارسه و وجهات نظره للرّد على أي معتقد من شأنه المساس بمبدأ من مبادئ ديننا الحنيف.

وقد احتكمت في اختيار هذه النماذج دون غيرها، إلى معيار التميّز، و إلى إضافة كل نموذج لبنات جديدة إلى صرح الردود الإسلامية .

أما في العصر الحديث فقد اخترت ثلاثة نماذج، متميزة عن غيرها ، وهي :

-رحمة الله الهندي

-محمد جواد البلاغي

-أحمد ديدات.

وعرض هذه النماذج يحتم العودة إلى المصادر النصية، التي استقى منها الرادون المسلمون تعليقاتهم على عقيدة التثليث، والمتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية. وعليه فيعتبر المفسرون، أيضا من المفكرين المسلمين، خاصة أن لديهم بعض الآراء فيما يتعلق بموضوع البحث.

كما أنّ الكلام عن المفكرين المسلمين، يخرج الفكر الغربي، فبالرغم من النتائج المذهلة التي توصلت إليها مدارس النقد الغربية بخصوص عقيدة التثليث، إلا أننا آثرنا دراسة الفكر الإسلامي، لأنه كان سبّاقا لوضع يده على مواطن الخلل في الديانة النصرانية، وهذا لم يمنعنا من إجراء بعض المقارنات بين الفكرين الإسلامي والغربي في ثنايا البحث .

وبعد تحديد المصطلحات المعنونة للبحث، أضحى واضحا أن موضوع البحث هو : عقيدة التثليث النصرانية من حيث المحتوى، والخلفية الفكرية، والتطور التاريخي، ثم موقف الفكر الإسلامي من هذه العقيدة، ودراسة الردود بإيجابياتها و سلبياتها.

ودراسة هذا الموضوع له اهمية كبيرة، فالتثليث قضية خطيرة، أهم ما يميزها هو الابتعاد عن أهداف الأنبياء والرسل، الذين يدعون إلى التوحيد الخالص، وهي ليست اعتقاد لاعلاقة له بواقع النصارى، بل تحولت إلى عنصر من عناصر الشخصية النصرانية، فقد خالطت فكر النصارى حتى ظهرت ظهورا عمليا في أقوالهم وأفعالهم، وأصبحت الشعار الذي يرفعه المبشرون في كل العالم.

وتكمن أهمية عقيدة التثليث والموقف الإسلامي منها، أيضا في كونه يجيبنا عن عدّة تساؤلات، هي من جوهر إشكالية الموضوع. وهي:

1- هل انتقد القرآن الكريم عقيدة التثليث النصرانية، أم أنه رسخ مفهوما خاطئا عن هذه العقيدة في الوسط الإسلامي، وهل انتقد الثالوثات القديمة فقط، كما يدعي النصارى؟؟

2- هل توصل الفكر الإسلامي على إختلاف مذاهبه لفك النسق التثليثي وهل أبدع في ردّه ؟؟، أم أنّه كما يدّعي النصارى لم يرق إلى فهم المنظومة اللاهوتية النصرانية خاصة فلسفة الجوهر والأقانيم.

3- هل أضاف المحدثون إبداعات إلى صرح الردود القديمة، أم أن ردودهم لا تعدو أن تكون تكرارا واجترارا للردود القديمة؟.

أسباب اختيار البحث :

إن الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا البحث، كثيرة ويمكن تقسيمها إلى أسباب ذاتية وأخرى موضوعية.

1-***الأسباب الذاتية:*** لقد طرقت باب البحث في هذا الموضوع، بدافع حبي الشديد لعلم مقارنة الأديان ، ورغبتي في بحث موضوعاته المختلفة، والتي على رأسها عقيدة التثليث .

كما أن عقيدة التثليث شغلت حيزا كبيرا من اهتمامي، فكنت دائما أتساءل كيف يعتقد النصارى بهذه العقيدة ومع ذلك يرون أنهم موحدون ؟

كما أني أردت الوقوف على أهم الردود الإسلامية، لمعرفة ما مدى توفيق الفكر الإسلامي قديمه وحديثه، في الرد على هذه العقيدة المناقضة للتوحيد الخالص.

2- الأسباب الموضوعية: إن الأسباب التي جعلتني أختار هذا الموضوع كثيرة، فمنها ما هو متعلق بالرّد الإسلامي على العقائد النصرانية بصفة عامة، ومنها ما هو خاص بالرّد على عقيدة التثليث، وعلى ذلك يمكن تقسيم الأسباب الموضوعية، إلى أسباب عامة وأسباب خاصة.

الأسباب العامة: يرجع الاهتمام بالردود الإسلامية على النصارى، إلى أسباب كثيرة نوجزها فيما يلي:

-أن الردود النصرانية على الديانة الإسلامية، قد جمعت ودرست ونشر الجزء الأوفر منها، بينما لم تحظ الردود الإسلامية على العقائد النصرانية بنفس العناية، فلم تتناول بالدراسة و لم ينشر الجزء الأوفر منها مما لا يزال مخطوطا[1].

-أن العلماء الغربيين يعزون لأنفسهم الأسبقية في تأسيس علم مقارنة الأديان، وهذا بعد ظهور مدرسة نقد التوراة في القرن السادس عشر، و بروز أعلامها، أمثال سبينوزا، شارلسون ورينان [2].

-أن الفكر الإسلامي الحديث عموما، بعد أفول نجم الحضارة الإسلامية، متهم بالانحدار العام، والعيـــش على الماضي، وعدم الابتكار ، والردود الإسلامية على النصارى متهمة بالستاتيكية والجمود، وأنّها لا تعدو أن تكون تكرارا واجترارا للردود الكلاسيكية[3].

-أن الـــرادين المسلمين، متهمين بالاقتصار في أخذ معارفهم وردودهم على النصارى من النص القـــرآني، دون إعمـــال عقولهم ودون الإطلاع، وقد تمسك بهذه الأطروحة عدد كبير من المستشرقين والمؤرخين قبل ويليم سميث، الذي وصل به الأمر إلى القول بأن "المسلمين ليسوا فقط لا يعرفون شيئا عن عقيدة النصارى و لكنهم حتى لا يحاولون أن يعرفوها"[4] .

الأسباب الخاصة: إنّ الرّد الإسلامي على عقيدة التثليث، يستلزم البحث والاستقصاء لأسباب عديدة، منها:

-أن الموقـــف الإسلامي من عقيدة التثليث، موضوعا بكرا لم نجد لحد الآن أيّ كتاب أو بحث أكاديمي مخصص له، وخاصة فيما يتعلق بالردود الحديثة على هذه العقيدة.

-أنّ الردود الإسلامية على عقيدة التثليث متهمة بأنّها لم تعط ثمرتها، فيرى بعض الدارسين الغربيين أنّ المسلمين استعملوا مصطلحات عربية لها مدلول مختلف عنها في الديانة النصرانية،كمصطلحي

1-انظـــر: عـــبد المجيد الشرفي: **الفكر الإسلامي في الرّد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع/العاشر**، ط[ ]،(تونس: الدار التونســـية للنشـــر،1986)،ص6 و Haddad Rachid: **La Trinite divine chez Les Theologiens arabes 750-1050,** (Paris: Beauchesne editeur,1985) p9-90

2-Denis Saurat: **Histoire des religions,** (Paris: Les editions, Denoel et Steels) p: 369-375.

3-راجع بهذا الخصوص ، عبد المجيد الشرفي : المرجع السابق، ص 7 .

4 -ألكســـي جورافسكي: **الإسلام والمسيحية**، ترجمة: خلف محمد الجراد، ط[ ]، (الكويت: المجلس الوطني للفنون والآداب، 1996)، ص40.

الصـــفة والجوهر، اللذان يقابلان مصطلحي الأقنوم(Hypostase)والأوسيا(Ousia)النصرانيين، مما أدى بهم إلى عدم فهم عقيدة التثليث، وبالتالي كانت ردودهم بعيدة عن المعنى الحقيقي لهذه العقيدة [1].

-أنّ الـــرّد القرآني على عقيدة التثليث، والذي يعتبر المصدر الأول للرّادين المسلمين، لم يدرس لحد الآن، مما فتح الباب لبعض الدّارسين الغربيين[2]، للقول بأنّ القرآن اعتبر مريم ثالث أقنوم في التثليث النصراني خطأ منه، و أنه لم ينتقد عقيدة التثليث النصرانية، بل انتقد الثالوثات(Les Tritheismes) الموجودة في البيئة العربية ذلك الوقت، ووجدوا ما يؤيد رأيهم في تفاسير القرآن الكريم.

فكل تلك الأسباب جعلتنا نبحث هذا الموضوع، رغم الصعوبات التي واجهتنا.

صعوبات البحث:

لقد واجهتنا صعوبات وعقبات كثيرة أثناء إنجازنا لهذا البحث، وهي على ضربين.

1-المصادر والمراجع

إن الحصول على المصادر شكل العقبة الأولى في طريقنا، خاصة المتعلقة بالردود الإسلامية ، أما المـــراجع الخاصة بعقيدة التثليث باللّغتين العربية والفرنسية، فشكلت ثاني عقبة في طريقنا، إذ أخذت منا الوقت و الجهد، حتى توصلنا إلى جمع أهم وأكبر عدد ممكن من المراجع من مكتبات مختلفة، كما أننا لم نعثر على بعض المراجع المهمة والتي لها علاقة مباشرة ببحثنا.

2-موضـــوع الـــبحث : إنّ عقيدة التثليث النصرانية، كانت ولازالت موضوع نقاش الفرق النصـــرانية على اختلافها، منذ القرن الرابع الميلادي إلى يومنا هذا، واختصار هذا النقاش في فصل واحد تطلب منا جهدا كبيرا.

كمـــا أنّ الـــرادين المسلمين تناولوا الردود في صيغة حجج متراكمة ومتتابعة، دون أن يحرصوا على التخلص المنطقي من دليل إلى آخر، ولا حتى على التقديم والإستنتاج، مما يصعب عملية فرز الآراء. وكانوا لا يضبطون مواقع فقرات الكتاب المقدس، مما يضطرنا إلى البحث عنها، ومما زاد من صعوبة

1-Guy Monnot: **Islam et Religions**, (Paris: Maison noeuve,1986) p243.

2-أمثال: Henri Michaut وتوماس ميشال اليسوعي وغيرهما، راجع ص 154 من البحث.

لبحث اختلاف النسختين –التي اعتمد عليها الرادون القدامى والنسخة الحالية – ، وعدم قيام محقـــقي المصادر بتوثيق الفقرات والنصوص.

كمـــا أن عدم وجود المراجع التي تناولت الرّد القرآني على عقيدة لتثليث بالدراسة جعلنا نجتهد في الـــبحث والتحـــليل مما أخذ منا الوقت الكثير، فكل ذلك شكل عقبة كؤودا في طريق إنجازنا هذا البحث.

أهم المصادر والمراجع:

لقد اعتمدت في هذا البحث على عدّة مصادر ومراجع، باللغتين العربية والفرنسية، أهمها.

باللغة العربية:

الـــتمهيد للـــباقلاني، تثـــبيت دلائـــل النـــبوة، وشرح الأصول الخمسة، والمغني للقاضي عبد الجبار،والفصل في الملل والأهواء والنحل، والأصول والفروع لابن حزم، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية.

بالإضـــافة إلى الكتب التاريخية، وكتب العقيدة، والتفاسير، وكتب الأديان عامة، وكتب الديانة النصرانية خاصة وكتب الفلسفة.

باللغة الفرنسية:

Dictionnaire de La Théologie Catholique
E.Royston: Dictionnaire des Religions
Ali Bouamama: La Littérature polemique musulmane contre le christianisme depuis SES origines jusqu'au XIII^{e} siecle

وغيرهم من المصادر والمراجع.

الدراسات السابقة للموضوع:

إنّ موضوع عقيدة التثليث والموقف الإسلامي منها، بالخطة التي عرضت، ليس موجودا في أي كتاب أو بحث أكاديمي على حسب إطلاعي، لكن هناك بعض الدراسات، لأجزاء مختلفة من الموضوع، فعقيدة التثليث النصرانية مدروسة من قبل الكتّاب النصارى بكثرة، باعتبارها أساس معتقدهم، كما تناولها بعض الكتاب المسلمين لكن ليس بتعمق.

أما دراسة الردود الإسلامية على هذه العقيدة، فلم يدرس إلا الجزء الخاص بالقدامى، ولكن ليس بتوسع، وهذا لكون التثليث موضوعا فرعيا في الدراسة، وقد درسه كل من: عبد المجيد الشرفي، في كتابه الفكر الإسلامي في الرّد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع/العاشر و ؛ Ali Bouamama: La

litterature polemique musulmane contre le christianisme depuis ses origines jusqu au 13eme siecle.

و قد استفدت منهما كثيرا خاصة في احتيار النماذج الإسلامية، وأما الجزء الخاص بالردود الحديثة، فلا يوجد أي مرجع تناوله بالدراسة.

وأما الرّد القرآني على عقيدة التثليث، فقد فوجئت بانعدام الدراسة فيه، ما عدا بعض الإشارات عند القاضي عبد الجبّار وابن تيمة، وقد درسه الغربيون، بطريقة شوّهت معالمه، مما جعلنا نجتهد في البحث فيه وفي الرّد على إشكاليات ما زال الفكر الإسلامي إلى يومنا لم يعرها أي إهتمام.

الإجراءات المنهجية:

إن موضوع " **عقيدة التثليث والموقف الإسلامي منها** " اقتضى منا تحديدا دقيقا لطريقة البحث والمناهج الدراسية الموظفة.

1 - **طريقة البحث:** لقد اختلفت طريقة بحثنا حسب الفصول المدروسة.

ففي **الفصل الأول**، ركزت علىعرض عقيدة التثليث النصرانية من كتب النصارى أنفسهم ،كما حرصت على عرض آراء مختلفة لمنظرين من أزمنة مختلفة، لإثراء الموضوع أكثر، وقد إلتزمت قدر الإمكان الحياد في عرض آراء النصارى، كما عرضت المباحث حسب التطور التاريخي لعقيدة التثليث .

وفي **الفصل الثاني**: ركزت على عرض وتحليل الآراء المختلفة حول عقيدة التثليث في الديانات القديمة والأنساق المكونة لها، مع محاولة تتبع تطور المعتقد في كل ديانة ومقارنته بنظيره في النصرانية، فلم نكن لنرضى بمجرد المقارنة السطحية، بل عمدنا إلى البحث عن كتب حديثة تبحث عن تطور المعتقد وعلاقته بالنصرانية بدقة وبأدلة علمية لايرقى إليها الشك .وقد كنت أمهد في كل مبحث بالكلام عن التوحيد في تلك الأديان حتى لا يتوهم القارئ أن الأصل فيها هو التعدد.

وفي **الفصل الثالث**: اعتمدت في عرض الموقف القرآني من عقيدة التثليث على تفاسير مختلفة قديمة وحديثة، ورأيت أن الموقف القرآني من هذه العقيدة لم يعط حقه من الدراسة، لامن قبل المفسرين ولا من قبل المفكرين، لهذا اجتهدت قدر المستطاع في تحليل الموقف القرآني والوصول إلى نتائج أخالها جد مهمة، وقد أدمجت موقف السنة المطهرة ضمن المباحث المدروسة.وقد اعتمدت القرآن الكريم برواية حفص بن سليمان الكوفي.

وفي **الفصلين الرابع والخامس**: اخترت النماذج الإسلامية بناء على مقاييس محددة، ففي القديم

اخترت نموذجا من أشهر المدارس الكلامية، فالباقلاني يعتبر من دعائم المدرسة الأشعرية، وقد أضاف في كتابه التمهيد الكثير إلى رأي شيخه الأشعري، وكل من جاء بعده لم يدرس التثليث بنفس إبداعه، أما القاضي عبد الجبار فكان أحسن من جمع رأي شيوخه أمثال أبو علي الجبائي والجاحظ، وقد أضاف الكثير إلى رأيهما كما أنه الوحيد من بين المفكرين المسلمين الذي تناول التطور التاريخي لعقيدة التثليث، وأما ابن حزم وابن تيمية فكل من جاء من مذهبهما بعدهما قام على تركتهما الفكرية.

وفي العصر الحديث اخترت أهم الردود التي أضافت إبداعات شخصية لصرح الردود القديمة، وقد رتبت الردود حسب تاريخ الوفاة، وحاولت قدر الإمكان عدم تكرار آراء الرادين المسلمين المتشابهة والموجودة بكثرة، إلا إذا وجد فيها إضافات أو تعليقات، كما حاولت إثبات آراء أصحاب الردود بألفاظهم قدر الإمكان، حتى يمكن التثبث الآني من صحة التأويل الذي ذهبنا إليه فيها.

وقد التزمت في جميع الفصول بالإحالة على المصدر أو المرجع الذي استقيت منه المعلومات كما حرصت على أن تكون الدراسات المحال عليها للتعريف بالأعلام أو الفرق أوالبلدان دراسات حديثة ، ما عدى علماء المسلمين والفرق الإسلامية، فقد اعتمدت على الكتب القديمة في التعريف بهم، وقد حاولت قدر المستطاع التعريف بأغلب الأعلام والفرق والبلدان، الوارد ذكرها في البحث.

2- **مناهج الدراسة:** لقد وظفت في هذا البحث طرق وأساليب مختلفة، يمكن تلخيصها في المناهج التالية :

1- *المنهج التاريخي*: الذي أفادني في عرض عقيدة التثليث، وتطورها والجذور الوثنية لها.

2- *المنهج المقارن*: والذي استعملناه في مقارنة التثليث النصراني بالعقائد الوثنية، كما أننا استعملناه في مقارنة الردود بحثا عن الإبتكارية والخصوصية.

3- *المنهج التحليلي*: الذي أفادني في تفكيك النصوص و إعادة تركيبها على أساس يضمن فهم منطقها الباطني وأبعادها، وهذا في كل البحث.

4- *المنهج الاستقرائي*: إذ عمدت في معظم تحليلاتي إلى الاستدلال بالجزئي على الكلي وتتبع الحقائق وهذا بتفحص الجزئيات الذاخلة تحتها.

خطة البحث:

لقد قسمت هذا البحث إلى تمهيد وخمسة فصول.

وقد تناولت في التمهيد تعريف التثليث، وأهم العناصر المكونة للنسق التثليثي،كالجوهر،

والأقانيم، والطبيعة، محاولة ضبط التعريفين النصراني والإسلامي لهم.

الفصل الأول: عقيدة التثليث في الديانة النصرانية، وقد ضمنته خمسة مباحث.

الأول: وقـــد عرضت فيه أدلة اللاهوتيين النصارى على ورود ذكر عقيدة التثليث والأقانيم في العهد القديم.

الثاني: تناولت فيه، العقائد التي أضافها بولس إلى الديانة النصرانية، ودوره في تغيير مسارها.

الثالث: وعرضت فيه أدلة النصارى، على عقيدة التثليث والأقانيم وعقيدة الكلمة من الأناجيل الأربعة (متى، لوقا، مرقس، ويوحنا).

الرابع: و قد ذكرت فيه أهم المجامع الكنسية التي رسخت لعقيدة التثليث.

الخامس: وقد تعرّضت فيه إلى مفهوم النسق التثليثي والأقانيم، في اللاهوت النصراني، وحاولت عرض آراء النصارى من العصور الأولى للنصرانية إلى وقتنا الحاضر.

الفصل الثاني: الجذور الوثنية لعقيدة التثليث، وقد ضمّنته أربعة المباحث.

الأول: وفيه تعرضت للثالوثات البابلية، وإلى الكلمة عند البابليين .

الثاني: تناولت فيه أهم الثالوثات في الديانة المصرية القديمة، والآراء المختلفة حول نسق التثليث المصري،كما تعرضت للكلمة عند المصريين القدماء.

الـــثالث:تـــناولت فيـــه التثليث في الديانتين البرهمية والبوذية، ومقارنة شخصيتي كرشنا وبوذا بشخصية المسيح.

الرابع: تعرضت فيه للتثليث في مدرسة الإسكندرية، عند قطبيها الشهيرين أفلوطين وفيلون.

وقد كنت أجري المقارنات بين كل ديانة و الديانة النصرانية.

الفصل الثالث: موقف القرآن الكريم من عقيدة التثليث، وقد قسمته إلى مبحثين.

الأول: تـــناولت فيـــه تفكيك القرآن الكريم للنسق التثليثي وأهم المسائل المثارة حول الموقف القرآني، والرّد عليها.

الثاني:وفيه تعرضت لموقف القرآن الكريم من الأقانيم النصرانية.

الفصل الرابع: ***موقف القدامى من عقيدة التثليث***، وقد ضمنته أربعة مباحث.

الأول: تناولت فيه رد الباقلاني(النموذج الأشعري) على عقيدة التثليث.

الثاني: تناولت فيه رد القاضي عبد الجبار (النموذج الإعتزالي) على عقيدة التثليث.

الثالث: وفيه تعرضت لموقف ابن حزم (النموذج الظاهري) من التثليث.

الرابع: تعرضت فيه إلى موقف ابن تيمية(النموذج السلفي) من التثليث النصراني.

الفصل الخامس: ***موقف المحدثين من عقيدة التثليث***، وقد ضمنته ثلاثة مباحث.

الأول: تعرضت فيه لموقف محمد جواد البلاغي من عقيدة التثليث النصرانية.

الثاني: تعرضت فيه لموقف رحمة الله الهندي من التثليث.

الثالث: وفيه تناولت موقف أحمد ديدات من عقيدة التثليث.

وأخيرا، قدمت نتاج هذا البحث في الخاتمة.

ولا يفوتني أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى أستاذي المشرف الدكتور بشير بوجنانة الذي لم يبخل عليّ بتوجيهاته ونصائحه، كما أتوجه بخالص الشكر إلى كل من أمدّني بمرجع أومعلومة، وأخص بالذكر الأستاذ عبد القادر بخوش وأيضا الأخ ماليه برنار محافظ مكتبة ديلو، وكل العاملين بمكتبتي جامعتنا.

وقبل ذلك أسجد لله شاكرة، الذي قال في محكم تنزيله: ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التمهيد

التثليث والأنساق المكونة له

1- تعريف التثليث

2- تعريف الجوهر

3- تعريف الطبيعة

4- تعريف الأقنوم

5- تعريف الشخص

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن الديانة النصرانية تقوم على الإيمان بشخص محوري، هو **المسيح يسوع الناصري**، ويعتقد النصارى أن رسل العهد القديم ، بشرت به، وقد جاء، وأعلن عن العقيدة الحق، ثم أنجز بموته وقيامته الخلاص، الذي وعد به العهد القديم، كما أنه اختار الحواريين ليكونوا شهود عيان لفدائه، ويبشروا العالم بالخلاص الذي جاء به، ويبلغوا للناس حقيقة بنوته لله ، وأنه ثالث أقنوم في التثليث الإلهي[1].

ولأن عقيدة التثليث تعتبر من العقائد الأساسية في الديانة النصرانية، ومحورا مهما من محاورها، لزم علينا توضيح هذه العقيدة، ولن يكون ذلك ممكنا إلا إذا عرّفناها، وعرّفنا العناصر المكوّنة لها.

فعقيدة التثليث تعرّف في اصطلاح اللاهوت النصراني، كالآتي:

التثليث: هو الإيمان بوجود ثلاثة أقانيم في الله، الله الأب، الله الابن، الله روح القدس، وهذه الأقانيم هي إله واحد أزلي ، جوهره غير مرئي، وأشخاصه متساوون في الأبدية والقدرة والمجد[2].

وقد حدد هذه العقيدة قانون الإيمان النصراني، حيث جاء فيه: " نؤمن بإله واحد، الآب والابن وروح القدس، إله واحد، جوهر واحد، متساوين في القدرة والمجد." [3]

والتثليث كمصطلح، لم يرد في الكتاب المقدس بعهديه، لكن النصارى يعتقدون أن الكتاب المقدس قدم ثلاث شخصيات متميزة الواحدة عن الأخرى، وهذه الشخصيات تكوّن التثليث الأبدي، والحقيقي في الله[4] .

1- **Mon Encyclopédie**, (Paris : Micro Application, 1996), CD-ROM N^0 1 .

2- E. Royston Picke : **Dictionnaire des Religions**, p308.

3- بطرس عبد الملك، جون ألكسندر طمس، إبراهيم مطر: **قاموس الكتاب المقدس**، ط10،(دار الثقافة، بالاتفاق مع رابطة الإنجيليين بالشرق الأوسط، 1995م)، ص232.

4- المرجع نفسه، ص232.

وقد أدخل هذا المصطلح إلى الديانة النصرانية، مع نهاية القرن الثاني، وظهر أول مرة في كتابات ثيوفيلس الأنطاكي[1] Theophile d'Antioche،في كتابه " إلى أوليكوس" "a Aulycos"، وقد استعمله باللغة اليونانية "Trias "، ثم استعمله ترتليان Tertullien [2] باللغة اللاتينية "Trinitas "، وأصبح فيما بعد هذا المصطلح إسم عقيدة جوهرية (Dogme)، ومصطلح فني في علم اللاهوت النصراني[3].

وقد استعملت كلمة تثليث في الفلسفة، للدلالة على التطور على ثلاث مراحل، وقد كان الأفلاطونيون الجدد وبخاصة برقلس[4] أول من أدخل هذه اللفظة إلى الفلسفة، ثم استعملت عند الفلاسفة الألمان[5].

والنصارى يفرقون بين التثليث والثالوث،(La Trinité et Le Tritheisme)، فكلمة ثالوث

1- ولد على ضفاف الفرات ونشأ نشأة يونانية، اعتنق النصرانية بعد الوثنية، و عين أسقفا على أنطاكيا سنة169م، و لم يصل منه سوى" الخطب الثلاث لأوتوليكس"في الرد عن النصرانية ، توفى بعد سنة180م.(صبحي حموي اليسوعي: **معجم الإيمان المسيحي**، أعاد النظر فيه من الناحية المسكونية: جان كوربون، ط1،(بيروت: دار المشرق بالتعاون مع مجلس كنائس الشرق الأوسط، 1994م)، ص167.ولويس غرديه، ج قنواتي: **فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية**، ترجمة: صبحي الصالح، فريد جبر، ط2،(بيروت: دار المعارف للملايين، 1979م)، ج2، ص400.

2- لاهوتي نصراني، ولد سنة 160م، و لم يعتنق النصرانية إلا حوالي سنة190م، وبعد عشر سنوات انساق إلى المونتانيةMontanisme، أسهم كثيرا في تكوين اللغة اللاهوتية اللاتينية، ولا سيما في لاهوت التثليث والمسيحانية، واشتهر بنظرية مادية الروح، توفى سنة220م.(صبحي حموي اليسوعي: المرجع نفسه، ص308. وE. Royston : **Dictionnaire des Religions**, p302.)

3- عبد المجيد الشرفي: **الفكر الإسلامي في الرد على النصارى**، ص74-75. وقاموس **الكتاب المقدس**، ص232.

4- ولد في القسطنطينية، سنة410 م وتوفى سنة 485م،وهو مؤسس مدرسة الأفلاطونية الجديدة، وهو مبتدع الفكرة الجدلية عن الثلاثية، فقد كان يقول بثلاث مراحل يمر بها كل ما هو موجود (الحلول، التطلع للأمام، التطلع للخلف)،وهو يرى أن التطور لا يسير بالانقسام أو التحول، وإنما نتيجة لاكتمال القوة، ونتيجة لذلك يخلق الواحد الآخر دون أن يعتريه هو نفسه أي تغيير.(تحت إشراف: م. روزنتال، ب. يودين: **الموسوعة الفلسفية**، ترجمة: سمير كرم، ط6، (بيروت: دار الطليعة،1987م)، ص82)

5- يرى الفيلسوف الألماني هيجل، أن كل عملية تطور تمر بثلاث مراحل، القضية ونقيض القضية والمركب، وكل مرحلة تالية تلغي ما قبلها، وتحولها إلى الضد، بينما لا يلغي المركب نقيض النقيض فحسب، بل إنه أيضا يضم بطريقة جديدة سمات معينة من المرحلتين السابقتين في التطور، ويبدأ المركب بدوره ثالوثا جديدا وهكذا...(**الموسوعة الفلسفية المختصرة**، ترجمة: فؤاد كامل، جمال العشري، عبد الرشيد الصادق، أضاف شخصيات إسلامية: زكي نجيب محمود، ط[ ]،(بيروت: دار العلم، ت[ ])، ص153.

Tritheisme[1]،تستعمل للدلالة على عدّة مفاهيم.

فهي تطلق للدلالة على الاعتقاد بثلاثة آلهة، كما تطلق أحيانا للدلالة على العقيدة التي تـــرى في الأقانيم الثلاثة أشخاصا مختلفة[2].

ويظهر من المجادلات اللاهوتية في القرن الرابع، أن البعض اتهم خصومهم بالقول بالثـــالوث Le Tritheisme، وهذا لأنهم قبلوا أن يكون في الله ثلاث طبائع إلهية[3].

كما تطلق أيضا على عقيدة السابليين [4]، الذين يرون أن التثليث ليس أمرا حقيقيا في الله، لكنـه مجرد إعلان خارجي، ، فالله يظهر بثلاث هيئات -أقنعة Prosopa-، متتالية، فهو الأب؛ الخالق والمشرع، والابن؛ الذي ولد ومات على الصليب، والروح القدس؛ التي تطهر الكنيسة، وهذا الإعـــلان حـــادث مؤقت، وليس أبديا [5].

وعقيدة التثليث عند النصارى نسق مكوّن من عنصرين أساسيين، وهما الجوهر والأقانيم، وقـــد يختلف بعض النصارى في التعبير عن هذه العناصر؛ فمنهم من يقول، ثلاثة أقانيم جوهر واحد، ومنـــهم من يقول، ثلاثة أقانيم طبيعة واحدة، ومنهم من يقول ثلاثة أشخاص، طبيعة أو جوهر واحـــد، وحـــتى نستطيع فهم هذه العناصر لابد من تعريفها وعرض مختلف الآراء حولها إن وجدت.

1-الجوهر Ousia : إن مصدر كلمة أوسيا هو الفعل الإغريقي **einai** إيناي، والذي معناه

1- لقد ترجمنا Le Tritheisme أوLe Triade بالثالوث، حتى نفرّق بينه وبين التثليث، لكننا لن نتقيد في بحثنا بهذا التفريـق، لأن النصارى العرب يطلقون كلمتي، تثليث وثالوث للدلالة على الإله الواحد مثلث الأقانيم، ولا يوجد لديهم مصطلح خاص يعبر عن " مجموعة مكونة من ثلاثة آلهة" ، أما النصارى الغربيين، فيطلقون كلمة"La Trinité "للدلالة علـــى التثليـــث المســـيحي المعروف، وكلمة"Le Tritheisme" تطلق غالبا للإشارة إلى "ثلاثة آلهة"، وعلى هذا سنقرن كلمة ثالوث ب" Le Tritheisme" عند كلامنا عن المجموعة المكونة من " ثلاثة آلهة".

2- E. Royston : **Dictionnaire des Religions**, p309.

3-sous la direction de Olivier de la brosse, Antonin Marie henry, Philip Rouillard : **Dictionnaire des Mots de la Foi Chretienne**, (Paris : les Editions du cerf ,1989) , p765.

4- هم أتباع سابليوس Sabellius، وهو ليبي عاش في روما حوالي سنة 215م، وكان يرى أن في الله أقنوما، وجوهرا واحـــدا، وأن الله يظهر بثلاث تجليات، وقد حوربت السابلية محاربة شديدة في القرن الرابع، و لم تظهر السابلية بعد ذلك إلا في بعـــض النظريات اللاهوتية، ولاسيما في البروتستانتية الليبرالية في القرن التاسع عشر.(صبحي حمـــوي اليســـوعي: **معجـــم الإيمـــان المسيحي**، ص293. و E.Royston : op.cit, p276)

5- sous la présidence d'Alain Aubry : **Encyclopaedia universalis**, (paris : Encyclopaedia universalis SA, 1996), corpus 22, p965.

"وجد" أو " كان" ، ويترجم هذا الفعل ب" جوهر" **Essence** " أو " **Substance**" وهو يدل على عدّة مفاهيم ، لا تستوعبها كلمة جوهر.

فكلمة "einai"، هي نقيض "genesthai"(حدث)، وعلى هذا فكلمة أوسيا ، توضح حقيقة رئيسية، وهي " **الذي يبقى في الشيء كما هو رغم الحالات المتغيرة**"[1]، ولكن كيف الوصول إلى توضيح هذه الحقيقة؟؟

لقد وجدت عدّة نظريات لتوضيح ذلك، وعلى أساسها اختلفت النظرة إلى الجوهر، وأهمها:

1-في الفلسفة: يطلق الجوهر عند الفلاسفة على معاني:

- منها الموجود القائم بنفسه حادثا كان أو قديما، ويقابله العرض.
- ومنها الذات القابلة لتوارد الصفات المتضادة عليها.
- ومنها الماهية التي إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع.
- ومنها الموجود الغني عن محل يحل فيه [2].

2- عند النصارى: استعملت كلمة جوهر في الإنجيل، لتدل على "الملك" و"الحيازة" ،ثم أصبح الكتاب النصارى، يستعملونها للتفرق بين الجوهر المادي وغير المادي، فاعتبروا الله حقيقة غير مادية، مع التحفظ من كونه خالق كل حقيقة غيره [3]، وبعدها أصبحت كلمة جوهر في اللاهوت النصراني تدل على **الذات النوعية التي يحصلها الذهن بالتجريد من شيء موجود**[4].

3- عند المسلمين: هو الذي يقبل من كل جنس من أجناس الأعراض عرضا واحدا، لأنه متى كان كذلك، كان جوهرا ، ومتى خرج عن ذلك ، خرج عن أن يكون جوهرا[5].

1- Sous la Direction de : Angelo Di Beradino, **Dictionnaire Encyclopedique du Christianisme Ancien**, (Belgique : Les Editions du Cerf, 1990), Tome2, p1846.

2- جميل صليبا: **المعجم الفلسفي**، ط[ ]، (بيروت: الشركة العالمية للكتاب ش م ك، 1994م)، ج1، ص424.

3- **Dictinnaire Encyclopedique du Christianisme Ancien**, Tome2, p1847

4- لويس غرديه، ج. قنواتي: **فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية**، ج2، ص295.

5- أبو بكر الباقلاني (هـ): **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، ط1، (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1987م)، ص 37. ويختلف المسلمون في الجوهر، فمنهم من يرى أن الجوهر إذا وجد كان حاملا للأعراض، وأن الجواهر جواهر بأنفسها، وأنها تعلم جواهر قبل أن تكون-وهو رأي أبو علي الجبائي-، ويرى الصالحي، أن الجوهر ما احتمل الأعراض، وقد يجوز عنده أن يوجد الجوهر ولا يخلق الله فيه عرضا، ولا يكون محلا للأعراض إلا أنه محتمل لها. (أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (330هـ): **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية، 1990م)، ج2، ص8.)

ويتضح من الآراء السابقة، أن هناك فرق بين الجوهر عند النصارى والفلسفة والجوهر عند المسلمين، فالمسلمون يرون **أن واجب الوجود هو نفس ماهيته، وماهيته هي نفس وجوده**، ولا شيء زائد على ضرورة الوجود، لذلك لا يصح والحالة هذه، وصفه تعالى بالجوهر والعرض، لأنهما من أوصاف الماهية، وعليه ينحصر التقسيم إلى الجوهر والعرض، بالممكن فقط[1]، أما النصارى فيسمون الله جوهر، لأن الجوهر عندهم غير مادي [2].

2-الطبيعة *Physis*: إن هذا المصطلح دلالته غامضة، فمعناه الأول والمباشر هو" الحقيقة" أو "الطبيعة الفردية" الموجودة في الأعيان، وهي الذات محققة في الأشياء، بمعنى أنّها في هذه الأشياء الأصل الذي ترتد إليه أفعالها.

وقد تؤخذ هذه اللفظة بمعنى شديد الشبه بما تدل عليه لفظة"أوسيا" في علم اللاهوت، والإبانات المتعلقة بسر الثالوث.

وتدل "فيزس" أيضا على مجموعة من الأفراد في النوع الواحد، لا على الحقيقة الفردية بوجه خاص، وفي هذه الحالة، لا تنطبق انطباقا تاما على مفهوم الأوسيا الذي يعني أصلا **الذات**، أو **النوع** بحد ذاته، ولهذه اللفظة مدلولا ثالثا، وهو الشخص أو الأقنوم، وهي لا تطلق بهذا المعنى إلا في التعليم الخاص بالمسيح، و لم ترد قط بهذا المعنى في علم اللاهوت، الذي موضوعه "سر الثالوث" [3].

3-الأقنوم *Hypostase*: هو الأصل والجوهر والشخص، وقد استعمل في العلوم الطبيعية الإغريقية للدلالة على السائل الذي يطرح في المستودع[4]، ثم أصبح يطلق في اللغة اليونانية على الجوهر، " أي على ما يجعل الإنسان أن يكون ما هو"[5]، وقد استعمل في الإنجيل اليوناني، ليدل على الواقع الحقيقي [6]

1- مختار بيرم: **مباحث فلسفية**، ط[ ]، (الجزائر:دار الهدى، ت[ ])، ص31.

2- يرى النصارى أن الله ذات يحصلها الذهن بالتجرّد من شيء موجود، ثم يقولون بأن الله تجسد في المسيح،وهو إنسان وإله في آن واحد، وعلى ذلك فتعريفهم للجوهر فيه مغالطة.

3- لويس غرديه، ج. قنواتي: **فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية**، ص295.

4- **Dictinnaire Encyclopédique du Christianisme Ancien**, Tome1, p1202.

5- صبحي حموي اليسوعي: **معجم الإيمان المسيحي**، ص55.

6-**Dictionnaire Encyclopédique du Christianisme Ancien**, Tome1, p1203..1/11، 14/3، 3/1: راجع، **عبرانيين**

واستعمله قدماء الفلاسفة ليدل على الحقيقة الوجودية، إلا أن بعضهم أطلق هذا اللفظ تهكما على قلب الحقائق الوهمية، أو الحقائق المجردة إلى حقائق وجودية[1].

وكان أفلوطين[2]، أول من استعمل هذا المصطلح ، ليشير إلى ثلاث هيئات تخف درجتها شيئا فشيئا، يتخذها الأول المطلق والفائق الوصف[3]، ثم استعمله كتاب عصره من النصارى، وأصبح يدل على ثلاث حقائق إلهية[4]، وبعد ذلك أصبح يدل على " الكائن القائم بذاته"، أو " القائم في ذاته وبذاته"[5].

إلا أن مسألة " الهيبوستاس" تعقدت بسبب الغموض الذي طرأ على معناها وحصوله في الفكر، فقد خضعت لوجهات نظر مختلفة، فالآباء الشرقيون تصوروا الأقنوم، من حيث كونه شيئا عينيا، فهو الجوهر الأول في الاصطلاح الأرسطي[6]،" ويتمتع بكل الصفات المسندة إلى الطبيعة الحقيقية لدى اكتمالها، ووجودها ناطقة مستقلة بذاتها"[7]، والشيء إذا كان كذلك، لم يعد عرضا من الأعراض فقط، بل يسمى جوهرا قائما بحقيقة تامة، وطبيعة كاملة، ومن هذا المنطلق ساق اللاهوتيون نظرهم إلى الأقنوم، فرأوا في كل أقنوم جوهر، ولكل أقنوم خاصته[8] .

وقد كان التعليم الشائع في مدرسة أنطاكية[9] بالخصوص، ينفر من هذا المصطلح، الذي استعمله

1- جميل صليبا: **المعجم الفلسفي**، ج1، ص112.

2- راجع ص140-142 من البحث، ففيها تعريف كامل له

3- Gérard Legrand : **Dictionnaire de La Philosophie**, (Paris, Bruxelles, Montréal : Bordas,1995), p136. وجميل صليبا، المرجع السابق، ص112.

4- **Dictinnaire Encyclopedique du Christianisme Ancien**, Tome1, p1203. وقد كان أوريجان أول من استعمل الأقنوم بهذا المعنى

5- لويس غرديه، ج. قنواتي: **فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية**، ج2،ص296.

6- يعني عند أرسطو، وهو فيلسوف وعالم موسوعي، مؤسس علم المنطق، ولد في ستاجيرا وتربى في أثينا ، بمدرسة افلاطون، أسس مدرسة في أثينا سنة 335ق م، من أهم مؤلفاته " ما بعد الطبيعة" (م. روزنتال، ب. يودين: **الموسوعة الفلسفية**، ص19-20)

7- لويس غرديه، ج. قنواتي: المرجع السابق ، ج2، 296.

8- عبد المجيد الشرفي: **الفكر الإسلامي في الرد على النصارى**، ص80.

9- وجدت بمدينة أنطاكية السورية، وهي حركة فكرية أكثر مما كانت مؤسسة منظمة، من أشهر الذين انتموا إليها ، لوقيانس، ويوحنا الذهبي الفم، وأبوليناروس اللاذقي.(صبحي حموي اليسوعي: **معجم الإيمان المسيحي**، ص72)

بولس الساموساطي Paul de Samosate [1] لأول مرة بمعنى "متساو" أو " واحد في الذات والجوهر"، وكان اللاهوت الأنطاكي يريد التقيد بالمعنى الظاهر الحرفي للكتاب المقدس، فنشأ عن ذلك القول بأن كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة مختلف عن الآخر بالذات والجوهر، كما لجأوا إلى ترتيب الأقانيم؛ الأب أولا، ثم الابن ثم الروح القدس، وقد استمد هذا المذهب آراءه من آراء أوريجان Origene [2].

وقد كان الكتاب اللاتينيين[3]، يعترضون على تركيبة الآباء الشرقيين، ، فبالنسبة لهم استعمال كلمة "هيبوستاس" مرفوض، لأنها تعتبر المرادف المشتق من كلمة "جوهر"، لهذا فهم يعتقدون أن اليونان الأوريجانيين، يؤمنون بثلاث هيئات إلهية"Trois Types de Divinité"، مما قد يؤدي إلى الإعتقاد بوجود ثلاثة أشخاص إلهية [4].

ولأن الآراء مختلفة حول الأقنوم وعلاقته بالجوهر، كان لابد على الفكر النصراني الإجابة على السؤال الذي يفرض نفسه، هل كل جوهر أقنوم؟؟إن صح أن كل أقنوم جوهر.

وقد أجاب ليونطوس البيزنطي[5] في القرن السادس، عن هذا السؤال، فبين أنه لا يصح القول أن كل جوهر أقنوم ، ولو كان كل أقنوم جوهر، فأصبح ينظر إلى الأقنوم من ناحية التجريد الذهني، الذي يخلع عليه الشمول والتعميم، وتغير مفهوم الأقنوم من " القائم بذاته في الأعيان" إلى صورته الذهنية

1- أصله من شميشاط، كان أسقف إنطاكية من سنة 260 إلى سنة 272م، وبسبب أفكاره عزل في مجمع كنسي بإنطاكية سنة 268م، فقد كان يرى أن الله لا يأخذ شكلا ثالوثيا إلا في صلاته بالعالم، أما طبيعته فواحدة، وشخصه واحد، له ثلاثة أسماء مختلفة.(عبد المجيد الشرفي: المرجع السابق، ص78، 80. صبحي حموي اليسوعي: **معجم الإيمان المسيحي**، ص119.

و E.Royston : **Dictionnaire des Religions**, p247)

2- ولد في الإسكندرية، نحو سنة185، لاهوتي نصراني، وضع على رأس الوعاظ حوالي سنة 203م، توفى حوالي سنة 203، من مؤلفاته "شروح" وسلسلة"مواعظ" في الكتاب المقدس وكتاب في النقد النصي للعهد القديم"السداسي"، وله مؤلفات كثيرة في التفسير واللاهوت النظري واللاهوت الصوفي، وتعد أعماله من أكثر الأعمال تأثيرا على تفكير آباء الكنيسة الشرقيين والغربيين.(صبحي حموي اليسوعي: المرجع نفسه ، ص77-78.وE .Royston : op. Cit., p236)

3- كلمة تستعمل عادة للدلالة على الليترجية الغربية، من أواخر القرن الثالث إلى منتصف القرن العشرين، واللغة اللاتينية المستعملة تختلف إلى حد كبير عن اللاتينية الكلاسيكية.(صبحي حموي اليسوعي: المرجع نفسه، ص410.)

4- Dictionnaire Encyclopédique du Christianisme Ancien, Tome2, p1847.

5- ولد في النصف الثاني من القرن الخامس، ونشأ على مذهب النساطرة، ثم عدل عنه إلى أفكار أوريجان، اشترك في المناظرات حول المجمع الخليكدوني سنة 451م، أقام في القسطنطينية، حيث كان يرد على القائلين بالطبيعة الواحدة في المسيح، توفي سنة 542م.(لويس غرديه، ج.قنواتي: **فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية**، ج2، ص386. وصبحي حموي اليسوعي: المرجع السابق، ص414.)

الكلية، المجردة التي هي:" القيام في الذات وبالذات"[1].

وقد استعمل النصارى العرب-في العصور الإسلامية الأولى-كلمة الأقنوم مرادفة للخواص،وكانوا يرون أن الأقانيم " خواص جوهرية غير متباينة، ومفترقة، يجمعها الجوهر القديم الذي لا يتبعض ولا يتجزأ بعينه، وكماله" [2]، كما كانوا يرون أن الأقانيم، صفات لله، يقول عمار البصري[3]: " نحن نبرأ إلى الله من القول بثلاثة آلهة، بل لا نريد بقولنا ؛ الأب ، والابن،وروح القدس، أكثر من تصحيح القول بأن الله حي، ناطق، فالأب هو الذي قصدنا إليه بأن له حياة وكلمة، والحياة روح القدس، والكلمة الابن"[4].

4- الشخص: إن الآباء الغربيين، استعملوا لفظة " **بروسيون** " اليونانية، مكان كلمة أقنوم، وهي تعني الشخص، وكانت أصلا تعني " الوجه المستعار " أو " القناع " الذي يضعه الممثل على وجهه عندما يظهر على المسرح لتشخيص دور ما[5] و هي تفيد معنى قريب من هيبوستاس.

و هذه اللفظة تقابل بالذات اللفظة اللاتينية " برسونا " " Persona "، التي تحولت إلى لفظة برسون Personne في اللغات المعاصرة (اللغة الفرنسية مثلا)، و هي تعني الشخص، و عندما تعرب هذه الكلمة، يرى النصارى؛ أنه لا يجب أن يفهم منها المعنى الحسي و الكمي، و أن تقيد بأطر الزمان والمكان[6]، يقول توماس ميشال : " فعندما يتكلم المسيحيون اليوم على إله واحد في ثلاثة أشخاص، يخشى أن يفهم خطأ أن المسيحيين يؤمنون بإله واحد مكون من ثلاثة أفراد، أو ثلاثة " أشخاص "، أي مما يشبه مجموعة ثلاثة، و هذا ليس بالتعليم المسيحي الصحيح، و لم ترده المجامع الكنسية الأولى بوجه

1- لويس غرديه، ج. قنواتي: **فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية** ، ج2، ص297.

2- عمار البصري: **كتاب البرهان وكتاب المسائل والأجوبة**، حققه وقدم له: ميشال الحايك، ط[ ]، (بيروت: دار المشرق، 1986)،ص139.

3- عمار البصري اسم مجهول المسمى، لا يعرف له سوى أثرين هما؛ " كتاب البرهان" و " كتاب المسائل والأجوبة" ، وقد عاش في زمن المأمون و المعتصم، وعاصر أسقفين شهيرين هما أبي قرة الملكي، وأبي رائطة اليعقوبي.(المرجع نفسه، ص7-11)

4-المرجع نفسه، ص48.

5- لويس غرديه، ج. قنواتي: المرجع السابق، ص294. وتوماس ميشال اليسوعي: **مدخل إلى العقيدة المسيحية**، ط[ ] ، (بيروت: دار المشرق، 1986م)، ص65.

6- لويس غرديه،ج. قنواتي: المرجع السابق، ص294.

من الوجوه. "[1]

و قد شعر الغرب بنقص يعتري لفظة " شخص "، لما توحي من انفصال بين الأب و الابن والروح لا يبين وحدتهم، وحاول البعض جمع المفهومين الشرقي و الغربي لكلمة " أقنوم " أو "شخص"، فقال بما يسمى " **العلاقة القائمة بذاتها** "[2].

و حاول اللاهوتيون المعاصرون استبدال لفظة " شخص " بألفاظ و تعابير مختلفة منها " **ثلاث حالات في كينونة** " " **Trois Manières d'être** " أو " **ثلاث حالات في القيام الذاتي** "[3] " **Trois Manières de subsister** "، أو ثلاثة وجوه و تقابلها في اللغة العربية " ثلاث حضرات "، فكلمة " حضرتك " تفيد بخاصة الشخص نفسه، بما يميزه عن غيره، و تفيد الحضور للغير، و هذه الكلمة لا تتضمن فكرة الجسد التي تتضمنها لفظة " الشخص"[4].

و رغم هذه الاقتراحات لا يزال اللاهوت النصراني يبحث عن أفضل تسمية للتعبير عما يجمع الأب و الابن و روح القدس [5]، وإنه حقا اعتراف بعجز العقل عن تسمية ما لا يعقل.

وقبل تناولنا لمواضيع التثليث المختلفة في الديانة النصرانية، ثم الموقف الإسلامي منها، نعرض وجهة نظر Guy Monnot[6]، في تعامل الفكر الإسلامي مع المصطلحات المكونة للنسق التثليثي، والتي شرحناها سابقا، فهو يرى أن هناك اختلاف في المنطلقات الفكرية لكل من المسلمين والنصارى، مما أدى إلى وجود الاختلاف في مفهوم المصطلحات، ويشرح لنا ذلك في الجدول رقم"1".

1- توماس ميشال: **مدخل إلى العقيدة المسيحية**، ص65.

2- قال بها توما الإكويني.

3-استعمل هذا التعبير باخت Barth

4-توماس ميشال : المرجع نفسه، ص65.

5- راجع ص 83-86 من البحث.

6- **Islam et Religion,** p 243-244.

ويمكن تلخيص ما تقدم، خاصة نقاط الاختلاف بين المسلمين النصارى بالتالي:

بالنسبة للنصارى	الكلمة اليونانية	العربية	بالنسبة للمسلمين
1-الجوهر: هو الموجود بذاته (أو القائم بذاته)	أوسيا (oussia)	جوهر	جوهر مادي
2- الطبيعة: - بالنسبة للملكية[1]: ذات أو جوهر كمبدأ للحركة. - بالنسبة لليعقوبية[2] و النسطورية[3]. جوهر شخصي مادي (ملموس)	فيزيس (Physis)	طبيعة	طبيعة (مفروضة من الخالق كنهاية)
3- الأقنوم: - بالنسبة للملكية موضوع علاقة إلهية داخلية (شخص). - بالنسبة لليعقوبية و عند بعض النساطرة جوهر حقيقي ملموس.	هيبوستاس Hypostase	أقنوم	أقنوم (؟)
4- شخص: بالنسبة للملكية، أو بعض النسطوريين مصطلح أو موضوع العلاقة الإلهية الداخلية . اليعقوبية: طبيعة شخصية ملموسة و دائمة (أو باقية)	prosopon	شخص	شخص (جسماني)

1- اسم أطلق على مسيحيّي سورية ومصر الذين حافظوا على العقيدة الخليقدونية راجع ص66-67 من البحث ، وقد سموا بذلك لأن مجمع خليكدونية كان بأمر من الملك أو الإمبراطور. و في الوقت الحاضر تدل هذه التسمية على الروم الكاثوليك فقط.(صبحي حموي اليسوعي: **معجم الإيمان المسيحي**، ص 482. E . Royston : **Dictionnaire des Religions** , p 208)

2- اسم عرف به السريان وأطلق على حزب يعقوب البرادعي في أثناء المشاكل التي أثيرت على البطريك بولس الأنطاكي الثاني. وهم بالنسبة للمفكرين المسلمين القائلون بالطبيعة الواحدة للمسيح (صبحي حموي اليسوعي: المرجع نفسه، ص547.)

3-أتباع نسطور بطريك الإسكندرية ما بين428-431 ، و الذي قال بأن المسيح مكون من شخصين ، شخص إلهي هو الكلمة ، وشخص بشري هو يسوع، وكان يرى أنه لا يمكن الاتحاد بين طبيعة المسيح البشرية وبين الأقنوم الإلهي، وكان يأبى أن يطلق على مريم لقب "والدة الإله". (صبحي حموي اليسوعي: المرجع نفسه، ص510. E. Royston : **Dictionnaire des Religions**, p 228)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

التثليث في الديانة النصرانية

المبحث الأول : التثليث في العهد القديم

المبحث الثاني: عقيدة التثليث عند بولس

المبحث الثالث: التثليث في الأناجيل الأربعة

المبحث الرابع: المجامع الكنسية ودورها في ترسيخ عقيدة التثليث

المبحث الخامس: التثليث في الفكر النصراني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

إن البحوث التاريخية أظهرت أن الاعتقاد بالروح و عبادة الأصنام عند الشعوب البدائية هو إرتكاس و تراجع عن عقيدة توحيدية أصلية، والديانة النصرانية يجب النظر إليها من هذا المنظور.

فقد جاء عيسى عليه السلام بعقيدة التوحيد ثم حرفت و انحدرت إلى التثليث الذي كان منتشرا في المجتمعات الوثنية القديمة.

و تظهر آثار التوحيد النصراني في القرن الأول بعد موت المسيح عليه السلام في كتاب " راعي هيراماس " الذي تم تأليفه حوالي سنة 90 م، و الذي اعتبرته الكنيسة كتابا منزلا.

فقد جاء في الوصية الأولى من الوصايا الاثنتي عشرة التي يحتويها الكتاب ما نصه " قبل كل شيء ليكن اعتقادك بأن الله واحد، وأنه خلق كل شيء و نظمه و أوجد كل الأشياء من العدم، وهو يحتوي و يشمل الأشياء كلها و لكن لا يوجد شيء يحيط به أو يحويه " [1].

و حسب رأي تيودور زاهن Théodore Zehn فإن قاعدة الإيمان كانت إلى سنة 150 م "أؤمن بالله تعالى "، و فيما بين سنة 180م إلى سنة 210م أضيفت كلمة " الآب "، قبل كلمة تعالى، و قد احتج عدد من زعماء الكنيسة [2] على ذلك بشدة، و اعتبروا إضافة أية كلمة أو حذفها من الكتاب المقدس تدنيسا، كما عارضوا نزعة تأليه المسيح عليه السلام، و ركزوا على وحدانية الله ونبوة عيسى عليه السلام، و أنه كالبشر في الأساس، حتى و لو كان مقربا عند ربه، و كانت الكنائس في شمال إفريقيا وغرب آسيا تقول بالقول نفسه [3].

1- محمد عطاء الرحيم: **عيسى يبشر بالإسلام**، ترجمة و تعريب: فهمي م شما، ط1، (دمشق: المكتبة العمومية، 1990م) ص32.

2- من بينهم الأسقف فيكتور و الأسقف زفيزيوس.

3- المرجع نفسه، ص 33.

لكن بعد انتشار تعاليم المسيح عليه السلام احتكت النصرانيـــة بالثقافـــات الأخـــرى، كمـــا اصطدمت بأصحاب السلطة، و لتخفيف حدة اضطهاد الحكام لها، جرى تعديلها بحيث تلائم الثقافـات السائدة في تلك الأوساط، و قد تحولت في اليونان بصفة خاصة، و تم التعبير عنها بلغـــة جديـــدة و تم دمجها مع الأفكار و الفلسفات اليونانية القائمة أساسا على فكرة التثليث[1]، والجدير بالذكر أن عقيـــدة التثليث لم تكن معروفة في الأوساط النصرانية إلى نهاية القرن الثاني، فأقدم استعمال وصلنا للفظة التثليـث كان عند ثيوفيلس الأنطاكي [2].

أما عن رفع المسيح من مرتبة النبوة إلى مرتبة الألوهية، فقد قال بها بولس الذي كان له الـــدور الكبير في تغيير مسار الديانة النصرانية، و الذي وضع لها قناعا أخفى به معالمها الأصلية، ثم جاء يوحنـــا بعقيدة الكلمة المتجسدة، و بعده جاءت المجامع الكنسية لترسخ القول بالتثليث، وقام اللاهوتيون بإعطـاء تفسيرات مختلفة لها، لهذا كان لزاما علينا تناول التطورات المختلفة لعقيدة التثليث و هذا بعـــرض أدلـــة النصارى النصية من العهد القديم ، ثم عرض دور بولس في تغيير الديانة النصرانية، ثم عقيدة التثليـــث في الأناجيل المتوافقة، و بعدها دور المجامع الكنسية في ترسيخ عقيدة التثليث، وأخيرا نعرج علـــى الفكـــر النصراني في تفسيره وفلسفته لهذه العقيدة، ولأن الفكر النصراني يختلف باختلاف المعطيـــات الفكريـــة السائدة في كل عصر، فقد آثرنا تقديم هذه العقيدة حسب الموضوعات الخاصة بالتثليث، مدرجين الآراء القديمة والحديثة،حتى نثري الموضوع أكثر.

1- محمد عطاء الرحيم: المرجع نفسه، ص 33. و جون هك مشرفا: **أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح**، تعريـــب: نبيـــل صبحي، ط1، (الكويت: دار القلم ، 1985م)، ص 267.

2- Denis Masson : **le monothéisme coranique et le monothéisme biblique (doctrines comparées)**, préface : Jean Gros Jean, 2eme édition, (desclée de Brouwer,1976), P100.

وعبد المجيد شرفي: **الفكر الإسلامي في الرد على النصارى**، ص 74-75.

المبحث الأول

التثليث في العهد القديم

المطلب الأول: الأقانيم في العهد القديم.

إن المصدر الأول و الأساسي الذي يستند عليه النصارى في اعتقادهم بعقيدة التثليث هو الكتاب المقدس بشقيه القديم و الجديد، و العهد القديم لم يفصح عن أقنومية أي طرف من أطراف الثالوث، كما أنه لم يذكر عقيدة التثليث، ومع ذلك حاول النصارى جاهدين استخراج بعض النصوص منه، ليجدوا لعقيدة التثليث سندا نصيا، و هذه أهم النصوص :

أولا : أبوة الله .

إن كلمة أب[1] في العهد القديم كانت تطلق على يهوه أبو إسرائيل[2] " **فإنك أنت أبونا وإن لم يعرفنا إبراهيم. وإن لم يدرنا إسرائيل. أنت يا رب أبونا ولينا منذ الأبد اسمك.** "[3]، " **و الآن يا رب أنت أبونا. نحن الطين و أنت جابلنا وكلنا عمل يديك.** "[4]، و كان يوصف يهوه بأنه أبو كل عادل وأبوته ليست أبوة نسب، كالتي تجمع الأبناء و الآباء، و لا هي أبوة ولادة روحية، بل أبوة رعاية وعناية وحماية، أشبه بها تلك التي تكون بين الآباء نحو الأبناء [5]، " **كما يترأف الأب على البنين يترأف الرب**

1-إن أصل هذه الكلمة بمد الهمزة "آب" في اللغة السريالية، ومعناها الله، ولكن النصارى عندما ترجموا العهد الجديد إلى العربية أبقوا المدة مع أن مقصدهم ما يقابل الإبن، ولتصحيحها تكتب بغير مد. (أحمد شلبي: **المسيحية**، مقارنة الأديان، ط8، (القاهرة: مكتبة النهضة العربية، 1984م)، ج2، ص8)

2-Dictionnaire de la theologie catholique, (Paris : Librairie Letouzey et Ané, 1950). corpus15, 2ème partie, p1560.

3- إشعيا، 16/63.

4- إشعيا،8/64، و كذلك إرميا، 31/20 و 3/19 .

5- عبد الكريم الخطيب: **المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل**، ط1، (دار الكتب الحديثة، 1965 م)، ص219.

على خائفيه لأنه يعرف جبلتنا يذكر أننا تراب نحن "[1].

فاليهود إذا كانوا يدعون الله " **الأب** "، و يدعون شعبهم ابن الله، و لم يكونوا يقصدون الأبوة الحقيقية كما أنه لم يرد على الإطلاق ذكر أبوة الله للمسيح.

ثانيا: ملاك الرب أو " الابن "

يرى النصارى أن كتب العهد القديم تشير في مناسبات متعددة إلى شخصية غامضة سميت "**ملاك يهوه** "، و هو ليس ملاكا عاديا فهو يأخذ الكلمة في مكان يهوه، و يتكلم أحيانا و كأنه الله نفسه، و هذه علامة تدل على وجود أقنوم مقدس، مكلف ليكون وسيطا بين الله و خلقه.

و بالنسبة لفيلون الإسكندري[2]، ملاك الرب، ما هو إلا " الكلمة " **اللوغس**، و أما آباء الكنيسة فيرون أن **ملاك** يهوه هو ثاني أقنوم في الثالوث المقدس، كان يتمرن ليتجسد بتجليات مختلفة[3]، و هذه بعض النصوص التي استدل بها النصارى على أن ملاك الرب هو المسيح :

1– " فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية. على العين التي في طريق شور، و قال يا هاجر جارية ساراي من أين أتيت وإلى أين تذهبين. فقالت أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي فقال لها ملاك الرب ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يدها . وقال لها ملاك الرب تكثيرا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة، وقال ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدين إبنا. وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك وإنه يكون إنسانا وحشيا. يده على كل واحد ويد كل واحد عليه. وأمام جميع إخوته يسكن. فدعت اسم الرب الذي تكلم معها أنت إيل رئي " [4].

فهنا ملاك الرب أو كما يقول النصارى المسيح، طلب من هاجر الهروب ويعطيها الراحة والأمان و يكثر نسلها، فما هذا التجلي سوى إعلان عن عناية الله الفائقة إذ ظهر لامرأة يائسة متعبة بلا صديق [5].

1– مزمور 103/13–14، **مزمور 10/27**، **صفنيا**، 18–2/16.

2- Dictionnaire de la theologie catholique, c15, 2eme p, p1551.

2– راجع ص 137 من البحث، ففيها تعريف كامل ومفصل له

3– تكوين، 16/7–13.

4– جون ف والفورد: **يسوع المسيح ربنا**، ترجمة: حزقيال بسطوروس، مراجعة: إميل بطرس، ط[ ]، (القاهرة: دار الجيل 1988م)، ص58.

2– " ... ثم مد إبراهيم يده و أخذ السكين ليذبح ابنه، فناداه ملاك الرب من السماء و قال إبراهيم إبراهيم، فقال هاأنذا، فقال لا تمد يدك إلى الغلام و لا تفعل به شيئا، لأني الآن علمت أنك خائف الله ... و نادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء و قال بذاتي أقسمت يقول الرب إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ... أباركك مباركة و أكثر نسلك "[1]

فهنا رفع ملاك الرب إبراهيم حتى لا يذبح إسحاق و قدّم كبشا بذلا عنه و هذه العملية رمز للمسيح الذي قدم نفسه فداء للبشرية[2].

3– " ...فبقي يعقوب وحده، و صارعه إنسان حتى طلوع الفجر ... فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل، قائلا لأني نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسي "[3]،ويظهر من هذا النص أن المسيح تجسد وصارع يعقوب حتى طلوع الفجر.

فمن هذه النصوص و غيرها[4] يرى النصارى أن ملاك الرب، هو المسيح كان يقدم الخدمة إلى المحتاجين، و يرشد إلى طريق إرادة الله، و يحمي شعبه من أعدائهم، و هذه الخدمات ليست وقتية و لا استثنائية و لكنها الخدمة الدائمة العادية التي يقدمها الله لشعبه، و يقول جون والفورد : " و شهادة الكتاب المقدس كاملة في هذه النقطة حتى أن العلماء... يتفقون على أن ملاك الرب هو المسيح في العهد القديم، و ليس علماء اللاهوت المسيحيون وحدهم بل أيضا علماء اليهود قد أدركوا أن ملاك الرب أكثر من ملاك، إنه إعلان عن شخص المسيح و عمله قبل التجسد و دليل على سابق وجوده و على لاهوته. "[5]

و يقدم هذا الكاتب بعض الأدلة على أن ملاك الرب هو المسيح،من بينها :

1– إن المسيح الأقنوم الثاني في الثالوث المقدس، هو الله في الجسد في صورة منظورة، و من

1– **تكوين**، 22/10–18.

2– جون ف. والفريد: المرجع السابق، ص59.

3– **تكوين**، 3/24–30.

4– من بينها: **تكوين**، 22/11–18، 24/7، 31/11، 32/24–32، **عدد**، 20/16، 22/22–35، **تثنية**، 5/6، **قضاة**،2/1–4، 5/23، **صموئيل الثاني**، 14/17–20 ، 19/27، وإلى غير ذلك.

5– جون ف. والفريد: المرجع السابق، ص60.

المنطقي، أن يظهر نفس الأقنوم في الجسد في العهدين إلا أنه كان يسمى ملاك الرب في العهد القديم [1].

2- لم يعد ملاك الرب يظهر بعد تجسد المسيح، و الاستنتاج الطبيعي أن ملاك الرب هو المسيح المتجسد.

3- هناك تشابه بين وظيفة ملاك الرب و المسيح، فالأب أرسل كليهما، فقد أرسل في العهد القديم ملاك الرب ليظهر الحق و ليقود شعب إسرائيل و يدافع عنهم و يقضي لهم، و في العهد الجديد أرسل الأب المسيح ليعلن الله في الجسد، ويظهر الحق و يصبح المخلص، فهذه الحقائق تشير إلى أن ملاك الرّب هو المسيح.

4- لا يمكن أن يكون ملاك الرّب الأقنوم الأول و لا الثالث، هذا لأن يوحنا قال : " **الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذي هو في حضن الأب هو خبر.** "[2]، و هذه الفقرة تعني أن المسيح وحده الذي رآه الناس، و أن الأقنومين الآخرين لم يظهرا في صورة منظورة، و بما أن ملاك الرب هو الذي أرسل و ظهر في الجسد أي في صورة إنسان، فهو الأقنوم الثاني [3].

و الملاحظ مما تقدم، أن النصارى لم يؤلهوا المسيح فقط بل ألهوا ملائكة العهد القديم، في محاولتهم جعل ظهورات الملائكة تمرينات للمسيح حتى يستطيع التجسد فيما بعد.

ثالثا : النبوءات بالمسيح " الإله "

يرى النصارى أن هناك بعض النبوءات عن المسيح ابن الله في العهد القديم من بينها :

- " **و لكن يعطيكم السيد نفسه آية، ها العذراء تحبل و تلد ابنا و تدعو تسمه عمانوئيل.** "[4]، **وعمانوئيل** معناها **الله معنا** أي تجسد و حل بيننا.

1- إن ظهور الملك في جسد إنساني ليس دليلا على أنه المسيح، فمن الشائع في الديانة اليهودية أن الملاك ظهر كثيرا في صورة إنسان، وحتى في الإسلام ظهر جبريل للرسول صلى الله عليه وسلم في صورة رجل -دحية الكلبي-، فهل يدعي النصارى أن المسيح تجسد وظهر للرسول محمد صلى الله عليه وسلم؟؟، بالإضافة إلى أن الملاك ظهر في الأناجيل، بعد موت المسيح. راجع: **متى، 1/28-5.**

2- **يوحنا، 1/ 18.**

3-جون ف والفورد: **يسوع المسيح ربنا**، ص50-51.

4- **إشعيا، 14/7.**

- " لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنا و تكون الرياسة على كتفه و يدعى عجيبا مشيرا إلها قديرا أبا أبديا رئيس السلام. "[1]

- " أما أنت يا بيت لحم أفراتة وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا، فمنك يخرج لي الذي متسلطا على إسرائيل و مخارجه منذ الأزل منذ أيام الأزل. "[2]

فمن هذه النصوص يستدل بعض الكتاب النصارى بأن نبوءات العهد القديم عن مجيء المسيح تؤكد ألوهيته، وهي دليل على أزلته ففي إشعيا 6/9 يعلن بأن المسيح ليس فقط إلها قديرا و لكن " **أبا أبديا** " أو " **أبو الأبدية** "، و اسم يهوه الذي أعطي للمسيح و للأب و للروح القدس، هو توكيد أيضا على الأزلية [3]، لأن هذا اللقب يشير إلى " **أنا الأزلي** " [4].

كما تدل هذه النصوص على أن المسيح سيكون سيد المملكة الجديدة، التي تكتمل فيها العدالة، وأنه سيعاني من أجل الخطايا، وتكون له علاقة فريدة مع الله، تجعل المسيح يقول له " **أبي**"، وكل تلك النبوءات تحققت في شخص المسيح[5].

و نتساءل أين هي المملكة الجديدة التي اكتملت فيها العدالة ؟!

رابعا : الكلمة.

يرى النصارى بأن الكلمة لها علاقة بالروح، فهي ناتجة عن الروح، و كلاهما يخرجان من فم الإنسان على شكل هواء.

و التوراة تعطي لكلمة يهوه دورا مهما في قصة الخلق، فقد جاء في المزامير: " بكلمة الرب صنعت السماوات و بنسمة فيه كل جنوده "[6] و كذلك : " لتخش الرب كل الأرض و منه ليخف كل سكان المسكونة. لأنه قال فكان. هو أمر فصار. "[7] و أيضا " و قال الله ليكن نور فكان نور. "[8]

1-إشعيا، 6/9.

2-ميخا، 2/5.

3-جون ف والفورد: يسوع المسيح ربنا ، ص 25.

4-أنظر: خروج،14/3.

5-Dictionnaire de la theologie catholique, c15,2^{eme}p, p1563.

6-مزمور 6/33.

7-مزمور 8/33-9.

8-تكوين،3/1.

و هناك بعض النصوص تعطى للكلمة قدرة خاصة، جاء في سفر إشعيا : " لأنه كما ينزل المطر والثلج من السماء و يرجعان إلى هناك بل يرويان الأرض و يجعلانها تلد و تنبت وتعطي زرعا للزارع وخبزا للآكل، هناك تكون كلمتي التي تخرج من فمي لا ترجع إلي فارغة بل تعمل ما سررت به وتنجح فيما أرسلتها له "[1].

ويرى البعض أنه بالرغم من القدرة التي أعطاها هذا النص للكلمة فلا يجب أن تفهم بالمعنى الحرفي، ففي الحقيقة هي تعبيرات بلاغية لا تحتوي على دلالة ميتافيزيقية لأنه ليس للكلمة في العهد القديم قدرة حقيقية، و لأن كتاب العهد القديم لم يكونوا ينظرون إلى كلمة الله على أنها أقنوم[2]، فلم يكن للكمة في العهد القديم معنى الأقنوم أو الشخص و هذا واضح من النصوص، و حتى النصارى أنفسهم يعترفون بأن كلمة الله لم تكن أقنوما.

خامسا : الروح القدس.

إن معنى الروح(רוּחַ) الريح، الهبوب، الحياة، القلب، الشجاعة[3]، و تظهر الروح في العهد القديم على أنها قوة إلهية كالله نفسه، تعمل في الكون و في الإنسان، و هذه القوة الحيوية تظهر في الخلق وحفظ الحياة، و هي التي توحي للأنبياء و تتكلم على لسانهم[4]، وهذه بعض النصوص التي تظهر لنا معنى الروح القدس في العهد القديم.

- " بكلمة الرب صنعت السماوات و بنسمة فيه كل جنودها."[5]
- " و تصعد و تأتي كزوبعة و تكون كسحابة تغشى الأرض ..."[6]

و من هذين النصين يبرز دور الروح في الخلق، وتظهر كذلك بأنها قوة كونية.

1-10/55-11.

2--**Dictionnaire de la theologie catholique**, corpus 15,2eme p, p1555.

3-Ennery Marchaud עברי לעברי מלון, **lexique Hébreux-Français**, 6eme édition, (Paris : librairie durlacher, 1947) ,p 157 .

4-D. Masson : **Monothéisme Coranique et Monothéisme**, p117.et **L'espris saint , Fêtes et saisons** (mensuel n° 407-0408 septembre / octobre/ 1986, Paris), p 19

5- مزمور33/6.

6-حزقيال، 38/9.

- " فقال فرعون لعبيده هل نجد مثل هذا رجلا فيه روح الله، ثم قال فرعون ليوسف بعدما أعلمك الله، كل هذا ليس بصير و حكيم مثلك. " [1]
- " فقال الرب لموسى اجمع إلي سبعين رجلا من شيوخ إسرائيل ... فأنزل أنا و أتكلم معك هناك وآخذ من الروح الذي عليك و أضع عليكم فيعملون معك ثقل الشعب، فلا تحمل أنت وحدك. "[2]

و من هذين النصين و غيرهما[3] تظهر الروح بأنها الوحي و الإلهام و يظهر بأن الرسل أو العدول ممتلئين بروح يهوه.

و قد جاء في Dictionnaire de la Théologie catholique بأنه لم يرد قط ذكر الروح على أنها شخص، فالروح لا يتصرف من نفسه، و ليس له قوة ذاتية، فهو غير مستقل عن يهوه، فيهوه هو الذي يجعل الرسل يتكلمون و هو الذي يحيي الموتى.

و روح يهوه تماثل النفس الذي يخرج من الحيوان و الإنسان ليدل على وجود الحياة، ويهوه له روح الحياة [4].

و يرى البعض أن ظهور روح يهوه في العهد القديم هي تمهيد للتعريف بالإله الواحد في ثلاثة أقانيم[5]، و يرجع القس بوطر عدم ظهور شخصية الإبن والروح القدس بوضوح في العهد القديم، إلى أن الله بعدما خلق العالم، و توج خليقته بالإنسان لبث حينا من الدهر لا يعلن سوى ما يختص بوحدانيته، كما يتبين ذلك من التوراة، لكن المدقق يمكن له أن يرى بين سطورها إشارات وراء الوحدانية، فقد جاءت عبارات " كلمة الله أو حكمة الله أو روح القدس "، و لم يعلم من نزلت إليهم التوراة ما تكنه هذه الكلمات من المعاني، لأنه لم يكن قد آن الوقت المعين الذي قصد الله فيه إيضاح معني تلك العبارات على وجه الكمال و التفصيل، و مع ذلك فمن يقرأ التوراة في ضوء الإنجيل يقف على المعنى المراد إذ يجدها تشير إلى أقانيم في اللاهوت[6].

1- **تكوين**، 41/38-39.

2- **عدد**، 11/16-17.

3- **قضاة**، 14/6، 6/32، **حزقيال**، 3/10-12، **مزمور51**/12-13،وإلى غير ذلك

4- **Dictionnaire de la théologie catholique** , c15, 2eme p, p1553-1554.

5-Sous la direction de : L'Abbé. R. Aigrain, **Ecclésia**, Encyclopedie populaire des connaissances religieuses, Préface : S.G.M^{gr} Courcoux, (Paris : librairie Bloud et Gay, 1941), P108.

6- **قاموس الكتاب المقدس**، (نقلا عن أحمد شلبي: **المسيحية**، ط8، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية 1984)، ص141.)

ويبدو أن تحليل الكاتب غير منطقي، فكيف يخفي الله حقيقته ؟، و هل كان الإنسان منـــذ آدم إلى أن جاء المسيح غير قادر على فهم عقيدة التثليث ؟ !، هل كان عقله معطلا ثم أصبح يفكر بعد مجيء المسيح ؟ ثم ما هو مصير كل تلك الشعوب التي أخفى الله عنها حقيقته ؟ إنه من غير المعقول أن يخفـــي الله حقيقته على البشرية منذ آدم إلى المسيح عليهما السلام، فمن صفات الله العدل و تمـــام العـــدل أن يظهر الله حقيقته كما هي، أو كما يريد أن يظهرها للبشر كافة بدون استثناء، وقد جاء جميع الرســـل بالتوحيد.

المطلب الثاني :النسق التثليثي في العهد القديم

أجمع أغلب مفكري النصرانية على وجود بعض النصوص في العهد القـــديم، خاصـــة بعقيـــدة التثليث وهي :

1- " و قال الله نعمل الإنسان على صورتنـا كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر و على طير السماء، و علة البهائم، و على الأرض و على جميع الدبابات التي تدب على الأرض. "[1]

يرى النصارى أن صيغة الجمع هنا " نعمل " " صورتنا " " شبهنا " تفيد أن هناك حوار بـــين الأقانيم المقدسة، و أن هناك إعلان واضح عن الثالوث [2].

و كذلك في قوله : " و قال الرب هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارف الخير و الشر، والآن لعله يمد يده و يأخذ من شجرة الحياة أيضا، و يأكل و يحيا إلى الأبد. "[3] و أيضـا" هلم ننزل و نبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض. "[4]

2- و يرى **اللاهوتيون المدرسيون** **Les Théologiens Scolastiques**[5] أن في تكرار كلمة الإله

1-تكوين، 26/1.

2- **Dictionnaire de la théologie catholique**, T 15 2eme p, p 1552.

3- تكوين، 22/3.

4- تكوين، 7/11.

5-تطلق هذه التسمية أولا على الفلسفة واللاهوت اللذين كانا يعلمان في القرون الوسطى ما بين القرنين 11و15 ميلاديـــين، وقد كانت محاولة لمزج الأرثوذكسية النصرانية مع أفكار أرسطو، وتطلق ثانيا على الفلسفة واللاهوت المنبثقين من تقليد هـــذه المدارس.(Royston P, **Dictionnaire des Religions, p**283 وصبحي حموي: **معجم الإيمان المسيحي**، ص446.)

ثلاث مرات دليل على وجود التثليث في العهد القديم كما هو الأمر بالنسبة للنصوص التالية :

" ثم قال أنا إله أبيك إله إبراهيم و إله إسحاق و إله يعقوب ... "[1]، و كذلك : " و هذا نادى ذاك وقال قدوس، قدوس، قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض. "[2]

3- ورود كلمة إلوهيم "אֱלֹהִים" في العهد القديم، دليل على أن الله واحد في ثلاثة أقـــانيم، لأن كلمة إلوهيم تفيد الجمع، امثال ذلك: " في البدء خلق الله السماوات و الأرض، وكانت الأرض خربة و خالية و على وجه الغمر ظلمة، وروح الله يرف على وجه المياه و قال الله ليكن نور فكان نور و رأى الله النور أنه حسن ... "[3]

4-" يولد لنا ولد و تعطى ابنا و تكون الرياسة على كتفه و يدعى اسمه عجيبا مشـيرا إلهـا قديـرا أبا أبديا رئيس السلام. "[4] فهذا دليل على أن المسيح إله.

1- خروج3/6.

2- إشعيا، 3/6، و كذلك تثنية، 4/6.

3- تكوين، 1/1-5.

4- إشعيا، 6/9 ، **Dictionnaire de la théologie catholique**, T 15 2eme p, p 1552. - هناك بعض النصوص من العهد القديم يستدل بها النصارى على عقيدة التثليث، و لم يرد ذكرها في المراجع النصرانية، وقد ذكرها الرادون المسلمون في ردودهم، راجع بهذا الخصوص، الفصل الثالث والرابع.

المبحث الثاني

عقيدة التثليث عند بولس.

المطلب الأول: حياته

يرى كثير من الباحثين في الأديان أن عقيدة التثليث دخيلة على الديانة النصرانية، و قد أقحمت على مرحلتين، الأولى على يد بولس و الثانية بواسطة المجامع الكنسية، فمن هو بولس ؟ و كيف أدخل التثليث في الديانة النصرانية ؟

ولد بولس اليهودي الأصل في مدينة طرسوس[1] من أعمال الإمبراطورية الرومانية، حوالي السنة العاشرة للميلاد، كان اسمه العبري شاول أي " المطلوب "، و كان والده فريسيا تربى على الناموس، وقد كان يتمتع بالرعوية الرومانية، مما أكسب ابنه حق الرعوية، فأصبح بولس مواطنا رومانيا[2].

كانت مدينة طرسوس مركزا من مراكز التهذيب العقلي، كما كانت مركزا للفلسفة الرواقية[3]، التي ظهر تأثيرها في كثير من تعبيرات بولس عن مبادئ النصرانية، و كان بولس كسائر صبيان اليهود قد تعلم حرفة يكتسب منها عند الحاجة، و هي حرفة " صنع الخيام "[4]. أرسل بولس

1-هي مدينة فينيقية قديمة، أصبحت على عهد أنطونيوس، عاصمة إقليم قيليقية الروماني، وكانت منطقة عبور مهمة من الناحية التجارية، بين سورية ومصر وآسيا الصغرى.(صبحي حموي اليسوعي: **معجم الإيمان المسيحي**، ص308. و **Encyclopedie Encarta 99 Microsoft** (Atlas du Monde), Behavior Tech Computer Corp, CD1)

2- ول ديورانت: **قصة الحضارة**، نشأة الحضارة، الشرق الأدنى، ترجمة: زكي نجيب محمود، تقديم: محي الدين صابر، ط[ ] ، (بيروت: دار الجيل، ت[ ])، ج 11، ص 249. وإبراهيم مطر، بطرس عبد المالك، جون ألكسندر طمسن، و آخرون، **قاموس الكتاب المقدس**، ص 196.

3-- هي مذهب زينون وغيره من الفلاسفة اليونان والرومان، وقد سموا بذلك لأن زينون كان يعلم تلاميذه في الرواق، وأساس الفلسفة الرواقية أن الإنسان جزء من الكون، وأن كل ما يقع في الطبيعة يقع بتأثير العقل الكلي، أو القدر و معظم الرواقيين يرون أن النار أصل الوجود. (جميل صليبا: **المعجم الفلسفي**، ج1، ص321-322. و م.روزنتال، ب. يودوين: **الموسوعة الفلسفية**، ص230.)

4- Simon legasse : **Paul apôtre**, (éditions cerf Fides, 1992). P40 .196 ص **وقاموس الكتاب المقدس**،

في سن الخامسة عشر إلى القدس ليدرس العقيدة اليهودية هناك، فتعلم الناموس وتفسيره، و لم يدرس بولس اللغة اليونانية، فهو لا يجيد استعمال قواعدها و أسلوبه فيها ركيك، لكنه يتكلمها بطلاقة، وكان يحفظ بعض الفقرات المشهورة في الأدب اليوناني[1]، و قد ساعده ذلك في مهمته التبشيرية.

كان بولس من ألد أعداء النصرانية في عهد المسيح و بعده، فقد تزعم أكبر عملية اضطهاد تعرضت لها النصرانية في بدء انتشارها، إذ كان يشرف بنفسه على عمليات القمع والتشريد و التعذيب لكل من يشتبه بأنه اعتنق النصرانية و احتقر اليهودية [2].

و قد جاء في سفر أعمال الرسل على لسان بولس: " **أنا رجل يهودي ولدت في طرسوس كليكلية ... و كنت غيورا لله كما أنتم جميعكم اليوم، و اضطهدت هذا الطريق حتى الموت مقيدا ومسلما إلى السجون رجالا و نساء ...** " [3].

فبولس حسب تعريفه لنفسه هو ذلك اليهودي المتعصب الفريسي[4]، و كونه فريسيا يعني أنه ارتاض رياضة الفروسية، وهي من أعلى درجات التصوف - و كان من أشد اليهود تعصبا ليهوديته، وقد ظهرت آثار هذا التعصب في حملاته ضد النصارى [5].

و في السنة الثامنة و الثلاثين بعد موت المسيح - عليه السلام - و بينما كان بولس ذاهبا إلى دمشق ليأتي بالأسرى إلى القدس حدث له - حسب زعمه - ما غيره و غير مسار الديانة النصرانية ، فقد ادعى أنه سمع المسيح يكلمه و يعاتبه، ثم يأمره بتبليغ الرسالة إلى جميع الأمم الكافرة، يقول بولس : "**فحدث و أنا ذاهب و متقرب إلى دمشق أنه نحو نصف النهار بغتة أبرق حولي من السماء نور عظيم، فسقطت على الأرض، و سمعت صوتا قائلا لي شاول، شاول لماذا تضطهدني، فأجبت من أنت يا سيد، فقال لي أنا يسوع الناصري ... فقلت ماذا أفعل يا رب**[6]، **فقال لي الرب قم و اذهب إلى دمشق و هناك**

1- ول ديورانت: **قصة الحضارة**، ج 11، ص 249. و Simon legasse, **Paul apôtre**, p 36.

2- شريف محمد هاشم، **الإسلام و المسيحية في الميزان**، ط1، (بيروت: مؤسسة الوفاء، 1988)، ص 223.

3- 3/22-4 و كذلك **غلاطية**، 1/13-14، و**أعمال الرسل**، 4/26-5.

4- كلمة من الآرامية، و معناها (المنعزل)،و الفرسيون هم إحدى فئات اليهود الرئيسية و كانت أصدقها رأيا و تعليما (أعمال الرسل، 5/26)، وكانوا يقولون بالقدر، و يجمعون بينه و بين إرادة الإنسان الحرة، كما كانوا يؤمنون بالبعث. (**قاموس الكتاب المقدس**، ص674).

5- محمد علي برو العاملي، **الكتاب المقدس في الميزان**، ط [ ]، (بيروت: الدار الإسلامية، 1993م)، ص 288.

6- إن بولس عرف بربوبية المسيح قبل أن يخبره المسيح بذلك، و هذا ما يدل على أن بولس اختلق هذه القصة و ما يتبعها من القول بألوهية عيسى و بنوته لله.

يقال لك عن جميع ما يترتب لك أن تفعل، و إذا كنت لا أبصر من جل بهاء ذلك النور اقتادني بيدي الذين كانوا معي فجئت إلى دمشق. "[1] فادعى بولس أن المسيح هداه إلى الطريق القويم و أنه تلقى تعاليم دينه الجديد منه، يقول بولس : " و أعرفكم أيّها الاخوة، الإنجيل الذي بشرت به إنه ليس بحسب إنسان ولا علمته، بل إعلان يسوع المسيح "[2]، فانقلب بولس من أشد أعداء المسيح والنصارى إلى رسول المسيح إلى الأمم.

و لنا وقفة أمام عملية تحول بولس نتساءل فيها :

- كيف يمكن لرجل كرّس حياته في اضطهاد النصارى و لا تزال يديه ملطختين بالدماء أن يؤمن بالمسيح بصورة فجائية و بهذه العجالة ؟ !
- و كيف لبولس أن يعرف بتلك السرعة أن الذي يكلمه هو المسيح و أنه إله ؟ !
- و لماذا لم تؤثر فيه معجزات و كلمات المسيح و هو حي وأثرت فيه و هو ميت، فاستسلم لشبح المسيح بهذه السهولة ؟!

إن كل هذه التساؤلات تقودنا إلى القول بأن بولس لم يتلق تعاليم النصرانية الجديدة من المسيح بل هي نتاج إلهاماته الخاصة، ويفرض علينا تساؤلنا تناول آراء العلماء بهذا الخصوص.

يرى شارل جنيبر[3] بأن عبقرية بولس في التفكير الديني لا جدال فيها، غير أن فكره ينطوي على آراء و مدركات ليست كلها من وحي عبقريته، بل تجمعت لديه من مصادر مختلفة، فالإنجيل الذي قال به، مدين له بالكثير من الإلهامات و الإيحاءات التي نبعت عن طريقة تأديته لرسالته. [4]

فلم يصل بولس إلى عقيدته بالتفكير المحض، فقد كان محاطا بالعقيدة النصرانية أيام كان يضطهد النصارى، و كان على علم بأسسها، بالإضافة إلى أن الأفكار التي بثها حول المسيح كان لها وجود قبل

1- **أعمال الرسل**، 6/20-11.

2- **غلاطية**، 1/11-12.

3-نصراني نشأ في بيئة كاثوليكية متعصبة، تخصص في تاريخ الأديان، وتعمق في دراسة الديانة النصرانية، درس بعض اللغات كالعبرية واللاتينية. (شارل جنيبر: **المسيحية نشأتها و تطورها**، ترجمة : عبد الحليم محمود، ط [ ]، (بيروت : المكتبة العصرية ت[ ])، ص5-7.)

4- المرجع نفسه ، ص 80 ، راجع أيضا : محمد إبراهيم الفيومي: **في الفكر الديني الجاهلي قبل الإسلام**، ط[ ]، (القاهرة: عالم الكتب، 1979)، ص 65.

تحول بولس[1]، و ما كان على بولس إلا ترجمة هذه العقيدة نظريا[2].

و يرى ول ديورانت[3] بأن الجو اليوناني الذي يحيط ببولس كان يتحدث عن منقذ للبشـــرية، كما كانت علوم اليهود أبناء جنسه تتحدث عن المسيح المنتظر، ففكر بولـــس، لم لا يكـــون يســـوع صاحب الشخصية العجيبة الغامضة هو ذلك المسيح[4].

و مما تقدم نلاحظ أن كل الأفكار تتجه إلى إنكار حادثة رؤية بولس للمسيح، فمحاولة العلمـاء البحث عن مصدر آراء بولس أساسها تكذيبهم لادعائه رؤية المسيح، فلا بد أن بولس قبل تحوله قد تأثر بأفكار مختلفة، لأنه لم يصل لعقائده تلك بطريق التفكير المحض، بل كان يعلم بعض مبـــادئ النصرانيـــة نتيجة اضطهاده المستمر للنصارى، أو أنه تعلمها على يد أشخاص معنيين.

و بالرغم من هذه التفسيرات فإن تحول بولس بتلك الصورة المفاجئة لازال يثير تساؤلات كثيرة.

و يعطي لنا حبيب سعيد تفسيرا أقرب إلى الواقعية، لسر تحول بولس بقوله : " و ليس بخفـي أن شاول قد عرف قبل حلول هذه الأزمة كثيرا من عقائد النصرانية على ألسنة المتهمين الذين كان يجرهـــم للتحقيق معهم ... و شهد من رباطة جأشهم و ثبات عقيدتهم و قوة إيمانهم ما ترك في نفسه أثرا عميقا، فلم يقوى على محوه، و أحس نفسه كثور عاص.. و لم ير محيصا في آخر الأمر عن الاستسلام إلى تلـك القوة الروحية التي كانت ختاما لمنازعات نفسية عنيفة، لم يروها في إحدى رسائله. "[5]

1-ربما يقصد الكاتب أن فكرة الإله الذي يموت و يبعث، كانت منتشرة في الوسط الذي عاش فيه بولس – كمـــا ســـنعرف لاحقا – و ما كان على بولس إلا أن أسقطها على المسيح، و بالتالي هي ليست من لبنات أفكاره، أو أنه يقصـــد أن فكـــرة المسيح الإله أو ألوهية المسيح، كانت منتشرة من قبل، و لا نستبعد هذا لأن المسيح جاء بالمعجزات، و قـــد يذهـــب خيـــال الإنسان البسيط بعيدا حين يرى تلك المعجزات و الخوارق، فيتخيل المسيح إلها، و على هذا الأساس يكون بولس قد اســـتمد فكرة ألوهية المسيح من مجتمعه.

2- Hans Gonzelmann : **théologie du nouveau testament**, traduit en Français par : Etienne de Peyer. (Paris : Editions du centurion, Genève : Edition Laber et Fides), P 173.

3- ولد بأمريكا سنة 1880م، درس في مدارس الكنيسة الكاثوليكية، ثم انتسب إلى جامعة كولمبيا في نيويورك، تخصص في علـم الحياة والفلسفة، ونال درجة الدكتوراه في سنة 1917م، أشهر آثاره " الفلسفة والمشكلة الاجتماعية"، " قصة الفلسفة" و" قصـة الحضارة".(ول ديورانت: **قصة الحضارة**، إعداد وترتيب: محمد عبد الرحيـــم، ط1، (بـــيروت: دار الجيـــل، 1992م)، م1، ص21-23.)

4- **قصة الحضارة**، ترجمة: زكي نجيب محمود، تقديم: محي الدين صابر، ج 11، ص 253.

5- **سيرة رسول الجهاد (بولس)** نقلا عن: (محمد عبد الحليم مصطفى أبو السعد: **دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس تاريخيـا و موضوعيا**، ط 1،(الدار [ ]، 1994)، ص 219-220) .

فقد يكون هذا هو سر تحوله إلى النصرانية التي لم ترقه بثوبها القديم فكساها بثوب مرقع من جميع الثقافات و الأديان السائدة في وسطه الاجتماعي.

و بعد أن تحول بولس إلى النصرانية بدأ مباشرة التبشير بعقيدته الجديدة، فحاول الناس قتله، فهرب إلى القدس حيث التقى ببرنابا[1] و قدمه للرسل فقبلوه كواحد منهم[2]، لكنه كان على خلاف شديد مع بطرس[3] الذي عارض تعاليمه بشدة[4].

و أخذ بولس يطوف في مختلف البلاد مشرقا و مغربا يدعو إلى النصرانية ، و ظل سائرا على نهجه ينشئ الكنائس، و يلقي الخطب و يؤلف الرسائل في شرائع النصرانية و أخلاقها، حتى قتل سنة 67 أو 68م[5].

المطلب الثاني : رسائل بولس ومكانتها من الكتاب المقدس .

ينسب إلى بولس أربعة عشر سفرا من أسفار العهد الجديد، تسمى " **رسائل بولس** "، والتي بفضلها أصبح له شأن كبير في تاريخ النصرانية وعقائدها وشرائعها، وقد كتب رسائله باللغة اليونانية بأسلوب ركيك، في عصور مختلفة تبدأ من نحو سنة 52 م وتنتهي حوالي سنة 67 م.

و قد كتب عشرة رسائل إلى بعض البلاد والشعوب وهي كالآتي حسب ترتيبها في الكتاب المقدس :

رسالة إلى الرومان سنة 58 م، و رسالتان إلى أهل **كورنثوس**[6] ما بين سنتي 57 و 58 م،و رسالة

1– اللقب الذي اشتهر به اللاوي القبرصي يوسف في الكنيسة القديمة، وهو الذي عرف بولس إلى الاثني عشر، وقد أقام كنيسة في أنطاكية، ينسب إليه رسالة برنابا وإنجيل برنابا، وينفي النصارى نسبتهماإليه، ويرون، أنهما كتبا في القرنين الثاني والثالث الميلادي.(صبحي حموي اليسوعي: **معجم الإيمان المسيحي**، ص103)

2- Denis S: **Histoire des Religions**, P 2484-

3– هو من الحواريين، من أصل يهودي، كان صيادا في كفر ناحوم، ثم تبع المسيح، واصبح يبشر في بحر الجليل، و كان على خلاف مع بولس في علاقة المسيحيين باليهود و الوثنيين، و قد أنشأ الكنيسة باسم اليهود، و صلب ما بين سنتي (64–67م أو في سنة 80 م(Royston P : **Dictionnaire des Religions** , p252و صبحي حموي اليسوعي: المرجع السابق، ص108–109.)

4- Royston P, **Dictionnaire des Religions**, P 246.

5– عبد الغني عبود: **المسيح و المسيحية و الإسلام**، ط1، (دار الفكر العربي، 1984)، ص 72.

6– هي عاصمة مقاطعة أخائية في بلاد اليونان، تقع على بعد 40 ميلا غربي أثينا،كانت من المدن المشهورة، فقد كان بها ميناء كبير وأماكن مقدسة كثيرة. (**قاموس الكتاب المقدس**، ص 796 و Royston P : **Dictionnaire des Religions**, p94).

إلى أهل غلاطية [1] ما بين سنتي 56 و 57 م، و رسالة إلى أهل أفسس[2] ما بين سنتي 61 و 63 م، ورسالة إلى أهل فيلبي[3] ورسالة إلى أهل كولوسي[4] وهما ما بين سنتي 61 و63 م، و رسالتان إلى أهل تسالونكي[5] ما بين سنتي 52 و 53 م، و رسالة إلى العبرانيين سنة 64 م على قول البعض.

و كتب أربع رسائل إلى تلاميذه، منهم رسالتان إلى تلميذه تيموثاوس[6]، الأولى ما بين سنتي 64 و 66م، و الثانية سنة 67 م، و رسالة إلى تيطس[7] ما بين سنتي 64 و 66م، و رسالة إلى تلميذه فيليمون[8] ما بين سنتي 61 و 63 م.

و تستأثر هذه الرسائل حيزا كبيرا من العهد الجديد، فهي تستغرق وحدها نحو ثلث صفحاته، و لم تعتمد الكنيسة هذه الرسائل إلا في سنة 364 م، أما قبل ذلك فكان بعض هذه الرسائل موضع شك في صحة نسبته إلى بولس، حيث أن مجمع نيقية لم يعترف برسالة بولس إلى العبرانيين، و اعتبرها

1- مدينة رومانية تقع على شمال نهر الدانوب، في القسم الأوسط من شبه جزيرة آسيا الصغرى، و قد اشتق اسمها من لقب القبائل الغالية التي هاجرت إلى آسيا الصغرى (Mon Encyclopédie, CD1 **وقاموس الكتاب المقدس**، ص 660).

2- كلمة يونانية معناها " المرغوبة "، و هي عاصمة المقاطعة الرومانية بآسيا الصغرى، تقع على الشاطئ الأيسر من نهر الكاستر،بها ميناء كبير ، وقد بنا بها بولس كنيسة سنة 54م، وعقد بها مجمع كنسي سنة 431م. (**قاموس الكتاب المقدس**، ص 92 و **Mon Encyclopédie**, CD1).

3- مدينة في مكدونية اسمها القديم كرينيدس، كانت على تلة صغيرة بارزة من قلب السهل، و هي أول مدينة أوربية بشر فيها بولس و أسس بها جالية مسيحية. (**قاموس الكتاب المقدس**، ص 702 و **La bible du peuple de Dieu, le nouveau testament**, (le centurion, le cerf 1973) Tome 4, P 674).

4- هي مدينة فريجية في آسيا الصغرى واقعة على نهر ليكوس قرب التقائه بأحد فروعه المدعو الميائدر، و تقع على بعد 180 كلم شمال غرب أفسس. (**قاموس الكتاب المقدس**، ص 799 و **La bible du peuple de Dieu** , T 4, P 685)

5- مدينة كانت حاضرة إحدى مقاطعات مكدونية، و تدعى الآن سالونيك، و كانت ثاني المدن التجارية بعد القسطنطينية. (**قاموس الكتاب المقدس** ص 217 و **La bible du peuple de Dieu**, T4, P 97)

6- اسم يوناني معناه " عابد الله" ، رفيق بولس و مساعده، نشأ منذ الطفولة على مبادئ الدين، وقام بنشر المسيحية، وكان مسؤولا عن أساقفة الكنائس. (**قاموس الكتاب المقدس**، ص 228 و **La bible du peuple de Dieu**, T4, p 715).

7- رفيق مؤتمن لبولس و عامل معه، ولد من أبوين أمميين، و كان أحد المندوبين من أنطاكيا الذين رافقوا بولس و برنابا إلى أورشليم، وكان مسؤولا عن أساقفة الكنائس أيضا. (**قاموس الكتاب المقدس**ص 227 و**La bible du peuple de** ,p715 **Dieu**).

8- هو عضو في الكنيسة المسيحية الكولوسية، في آسيا الصغرى، وكان غنيا، فكتب إليه بولس رسالة من السجن في ما بين سنتي 60-63م ليوصيه فيها بأن يحسن معاملة عبده.)و.(Royston Pike : **Dictionnaire de Religions**, P 251 و صبحي حموي اليسوعي: **معجم الإيمان المسيحي**، ص362.)

مدسوسة عليه، و قد ظهر للمحدثين من علماء النصارى، أن هناك ثلاث رسائل موثوق بصحة نسبتها إلى بولس، و هي رسالته إلى الرومان و رسالتيه إلى كورنثوس، و أربع رسائل أخرى مقطوع بعدم نسبتها إلى بولس، و ما بقي من الرسائل مشكوك في نسبتها إليه[1].

أما Hans Canzelmann، فيقول مرتكزا على نقد المدرسة الألمانية للكتاب المقدس، بأن الرسائل التي تنسب بحق لبولس هي : رسالته إلى رومية و الرسالة الأولى و الثانية إلى كورنثوس ورسالته إلى غلاطية وفيلبي، والرسالة الأولى إلى تسالونكي و رسالته إلى فيلمون[2].

أما رسالته إلى العبرانيين، فلا يوجد بين علماء الكتاب المقدس إجماع على حقيقة كاتبها، و قد اعتبرها الكنيسة الشرقية من وضع بولس بالرغم من افتقارها للأدلة، و الرسالة بأسلوبها لم تترجم عن العبرية، والكلاسيكية في أسلوب الرسالة يختلف عن أسلوب بولس في رسائله الأخرى[3].

و بالرغم من افتقار بعض رسائل بولس إلى مؤلف، فرسائله كلها موجودة في الكتاب المقدس، ويستمد منها النصارى شرائعهم و عباداتهم و أخلاقهم، و أهم من ذلك كله أنهم استمدوا منها عقيدتهم في الله الذي جعلوه أبا و المسيح الذي أصبح ابنا لله و إلها.

المطلب الثالث: العقائد التي أضافها بولس للنصرانية .

قام بولس بنسخ أحكام التوراة، و يقول في ذلك : " **و أما الآن فقد تحررنا من الناموس إذ مات الذي كنا ممسكين فيه حتى نعبد بجدة الروح لا بعتق الحرف.** "[4]، فقد أحل لحم الخنزير، و ذهب بدعوته إلى مناهضة روح التحرر التي استيقضت في نفوس العبيد حتى أن ثوراتهم أقلقت الرومان، و لكي يرضى عنه الرومان قال : " **لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة، لأنه ليس سلطان إلا من الله و السلاطين الكائنة هي مرتبة من الله، حتى إن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم**

1- علي عبد الواحد وافي: **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للمسيحية**، ط[ ]، (الفجالة، القاهرة: دار النهضة، ت[ ]) ص103.

2-**Théologie du nouveau testament**, P 167.

3-**قاموس الكتاب المقدس**، ص 798-599.

4- **رومية**، 6/7، و كذلك **غلاطية**، 19/1.

دينونة. "[1]، و بهذه الدعوة وجد سندا من حكام روما و ولاتها وسادتها[2].

و بعد أن غير بولس أحكام التوراة و أصبح هو المشرع، لم يرقه أن يكون لهذا الكون إله واحد، فجعل الله - تعالى عن ذلك - أبا، و جعل المسيح - عليه السلام - ابنا لله، و جعله إلها، وسنتعرض بشيء من التفصيل إلى العقائد التي بثها بولس في الديانة النصرانية.

1- عقيدة الأبوة :

يرى بولس أن الله أب و البشر أبناءه بالتبني فهو يقول : " **ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني، ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخا يا أبا الآب.** "[3]

و يقول أيضا : " **لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله، إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضا للخوف بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبا الآب.** "[4]

و الله أب أيضا بالنسبة لمجموع العالم المخلوق، فعنايته الإلهية الأبوية على كل العالم، يغمره بعطفه و رحمته،يقول في ذلك : " **بسبب هذا أحني ركبتي لدى أبي ربنا يسوع المسيح، الذي منه تسمى كل عشيرة في السماوات و الأرض.** "[5]

كما يرى بأن الله أب للمسيح بطريقة فريدة، و أن المسيح يقول في ذلك : " **و لكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودا من امرأة مولودا تحت الناموس.** "[6]

فالمسيح حسب بولس لم يسم بالابن لأنه مرسل إلى البشر و إنما أرسل لأنه الابن، يقول بولس: " **... الذي سبق فوعد به بأنبيائه في الكتب المقدسة عن ابنه، الذي صار من نسل داود من جهة الجسد، و تعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات.** "[7] فالمسيح ابن لله حسب رأيه

1- رومية، 1/13.

2- عبد الكريم الخطيب: **المسيح في القرآن و التوراة و الإنجيل**، ص 305.

3- غلاطية، 4/ 5-6.

4- رومية، 8/ 14-15.

5- أفسس، 3/ 14-15.

6- غلاطية، 4/ 4-5 و كذلك رومية، 3/8.

7- رومية، 3/1.

لقدرته على الانبعاث من بين الأموات[1].

II- عقيدة البنوة و ألوهية المسيح :

إن المسيح هو المحور الأساسي لتعاليم بولس، و بولس هو المسؤول الوحيد عن تعريف البشر بالإله المسيح ابن الله[2]، و هو يرى أن المسيح ابن الله الوحيد، و هو صورة الله الغير مرئي، و صورة حية لله الأب السامي، و هو أول مولود قبل الخلائق، و هو الخالق و الحافظ لكل شيء بدون استثناء وهو إله تام أخفى ألوهيته عندما أصبح إنسانا، و قد جاء إلى الأرض لينقذ البشرية من ذنبها الأول ويضحي بنفسه من أجل البشر[3]، يقول بولس : " **و لكن الله بيّن محبته لنا، لأنه و نحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا.** "[4]

و قد بدأ بولس أولا بالترويج لفكرة ألوهية المسيح إذ يقول : " **إلى جميع الموجودين في رومية أحباء الله مدعوين قديسين، نعمة لكم و سلام من الله أبينا و الرب يسوع المسيح.** "[5]، و أيضا : "**أشكر الله يسوع المسيح ربنا.** "[6]، و يقول أيضا : " **بولس المدعو رسولا يسوع المسيح ... من جميع الذين يدعون باسم ربنا يسوع المسيح... نعمة لكم و سلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح.** "[7]، " **لأن ابن الله يسوع الذي كرز به بينكم بواسطتنا ...** ".[8]

و يتضح من هذه النصوص أن بولس رسّخ لدعوى ألوهية المسيح، فكان في كل مرة يدعو المسيح " **الرب** " و قد ذهب إلى أبعد من ذلك فقال ببنوته لله - تعالى عن ذلك-.

و يتضح أيضا من رسائله أنه يفصل ذات الله عن ذات المسيح، ففي رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس[9]، نجده يتحدث عن الله و عن المسيح كل منهما له مقامه، فالله هو الذي أرسل المسيح وهو

1- أنظر: **رومية، 1/4.**

2- **Dictionnaire de la théologie catholique**, corpus 15, 2 ème partie , P. 1585-1586.

3- Ibid, T15, 2ème partie, P 1587.

4- **رومية، 5/8.**

5- **رومية، 1/7.**

6- **رومية، 1/4** و كذلك **5/11.**

7- **1 كورنثوس، 1/3.**

8- **2 كورنثوس، 1/19.**

9- **1/1 -3.**

أبوه الحاني عليه، أما المسيح فهو ابن الله الذي جاء ليكفر عن خطايا البشر، و هو الذي يجلس على يمين الله. [1]، يقول بولس : " فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله. "[2]

و يبدو أن جلوس المسيح عن يمين الله، قد جعل المتأولين فيما بعد يقولون بأن لله يمينا وشمالا، فعن يمينه المسيح و عن شماله الروح القدس [3].

و بعد أن بث بولس فكرة ألوهية المسيح وبنوّته لله نجده في رسالته إلى أهل كولوسي يعلن أن عيسى هو الله و الله هو عيسى، بكل ما في الكلمة من معنى[4] فهو يقول : " ... الذي هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليفة. فإنه فيه خلق الكل. ما في السماوات و ما على الأرض. ما يرى و ما لا يرى ... الكل به و له قد خلق. الذي هو قبل كل شيء و فيه يقوم الكل. "[5]، و قد رسّخ أيضا لعقيدة التجسد إذ يقول : " الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع و طرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثا لكل شيء الذي به أيضا عمل العالمين. "[6]، وهذا النص صريح في أن المسيح الذي كان يتكلم و يبشر بدعوته ليس سوى الله حل في جسد إنساني، فدخل المسيح بذلك في شركة مع الله، بل أصبح هو الله.

يقول عبد الكريم الخطيب : " نستطيع أن نقرر أنه منذ أذاع بولس هذه المقولات في رسالته إلى العبرانيين، انفتح ذلك الباب الذي دخل منه المسيح إلى الله، ثم ظل يقترب شيئا فشيئا حتى أصبح الجزء الذي عاد إلى كله، و ذلك بعد دورة طويلة دارتها تلك المقولات، وخلفت حولها أجواء عاصفة مزقت وحدة العقل المسيحي. "[7]

و يمكن القول بعدما تقدم، أن بولس قال بثنائية الألوهية و كان أول من نشر هذه الفكرة في الوسط النصراني.

1- عبد الكريم الخطيب: **المسيح في القرآن و التوراة و الإنجيل**، ص 239-240.

2- **كولوسي**، 1/3.

3- عبد الكريم الخطيب: المرجع السابق، ص 240.

4- شريف محمد هاشم: **الإسلام و المسيحية في الميزان**، ص 235.

5- **كولوسي**، 1/ 15-16.

6- **عبرانيين**، 1/ 1-3

7- عبد الكريم الخطيب : المرجع السابق، ص 242.

III- عقيدة بولس في الروح القدس .

تحتل الروح القدس مكانة كبيرة في أناجيل بولس، و هو لم يذكرها كشخص أو أقنوم أو إلـــه، بل ذكرها على أنها روح الله.

و يحاول النصارى إيجاد دليل لهم في أناجيل بولس على أقنومية الروح القدس وألوهيتـــه حـــتى يجدوا سندا نصيا لثالوثهم المقدس.

فيرى بعض الكتاب الكاثوليك[1] بأنه إذا أخذنا جميع النصوص[2] التي يتكلم فيها بولس عـــن الروح القدس و ربطناها ببعضها نستنتج أن الروح القدس شخص و أنه منبثق من الآب والابـــن، وأن عمل الروح القدس هو نفسه عمل المسيح، يقول بولس : " **أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكـل للروح الذي فيكم من الله، وأنكم لستم لأنفسكم، لأنكم قد اشتريتم بثمن، فمجدوا في أجسامكم وفي أرواحكم التي هي لله.** "[3]

كما أن المؤمنين يسمون هيكل الروح القدس مثلما يسمون هيكل الله[4]، يقول بولـــس : " **أما تعلمون أنكم هيكل الله و روح الله يسكن فيكم.** "[5]، و أيضـــا : " **و أيـة موافقـة لهيكـل الله مـع الأوثـان، فإنكم أنتم هيكل الله الحي كما قال الله إني سأسكن فيهم و أسير بينهم، وأكون لهم إلها و هم يكونون لي شعبا.** "[5]

و من الواضح من النصوص التي استدل بها النصارى أن روح القدس لا يقصد به شخص أو إلـه كما يدعون، و إنما يقصد به روح الله، و أحيانا روح الإنسان كما في قول بولس : " **هيكل للروح الـتي فيكم من الله** "، فمن المعلوم أن الإنسان يحيا بالروح التي أعطاه الله، و قوله أيضا : " **هيكل الله وروح الله** " لا يعني أن الروح القدس هو الله، فلو كان كذلك لأصبح كل البشر آلهة لأن روح القدس أو الله حـل فيهم - كما يقول النصارى عن المسيح - وعلى هذا نقول بأن بولس لم يقصد بالروح القدس الإله.

فبولس لم يحدد ماهية الروح القدس، و يحاول البعض إيجاد الأعذار له، فيزعمون أن بولس لم

1- وهم النصارى المتحدين إيمانا وطاعة بكنيسة رومة، والكاثوليكية معناها؛ جامعية وشمولية، وهي إحدى صفات الكنيســـة المعلنة في قانون الإيمان النيقاوي، القسطنطيني.(صبحي حموي اليسوعي: **معجم الإيمان المسيحي**، ص390.)

2- مثال ذلك ما جاء في: **رومية**، 8/ 9-4 و **1 كورنثوس**، 11/2، **2 كورنثوس**، 17/3.

3- **1 كورنثوس**، 19/6.

4- **Dictionnaire de la théologie catholique**, T15, 2ème partie, P1589.

5- **1 كورنثوس**، 19/6.

6- **2 كورنثوس**، 16/5.

يكن له الفرصة لعرض رأيه حول روح القدس، فرسائله كانت في الغالب إجابة عن حاجيات الكنيسة والتلاميذ لذلك يجب استخلاص عقيدة الروح القدس من الرسائل جميعها.[1]

و يرى البعض أن بولس لم يحدد ماهية الروح القدس إلا في رسالته إلى أهل أفسس التي كتبها عام 62 م، أي بعد خمس سنوات من رسالته الأولى إلى أهل رومية فهو يقول : " **مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام، جسد واحد و روح واحد كما دعيتم أيضا في رجاء دعوتكم الواحد، رب واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة، إله و آب واحد للكل الذي على الكل و في كلكم.** "[2]، وأيضا قوله : " **الذي فيه أنتم أيضا مبنيون معا مسكنا لله في الروح.** "[3]

فبولس –حسب هذا الرأي– يصرح بأن الروح القدس هو الله، و أنه أقنوم مثل أقنومي الآب والابن.

و لا يوجد تفسير لهذا الأمر إن كان بولس يقصد حقا ألوهية الروح القدس، إلا أن صورة التثليث لم تكتمل في مخيلة بولس إلا على مراحل، فكان أن اكتشف أقنوم الروح القدس متأخرا بخمس سنوات عن الأقنومين الآخرين[4].

VI–النسق التثليثي عند بولس :

إن بولس لم يتكلم إطلاقا عن عقيدة التثليث، لكن علماء النصرانية أرادوا أن يستخلصوها من أناجيله، فقد جاء في Dictionnaire de la Théologie Catholique ما نصه : " لا ننتظر من القديس بولس أن يعطينا تفصيلات عن عقيدة التثليث، لكننا يمكن أن نستخلصها من بعض النصوص. "[5]

و يرى أوغسطين[6] أن قول بولس: " **لأن منه و به و له كل الأشياء، له المجد إلى الأبد أمين**"[7]

---

1 -Dictionnaire de la théologie catholique, T15, 2ème partie, P 1589.

2- أفسس، 4/ 3-6.

3- أفسس، 22/3.

4- شريف محمد هاشم: **الإسلام و المسيحية في الميزان**، ص 233.

5- Tome 15, 2eme Partie, p 1590.

6–هو أشهر آباء الكنيسة اللاتينية، ولد في تاغستا (سوق آهراس) سنة 354م، اعتنق المذهب المانوي، ثم عاد إلى المسيحية، رسم كاهنا سنة 391م، وأسقفا سنة 392، حارب مذهب المانوية وغيرهم، ألف العديد من الكتب في اللاهوت، وأثارت نظريته في القدر مناظرات طويلة، توفي سنة 430م، أهم مؤلفاته" في الثالوث" ومدينة الله. (صبحي حموي اليسوعي: **معجم الإيمان المسيحي**، ص80–81، و(E.. Royston Pike : **Dictionnaire des Religions,** p 32

7–**رومية**، 36/11

ينطوي على عقيدة التثليث. و الحقيقة أنه لا وجود لعقيدة التثليث في كلامه، فهذا الكلام عن الله فقط.

و أما قوله : " و أما نحن فينبغي لنا أن نشكر الله كل حين لأجلكم أيها الاخوة المحبوبون من الرب، إن الله اختاركم من البدء للخلاص بتقديس الروح و تصديق الحق، الأمر الذي دعاكم إليه بإنجيلنا لاقتناء مجد ربنا يسوع المسيح. "[1] و يبدو أن هذا النص كسابقه لا علاقة له بعقيدة التثليث، ويبدو أيضا أن أوغسطين يحاول إيجاد سند في نصوص بولس حتى يعطي لعقيدة التثليث وزنا أكثر.

أما أهم النصوص التي استخلصها النصارى من أناجيل بولس فهي كالآتي :

1- " يسلم عليكم جميع القديسين، نعمة ربنا يسوع المسيح و محبة الله و شركة الروح القدس مع جميعكم آمين "[2] ، فيرون أن بولس أسند إلى الابن وحده النعمة، ثم ذهب إلى مصدر تلك النعمة والتي هي الحب الفعّال للأب ثم الروح التي تقدم النعم [3].

2- " فأنواع مواهب موجودة و لكن الروح واحد، و أنواع خدم موجودة و لكن الرب واحد ، وأنواع أعمال موجودة، و لكن الله واحد الذي يعمل الكل في الكل. "[4]

3- " و لكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودا من امرأة، مولودا تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني، ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخا يا أبا الآب، إذا لست بعد عبدا بل إبنا، و إن كنت إبنا فوارثا لله بالمسيح "[5]، ويستخلص النصارى من هذا النص وغيره بأن الأب أرسل الابن إلى العالم، وأرسل كذلك الروح التي هي روح الإبن، فالابن هو نقطة الانطلاق للمهمة، و بهذه الروح يصبح المؤمنون أبناء الله بالتبني، و تلك الأرواح تصرخ لتنادي الله باسم الأب، و قد فرق بولس بين الابن و الروح لأن الابن هو الذي يبعث بعد الموت لكن في الأصل الروح هو الإبن، فعمل كل طرف من الثالوث مختلف لكنها متساوية لدرجة لا يمكن أن تفرق بينهما [6].

4- " جسد واحد و روح واحد كما دعيتم أيضا في رجاء دعوتكم الواحد، رب واحد إيمان واحد معمودية واحدة، إله و آب واحد لكل الذي على الكل و بالكل و في الكل " [7]، فيرى النصارى أن فكر

1- 2 تسالونكي، 2/13-14.

2- 2كورنثوس، 13/13-14.

3- **Dictionnaire de la théologie catholique**, T 15, 2eme p, p 1590.

4-1 كورنثوس، 12/4-6.

5- غلاطية، 4/4-7 و كذلك رومية، 8/4.

6- **Dictionnaire de la théologie catholique**, T 15, 2eme p, p 1590.

7- أفسس، 4/4-6.

بولس كله يتلخص في هذه الفقرة، التي يتكلم فيها عن وحدة الكنيسة، هذه الوحدة التي لابد أن تأخذ النموذج من وحدة الله في أقانيمه الثلاثة، فلابد أن تكون هناك كنيسة واحدة (جسد واحد)، كما أنه هناك روح واحد (الله) و قد سمي الله هنا روحا.[1]

و بعد عرضنا لهذه النصوص، يمكن القول بأنه ليس فيها إشارة صريحة لعقيدة التثليث، كما أنها ليس لها أي تأثير في صياغة عقيدة التثليث النصرانية، بعكس عقيدتي البنوة الإلهية والتجسد اللذين أثارهما بولس، فقد كان لهما دور فعال و مؤثر في العقائد النصرانية، إذ يعتبر رأي بولس هو المرجع النصي الأول فيما يخص هاتين العقيدتين، أما عقيدة التثليث فقد حاول النصارى استخراجها من نصوص بولس بعد أن صاغوها متوهمين إيجاد سند نصي لها.

و ليست هذه فقط العقائد التي ابتدعها بولس، بل هناك عقائد أخرى، كعقيدة الخلاص وعقيدة الصلب و الفداء ،و ما يتبعهما من بعث المسيح من القبر و نزوله إلى الجحيم [2].

و الشيء الملاحظ أن بولس لم يأت في رسائله بذكر مريم أم المسيح و لا العجائب والخوارق والمعجزات التي ذكرها باقي الرسل في أناجيلهم برغم ما لها من أهمية في الإيمان النصراني.

و لن نترك موضوع بولس دون أن نقف أمامه وقفة تحليلية نحاول استخراج العوامل والمؤثرات التي جعلته يقول بتلك العقائد.

المطلب الرابع : العوامل و المؤثرات التي جعلت بولس يمهد للقول بالتثليث.

إن الدراسة المفصلة لرسائل بولس تكشف لنا النقاب عن مزيج من الأفكار المختلفة، فقد تأثر بالديانات و الأساطير الشرقية القديمة، كما تأثر بالأفكار اليهودية، و بالفلسفة الإغريقية و المفاهيم المنتشرة في الأوساط الوثنية.

و يبدو هذا التأثر منطقيا خاصة و أن المدينة التي عاش بها بولس- طرسوس - كانت نقطة المركز لثلاث مدن رئيسية، تعتبر بمثابة روافد أساسية في تكوين وجدان بولس و عقله وأهدافه، و هذه

1- **Dictionnaire de la théologie catholique**, T 15, 2eme, p 1590.

2- أنظر: **أعمال الرسل**، 21/2.

المدن هي : الإسكندرية[1]، و التي تقع في الشاطئ الآخر من بحر الروم إلى الجنوب من طرسوس والتي كانت عاصمة العالم الثقافية آنذاك، إذ كان بها " المدرسة الإسكندرية "[2]، وروما، التي تقع إلى الغرب من طرسوس، وكذلك القدس، والتي كانت تغمرها مياه الثقافة اليونانية المحملة بطمي من الثقافة البابلية و الآشورية و المصرية [3].

1- تأثر بولس بالديانة اليهودية

إن بولس كما عرفنا درس الديانة اليهودية حتى فاق أقرانه و أصبح من المتشددين و من طبقة الفريسيين، و حتى بعدما تمسح تركت تعاليم الديانة اليهودية أثرها في نفسه [4]، فقد عثر في خفايا الشريعة اليهودية على حلم يصور لليهود فلسفة الحشر و النشر، فحرره ووسع نطاقه و استطاع أن يمزج مبادئ اليهود الأخلاقية بعقائد اليونان فيما وراء الطبيعة، و أوجد طقوسا خفية جديدة، ووضع مسرحية للحشر جديدة، استوعبت كل ما سبقها من مسرحيات تصور هذه العقيدة [5].

2- تأثر بولس بتعاليم المدرسة الإسكندرية

تأثر بولس بمبادئ و أفكار المدرسة الإسكندرية، فقد زار هذه المدرسة، ولقي بها ترحابا حارا[6]، و قد تأثر بأفكار قطبيها فيلون و أفلوطون، يقول أحمد شلبي : " دخل بولس المسيحية وكان عارفا بالفلسفة الإغريقية التي تمثلها مدرسة الإسكندرية ... ووافقت فكرة التثليث الجماهير ... وبخاصة أنه أصبح غير بعيد عن معارفهم السابقة التي ورثوها عن آبائهم و أجدادهم. "[7].

و يقول Berry : " و هذه الاصطلاحات التي قال بها بولس[8]، كانت شهيرة عند كثير من -

1-تقع في الثغر المصري المشهور على البحر الأبيض المتوسط، تبعد عن القاهرة بنحو208 كلم، بناها الإسكندر الأكبر سنة 331 ق م، وأسس أول كنيسة بها القديس مرقس، وهي مركز بطاركة الكنائس الأرثوذكس والكاثوليك.(محمد فريد وجدي: **دائرة معارف القرن العشرين**، ج1، ص329. Royston pike: **Dictionnaire des religions**, p10)

2- راجع ص 136، ففيه كلام مفصل عنها

3-حمدي عبد العال: **تحقيق القول في تحول بولس**، مجلة الشريعة و الدراسات الإسلامية، (الكويت: جامعة الكويت عدد 16، سنة 7، مارس 1990) ص 23-24.

4- Hans conzelmann: **theologie du nouveau testament**, p 169.

5- ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ج 11، ص 269.

6- محمد إسماعيل الندوي، **الهند القديمة حضاراتها و دياناتها**،ط[ ]، (دار الشعب، 1970) ص 218.

7- **المسيحية**، ص 138.

8- كقوله: حكمة الله، ابن الله الأول، بكر كل خليقة فيه خلق الكل، و الكل به و له قد خلق، الذي هو قبل كل شيء، والكلمة الذي سينجي الناس كلهم بموته (شريف محمد هشام: **الإسلام و المسيحية في المسيحية في الميزان**، ص 239.

الفرق، فانحاز أتباعها إلى ديانة بولس، وعمد إرضاء لمثقفي اليونان، إلى أن يستعير من فلاسفة اليونان وبخاصة فيلون فكرة اتصال الإله بالأرض عن طريق الكلمة " The Logos " أو ابن الإله. "[1]

و يضيف فرنسيس يونغ : " ... مع ذلك يبدو من المحتمل جدا أن شاؤول من طرسوس وقع تحت تأثيرات مماثلة لخلفيات فيلون، و بخاصة أن كليهما استلهم مما يدعي (حكمة وحدة الطبيعتين الإلهية و البشرية)." [2].

3- تأثر بولس بالأفكار السائدة في البيئة الرومانية

كانت روما في وقت بولس مزيجا من الثقافات و الديانات، وكان للثالوث المصري شيوعه الأدبي ورمزه الديني في أجواء بيئة بولس، فأوزيريس الأب، و إيزيس الأم، و حورس الابن كان لهم وقع خاص في نفوس الرومانيين، فكانوا يحبون إيزيس المصرية التي ترمز إلى الأمومة، و كان عبادها من الرومان يرسمون لها صور جميلة تنم عن الحنان و الطهارة، و في حضنها طفلها الرضيع " حورس " يشع النور من وجهه.

و قد شاعت عبادة إيزيس بين الرومان الذين اشتهروا بحب التقاليد الأسرية و تقديس الآباء، مما جعل فكرة بولس في التبني[3]، مفهومة لدى اليونانيين و الرومانيين و سهل عليهم فكرة بنوة المسيح لله بالمعنى الطبيعي للبنوة [4].

و يربط شارل جنيبر بين بولس و بيئته التي كانت ملهمة له في أفكاره التي بشر بها، فلقد كان بطرسوس في وقت بولس، إلهان لهما مكانة خاصة، الأول يدعى " **بعل طرز** " أي سيد طرسوس، والثاني يدعى " **ساندان** "، و كان " بعل طرز " إله السماء و سيد الآلهة أما " سندان " فكان إله الخصوبة و الزراعة، و كان الناس يحتفلون به كل عام، و يتظاهرون بإحراقه، و يزعمون أنه ارتفع إلى

نقلا عن: (أحمد شلبي: **المسيحية**، ص 116.). **1- Religions of the world**

2- ميكائيل غولدر: أصلان.. أم أصول كحزمة معقدة، جون هك(مشرفا) : **أسطورة تجسيد الإله في السيد المسيح**، ص 188.

3-فكرة التبني معناها، أن الإنسان كان قبل المسيح تحت وصاية طبيعته الأرضية بسبب خطيئة أبيه الطبيعي (آدم)، و لكن الله حين أراد أن يتبناه، بذل برحمته دم إبنه المسيح ثمنا لتبريره و نقله إلى وصايته، فلم يعد للحياة القديمة أي سلطان، و تخلص من دينونته و آثامه (أنظر حمدي عبد العال: **تحقيق القول في تحول بولس**، ص 56).

4- المرجع نفسه، ص 55.

السماء، و كان المشاركون يرجون النجاة في هذا العمل[1]، و لابد أن بولس بحكم تواجده في طرسوس قد رأى هذه الطقوس، و لابد أنها تركت أثرها في نفسه ويضيف **شارل جنيبر** : " بأن النزعة التأليفية التي تخلط أو تمزج أو تزاوج بين الآلهة ذوي الصفات و الوظائف المتشابهة، تلك النزعة قد ظهرت في **طرسوس** بوضوح و منذ زمن بعيد "، و لابد أن بولس تأثر أيضا بهذه النزعة [2].

كما أن بولس أشرب في بيئة طرسوس شيئا من الروح الإغريقية بطريقة لا شعورية، فقد لقن اللغة اليونانية التي منحته أقوى أداة للتفكير و العمل و التعبير، فلم يقم بدراسة مستفيضة للفلسفة اليونانية لكنه كان يستعمل بعض المصطلحات اليونانية مثل : " الله "، " عقل "، " منقذ "، " منطق"، و" روح " و " ضمير " [3].

و مما تقدم يمكن القول بأن تكوين بولس الفكري هو نتاج عدة تأثيرات يلخصها لنا Wells بقوله: " و قد أوتي بولس قوة عقلية عظيمة، كما كان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية، فتراه على علم عظيم باليهودية و الميثرائية[4]، و ديانة الإسكندرية، فنقل إلى المسيحية كثيرا من أفكارهم ومصطلح تعبيرهم ... و علم الناس أن عيسى لم يكن المسيح الموعود فحسب، بل إنه الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قربانا، و يصلب تكفيرا عن خطيئة البشر ..."[5]

فكل تلك المؤثرات و غيرها جعلت من بولس ذلك الإنسان الذي غير مجرى تاريخ الديانة النصرانية، و ألبسها ثوب الوثنية بقوله بألوهية عيسى عليه السلام، و ببنوته لله - تعالى عن ذلك -

و لم يكن لدعوى بولس من تأثير، لو لم يكن المدعوين مهيئين بطبيعة ثقافتهم لتقبل تلك الدعوة، ولو لم توافقه المجامع الكنسية فيما ذهب إليه، بل راحت إلى أبعد من ذلك، كما سنرى لاحقا.

1- **المسيحية نشأتها و تطورها**، ص 78-79 و Denis Saurat, **Histoire des Religions**, p147

2- شارل جنيبر: المرجع نفسه، ص 80.

3- المرجع نفسه، ص 82-83.

4- تنسب إلى مترا، و هو إله الفرس الذي كان يظهر في كتب الفيدا، وكان يوصف بأنه إله الحق و النور ، و كان يعتقد أنه يقوم بالمعجزات و أنه مات صلبا، و قد عمت عبادة مترا في بلاد البحر الأبيض المتوسط على يد الجنود الرومان: Royston p) **Dictionnaire des religions** p 215. Et **Mon Encyclopédie**, CD-ROM 1).

5- **A short History of the world** (115-114 نقلا عن: (أحمد شلبي: المسيحية، ص

المبحث الثالث

عقيدة التثليث في الأناجيل الأربعة

المطلب الأول: الأقانيم في الأناجيل المتوافقة وإنجيل لوقا.

يـــرى النصـــارى أن الأناجيل لا تذكر الله وحده، بل تذكر ثلاثة مصطلحات تقوم بالأعمال الإلهية و هي عبارة عن أشخاص أو الأقانيم هي : الأب و الابن و روح القدس[1].

أولا : الأب .

إن كلمة الأب في الأناجيل تتعدى كل أبوة و أمومة أرضية، لأن الله منذ الأزل أبو ابنه الوحيد، و حينما يتكلم المسيح عن " الأب " فهو يتكلم عن الأب الأزلي الذي يشكل معه إلها واحدا في الروح القدس[2]، و هذه بعض النصوص التي تصرح بأبوة الله للمسيح في الأناجيل:

" لأن مـن يصـنع مشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي و أختي و أمي "[3]، وأيضا : " فقال لهمـا، لماذا كنتما تطلباننني ألم تعلما أنه ينبغي أن يكون في ما لأبي "[4]، و كذلك : " أنا أجعل لكم كمـا جعـل لـي أبـي ملكوتا "[5]، " ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي أبي رثو الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم. "[6]، " فقال يسوع يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ما يفعلون ... "[7].

1- **Ecclésia,** p 108.

2- Christoph schönbor : **au cœur de notre Foi, le credo**, traduction : Afra Hildebrandt, (cedex : Edition saint Paul, 1995) p 40-41.

3- متى، 50/12.

4- لوقا، 49/2.

5- لوقا، 29/22.

6- متى، 34/25.

7- لوقا، 24/23.

والمسيح وحده هو الذي يمكن له أن ينادي الله " أبي " أما البشر فليس لهم الحق بـــأن يتكلمـــوا كمـــا المسيح، و لهم أن يقولوا " **أبانا** "[1]، جاء في إنجيل يوحنا : " **قال لها يسوع لا تلمسيني لأنـي لم أصعد بعد إلى أبي، و لكن اذهبي إلى اخوتي و قولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم و إلهي و إلهكم.** "[2]

ثانيا : الابن .

إن اسم " **ابن الله** " يعني من خلال النصوص الكتابية العلاقة الفريدة و الأزلية بين المســيح و الله الأب، فهو ابنه الوحيد و الأزلي، و هو الله نفسه[3].

فالمسيح هو الابن الوحيد لله، جاء في يوحنا : " **و الكلمة صار جسدا و حـل بيننـا ورأينـا مجـده كما لوحيد من الأب مملوءا نعمة و حقا.** "[4] و كذلك : " **لأنه هكذا أحب الله العـالم حتـى بـذل ابنـه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية.** "[5]، وأيضا : " **الذي يؤمن به لا يدان و الذي لا يؤمن قد دِينَ لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد.** "[6]، " **بهذا أظـهرت محبـة الله فينـا أن الله قد أرسل إبنه الوحيد إلى العالم لكي يحيا به .** "[7]، فهذه النصوص تبيّن أن المسيح وحده مولود مـن الله وليس أحدا غيره [8].

و يقدم الكتاب المقدس " **ابن الله** " على أنه أزلي و الدليل الواضح حسب رأي **جون والفريـد**، موجود في حقيقة أن المسيح هو ابن الله الذي أعطي للعالم[9]، جاء في إنجيل يوحنا : " **لأنه هكذا أحب**

1- **Dictionnaire de la théologie catholique**, T15 2 ème P, P 1572.

2- 17/20.

3-Christoph Schönbor : **Au cœur de notre Foi, le credo**, P 75. Et L. Bouyer : **Dictionnaire Théologique**. (Belgique : Desclée, 1963), p516-617.

4-يوحنا، 14/1.

5- يوحنا، 16/3

6- يوحنا، 18/3.

7- 1 يوحنا، 9/4.

8- جون والفريد : يسوع المسيح ربنا، ص 48.

9- المرجع نفسه ، ص 45.

الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية "[1]، وكذلك : " و لكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودا من امرأة مولودا تحت الناموس. "[2]، ونفس هذه الفكرة موجودة في إشعيا[3]، و لكن نتساءل كيف ربط الكاتب بين أزلية المسيح و أنه أعطي للعالم ؟!

و يورد دليلا آخر، يجده في عقيدة القضاء الأزلي، التي يرى أن لها صلة بالمسيح الابن فقد جاء في المزامير : " إني أخبر من جهة قضاء الرب، قال لي أنت ابني، أنا اليوم ولدتك "[4]، فحسب هذا الشاهد يعلن المسيح أنه ابن الله المولود منذ الأزل، فكما أن قضاء الله منذ الأزل، المسيح أيضا مولود منذ الأزل و يضيف بأن الشاهد في المزامير ورد ثلاث مرات في العهد الجديد[5].

و يقول الكاتب : " و وجهة النظر الكتابية لبنوة المسيح كما تعترف بها كثير من معتقدات الكنيسة، هي أن المسيح كان دائما ابن الله بالولادة الأزلية، و أنه أخذ صورة الإنسان بالولادة من الروح القدس، إن الولادة البشرية لم تتم لكي يصبح ابن الله، بل لأنه كان ابن الله، و الشواهد الكتابية التي تؤيد هذه العقيدة كثيرة [6] علاوة على ما ذكر. "[7]

وقد سمي المسيح أيضا " **ابن الإنسان** " ويفسره البعض بأنه مرادف للضمير " أنا "، وأنّ " ابن الإنسان " معناها " الرجل الذي هو أنا "، و يبقى هذا التفسير يحتاج إلى دليل، و قد فسرها البعض الآخر بأن المسيح قصد استعمال هذا اللفظ ليشير إلى مهمته الخلاصية " تخليص الإنسان من الخطيئة "، و هناك رأي آخر، يقول بأن المسيح كان عليه أن يسمي نفسه ابن الإنسان ليمهد بين اليهود للقول بأنه ابن الله[8]، و يستدلون بما جاء في متى: " و لما جاء يسوع إلى نواحي قيصرية ؛فيليبس، سأل تلاميذه

1- 16/3.

2- **غلاطية**، 4/4.

3- 6/9.

4- 7/2.

5- أنظر: **أعمال الرسل**، 33/13، **عبرانيين**، 5/1 و 5/5.

6- أنظر: **متى**، 16/13-16، 63/26، **لوقا**، 2/11-26، 38، **يوحنا**، 49/1، 16/3، 18، 35، 16، 28/1 ، **أعمال الرسل**، 20/9، **عبرانيين**، 2/1، 8، **1 يوحنا**، 23/2، 5/9-12 ، و **يوحنا**، 18/20.

7- جون والفريد : **يسوع المسيح ربنا**، ص 46-47.

8- **Dictionnaire de la théologie catholique**, T15, 2ème P, P 1573.

قائلا : من يقول الناس إني أنا ابن الإنسان، فقالوا قوم يوحنا المعمدان وآخرون إيليا، وآخرون إرميا أو واحد من الأنبياء، قال لهم و أنتم من تقولون إني أنا، فأجاب سمعان بطرس و قال أنت هو المسيح إبن الله الحي، فأجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان بن يونا. "[1]، و الشيء الملاحظ أن متى انفرد بهذه الرواية، فلم تذكر في لوقا[2] و لا في مرقس[3].

و يستدل النصارى على أن المسيح ليس ابن الإنسان بالمعنى الحرفي بل هو ابن الله، بما جاء في إنجيل مرقس : " ثم أجاب يسوع و قال و هو يعلم في الهيكل كيف يقول الكتبة إن المسيح ابن داود. لأن داود نفسه قال بالروح القدس قال الرّب لربّي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك. فداود نفسه يدعوه ربا. فمن أين هو ابنه. و كان الجمع الكثير يسمعه بسرور "[4]، فالمسيح كما يرى النصارى قام بخطوة متقدمة حين سأل الحوارين عن ابن داود و بين لهم أنه ليس ابن داود بل إلهه، و بأنه أعلى منه، و هو مؤهل ليكون إلها و يجلس عن يمين الله ليشاركه ملكوته[5].

ثالثا : العلاقة بين الأب و الابن .

إن العلاقة التي تربط الأب بالابن و الابن بالأب هي الوحدة، فالابن في الأب والأب في الابن، و وحدهما لابد أن يقتدي بها المسيحي[6]، جاء في يوحنا : " قال له يسوع، أنا هو الطريق والحق والحياة، ليس أحد يأتي إلى الأب إلا بي، لو كنتم عرفتموني لعرفتم أبي أيضا، و من الآن تعرفونه، و قد رأيتموه، قال له فيليبس : يا سيد أرنا الأب و كفانا. قال له يسوع : أنا معكم زمانا هذه مدته و لم تعرفني يا فيليبس، الذي رآني فقد رأى الأب فكيف تقول أنت أرنا الأب، ألست تؤمن أني أنا في الأب و الأب في، الكلام الذي أكلمكم به ليست أتكلم به من نفسي لكن الأب الحال في هو يعمل الأعمال، صدقوني أني في الأب و الأب في، و إلا فصدقوني لسبب الأعمال نفسها. "[7]

1- 16/ 13-17.

2- لوقا، 22/ 66-71.

3-الإصحاح 7.

4- 12/ 35-37 و أيضا متى، 26/ 62-66.

5- **Dictionnaire de la théologie catholique**, T15, 2ème P, P 1575.

6- Ibid, T15, 2ème , P1601.

7- يوحنا، 14/6-11 و أيضا يوحنا، 8/11، 20-23.

و هناك مبادلة معرفية بين الأب و الابن، فلا أحد يعرف الابن إلا الأب و لا أحد يعرف الأب إلا الابن، جاء في إنجيل لوقا : " و في تلك الساعة تهلل يسوع بالروح و قال أحمدك أيها الأب رب السماء و الأرض، لأنك أخفيت هذه عن الحكماء و أعلنتها للأطفال، نعم أيّها الأب لأن هكذا صارت المسرة أمامك، و التفت إلى تلاميذه و قال : كل شيء قد دفع إلي من أبي، و ليس أحد يعرف من هو الابن إلا الأب و لا من هو الأب إلا الابن ... "[1]، و قد استعمل المسيح المضارع في كلامه مما يدل على أن المعرفة المتبادلة اعتيادية و أزلية، فليس لها ما يحدها فهي مستمرة بدون انقطاع[2].

كما أن العلاقة بين الأب و الابن هي علاقة مرسِل و مرسَل، فالأب أرسل الابن والابن مرسل من الأب، " قال لهم يسوع طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني و أتمم عمله "[3] ، و كذلك " والذي أرسلني هو معي و لم يتركني الأب وحدي لأني في كل حين أفعل ما يرضيه. " [4]

و مع أن المفهوم من العلاقة بين المرسِل و المرسَل أن تكون هناك رسالة، و أن يكون هناك رسول، إلا أن النصارى يفهمون غير ذلك و لا يوضحون معنى رسالة المسيح، و يرون أن رسالته هي الخلاص،ـأي تخليص العالم من الخطيئة التي ارتكبها آدم و سرت في أجساد البشر سريان الدم في العروق ـ و هذا عن طريق الموت على الصليب.

و رغم العلاقة التي بين الأب و الابن إلا أن الأب يعلم ما لا يعلمه الابن و هو أعظم منه، جاء في إنجيل مرقس : " و أما ذلك في اليوم و تلك الساعة فلا يعلم بهما أحد و لا الملائكة الذين في السماء و لا الابن إلا الأب "[5]، فالأب أعظم من الابن لأنه يعلم يوم الحساب الذي يجهله المسيح، جاء في إنجيل يوحنا : " سمعت أني قلت لكم أنا أذهب ثم آتي إليكم، لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأني قلت أمضي إلى الأب، لأن أبي أعظم مني "[6]، فالأب أعظم من الابن لأنه هو المبدأ و الأصل وجذر الحياة الإلهية، فهو وحده لم يولد، و الابن ولد منه لكنه ليس مخلوق، فهو دائما مع الله يعمل أعماله، و هو فيه، و رغم ذلك، يبقى الأب أعظم من الابن، ويتضح ذلك من عملية التجسّد، لأن الأب هو الذي

1- 10/ 21-22 و أيضا متى، 11/ 25-27.

2- **Dictionnaire de la théologie catholique**, T15, 2ème P, P 1577.

3- يوحنا، 34/4.

4- يوحنا، 29/8، و أيضا يوحنا، 8/ 43-50، يوحنا، 7/ 1-2، يوحنا، 10/15.

5- مرقس، 13/ 32 و أيضا متى، 24/ 36.

6- يوحنا، 28/14.

أرسل الابن ليتجسد ويصلب، فالتجسد و الخلاص هما معجزتان خاصتان بالمسيح [1].

فالنصارى إذن استخلصوا من الأناجيل علاقة الأب و الابن، و رأوا بأنهما واحد لكن الأب أعظم من الابن و هو يعلم ما لا يعلمه الابن، و رغم ذلك يقولون بأن الأب و الابن هما واحد، فكيف يأتي ذلك ؟

رابعا : الكلمة عند يوحنا .

إن الكلام عن موضوع " الكلمة " في الأناجيل يجعلنا نقتصر على إنجيل يوحنا، لأنه الوحيد الذي ذكر هذا الموضوع، و الكلام عن العقائد الموجودة في إنجيل يوحنا يقودنا بالضرورة إلى الكلام عن الإنجيل نفسه، لأنه كان و لا يزال محل جدال و نقاش، و قد طرحت آراء شديدة التنوع في شأنه، ونسبة هذا الإنجيل إلى الحواري يوحنا يعطيه وزنا كبيرا، و يعطي المصداقية لعقيدة الكلمة، لذلك يجب التأكد من مدى نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا بإيجاز.

1- ***مدى نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا :*** يرى الكثير من علماء المسيحية أن يوحنا كاتب الإنجيل هو أحد أتباع المسيح الإثني عشر، وهو إبن زبدى الصياد الذي كان من المقربين إلى المسيح، و هو الذي كان يعمل صيادا، و قد كتب إنجيله في أواخر القرن الأول الميلادي ما بين سنتي 65 م و 90 م، و يرون أن هذا التحرير المتأخر للإنجيل لا يقدح في صحة نسبته إلى يوحنا بن زبدي ، لأن تحديد كتابته بستين عاما بعد المسيح، هو أمر يتفق مع وجود حواري صغير السن في عصر المسيح وعاش ما يقارب قرنا من الزمان[2].

و يرى النقاد أن الإنجيل هو لأكثر من كاتب واحد : " فيحتمل أن الإنجيل بشكله الذي نملكه اليوم قد نشر بواسطة تلامذة المؤلف الذين أضافوا الإصحاح21 كما أضافوا و لا شك بعض الحواشي مثل 2/4 و ربما أيضا 1/4، 44/4، 38/8، 2/11، 25/19، أما فيما يخص المرأة الزانية 35/7 إلى 11/8، فالكل

1- Dictionnaire de la théologie catholique, T15, 2ème P, P 1601.

2- موريس بوكاي: **القرآن الكريم و التوراة و الإنجيل و العلم** – دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف العلمية، ط [ ]، (القاهرة : دار الفتح لإعلام العربي، ت [ ]) ص 90. و عبد المنعم الحفني : **موسوعة فلاسفة و متصوفة اليهودية**، ط[ ] ، (مكتبة مدبولي،ت[ ])، ص 249.

يتفق على الاعتراف بأن هذا النص مجهول الأصل ألحق فيما بعد ... "[1]، أما سفر الرؤيا فينسب إلى **يوحنا اللاهوتي** و ليس إلى يوحنا بن زبدي يقول ول ديورانت : " يبدو من غير المعقول أن يكون كاتب سفر الرؤيا هو نفسه كاتب الإنجيل الرابع، ذلك أن سفر الرؤيا سفر يهودي، و أن الإنجيل فلسفة يونانية. "[2]

و يرى كثير من العلماء المعاصرين بأن كاتب الإنجيل لا يمت بصلة إلى شخصية يوحنا الحواري[3]، و يدعم ذلك ما جاء في دائرة المعارف البريطانية التي شارك في تأليفها أكثر من خمسمائة عالم من النصارى الغربيين، فقد كتب في مادة إنجيل ما نصه : " أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية و لا شك كتاب مزور، أراد صاحبه مضادة حواريين ببعضهما، و هما القديسان يوحنا و متى، وقد ادعى هذا الكاتب المزور من متن كتابه أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح ... و إنا لنشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا و لو بأدنى رابطة ذلك الرجل الفلسفي ... بالحواري يوحنا الصياد الجليلي ... "[4].

و رغم الغموض الذي يكتنف القيمة التاريخية لإنجيل يوحنا، و بالرغم من معارضته للأناجيل الأخرى في كثير من الأمور نجده هو الركيزة الأولى التي استند إليها دعاة المسيحية الأولون في إعطاء دياناتهم الصورة التي طلعت بها على الناس، فباتت المسيحية ديانة مثلثة، وبات المسيح " ابن الله " و"الكلمة " الأزلية التي حلت في جسد بشري.

2- ***مفهوم الكلمة عند يوحنا*** : استهل يوحنا إنجيله بتمهيد يقول فيه : " **في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله، و كان الكلمة الله، هذا كان في البدء عند الله، كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان، فيه كانت الحياة و الحياة نور الناس، و النور يضيء في الظلمة و الظلمة لم تدركه ... والكلمة صار جسدا و حل بيننا و رأينا مجده مجدا كما لواحد من الأب مملوءا نعمة وحقا.** "[5]

1- موريس بوكاي: المرجع نفسه، ص 91.

2- **قصة الحضارة**، ج11، ص 274.

3- Denis Saurat : **Histoire des religions**, P 252.

4- محمد علي برو العاملي، **الكتاب المقدس في الميزان**، ص 248.

5- يوحنا، 1/1-14.

إن المسيح لم يسم نفسه " **كلمة** " و لم يقل هذا عندما كان يعيش مع تلاميذه، و بعد البعث[1] كانت كل الكتابات تركز على البشارة بالمسيح من الله، ابن الله، الذي جاء إلى العالم، وكل الكتابات التي تسمي المسيح " **الكلمة** " و من بينها إنجيل يوحنا، كانت بعيدة عن السنوات الأولى للمسيحية[2].

و السؤال الذي يطرح : ما معنى الكلمة عند يوحنا ؟! و ما هو مصدرها ؟!

من الصعب جدا فهم النظرية اليوحانية[3] التي تعتمد على تعريف المسيح بالكلمة أو اللوغس بمعزل عن الإطار النصي، لذلك لا بد من فهم النص أولا.

" **في البدء** ... " تشير إلى نقطة من الزمن في الأزل يستحيل علينا إدراك مداها، وهذا يعني أن الكلمة لم تبدأ حينئذ، و لكن عند تلك النقطة من الزمن عندما بدأ كل شيء " **كان الكلمة** " وبمعنى آخر، لما لم يكن موجود غير الله، ولما كان الله يستعد لخلق الكون، كان الكلمة موجودا قبل الكون وقبل كل شيء[4].

وقد عاد يوحنا في قوله : " في البدء ... " إلى أصل الأشياء المخلوقة حيث لم يكن الزمن بعد، وقد بدأ الزمن في الوجود مع أول شيء مخلوق، و لم يكن هناك شيء سوى الكلمة، الذي كان أزليا مثل الله، وكان من طبيعته الإلهية، وقد سمى يوحنا المسيح بالكلمة لا غير، لأن المسيح هو الكلمة بكليتها، وبملئها اللامتناهي، وكل كلمة هي جزئية بالنسبة إليه، فكل شيء قيل به، وكل عقل يعجز عن سبر غور ما قيل به[5].

" كان الكلمة مع الله" إن العبارة الأصلية في اليونانية، لا تعني فقط إنه كان بالقرب من الله، وبصحبته،وإنما أيضا أنه كان متجها نحوه، وعلى علاقة حية به، مما يبين أن الكلمة شخص وليس فكرة

1- هو خروج المسيح من القبر بعد صلبه و دفنه حسب زعم النصارى.

2- - **Dictionnaire de la théologie catholique**, T15, 2ème P, P 1596

3- حسب تعبير شارل جنيبر، **المسيحية نشأتها و تطورها**، ص 150.

4- جون ف والفورد: **يسوع المسيح ربنا**، ص 25.

5-دوناسيان ملا اليسوعي: **قراءات في إنجيل يوحنا، دراسات في الكتاب المقدس**(7)، ترجمة: حليم عبد الله، ط4، (بيروت: دار المشرق، 1993م)، ص19-20.

تجريدية،[1] و قد نفى يوحنا أي احتمال للتعدد حين صرّح بألوهية الكلمة، وأنه ابن الله الوحيد و بأنه من نفس طبيعة الله الأب فقال : " و كان هو الله "[2] و هو يبرر سر الوحدة في التثليث في الله، فالكلمة هو شخص إلهي لا يشبه الله لأنه معه، و هو في نفس الوقت الله، فكأن الله في مناجاة مع نفسه[3].

" كل شيء به كان و بغيره لم يكن شيء مما كان " فهنا يتكلم عن دور الكلمة في الخلق، فإذا كان الأب هو الخالق الحقيقي للسماء و الأرض، فالكلمة هي وسيلة يستعملها لتحقيق خلقه، لهذا قال : " **و بغيره لم يكن شيء مما كان** " فكل الكائنات بدون استثناء مدينة بوجودها للكلمة، كلها برزت يوما للوجود، فهو دعاها لأن تكون، وهو وحده قائم منذ الأزل، ولا يصح أن يحصر عمل الكلمة الخالق بأول ظهور الكون، فالعبارة " به كان كل شيء" تعني أيضا تلاحقا تاريخيا، وهذا التلاحق منوط بالكلمة[4].

" **الكلمة أصبح بشرا** " انتقل من التعبيرات البشرية إلى دوره كراوي، لذلك لم يرد ذكر الكلمة بعد ذلك[5]، فالكلمة أو الإله الابن أخذ الشكل الإنساني و سكن بين البشر، فدخل الله التاريخ واقترب من البشر، و لم يتم ذلك إلا لأن الذي أصبح إنسانا هو الله نفسه خالق الكون كله و الإنسان خاصة[6].

و يعطي بلتمان Bultmann تفسيرا آخر لقول يوحنا " الكلمة كان **عند الله و كان الكلمة الله** ..."

فيرى بأن في هذا الكلام تناقض إرادي، فهو يقول بالمساواة من جهة وبالمغايرة من جهة أخرى، و هو يرى أن هذا التناقض في مكانه لأن يوحنا يريد أن يعبر عن عملية الوحي، فنحن نتلقى حقيقة الله في الموحى، و لكننا لن نلقى الله مباشرة بل بواسطة الموحى فقط و يبدو هذا التفسير بعيدا إلى حد ما على حد تعبير هانز كونزلمان Hans Gonzelmann[7].

1- دوناسيان ملا اليسوعي: **قراءات في إنجيل يوحنا**، ص20.

2- **Dictionnaire de la théologie catholique**, T 15, 2ame p, p 1596-1597.

3- Le chanoine l.cristiani, **Jésus christ files de Dieu, sauveur**, (Lyon : Le comité catholique d'apostolat par l'évangile), p 5.et

4- دوناسيان ملا اليسوعي: **قراءات في إنجيل يوحنا**، ص20.

158-5- Le chanoine l. cristiani, **Jésus christ files de Dieu, sauveur**, p 13.et **découvrir jésus, Le monde de la bible,** ((Mensuel n^0 0154 9049 août, sep, oct., 1987, Paris), p 8-9.

6- فاضل سيداروس: **يسوع المسيح في تقليد الكنيسة**، ص 177.

7- **théologie du nouveau testament**, p 343.

و يعلق عبد الكريم الخطيب على نص يوحنا متسائلا: " في البدء ... " أي بدء تعني ؟ وإذا كان له حد زمني، فهل يكون له متعلق بالله ؟و هل ذلك مما يليق بكمال الله الذي لا يحصره زمان أو مكان ؟ " و الكلمة هو الله "، و الكلمة كان في البدء، فهل لله بدء ؟ و ماذا كان قبل البدء ؟ " والكلمة عند الله، و ماذا تعني العندية هنا ؟! و كيف يتفق أن تكون الكلمة بدءا بمعنى الأولوية المطلقة ثم توصف بأنها كانت عند الله ؟! و كيف ترتفع هذه العندية و يكون " الكلمة " هو الله لا عند الله ؟ [1].

فحقا التناقض صارخ و واضح في هذه الفقرة، و مهما أعطاها المسيحيون من تفسيرات تظل متناقضة.

و بعد هذا العرض الذي نقل فيه يوحنا مفهوم " الكلمة "، من المعنى المجرد فشخصها، وأصبحت بشرا إلها، يجدر بنا أن نبحث عن أصل مفهوم الكلمة عند يوحنا.

3-***أصل مفهوم الكلمة عند يوحنا*** : لقد قام يوحنا بتطوير فكرة بولس عن المسيح " **حكمة الله**" التي كان لا يذكرها إلا تلميحا، و " حكمة الله " كانت قبل كل شيء، قبل إنشاء العالم، مع الله وسيطا بينه و بين الخلق[2]، جاء في سفر الأمثال : " **منذ الأزل مسحت الحكمة منذ البدء منذ أوائل الأرض، إذا لم يكن غمر أبدئت، إذا لم تكن ينابيع كثيرة المياه ... كنت عنده صانعا و كنت كل يوم لذته فرحة دائما قدامه، فرحة في مسكونة أرضه و لذاتي مع بني آدم** "[3].

و تظهر الحكمة هنا بأنها كانت قبل خلق العالم، و قد قال بولس بأن المسيح هو " حكمة الله " لكنه لم يقصد غير الوحي إذ قال: " ... **لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين ... بل نتكلم بحكمة الله في سر، الحكمة المكتوبة التي سبق الله فعينها لنا قبل الدهور لمجدنا** "[4]، فبولس كان يقصد بكلامه عن الحكمة الوحي، أما يوحنا فقد مزج بين الوحي و الموحى إليه بدون تمييز بينهما، فالوحي لا يحتوي على أي تعليم خارج ذات الموحى[5].

و يرى Hans Gonzelmann أن يوحنا جاء بمصطلح " الكلمة " من العهد القديم، فالله خلق

1- **المسيح في القرآن و التوراة و الإنجيل**، ص 125-126.

2- فاضل سيداروس: **يسوع المسيح في تقليد الكنيسة** ، ص 175.

3- 8/ 22-31.

4- **1 كورنثوس**، 2/ 6-8، و أيضا **1 كورنثوس**، 24/1.

5- Hang conzelmann : **théologie du nouveau testament**, P 340-341.

بكلمته:" في البدء خلق الله السماوات و الأرض ... و قال ليكن نور فكان نور ... "[1]، ومعنى هـــذا أن الكلمة هي وسيط في عملية الخلق، لكن لا يمكن شرح النظرية اليوحانية انطلاقا من " الكلمة " في العهد القديم، فالله تكلم فكان العالم، وكلمته تلك ليست شخص فهي لم تكن أقنوما في العهد القديم[2].

و الكلمة أو اللوغس مصطلح من الفلسفة اليونانية، فقـــد اســـتعملها لأول مـــرة هرقليطـــس HeracLite[3] الذي كان يرى أن اللوغس هي مساك الوجود كله، و هي النظام الذي يحيط به ويتغلغل، و هي لا تصنع إلا الصالح من الأمور، فقد عمل الله كل شيء جميل و خير، و لكن الناس هـــم الذيـــن يعتبرون بعض الأمور من الخير و بعضها من الشر، فالكلمة عنده أزلية، و هي الحكمة، الحكمة معرفة ما تتحرك به جميع الأشياء[4].

و الكلمة عند هرقليطس هي النظام الذي يضع كل شيء في موضعه، فهي "النـــهار و الليـــل والشتاء و الصيف، و الحرب و السلم ..." والاختلاف هو أساس الانسجام و النظام[5]، أي أنـــه لم يكن يعني باللوغس لا شخص و لا مخلوق.

و قد أصبح اللوغس إحدى التصورات الأساسية في علم الكونيات و علم الإناسة في الفلســـفة الرواقية، ففي الرواقية معنى الكلمة : العقل الفعال المدبر للكون أو العقل الكلي الذي يمد العقول الجزئيـــة بكل ما لديها من علم و نطق، و كل شيء جزء من الكلمة التي هي في حقيقتها الله والطبيعة[6].

و بالرغم من أن الرواقيين يشخصون اللوغس أو يمثلونه، لكنه لم يعتبر على الإطلاق شخص، فقد

1- **تكوين**، 1/ 1-3.

2- Hans conzelmann : **théologie du nouveau testament**,, p342.

3- هو فيلسوف مادي، ولد تقريبا سنة 544م في أفسس، يعتبر من الجدليين اليونانيين، حضي مؤلفه الفلســـفي" في الطبيعـــة" بالتمجيد في العالم القديم، و كان يرى أن النار هي المادة الأولى في الطبيعة، وأن الأشياء كلها تخرج من النار طبقـــا لضـــرورة يسميها اللوغس.(م.روزنتال، ب. يودوين:**الموسوعة الفلسفية**،ص526 و **الموسوعة الفلسفية المختصرة**، ص494)

4- أحمد عبد الغفور عطار : **الديانات و العقائد**، ج 3، ص 24.

5- **موسوعة عباس محمود العقاد، توحيد و أنبياء**، ط1، (بيروت : دار الكتاب العربي، 1970م)، م 1، ص 144.

6- أحمد عبد الغفور عطار : المرجع السابق، ج 3، ص 24.

بقي تصورا لا غير[1].

و قد ظهر توأم الكلمة اليوحانية عند فيلون، يقول Starcky : "القديس يوحنا كما فيلون أدمج في الكلمة " لوغس " المظهر الشعري للصنعة الإلهية المذكورة في العهد القديم باسم الحكمة، والمظهر الديناميكي (الحركي) الخالق المشار إليه ب" الحكمة " [2]. ويرى بعض الكتاب في محاولتهم نفي تأثر يوحنا بفيلون بأن يوحنا يهودي فلسطيني، لا يعرف شيئا عن تعاليم المدرسة الإسكندرية، كما أنه ليس هناك احتمال أن يكون قرأ لفيلون، وهو لم يكن يعرف لوغس هرقليطس، بالإضافة إلى أنه هناك فرق بين الكلمة اليوحانية والكلمة الفيلونية، فكلمة فيلون غير مفهومة إن كانت شخصا أم لا، ولا زال المعلقون يبحثون في ذلك الأمر، أما كلمة يوحنا فهي شخص قامت الأدلة على وجوده وعرف الناس أمجاده لأنه صار بشرا [3].

و مهما حاول النصارى إيجاد فروق بين اللوغس اليوحاني واللوغس الفيلوني، فلن يتوصلوا إلى نفي تأثر يوحنا بفيلون[4] لأن لوغسيهما يكادان يتطابقان[5].

و قبل أن نترك موضوع الكلمة، نقول بالإضافة إلى ما تقدم بأن يوحنا لم يأت بفكرة الكلمة من بنات أفكاره، فالكلمة الإلهية كما يقول ستاركي Starcky، كانت بالنسبة للسومريين والأكديين قوة كونية و خالقة، فعندما تتلفظ تعمل كما الذات المادية المحيية أو المدمرة، وكان المصريون يعتبرون كل عمليات الخلق بفعل الكلمة [6] ، ويضيف أحمد يوسف داود، بأن الكلمة بالنسبة للإنسان القديم لم تكن مجرد قول يقال، كما لم تكن الصورة والتمثال مجرد تحديد لهيكلية موضوع " لقد امتلكت الكلمة دائما قوة خاصة بالنسبة للذهنية القديمة، وحين كانت الكلمة تتناول الأمور الإلهية، فإنها تصبح قوة خالقة، والكلمة في هذا المستوى تعني العقل في حالة الفعل.... "[7].

1- Hanz conzelmann, OP, Cit, P 340-341.

2- Masson D: **Monothéisme coranique et Monothéisme biblique**, P 115.

3- **Dictionnaire de la théologie catholique**, T15, 2ème P, P 1597. et **Jésus christ fils de Dieu, Sauveur**, P 3 et Masson D, OP. Cit, P 116.

4- راجع، مبحث التثليث عند فيلون، ص 137-140 من البحث.

5- أنظر : شارل جنيبر، مرجع سبق ذكره، ص 150، **موسوعة عباس محمود العقاد**، ص 165 و S Denis Saurat, OP, Cit. P 252 et Hanz conzelmann, OP, Cit, P 342.

6- Masson D, OP, cit, P 115. راجع ص 115-117 من البحث

7- **الميراث العظيم، إعادة بناء المنجز الحضاري من الألف الرابع قبل الميلاد و ظهور الإسلام**، ط1، (بيروت: دار المستقبل مارس 1991) ، ص 158-159.

فالكلمة كقوة فاعلة كانت معروفة في الحضارات القديمة وفي الفلسفة اليونانية، وكان المسيح عليه السلام يدعى الكلمة [1]، لأنه لم يخلق كباقي البشر بل خلق بكلمة " كن فكان "، وقد يكون من الشائع في الوسط النصراني أن يدعى المسيح " كلمة " وهذا يبدو من استعمال يوحنا لهذه اللفظة دون سواها، و بالرغم من عدم ورودها في الأناجيل الأخرى بدا يوحنا واثقا من تسمية المسيح كلمة و من فهمها عند قرائه [2]، لكن الذي حدث أن يوحنا جرّد " الكلمة " من مفهومها وشخّصها، و ادعى أنها تجسدت، فكان أن أحدث تغيرا جذريا في العقيدة النصرانية.

خامسا : الروح القدس .

إن الروح القدس في الأناجيل لا تظهر بأنها أقنوم، فالأناجيل لم تزد شيئا عن الروح في العهد القديم التي تقود و تحرك الأرواح [3]، و هذه بعض النصوص التي تتكلم عن الروح القدس:

" **و أنا عمدتكم بالماء، و أما هو فسيعمدكم بالروح القدس** "[4]، فيوحنا يقول بأنه يعمد بالماء وسيأتي من هو أكبر منه و يعمد بالروح القدس.

" **فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون، فإنكم تعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به، فإن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم** "[5]، و هنا تظهر الروح بأنها تتكلم على لسان الحواريين، فالروح التي ألهمت الأنبياء ألهمت أيضا الحواريين [6].

" **لذلك أقول لكم كل خطيئة و تجديف يغفر للناس، و أما تجديف على الروح فلن يغفر للناس، ومن قال لكلمة ابن الإنسان يغفر له، وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا في العالم و لا في الآتي** "[7].

1- وقد سمى القرآن الكريم المسيح (كلمة)، في غير موضع، قال تعالى : ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ...﴾ سورة *آل عمران*/ 45.

2- Dictionnaire de la théologie catholique, T15, 2 ème P, P 1597.

3- Ibid, T15, 2 ème P, P 1598.

4- مرقس، 1/8.

5- متى، 10/ 19-20.

6- Dictionnaire de la théologie catholique, T15, 2 ème P, P 1578.

7- متى، 12/ 31-32.

فكل هذه النصوص لا تظهر الروح القدس على أنه أقنوم، لكن يوحنا الذي انفرد برواية ما حدث في العشاء الأخير للمسيح قبل القبض عليه، كما روى أحاديث المسيح مع الحواريين تكلم عن المرشد الذي يجب على الإنسانية أن تتبعه بعد اختفاء المسيح، و يسمى هذا المرشد باسم يوناني هو البرقليط Parakletos -الذي أصبح بالفرنسية Parclet -إذ يقول : " إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد. "[1]، و يشرح يوحنا كلمة برقليط بالألفاظ التالية :

" البرقليط (المعزى)، الروح القدس، الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته. "[2]

و أيضا : " ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الله ينبثق فهو يشهد لي . "[3]

" لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى. و لكن إذا ذهبت أرسله إليكم. "[4]

" وأما متى جاء ذاك روح الحق. فهو يرشدكم إلى جميع الحق. لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمعه يتكلم به و يخبركم بأمور آتية. "[5].

و قد فهم النصارى من هذه النصوص أن البرقليط أو البركليت هو الروح القدس، هذه الروح مؤهلة لخلافة المسيح، و هي مرسلة كما الكلمة [6].

و يرى موريس بوكاي أنه من غير المعقول أن ينسب إلى الروح سلطان التحدث أو السمع، كما أن الاتصال بالناس المقصود في الفقرات المذكورة لا يكمن مطلقا في إلهام من عمل الروح القدس، فهو اتصال ذو طابع مادي واضح، كما أن يوحنا استعمل كلمة برقليط للإشارة إلى المسيح باعتباره الوسيط لدى الله إذ يقول : " و أنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيا آخر ليمكن معكم إلى الأبد "[7]، فالمراد

1- يوحنا، 14/ 15-16.

2- يوحنا، 14/ 26.

3- يوحنا، 15/ 26.

4- يوحنا، 16/ 7-8.

5- يوحنا، 16/ 13-14.

6- **Dictionnaire de la théologie catholique**, T15, 2 ème P, P 1602.

7- يوحنا، 14/ 16.

هنا هو إرسال وسيطا آخر، كما كان المسيح وسيطا لدى الله، و هذا يقودنا بمنتهى المنطق إلى أن نرى في" البرقليط Parclet" عند يوحنا كائنا بشريا مثل المسيح يتمتع بحاستي السمع والكلام، و يبدو أنه نبي يسمع صوت الله و يكرر إلى مسامع البشر رسالته، و هذا هو التفسير المنطقي لنص يوحنا.

و يضيف موريس بوكاي : " إن وجود كلمتي الروح القدس في النص الذي نملكه اليوم قد يكون نابعا من إضافة لاحقة إرادية تماما، تهدف إلى تعديل المعنى الأول لفقرة تتناقض بإعلانها مجيء نبي بعد المسيح مع تعاليم الكنائس المسيحية التي أرادت أن يكون المسيح هو خاتم الأنبياء. "[1]

فالروح القدس لم تذكر على الإطلاق في الكتاب المقدس بعهديه على أنها أقنوم، و حتى نص يوحنا الذي يتكلم فيه عن البرقليط يبدو واضحا بأنه يتكلم عن نبي، أو بمعنى أصح عن النبي محمد ﷺ يقول الأنبا أثناسيوس:" إن لفظ فارقليط إذا حرّف نطقه قليلا يصير بيركليت، ومعناه الحمد أو الشكر وهو قريب من لفظ أحمد" [2].

واسم أحمد في اللغة العبرية يكتب" بيركليت"בירכלית، وفي الكتب القديمة تكتب "فيرقليط" פרקלט ، وفي اليونانية " بيركليوتوس"، وقد غير النصارى " بيركليت" إلى"بركليت"أو برقليط، وأصبح معنى هذه الكلمة الآتي عوضا عن المسيح، ليعزي بني إسرائيل في فقدهم الملك والشريعة[3].

المطلب الثاني :النسق التثليثي في الأناجيل الأربعة .

يرى النصارى أن التثليث ذكر مرتين في الأناجيل المتوافقة .

النص الأول : " و في تلك الأيام جاء يسوع من الناصرة الجليل، و اعتمد من يوحنا في الأردن، وللوقت و هو صاعد من الماء، رأى السماوات قد انشقت و الروح مثل حمامة نازلا عليه، و كان صوت من السماوات، أنت ابني الحبيب الذي به سررت. "[4]، يرى النصارى أن التثليث يظهر مكتملا في هذه

1- **القرآن الكريم و التوراة و الإنجيل**، ص 127-129.

2- **تفسير إنجيل يوحنا**، ص119. نقلا عن (أحمد حجازي السقا: **نبوءة محمد في الكتاب المقدس**، ط1، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1978)، ص101.)

3- احمد حجازي السقا: المرجع نفسه، ص 98-99

4- **مرقس**، 1/ 9-11 و أيضا **مرقس**، 3/ 3-17، **لوقا**، 3/ 21-22. و هناك اختلاف كبير بين ما جاء في هذه الأناجيل وبين الكتب الأبوكريفا Apocryphes و إنجيل الإبيونيين المروي عن طريق القديس (Epihane **Dictionnaire de la théologique catholique**, T15, 2ème P, P 1579-1578)

الفقرة، فالأب تكلم و سمع و الروح القدس أخذ شكل حمامة والابن كان يتعمد، ويبـــدو أن يوحنـــا وحده هو الذي رأى الحمامة و سمع الصوت، لأن هذا سر و لا يمكن كشفه للناس بسهولة[1]

النص الثاني :" و بعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس و يعقوب و يوحنا أخاه و صعـد بـهم إلى جبـل عالي منفردين، و تغيرت هيئته قدامهم و أضاء وجهه كالشمس و صارت ثيابه بيضاء كالنور، و إذا موســى و إيليا قد ظهرا لهم يتكلمان معه، فجعل بطرس يقول ليسوع يـا رب جيـد أن نكـون هاهنـا، فـإن شـئت نصنع ثلاث مظال، لك واحدة و لموسى واحدة و لإيليا واحدة، وفيما هـو يتكلـم إذا سـحابة نـيرة ظللتـهم وصوت من السحابة قائلا: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت ... "[2]، فقد تجلى التثليث حسب رأى النصارى، و سمع صوت الأب ليقول كما في المرة الأولى : " أنـت ابـني الحبيـب الـذي بـه سـررت "، وعوض أن يظهر الروح في صورة حمامة كما في المرة الأولى، ظهرت سحابة بيضاء نورانية[3].

فهذان هما النصان اللذان ترتكز عليهما عقيدة التثليث، و هناك نص آخر مشهور لمتى يقول فيه: " فاذهبوا و تلمذوا جميع الأمم، و عمدوهم باسم الأب و الابن و روح القدس،وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به، و ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر أمين. "[4]، و الظاهر أن هذا النص أضافه متى إلى المسيح فقد جاء في Dictionnaire de la Théologie Catholique بأن صيغة التعميد كانت معروفـــة في الكنيسة في الوقت الذي كتب فيه متى إنجيله ما بين سنتي 80 – 90 م، فمن الممكن أن متى أضافها، حـتى ينسبها إلى المسيح نفسه[5].

فهذه هي النصوص التي بنيت عليها عقيدة بأكملها، أو لنقل هذه هي النصوص الـــتي وجدهـــا النصارى في كتبهم بعدما اعتقدوا بالتثليث، و راحوا يبحثون بين السطور عن سند نصي يقوى ويؤصـل معتقدهم، و يا له من سند ضعيف لا يكاد يفهم، و يالها من عقيدة أجهدت الفكر النصراني ليجد لهـــا معنى، فيا ترى كيف فهم الفكر النصراني عقيدة التثليث ؟!.

1- **Dictionnaire de la théologique catholique,** T15, 2ème partie, P 1578, et **Ecclésia**, P 109.

2- متى، 17/ 1-8. و أيضا مرقس، 9/ 2 و لو 9/ 28.

3- **Dictionnaire de la théologie catholique**, T15, 2 ème partie, P 1579.

4- 28/ 19-20.

5- T15, 2 ème partie, P 1579.

المبحث الرابع

المجامع الكنسية و دورها في تقرير عقيدة التثليث.

المطلب الأول : مجمع نيقية و تقرير ألوهية المسيح .

أولا : الوضع الديني قبل مجمع نيقية.

إن الأناجيل التي كتبت في القرن الأول من تاريخ النصرانية تركت بصمتها في المجتمع النصراني، فبعد أن بث بولس فكرة الخلاص و بنوة المسيح و ألوهيته، جاء يوحنا الإنجيلي ليقول بأن الكلمة هو الله، و أن الكلمة صار جسدا[1]، و لم يعرف النصارى حقيقة معتقداتهم، فاختلفوا فيما بينهم، ودبت الفرقة في أوساطهم، وأحاطت الضبابية أذهان العديد من النصارى، فشطح الفكر النصراني في اتجاهات مختلفة.

و عرفت النصرانية أكبر فتنة دينية مع نهاية القرن الثالث و بداية القرن الرابع الميلادي، فقد ظهرت عدة فرق و مذاهب دينية، كل واحدة لها رأيها في المسيح، و أهم هذه الفرق :

1- المظهرية : انتشرت في القرن الثاني، وكان مؤسسها مرقيون **Marcion**[2]، و هو مذهب تظهر فيه ثنائية مماثلة لثنائية الغنوصيين، لكنها مبنية أساسا على تفسير يقول بتعارض الخالق الذي يكشف عنه العهد القديم والذي يسميه إله الناموس، والإله العطوف الذي يكشف عنه العهد الجديد، وإنجيل بولس بوجه أخص[3]، فالإله الأول خالق ومشرع يطالب الإنسان الضعيف بالطاعة المطلقة، ويمنعه من فعل الخيرات، وأما الإله الثاني،فطيب عطوف على البشرية التعيسة، فقد بعث ابنه المسيح

1- أنظر: يوحنا، 14/1.

2- ولد سنة 100 في الإقليم البنطس، قدم إلى روما في حوالي 140م، و حرم بسبب تعليمه سنة 144م، لم يعترف بالعهد القديم و بإنجيل لوقا و عشر رسائل من رسائل بولس توفي سنة 165، إنتشرت تعاليمه بسرعة و كان لا يزال لها جماعات في سورية في القرن الخامس (Royston p **Dictionnaire des Religions**, p 204 و صبحي حموي اليسوعي: **معجم الإيمان المسيحي**، ص 452.)

3- صبحي حموي اليسوعي، المرجع نفسه، ص 452.

ليعرفها بوجوده وبحبه، ولكن إله الناموس تسبب في موت عيسى وفي صلبه ، وحقق ذلك فداء البشـــر رغم بقائهم تحت سيطرة الخالق [1].

2- *الغنوصية*[2] *النصرانية:* ظهرت في القرن الثاني، وكانت رغم الثنوية التي تتميز بها، تعتبر أبو عيسى المسيح هو الإله الحقيقي، وتدعو هذه الفرقة إلى الخلاص والفرار من العالم، وهي ترفض العـــهد القديم، وتعتبر أن مفهوم الإيمان عند النصارى الأولين منحط،و المسيح عندهم رجلا من لحم ودم، عاش في ظرف تاريخي معين وحقق البشائر التي وعد بها إسرائيل ، و هو رجل تاريخي شبه ميثي يتلخص عمله في تبليغ رسالة الوحي التي تقود الروح البشرية إلى موطنها الحقيقي والسرمدي [3].

3-ظهرت فرقة من اليهود اليونانيين، ترفض فكرة ولادة المسيح من عذراء، و قد ادعت أن مريم زفت و وضعت المسيح بالخفية، ثم ذهبت إلى مصر حيث تعلم يسوع السحر، و في بعض البيئات رفض النصارى الإبيونيين ébianites [4]، فكرة الحمل من عذراء تأثرا بهذه الفرقة، و قالوا بأن مريم تزوجـــت بيوسف النجار فأنجبا يسوع[5].

4- *التبنية* **Adoptianisme**: ظهرت أيضا في القرن الثاني، ويرى أصحاب هـــذه الفرقـــة أن المسيح لم يكن إلها، بل تبناه الله فأصبح إلها[6]، و أنه ليس مشاركا للأب في الجوهر، وترتكز هذه الفرقة على نصوص القديس بولس خاصة الرسالة الثانية إلى الفليبيين و الرسالة الأولى إلى العبرانيين[7]، و قد

1- عبد المجيد الشرفي: **الفكر الإسلامي في الرد على النصارى**، ص70، و فاضل ســـيداروس: **يســـوع المســـيح في تقليـــد الكنيسة**، ص30-31.

2- تدل على البدع التي ظهرت في القرنين الثاني والثالث والتي أنشأت انطلاقا من بحوث العرفان، وتخلط الغنوصية مذاهـــب اليهودية والوثنية بالنصرانية، وهي تقول بثنائية تطابق بين الشر والمادة أو الجسد أو الأهواء، وبين الخـــير ومـــادة روحيـــة صادرة عن عالم آخر .(صبحي حموي اليسوعي: **معجم الإيمان المســـيحي**، ص346.و Royston p, **Dictionnaire des Religions**, p 139)

3- عبد المجيد الشرفي: **المرجع السابق**، ص68. و L. Bouyer : **Dictionnaire Théologique**, p 282-283.

4- وهذا الاسم يطلق على فئات مختلفة من المسيحيين منهم من هو مرتبط بجماعة أورشليم الأولى، ويعلن تمســـكه بالشـــريعة اليهودية، ومنهم من يعلم أن المسيح إنسان كسائر البشر، ويطلق أيضا على بعض الغنوصيين.(صبحي حموي اليسوعي: **معجم الإيمان المسيحي**، ص 14.)

5- المرجع نفسه، ص 36-37.

6-المرجع نفسه، ص 47.

7- L. Bouyer : **Dictionnaire Théologique**, p18-19.

قامت الكنيسة بإدانة هذه الفرقة سنة 799 م، وقد ظهرت في إسبانيا في القرن الثامن، و بقي صداها إلى القرن السابع عشر[1].

5- *البوليقانية:* ، ظهرت هذه الفرقة في أواخر القرن الثاني الميلادي، وكان يرى أتباعها أن المسيح إنسان خلق من اللاهوت، كواحد منا في جوهره لكنه صحبته النعمة الإلهية وحلت فيه بالمحبة والمشيئة، ولذلك سمي ابن الله، و يرى أصحاب هذه الفرقة أن الله أقنوم واحد و يسمونه بثلاثة أسماء، ولا يؤمنون بالكلمة و لا بالروح القدس[2]، وهذه الفرقة تبنت أفكار بولس الساموساطي.

6-*الإليانية:* وهي فرقة كانت تقول بألوهية المسيح، و ترى أنه ابن الله، و أن مريم لم تحمل به كما يحمل بالأجنة و إنما مر ببطنها كما يمر الماء في الميزاب، لأن الكلمة الابن دخلت من أذنها، وخرجت لتوها من حيث يخرج الولد، وما ظهر في الأعين إنما هو خيال شبيه بالصورة التي تظهر في المرآة، فلم يكن المسيح هو المصلوب أو المقتول بل خياله[3].

7- *البربرانية:* وهي فرقة ترى بأن المسيح و أمه إلهان[4].

و من عرضنا لهذه الفرق، يمكن القول أن الوضع الديني في بداية القرن الرابع كان مضطربا والآراء كانت مختلفة و متضاربة حول طبيعة المسيح، و قد برز على مستوى الأحداث تيارا توحيديا - إلى حد ما - بزعامة **آريوس**[5]، الذي كان راعيا لإحدى الكنائس الإسكندرية، فكان يرى أنه إذا كان الله أبا، فهذا يعني أنه ولد ابنا في زمن معين، ولا يكون للابن ابتداء في الزمن، و لا يكون من جوهر

1- Royston p, **Dictionnaire des Religions**, p 5.

2- محمد شلبي إبراهيم شتيوي: **عقيدة التثليث عند النصارى** ، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة الثالثة، عدد: 5، (الخالدية: جامعة الكويت، يوليو 1986)، ص38.

3- علي عبد الواحد وافي، **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للمسيحية**، ص 107-108.

4- محمد شلبي شتيوي، المرجع السابق ص 38.

5- ولد سنة 256م، من أصل ليبي، تتلمذ على يد لوقيانس، ورسم كاهنا على إحدى أهم كنائس الإسكندرية، و قد أنكر لاهوت المسيح، فحرمه مجمع نيقية سنة 325م، و نفي إلى إليريكون، و أعاد إليه تلاميذه الاعتبار في مجمع أورشليم، مات موتا غامضا سنة 336 م. (صبحي حموي اليسوعي: **معجم الإيمان المسيحي** ص32، Royston p : op . Cit. , p 26)

الأب نفسه، فهو خاضع له[1]، و قد استند في مقولاته لبعض النصوص[2]، كما أن الاعتراف بألوهية المسيح يخالف نظرة توحيد الله، فلا يمكن اعتبار المسيح إلها، لأن الله متسام و متعال، و لا يمكن لأي إنسان أن يكون الله، لأن الله واحد.

و كان آريوس يعلم تلاميذه في كنيسة الإسكندرية،أن المسيح ليس من نفس طبيعة الأب، وأنه مخلوق من الله، و قد أدت تعاليم آريوس إلى إلقاء الفرقة في الكنيسة المصرية[3]، وقد انتشرت آراءه في مصر و ليبيا و مدن الشرق و آسيا الصغرى[4]، مما جعل ألكسندر Alexandre[5] بطريك الإسكندرية يعقد مجمعا كنسيا سنة 320 م، عزل فيه آريوس من الكنيسة، فزاد قراره هذا من شدة الاضطراب في مصر[6]، فقام قسطنطين[7] في سنة 324 م، بإرسال مستشاره إلى الإسكندرية لتهدئة الأوضاع، خوف أن يؤثر ذلك الاضطراب على الوضع في الإمبراطورية كافة، لكن محاولاته باءت بالفشل[8].

و لأن الخلاف بين آريوس و ألكسندر بقي مستمرا، و لأن الاضطراب اتسع نطاقه، كان لابد من وضع حد للخلافات، خاصة و أن مسألة اتفاق الأب و الابن في المادة، لا مجرد تشابههما كانت مسألة حيوية في نظر الكنيسة، التي كانت ترى أنه إذا لم يكن المسيح إلها فإن كيان العقيدة النصرانية سيتصدع، وإذا ما استمر الخلاف في هذا الأمر، فإن فوضى العقائد قد تقضي على وحدة الكنيسة

1-جان كامي: **دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة**، ط 1، (بيروت: دار المشرق، 1994)، ص 118.

2- أنظر: **أمثال**، 22/8، و **يوحنا**، 82/14.

3- René Metz, **Histoire des conciles** ,(paris : presses universitaires de France, 1964), p 20.

4- Bernard Mennier , Bernard schone : **Dieu peut-il avoir un fils ?,** (Paris : les éditions du cerf, 1993), p 21.

5- بطريك الإسكندرية في مطلع القرن الرابع، حارب في أبرشيته الانشقاق المصري الذي تم على يد ملاتيوس، وحارب بوجه خاص، عقيدة آريوس في مجمع نيقية، مات حوالي 328م. (صبحي حموي اليسوعي: **معجم الإيمان المسيحي**، ص 40.)

6- Bernard Mennier , Bernard schone : op Cit. , p 21.

7- ولد سنة 274م،وقد كان قيصرا ثم أصبح إمبراطورا للغرب سنة 312، و في سنة 324 أصبح إمبراطورا للشرق و الغرب، أعلن اعتناقه للنصرانية سنة 327م، وكان له دورا مهما في مجمع نيقية، توفي سنة 337م. (محمد فريد وجدي : **دائرة معارف القرن العشرين**،ط[ ]، (بيروت: دار الفكر، ت[ ])، ج 4، ص454-455. و Royston p : **Dictionnaire des Religions**, p 93.).

8- Bernard Mennier , Bernard schone : op Cit.? P 21.

وسلطانها[1]، فأمر قسطنطين بعقد مجمع مسكوني[2] في مدينة نيقية[3] سنة 325 م، و قد جاء هذا المجمع بعد خمسين سنة من المناقشات الدينية بين الكنائس الشرقية، و التي كانت تتعدى مسائل العقيدة إلى الإبعاد و النفي والمشاجرات الدموية والتدخلات العسكرية[4].

ثانيا : مجمع نيقية .

قبل الكلام عن تفاصيل هذا المجمع لابد من الإشارة إلى أنه هناك اختلاف كبير بين المراجع الإسلامية[5] و النصرانية[6] حول تفاصيل هذا المجمع.

فالمراجع الإسلامية تشير إلى أن عدد المجتمعين كان ألفان و ثمانية و أربعون أسقفا (2048)، كانوا من مختلف المذاهب و الآراء و العقائد، و عندما انعقد المجمع كثر اللغط بين المجتمعين فجنح قسطنطين إلى رأي بطريك الإسكندرية، مما جعله يعقد مجلسا خاصا للأساقفة الذين يشاركون البطريك الرأي، وكان عددهم ثمانية عشر و ثلاثمائة(318)، و قد منحهم قسطنطين السلطة عندما قدم لهم خاتمه وسيفه و قضيبه قائلا : " جعلتكم اليوم سلاطنة مملكتي لتعملوا ما ترونه من أجل تثبيت قواعد الدين كل ما فيه صلاح المؤمنين. "[7]، فأصدروا قرار مجمع نيقية، و قد جاء هذا القرار من أقلية، و كان

1- ول ديورنت، **قصة الحضارة**، ج 11، ص 394.

2- نسبة إلى الأرض المسكونة و هي اجتماع لرجال الكنائس النصرانية في كل أنحاء العالم لتقرير العقائد والأمور الدينية و قد عرفت الكنيسة الكاثوليكية 20 مجمعا و أما الكنيسة الشرقية فلم تعترف إلا بالسبع مجامع الأولى (Royston p **Dictionnaire des Religions**, p 88).

3- مدينة قديمة من أعمال إسطنبول، تقع في شمال شرق آسيا الصغرى، عقد بها مجمعين مسكونيين، الأول سنة 325م، والثاني سنة787 م.(**Mon Encyclopedie**, CD-ROM 1.et Royston p : **Dictionnaire des Religions**, p 88)

4- Bernard Mennier , Bernard schone : **Dieu peut- il avoir un fils** ? , p 22.

5- اعتمدت جميع المراجع الإسلامية، على كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، لسعيد بن البطريق سواء القديم منها أو الحديث، مثال ذلك ما جاء في: ابن القيم الجوزية (751هـ): **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، ط[ ]، (بيروت: المكتبة الثقافية، 1989م)، ج2، ص200. تقي الدين المقريزي (845هـ): **المواعظ بذكر الخطط بذكر الخطط و الآثار**، ط[ ]، (القاهرة: مؤسسة الحلبي وشركاه، ت[ ]، ج 2، ص 485،أحمد شلبي: **المسيحية** ص 197 .أحمد عبد الغفور عطار: **الديانات و العقائد في مختلف العصور**، ج3، ص 165و غيرهم

6- اعتمد النصارى على مراجع مختلفة، و أهمها التاريخ الكنسي لسقراط، و بعض الوثائق الخاصة بالمجمع.

7- محمد أبو زهرة: **محاضرات في النصرانية**، ص 119-200، و أحمد عبد الغفور عطار: **الديانات و العقائد في مختلف العصور**، ج 3، ص 165.

آريوس وأتباعه يمثلون الأغلبية فكان عددهم يفوق سبعمائة أسقف[1].

أما المراجع النصرانية، فتذكر أن عدد المجتمعين كان 200 بطريكا في ربيع سنة 325 م، وحسب المؤرخ سقراط بدأ المجمع أشغاله في 20 ماي [2]، و في مراجع أخرى تذكر أن عدد المجتمعين ما بين 220 و 250 أسقف [3]، و هناك من يقول بأنه يزيد على 300 أسقف[4].

و على العموم لا يزيد عدد المجتمعين عن 300 أسقف في المراجع النصرانية، و قد حفظت أسماء مائتين و عشرون منهم، و كانوا أساقفة شرقيين ذوي ثقافة يونانية، و قد أقر المجمع موقف أثناسيوس Athanase [5]، الذي تصدى لآريوس بعد موت أستاذه ألكسندر، و شجب رأي آريوس و أدانه، وكان أوسابيوس القيصري Euscbe de Césaré [6] قد عرض على المجمع قانون إيمان كنيسته فقبلوه، و أضاف الأساقفة عند الكلام عن ابن الله صفة " هوموأوسيوس " Homoousios، التي تعني أن الابن من نفس جوهر " Ousia " الأب أو مساو لجوهر الأب (Consubstantiel)[7].

و هذا نص قرار مجمع نيقية : " **نؤمن بإله واحد، أب ضابط الكل، خالق كل الأشياء، ما يرى و ما لا يرى، و برب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الأب، أي من جوهر الأب، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، له و للأب جوهر واحد(هوموأوسيوس)، به كان كل شيء، ما في السماء و ما على الأرض، الذي من أجلنا نحن البشر، و من أجل خلاصنا نزل من السماء، و تجسد و صار إنسانا، و تألم في اليوم الثالث و صعد**

1- أحمد عبد الغفور عطار: المرجع نفسه، ج3، ص 165.

2- René Metz : **Histoire des conciles**, p 21.

3- فاضل سيدراوس: **يسوع المسيح في تقليد الكنيسة**، ص 90.

4- جان كمبي: **دليل إلى قراءة الكتاب المقدس**، ص 119.

5- ولد حوالي سنة 296 و هو بطريك الإسكندرية، وأحد آباء الكنيسة، حارب الآريوسية و كان يدافع على ألوهية المسيح ومساواته لله في الجوهر، أقيم مطرانا على الإسكندرية سنة 328م، و بعد موته سنة 373م، انتشرت تعاليمه في الكنائس من مؤلفاته" رد على الوثنيين" و" في تجسد الكلمة" و " الدفاع عن الإيمان" . (Royston p : **Dictionnaire des Religions** p 30 و صبحي حموي اليسوعي: **معجم الإيمان المسيحي**، ص17.)

6- أسقف و مؤرخ مسيحي ولد سنة 246 بفلسطين، و يسمى أبو التاريخ الكنسي، أصبح بطريكا قيصريا سنة 313، و كان المستشار المفضل لقسطنطين، له عدة كتب تاريخية، أهمها " التقويم"و " التاريخ الكنسي"، توفي سنة 340م. (: Royston p **Dictionnaire des Religions** , p 125 و صبحي حموي اليسوعي: المرجع نفسه ، ص79.)

7- جان كمبي: **دليل إلى قراءة الكتاب المقدس**، ص 119-120.وأيضا Fuornier Froncois : **incroyants et Acte de Foi quel longage pour la foi aujourd'hui, Culture et foi** (cahier n° 35-36 ete 74, lyon) , p 23-24.

إلى السماء، و سيأتي ليدين الأحياء و الأموات، و نؤمن بالروح القدس.

و الذين يقولن : " كان وقت لم يكن فيه الابن " و " قبل أن يولد لم يكن " و " قد خلق من العدم " أو الذين يعلنون أن ابن الله من أقنوم آخر (هيبوستاسيس) أو من جوهر آخر (أوسيا) أو أنه خلق أو أنه خاضع للتغيير أو التبدل، فالكنيسة الجامعة الرسولية تحرمهم. "[1].

و الشيء الملاحظ أن المجمع رسخ لألوهية المسيح، وذهب إلى أبعد من ذلك، فجعله من نفس طبيعة الله، كما أن الأساقفة أدخلوا المصطلحات الفلسفية في عقيدتهم الدينية مثل كلمتي هيبوستاسيس (أقنوم) و أوسيا (الجوهر) و هوموأوسيوس (الطبيعة).

و يحاول فاضل سيدراوس، إعطاء تبريرات لاستخدام الفلسفة لفهم الكتاب المقدس قائلا : " أما التعبير الفلسفي الجديد فيتيح لها – للكنيسة - الفرصة للتعمق في معنى الكتاب، فضلا عن أن الكنيسة بهذه الطريقة تتسلم (وديعة الإيمان) من الأجيال المؤمنة السابقة، لتسلمها للأجيال القادمة ببصمتها وبصمة عصرها و حضارتها و فلسفتها. "[2]

كما يرى أن الوحي موجه إلى البشر بكلمات بشرية تختلف من عصر إلى عصر، و من بيئة إلى بيئة، و من فلسفة إلى أخرى، لذلك وجب ترجمة الإنجيل بلغة كل عصر و كل بيئة وكل فلسفة، فيجب عصرنة الإنجيل ليفهمه البشر، و هذا ما فعله آباء الكنيسة في مجمع نيقية، فقد استخدموا الفلسفة السائدة في أيامهم، و فعلوا ذلك بروح إبتكارية، و جددوا قراءة الكتاب المقدس بحسب متطلبات عصرهم، ومن جهة أخرى فالإنسان دائما يوجه إلى الوحي أسئلة انطلاقا من واقعه ووضعه و من حضارته و ثقافته ولغته، فيجب أن يكون الرد عليها بطريقة جديدة و على مستوى تساؤلاته[3].

و يرد على هذا الكاتب بأن استخدام المصطلحات الفلسفية في مجمع نيقية زلة كبيرة أدت إلى تغيير مسار الديانة النصرانية، و تشويه معالمها، فالمصطلحات الفلسفية هي كلمات ذات مدلولات معينة، توصل لها الإنسان بعد أن أعطى لعقله مطلق الحرية، فهي لا تصلح لأن تشرح النصوص دونما ضبط، فحين يقول النصارى الله جوهر، و أنه و المسيح من طبيعة واحدة، و أنهما أقنومان، فقد أدخلوا على عقيدتهم مصطلحات غريبة عنها، و شاذة، و قد ألزموا أنفسهم بمدلولاتها، و قد أفرغوا النصوص من محتواها، وأعطوها طابعا فلسفيا يصعب على العقل فهمه.

1–جان كمبي: المرجع نفسه، ص 120–121 و **Dictionnaire de la théologie catholique**, T15, 2ème P. P. 1656.

2– **يسوع المسيح في تقليد الكنيسة**، ص 46.

3– المرجع نفسه، ص 52–54.

و يعترف فاضل سيدراوس بأن استعمال تلك المصطلحات في مجمع نيقية خطأ، إذ يقـــول : " ولكن خطأ مجمع نيقية أنه استعان بلفظة فلسفية واحدة (Ousia) في حين أن الكتاب يستخدم ألفاظـــا وألقابا عديدة للتعبير عن سر الله "[1].

و الحقيقة أنه لا يوجد في كتابهم كلمة توازي كلمة Ousia (جوهر) اليونانيـــة، فقـــد أثقلـــوا النصرانية بهذه المصطلحات التي شوهت معالمها.

المطلب الثاني : مجمع القسطنطينية و تقرير ألوهية الروح القدس.

أولا: الوضع الديني قبل مجمع القسطنطينية.

كان اتفاق نيقية موضع الجدال، فقد رفض الكثيرون لفظ " هوموأوسيوس " لأنه لم يـــرد في الكتاب المقدس، وقد رفض غالبية الشرقيين صيغة نيقية فيما عدا أثناسيوس أسقف الإسكندرية، وقـــد بقي الغرب اللاتيني أمينا لمجمع نيقية، وهذا راجع إلى وضوح مفهومي طبيعة و شخص في اللغة اللاتينيـــة منذ وقت بعيد، الأمر الذي لم يحدث في الشـــرق مـــع اللغـــة اليونانيـــة بـــين مفـــهومي (فـــيزيس وهيبوستاسيس)[2].

و قد أخذت الآريانية[3] تنتشر في النصف الثاني من القرن الثالث، فسادت لأسباب عديـــدة في كل الشرق، و خاصة في القسطنطينية العاصمة الجديدة للإمبراطورية، التي أصبحت جل كنائسها في يد الآريانيين[4]، حتى أن إمبراطور القسطنطينية الذي انفرد بالحكم سنة 351 م انحاز إلى جانب الآريانيـــة، وقد فرض صيغة أخرى لقرار المجمع النيقاوي، قال فيها بأن الابن مماثل لـــلأب هوموي ـــوس Homoios وليس من نفس جوهره، و ليس من طبيعة واحدة [5].

و في تلك الفترة طرح سؤال جديد على الساحة يتعلق بالروح القدس، هل هو الله، أم هل هـــو روح مخلوق ؟؟، و يبدو أن ترويج المدرسة الإسكندرية للأفكار الأفلاطونية الحديثة، هو ســـبب بـــروز

1-فاضل سيدراوس: المرجع نفسه، ص 55.

2- جان كمبي، **دليل إلى قراءة الكتاب المقـــدس**، 122

3- نسبة إلى آريوس.

2- René Metz : **Histoire des conciles**, P 22- 23.

5- جان كمبي، المرجع السابق، ص 122.

دلك السؤال، فقد كانت ترى بأن " المسيطر على العالم ثلاث قوى مؤثرة فيه، قوة المكون الأول (الأب)، والعقل (الابن)، و النفس العامة (الروح القدس) "[1]، و كانت هذه الأفكار تفرض على عقول النصارى عن طريق أساقفة المدرسة الإسكندرية، و قد أنكر الآريانيون ألوهية الروح القدس، حتى سموا بمحاربي الروح، و أخذ **مقدونيوس**[2] يجاهر بأن الروح القدس ليس بإله بل هو مخلوق مصنوع، فاضطر المقربون من الإمبراطور **ثيودوسيوس Théodose**[3] إلى إبلاغه بما أسموه بدعة مقدونيوس، فقرر ثيودوسيوس عقد مجمع بالقسطنطينية لإرجاع الوحدة الدينية و السلم للبلاد.

ثانيا: مجمع القسطنطينية الأول .

قبل انتهاء عام 380 م، أرسل **ثيودوسيوس** في طلب البطاركة الشرقيين، إلا بطاركة مصر الذين حضروا المجمع بدون دعوة، و قد حضر المجمع حوالي 146 بطريك، و ذكر مؤرخو القرن الخامس أن عدد الحضور كان 150 بطريكا[4]، و هذا هو العدد الذي تذكره المراجع الإسلامية، و قد ترأس المجمع **غريغوريوس النازيانزي Grégoire de Nazianze**[5]، الذي كان يرى بأن الله واحد في ثلاثة أشخاص، وهذه الأشخاص لا تختلف فيما بينها إلا في الخصائص الأصلية، فالابن ليس هو الأب، لأنه لا يوجد إلا أب واحد، و الروح ليس هو الابن، لأنه لا يوجد إلا ابن وحيد، والثلاثة؛ الأب و الابن و الروح القدس هم واحد في الألوهية[6]، و قد كان لرأيه هذا أثر كبير في قرار القسطنطينية.

و قد صادق المجمع على قرار مجمع نيقية، و أضاف هذه الفقرة : " **نؤمن بالروح القدس الرب**

1- محمد أبو زهرة: **محاضرات في النصرانية**، ص 206.

2- هو أسقف القسطنطينية من 342 إلى 360، شبه آريوسي، عزله الإمبراطور قسطنسيوس في 360 لاعتبارات سياسية كنسية، كان ينكر ألوهية الروح القدس. (صبحي حموي اليسوعي: **معجم الإيمان المسيحي**، ص 472).

3- هو إمبراطور روما، ولد سنة 347م، من أصل إسباني، أمر بعقد مجمع القسطنطينية، لتوحيد الفرق المسيحية المختلفة، توفي يوم 17 جانفي سنة 395م.(**Dictionnaire encyclopédique du Christianisme Ancien**, T 2, p 2417)

4- René Metz : **Histoire des conciles**, P 23.

5- ولد في قبادوقية ، حوالي سنة 329م، أصبح أسقف الإسكندرية سنة 379م، قام هو وصديقه باسيليوس، بالبحث في أثار أوريجينوس، فخرجا بكتاب مختارات من مؤلفاته " فيلوكاليّا"، قاوم الآريوسية والأبوليتارية، وأسهم في إعداد لاهوت الثالوث والتجسد. (صبحي حموي اليسوعي: المرجع السابق، ص 443- 444 و لويس غرديه، ج قنواتي: **فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية**، ص377-378.)

6- **Dictionnaire de la théologie catholique**, T15, 2ème P, P 1678.

المالك المحيي المنبثق من الأب، الذي مع الأب و الابن، يسجد له و يمجد "، و قد أضاف اللاتين في القرن الثامن عبارة " **الابن** " أي (المنبثق من الأب و الابن) التي صارت أحد أسباب الانقسام في قرن الحادي عشر بين الكنيسة اللاتينية و الكنيسة اليونانية [1]، و قد انتهى المجمع في 30 جويلية سنة 381م، وأعطوا ثيودوسيوس نتائج الاجتماع و خرج المرسوم الملكي الذي يلخص نتائج قرار مجمع القسطنطينية [2].

المطلب الثالث : مجمعي " أفسس " و " خليكدونية

أولا: الوضع الديني قبل المجمعين .

إن الخلافات الدينية لم تتوقف بعد قرار مجمع القسطنطينية، فما أن قبلت المساواة بين الأب والابن و الروح القدس، حتى بدأ التساؤل؛ كيف يمكن فهم الاتحاد بين لاهوت الكلمة و ناسوت المسيح ؟ فالكلمة أبدية في حين المسيح ولد و تألم ومات، فهل يمكن القول أن الله ولد و جاع وتألم ؟!.

فهذه الأسئلة أظهرت على الساحة اتجاهين في الفكر اللاهوتي، ففي **الإسكندرية** كان التشديد على وحدة المسيح انطلاقا من الكلمة (اللوغس)، فالمسيح عندهم هو الكلمة الذي اتخذ جسدا، و في **أنطاكية** كان التشديد على عنصري الكيان في المسيح، انطلاقا من الطبيعتين (اللاهوتية و الإنسانية) للوصول إلى الوحدة، مع التمسك ببشرية المسيح كاملة.

و قد كانت المصطلحات في ذلك الوقت غير واضحة، إذ كانوا يستعملون كلمة " فيزيس Physis " – طبيعة – بمعان مختلفة مما أدى إلى التباين في وجهات النظر [3].

و قد برز على مستوى الأحداث أسقفان أحدهما من الإسكندرية و هو **كيرلس Cyrille** [4]

1- جان كامبي، **دليل إلى قراءة الكتاب المقدس**، ص 125.

2- René M : **Histoire des conciles**, P 24.

3- جان كمبي: المرجع السابق، ص125.

4- ولد سنة 374م، و أصبح بطريكا للإسكندرية سنة 412. عزل نسطور من كنيسة القسطنطينية سنة 430، و قد أخرج اليهود من الإسكندرية، وكان له دورا مهما في مجمع أفسس ، و سيطرت أفكاره على الشرق المسيحي،توفي سنة 444 (Royston P : **Dictionnaire des Religions** P 98 و صبحي حموي اليسوعي: **معجم الإيمان المسيحي**، ص406.)

والآخر من القسطنطينية و هو **نسطور**[1]، ففي سنة 428 م، اتخذ نسطور موقفا من الاعتقاد " بأن مريم أم الله"، ففي نظره، لم يرد هذا اللفظ في الكتاب المقدس، و مريم لا يمكن أن تكون أما إلا ليسوع الإنسان[2]، لأن المسيح في الواقع شخصين، شخصا بشريا، و شخصا إلهيا، أما الشخص الإنساني فولدته مريم، و أما الشخص الإلهي فهو الكلمة الأزلية [3].

و قد تصدى له كيرلس الذي كان يرى بأن الكلمة و الإنسان **اتحدا** في يسوع، في طبيعة واحدة، و عزله سنة 430 م من الكنيسة القسطنطينية، مما أثار صخبا كبيرا و ألزم إمبراطور روما [4] إلى دعوة البطاركة سنة 430 م، لعقد مجمعا مسكونيا في مدينة **أفسس**.

ثانيا: مجمع أفسس.

حضر كيرلس إلى مجمع افسس و اصطحب معه خمسين من الأساقفة المصريين المؤيدين له، وكثيرا من الهدايا، و بالرغم من احتجاج مندوبي الإمبراطور و ستين من الأساقفة، افتتح كيرلس المجمع في 22 جوان 431 م، و عزل نسطور و أدانه و هذا بموافقة مائتي أسقف، وقد أكدوا على الوحدة في المسيح، و أضافوا إلى قرار مجمعي نيقية وقسطنطينية ما يلي : " تم الاتحاد بين الطبيعيتين [...] و بسبب هذا الاتحاد نعترف بأن العذراء القدسية هي أم الله (ثيوتوكوس) لأن كلمة الله صار جسدا، صار إنسانا"[5].

وقد عارض عدد من النصارى تعليم مجمع أفسس، و تبنوا رأي نسطور، و كان أغلبهم يقطنون العراق و بلاد فارس، و منهما نقلت تعاليم نسطور إلى الهند - فالسواد الأعظم من النساطرة اليوم يعيشون في الهند -وفي القرن التاسع عشر اتحد عدد كبير من أتباع نسطور بالكنيسة الكاثوليكية وهم

1- كان بطريكا للقسطنطينية من سنة 428 إلى 431م، حرم سنة 430 من الكنيسة بسبب قوله بوجود طبيعتين في المسيح، وقد عزله مجمع أفسس سنة 431، و نفي إلى البتراء، ثم إلى ليبيا أو مصر حيث توفي بعد سنة 451م. (صبحي حموي اليسوعي، المرجع نفسه ، ص 118، و Royston P : Op. Cit, P 228)

2- جان كمبي: **دليل إلى قراءة الكتاب المقدس**، ص125.

3- توماس ميشال اليسوعي: **مدخل إلى العقيدة المسيحية**، ترجمة : كميل حشيمة اليسوعي، ط1، (بيروت : دار المشرق، 1992م).

4- وهو، ثيودوسيوس الثاني .

5- جان كمبي: المرجع السابق، ص126.

يدعون الكاثوليك "الكلدان" و يعيش منهم في العراق و إيران وتركيا [1].

ثالثا: مجمع خليكدونية [2].

انعقد مجمع خليكدونية سنة 451 م، لأنه لم تكن مسألة اجتماع العنصر الإنساني و العنصر الإلهي قد حسمت بعد، فقد ظهر من يقول[3] بأن يسوع أقنوم(شخص) واحد ولكن ليس له طبيعة بشرية، بل طبيعة إلهية فقط،و قد عرف أصحاب هذا الرأي بالمونوفيزيين Les Monophysites (اليعقوبية) أي القائلين بالطبيعة الواحدة[4].

و قد عقد المجمع برئاسة أسقف روما - و قد أصبح فيما بعد حضور أسقف روما شرطا أساسيا للاعتراف بمسكونية أي مجمع - فقرئ قانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني، الذي أصبح مرجعا إيمانيا، و اتفقوا على أن المسيح واحد بطبيعتين فقالوا : " **و نحن إذ نتبع، و الحالة هذه، الآباء القديسين، فإننا جميعنا و بصوت واحد نعلم ابنا واحدا، هو ذاته ربنا يسوع المسيح، و هو ذاته كامل في اللاهوت، و هو ذاته كامل في الناسوت بنفس عاقلة و بجسد، له وللأب ذات الجوهر بحسب اللاهوت، و له ذات جوهرنا بحسب الناسوت، شبيه بنا في كل شيء ما خلا الخطيئة، مولود من الأب قبل كل الدهور بصفة لاهوته، لكنه في الأيام الأخيرة، من أجلنا و من أجل خلاصنا، ولد من مريم العذراء أم الله (الثيوتوكوس) بصمة ناسوته، هو ذاته مسيح واحد، ابن واحد، رب واحد، ابن وحيد، نعترف به قائما بطبيعتين، بلا تشويش ولا تغيير، بلا انقسام و لا انفصال، و اختلاف الطبيعيتين لم يمح على الإطلاق بالاتحاد، بل بالعكس تبقى خواص الطبيعتين سالمة و تتلقى في أقنوم أو هيبوستاسيس واحد.** "[5]

و يبدو من قرار مجمع خليكدونية أنه أعاد الإقرار بتعاليم نيقية و القسطنطينية و أفسس في شأن حقيقة طبيعة المسيح البشرية، و تجسد كلمة الله الأزلية فيه، كما أنه شرح تعاليم مجمع أفسس وترك

1- توماس ميشال اليسوعي: **مدخل إلى العقيدة المسيحية**، ص91.

2- مدينة قديمة من مدن بتينية في آسيا الصغرى، كانت تقع قبالة القسطنطينية، وهي اليوم كاديكوي، وقد عقد بها المجمع المسكوني الرابع سنة 415، الذي دعا إليه الإمبراطور مرقيانس بموافقة القديس لاون. (صبحي حموي اليسوعي: **معجم الإيمان المسيحي**، ص126.)

3- و هو أوطيخا الراهب من القسطنطينية.

4- Royston P : **Dictionnaire des Religions**, P 218.

5- جان كمبي: **دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة**، ص 129-130.

الباب مفتوحا لتطوير المفاهيم اللاهوتية في المستقبل.

و قد قبلت كنيستا **روما** و **القسطنطينية** تعليم مجمع خليكدونية، و رفضته كنيستا مصر (الكنيسة القبطية) و **سوريا** (الكنيسة اليعقوبية)[1].

و بعد عرض المجامع الكنسية التي حددت العقيدة النصرانية و جعلتها تثليثية، كما جعلت المسيح من نفس جوهر الله – تعالى عن ذلك - و كما جعلت للمسيح طبيعتين، إحداهما إنسانية والثانية إلهية، يمكننا القول بأن هذه المجامع ما هي إلا محاكم لا يتوفر فيها العدل، فهي تأتي بالخصمين المتنازعين، لتعطي لأحدهما صلاحية تقرير العقيدة، و تدين الآخر بمنتهى القسوة.

و هذا ما لاحظناه بالنسبة لآريوس و غيره، و يذكر كتاب Dictionnaire de la Théologie Catholique [2] بأن إدانة آريوس كان هو الجانب السلبي في قرار مجمع نيقية.

بالإضافة إلى ذلك فقد استعملت المجامع المصطلحات الفلسفية التي أثقلت النصرانية وجعلتها غير مفهومة حتى للنصارى أنفسهم.

كما أنه كان لأساقفة و بطاركة الإسكندرية دور كبير في الترسيخ لعقيدة التثليث، فهم حاملي راية القول بألوهية المسيح (الكلمة)، و القول بألوهية الروح القدس، متأثرين بأفكار الأفلاطونية الحديثة، يقول أبو زهرة بخصوص هذا الموضوع : " فهل لنا أن نقول، أن التثليث الذي اشتملت عليه فلسفة الإسكندرية كان يعلن على ألسنة بطاركتها، و أنهم كانوا يمثلون تلك الفلسفة بآرائهم أكثر من تمثيلهم لمسيحية المسيح عليه السلام، إن ذلك هو مفتاح التاريخ الصحيح، فمن أراد أن يعرف كيف حالت المسيحية من التوحيد إلى تأليه المسيح فليستعن به "[3]، فمفتاح التاريخ حقا هي المدرسة الإسكندرية التي كانت ملتقى الثقافات و الديانات، كالفلسفة اليونانية و الديانة المصرية و البوذية والأديان الأخرى، والتي أخذت من كل تلك الثقافات، و أثرت في الديانة النصرانية حتى قالت بالتثليث، فعقيدة التثليث هي وليدة ظروف تاريخية فرضت وجودها على العقل النصراني.

1- توماس ميشال اليسوعي: **مدخل إلى العقيدة المسيحية**، ص 92.

2- Tome 15, 2ème partie, P 1654.

3- **محاضرات في النصرانية**، ص 205.

المبحث الخامس

عقيدة التثليث في الفكر النصراني

المطلب الأول: الأقانيم و علاقتها ببعضها.

إن علـــم اللاهوت النصراني[1] الذي يقوم على القول بأن الله إله واحد في ثلاثة أقانيم، حاول جـــاهدا إيجـــاد علاقة تربط الأقانيم بعضها ببعض، فما هي نظرته للأقانيم، وما هي العلاقة التي تربط الأقانيم بعضها ببعض؟؟

أولا : أقنوم الأب.

إن المـــراد بـــالأب عـــند النصـــارى ، الذات الإلهية مجردة من صفتي الكلمة والحياة، يقول **توما الأكويني**[2] " ليس معنى الأب أنه ولد أحدا، وقد مضى حين من الدهر كان فيه الأب و لم يكن الابن، بل إنه مصطلح لاهوتي لا يعني إلا أن الأب مبدأ الإبن، كالذات تكون مبدأ الصفات، وإلا فإن الابن

1- إن علـــم اللاهوت يعرف بأنه: "العلم الذي يبحث في الله وصفاته وعلائقه بالعالم والإنسان"، و يدخل في اختصاصه ثمانية علـــوم هي: علم اللاهوت الكتابي، وعلم اللاهوت المنهجي، وعلم اللاهوت الطبيعي (فلسفة الدين)، وعلم اللاهوت الروحي (النسكي الصوفي)، وعلم اللاهوت الأدبي (الأخلاقي)، وعلم اللاهوت الرعوي، وهناك ميادين جديدة لهذا العلم هي: لاهوت الديانـــات، ولاهـــوت التحرر، ولاهوت الانبثاق.(توماس ميشال اليسوعي: **مدخل إلى العقيدة المسيحية**، ص105-120. وجميل **صليبا المعجم الفلسفي**، ج2، ص277.)

2- هو لاهوتي مسيحي، ولد سنة 1226م، بإيطاليا، كان من معلمي الكنيسة، وحججها في اللاهوت و الفلسفة المدرسية، أصـــبح دكـــتورا في علم اللاهوت ،و ألف العديد من الكتب في تخصصه، توفى سنة 1274م، وفي سنة1897 م، أعلن البابا ليـــون Léon13 ، جعل آراء توما الأكويني، العقيدة الفلسفية الرسمية للكنيسة الكاثوليكية، من مؤلفاته " الخلاصة اللاهوتية" و"خلاصـــة الرّد على الأمم". (صبحي حموي اليسوعي: **معجم الإيمان المسيحي**، ص 159،و Royston.p : **Dictionnaire des Religions**, p23).

موجود عندما يوجد الأب، وليس لأحد منهما سابقة زمنية على الأخر." [1]

أما عن سبب تسميته الذات الإلهية بالأب فالغرض منه لفت الأنظار إلى عدة حقائق، منها الإشارة إلى أن الخلق جميعا محتاج في وجوده إلى الله احتياج الابن إلى الأب، وأيضا للدلالة على أن الله لطيف بعباده عطوف عليهم عطف الأب على الابن [2].

أمـــا توماس ميشال فيرى بأن المسيحيين يدعون الله "أب" لأنهم ورثوا هذه العبارة عن اليهود. الذيـــن يدعـــون الله أباهم، ويدعون شعبهم ابن الله، وقد أضفى المسيح على هذه الكلمة معنا حميميا وصـــبغة عائلـــية، فعلم تلاميذه أن يقولوا « أبا » وهي عبارة تودد كالتي يستعملها الأولاد في العائلة لينادوا والديهم البشريين (وهي أشبه بكلمة بابا العربية) [3]

وأغلـــب الكتاب النصارى يرون أن الله سمي « أب » لأنه مصدر الألوهية، والمبدأ غير المخلوق الذي ينحدر منه كل كائن [4]، وهو الأب الأزلي لابنه المساوي له الذي يدعى الكلمة، والتي ولدها في الأزل [5].

هذا إذن تعريف مبدئي لأقنوم الأب، وسنتعمق في معرفته عند كلامنا عن علاقته بأقنوم الإبن إذ هناك يتضح لنا أكثر مراد النصارى من أبوة الله .

ثانيا : أقنوم الابن .

كانـــت فكـــرة تسمية إبن الله في الديانة اليهودية تستند إلى تقليد قديم، فكل الملوك القدماء من نسل داوود كان تبنيهم عند رسمهم لاستيلاء السلطة على أساس أنهم ابناء الله ، (جاء في داوود 7/ 2). " **أنت ابني و أنا اليوم ولدتك** " . و في صموئيل 7/14 : " سأكون أنا أباه...". لذا فاللغة التمجيدية التي استعملتها الكنيسة باكرا و التي طبقت على يسوع، كانت جزءا من التراث اليهودي.

1- محمد تقي العثماني: **ما هي النصرانية؟؟**، ترجمة: عالم الأميني الندوي، ط[ ]،(كراتشي: مكتبة العلوم، 1983م)، ص39-40.

2- المرجع نفسه، ص 40.

3- **مدخل إلى العقيدة المسيحية**، ص 55.

4- Vallentin J : **la foi des chrétiens** (paris : Editions Atstion 1949. P 113.

5- Abbé G Sepieter **: La doctrine catholique,** (paris : Lethillieux Editeur. Lille : René Girard librairie). P 24.

بدأت مقولة النصارى في المسيح أنه « ابن الله » في أول الأمر على أنها تعني البنوة الحقيقية التي نعرفها فيما بين الأباء و الأبناء من قرابة ونسب، وهذا لأن النصارى هرروا من أمر المسيح، لما وقع من بين يديه من معجزات، ولكنهم تداركوا الأمر بعد ذلك، وأصبحوا ينظرون إلى بنوة المسيح بنظرة فلسفية [1]، فقالوا بأن كون الله أب يعني حتما أن يكون له ولد وحيد ومولود يدعى ابنا لا بنتا، لأنه ظهر في العالم رجلا يمثل سلطة الأب الخصيب [2]، وهو مولود من الأب لأنه أخذ كل شيء منه، فهو يمتلك الجوهر الإلهي، وقد سمي في الكتاب المقدس **صورة الله: " الذي هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة "**[3]، فهو شبيه بالأب كالصورة التي تعكس كل تفاصيل الشيء[4] وقد سماه بولس بهاء مجد الأب وجوهره ،إذ قال: " **الذي هو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته بعدما صنع بنفسه...** " [5]

وقد سمى المسيح **الابن الوحيد**، وهذا لأنه ابن واحد ووحيد للأب،وهو مولود والبشر مخلوقون في الزمان و المكان، وقد خلقهم الأب على صورة ومثال ابنه [6] " **لأن الذين سبق فعرفهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه، ليكون هو بكر بين اخوة كثيرين** "[7].

و المراد بكلمة " **ابن الله** " في اللاهوت النصراني " **كلمة الله**" فكلمة الله ليست ككلام البشر، يقول **توما الإكويني** وهو يفرق بين كلام الله وكلام البشر: "ليس الكلمة وجود جوهري في الطبيعة البشرية فلا يقال لها ابن الإنسان أو مولودة، أما كلمة الله،فهي جوهر له وجود في ماهية الله فيقال له " الابن " حقيقة لا مجازا، وأما مبدؤها فيقال له "الأب" [8].

1- عبد الكريم الخطيب: **المسيح في القرآن و التوراة و الإنجيل**، ص 314-315.

2- هانس أورس فون بالتسار: **نؤمن، تأملات في قانون الرسل**، ترجمة: كميل حشيمة اليسوعي، ط1، (بيروت : دار المشوق 1994)، ص 19.

3- **كولوسي**، 1/ 15.

4- Vallentin J: **la Foi des chrétiens**, P 113-114.

5- **عبرانيين**، 1/ 3.

6- فاضل سيداروس: **سر الله الثالوث- الأحد**، ط2، (بيروت: دار المشرق 1995م)، ص 38.

7- **رومية**، 8/ 29.

8- محمد تقي العثمان: **ما هي النصرانية**، ص 40-41.

وهذه الكلمة أوجدت كل شيء، وهي قديمة أزلية، قدم و خلود الأب، وقد تجسدت، وسكن "ابن الله- الكلمة-" بين الناس ليخلصهم من الخطيئة.

وسبب هذا التجسد أن الابن يحب،ومن يحب يتحد بالمحبوب ويشاركه ما يعيشه من فرح وحزن وفقر وغنى، ولأنه يحب العالم أتى وسكن بين الناس ليشاركهم في وضعهم الإنساني، وقد مات على الصليب لأنه أراد أن يلحق بالبشر في قمة شقائهم، و قد دعي **عمانوئيل** أي الله معنا، فلا وجود لموت آخر من شأنه أن يعبر عن جوهر الله وعن الله الحب إلا الموت على الصليب [1].

فهذه هي الكلمة وهذا هو " ابن الله" في اللاهوت النصراني، ولكن كيف ولدت هذه الكلمة ومتى ؟ إن هذا ما توضحه لنا العلاقة التي تجمع أقنومي الأب و الابن.

ثالثا: العلاقة بين أقنومي الأب، و الابن .

إن هناك لفظتان يعبر بهما اللاهوت النصراني عن العلاقة بين الأب و الابن، و هما **المحبة والإلادة.**

1 – المحبة : يرى النصارى أن الله محبة استنادا إلى ما قاله يوحنا : " **أيّها الأحباء لنحب بعضنا بعضا لأن المحبة هي من الله و كل من يحب فقد ولد من الله و يعرف الله، و من لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة**"[2]، و كذلك : " **و نحن قد عرفنا و صدقنا المحبة التي لله فينا، الله محبة و من يثبت في المحبة يثبت في الله و الله فيه** "[3].

فالله حسب اللاهوت النصراني محبة و المحبة تستدعي أن يحب طرف طرفا آخر، و هذا الطرف لا يمكن أن يكون إله آخر، لأن ذلك يرفضه الإيمان بالله الأحد، و لا يمكن أن يكون هذا الطرف هو الله ذاته، لأن محبة الله لله هي منتهى الأنانية [4] المتناقضة كليا و المحبة.

1- رامي إلياس اليسوعي: **من هو الله ، موسوعة المعرفة المسيحية (العقيدة 4)**، ط1، (بيروت : دار المشرق 1994)، ص 35 و 51.

2- 1 يوحنا، 4/ 7-8.

3- 1 يوحنا، 4/ 16.

4- من العجب أن يعتبر النصارى حب الله لذاته أنانية، بل إن قولهم الله محبة بين أقانيمه هو الأنانية ذاتها، إذ أنزلوا أحد هذه الأقانيم و جعلوها تصلب و تلقى حتفها لا لشيء إلا لكي تخلصهم من خطاياهم، فيالها من أنانية ! !

و لا يمكن أن يكون هذا الطرف هو الإنسان، لأن الله محبة في حد ذاته بغض النظر عن خلقه للإنسان، و يبقى أن الله محبة في ذاته، في كيانه، في داخله، قبل خلق الإنسان، فالله محبة يعني أن كينونته محبة، فليست المحبة صفة من صفاته الكثيرة بل هي كيانه و جوهره [1]، فلابد أن يكون متعددا باختلاف في جوهره، لأن المحبة تفترض وجود علاقة، والعلاقة تتطلب وجود أكثر من واحد.

و عليه فالطرف الأول في هذه العلاقة هو الأب، والطرف الثاني هو الابن، و المحبة المتبادلة بينهما هي الروح القدس [2].

يقول بولس إلياس اليسوعي بخصوص المحبة : " إذا اطلعنا على كنه الله لا يسعنا إلا القول بالتثليث، و كنه الله محبة ... ولا يمكن إلا أن يكون محبة ... فالمحبة هي مصدر سعادة الله، و من طبع المحبة أن تفيض و تنتشر على شخص آخر، فيضان الماء و انتشار النور، فهي إذن تفترض شخصين على الأقل يتحابان و تفترض مع ذلك وحدة تامة بينهما، و ليكون الله سعيدا ... كان عليه أن يهب ذاته شخصا آخر يجد فيه سعادته و منتهى رغباته، و يكون بالتالي صورة ناطقة له، و لهذا ولد الله الابن منذ الأزل نتيجة لحبه إياه ... و بادل الابن الأب هذه المحبة ... و ثمرة هذه المحبة المتبادلة بين الأب و الابن كانت الروح القدس، هو الحب إذن يجعل الله ثالوثا و واحدا معا. "[3]

ويظهر من اللاهوت النصراني أن المحبة هي كنه الله، و قد فرضت هذه المحبة أن لا يبقى الله منعزلا وحيدا لأن في داخله ازدواجا و تبادلا بين طرفين أو أكثر، الطرف الأول هو الأب و الثاني هو الابن و المحبة المشتركة بينهما هي الروح القدس.

و هناك علاقة أخرى تربط الأب و بالابن غير المحبة، و هي الولادة أو الإلادة على حد تعبير اللاهوت النصراني.

1- فاضل سيداروس: **سر الله الثالوث-الأحد**، ص 28 و Vallentin J : **la Foi des chrétiens**, P 112

2-رامي إلياس اليسوعي: **من هو الله؟**، ص 31.

3- أحمد شلبي: **المسيحية**، ص 132 .

2 - ***الإلادة*** : يعتبر المسيح الابن الوحيد للأب " الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذي هو في حضن الأب هو خبر "[1].

كما أن الأب أحبه منذ الأزل " **أحببتني قبل إنشاء العالم** "[2]، و لهذا **ولده منذ الأزل**، ويرى فاضل سيداروس أنه يجب استبدال كلمة الولادة بالإلادة لتطهيرها من مدلولها البشري ولرتقي لمدلولها الإلهي، لأن إلادة الأب للابن أزلية، و أما الولادة الإنسانية الطبيعية فهي زمنية [3].

و الكتاب المقدس يستخدم تعابير تدل على أن الإلادة أزلية مثال ذلك " **في البدء** ... "، "**البداية**... "، " قبل إنشاء العالم ... "، " **قبل كل شيء** " ويقصد بها أن إلادة الأب للابن غير زمنية لأن الله خارج الزمن، بل هو خالق الزمن، و بالتالي فهي إلادة أزلية بعكس أية ولادة بشرية لأنها حتما زمنية [4].

و الكتاب المقدس يقول " أنت ابني أنا اليوم ولدتك "[5] فلا يمكن تمييز لا قبل و لا بعد كالأحداث التي تجري في الزمن، لأنه ليس للفظة " **قبل** " و " **بعد** " من معنى لله خالق الزمان، فلا يوجد وقت وجد فيه الابن دون الأب، فمنذ الأزل كان الأب و كان الابن [6].

و لم يلد الأب الابن مرة واحدة لأن **إلادة الابن سرمدية** - لا بداية لها و لا نهاية -، مستديمة، فالأب يلد ابنه بدون انقطاع، يقول **يوحنا الدمشقي** [7] في المقالة الثامنة : " كما أنه مع وجود النار يكون النور الصادر منها، و لا تكون النار أولا و بعد ذلك النور، بل يكونان معا، و كما أن النور الصادر من النار مولود معها دائما و لا يفارقها البتة، كذلك يولد الابن من الأب بدون أن يفارقه البتة،

1- **يوحنا**، 18/1 و أيضا **أعمال الرسل**، 33/13، **عبرانيين**، 5/1.

2- **يوحنا**، 24/17 و 26/23 و أيضا **يوحنا**، 35/3، 17/10، 9/15.

3- **يسوع المسيح في تقليد الكنيسة**، ص49.

4- فاضل سيداروس: **سر الله الثالوث الأحد**، ص 34.

5- **أعمال الرسل**، 13-33.

6- Vallentin J : **la Foi des chrétiens**, P 114.

7- ولد في دمشق سنة 676م، وهو لاهوتي أرثوذكسي، كان أحد المدافعين عن تكريم الأيقونات، توفى مسنا قبل سنة 754م، يعد آخر آباء الكنيسة اليونانية، أشهر مؤلفاته" منهل المعرفة" وهو يحتوي على ملخص للاهوت آباء الكنيسة.(صبحي حموي اليسوعي: **معجم الإيمان المسيحي**، ص 554.و .E. .Royston Pike : **Dictionnaire des Religions,** p 174.)

بل يكون فيه دائما. "[1]

كما أن ولادته روحية لا جسدية و لا مكانية، لأن الله روح لا جسد " الله روح"[2]، جاء في الكتاب المقدس : " مولود الجسد يكون جسدا ومولود الروح يكون روحا" [3]، فكل التصورات الجسدية والجنسية لا أساس لها، لأنه لا معنى لاشتراط عنصر ذكري و عنصر أنثوي في إلادة الأب ابنه، فالأب الذي يتعالى عن المكان يتعالى عن التمييز بين الذكر و الأنثى، لأنه خالق الذكر و الأنثى[4]، وفيه ما في المرأة من خصائص أساسية على نحو ما فيه من خصائص الرجل.

يقول هانس بلستار بأن الكلمة اليونانية Gennaô تعني في آن واحد الإيلاد و الولادة " فهو حدث أبدي تمتزج فيه الطبيعة الذات والفعل ... إنه فعل يلد بدون أن تكون له مستودع "[5].

و يقول فاضل سيداروس : " ... فإنه قد خلق الإنسان ذكر و أنثى في حين يجمع في كيانه العنصرين، إن صح هذا القول، فإنه خلق الإنسان على صورته كمثاله مع الفرق أنه خلق اثنين، بيد أنه واحد يجمع في كيانه ما خلقه اثنين "[6]، و إن كان المسيح يدعوه أبا، فهو أب وأم معا [7] يجمع في كيانه بين الأبوة و الأمومة، لذا خلق الأبوة و الأمومة، و قد قيل في مجمع ترليدو الحادي عشر سنة 675م: " إن حضن الأب – أي جوهره – يلد و ينجب الابن "، فسرد فعل " يلد " يظهر الفعل الأبوي، وسرد فعل ينجب يظهر الفعل الأمومي للأب[8].

و يرى اللاهوتيون بأن الأب لا كيان له في علاقاته الأبوية هذه، فهو هذه العلاقة مع ابنه، فليس هو إله ثم أب، بل هو إله بقدر ما هو أبو ابنه، فهو كله في إلادة ابنه، و لا شيء من كيانه خارج هذه

1- فاضل سيداروس: **سر الله الثالوث الأحد**، ص 35.

2- يوحنا، 24/4.

3- يوحنا، 6/3.

4- فاضل سيداروس، المرجع السابق، ص 36 و Moltmain J : **Trinité et Royaume de Dieu,** (Paris; les édition du cerf 1984) P 208

5- **نؤمن، تأملات في قانون الرسل**، ص 13.

6- فاضل سيداروس: **سر الله الثالوث الأحد**، ص 36.

7- إن النصارى رأوا أنه من غير اللائق أن يجعلوا لله زوجة تلد له إبنا لأن ذلك منافي للألوهية، لكنهم جعلوا الله يحمل خصائص الأنثى فيلد و ينجب، إنه حقا منتهى الإجحاف في حق الله تعالى عن ذلك.

8- المرجع نفسه، ص 36-37.

الإلادة، و لا شيء في كيانه في خارج هذه الإلادة، و قد تكلم أوغسطين في المعنى نفسه فقـــال : " لا يسمى الأب آبا بالنسبة إلى ذاته، وإنما بالنسبة إلى الابن، وأما بالنسبة إلى ذاته فهو الله فقط"[2] وقـــال يوحنا الدمشقي في المقالة الثامنة:

" حيثما الأب فهناك الابن المولود منه.
لأنه بدون الابن لا يسمى أبا.
و لو لم يكن له الابن لما كان أبا.
و لو صار له الابن بعد ذلك.
لصار أبا بعد ذلك فقط
ولتحول من أنه لم يكن أبا إلى أنه صار أبا ".[3]

أما توما الأكويني فيرى أن الأولوية في كينونة الأب، الأمر الذي جعله يلد الابن[4].

و بعد أن عرفنا أن إلادة الأب للابن روحية لا جسدية و لا مكانية و بأنها أزلية، و بأنه لا كيان للأب إلا في هذه الإلادة، و مع أننا لا نستوعب و لا نستسيغ كل ذلك، يحق لنا أن نتساءل كيف ولـــد الأب و الابن ؟

إن اللاهوت النصراني، يرى أن الأب يتفق مع نفسه، و يتكلم مع نفسه، و يلد الابن الذي هـــو كلمته، و يحب هذه الكلمة التي ولدها في حضنه، و هذه الكلمة هي في نفس الوقت إدراكه وتفكـــيره، وصورته العقلية المستمرة في الأزل [5]، و الأب يتلفظ بكلمة واحدة ووحيدة هي ابنه، وهو يتلفظ بها في المحبة، فالمحبة منبع الكلمة [6].

1-فاضل سيداروس: **سر الله الثالوث الأحد**، ص 37.

3-المرجع نفسه، ص 37-38.

4- المرجع نفسه، ص38.

5- Abbé G.S : **la doctrine catholique**, P 27.

6- فاضل سيداروس: المرجع السابق، ص 52.

و الكلمة ليس لها وجود مستقل خارج الأب، فالأب في الابـــن الكلمـــة و الكلمـــة في الأب "صدقوني إني في الأب و الأب في "[1]، يقول يوحنا الدمشقي–المقالة السادسة– في كلمة الأب : " هي أقنوم حي كامل لا يبتعد خارج عنه " و ذلك على خلاف " كلمتنا التي تتبدد في الهـــواء " و يضيـــف قائلا : " كما أن كلمتنا –لأنها صادرة من عقلنا – ليس هي وعقلنا شيئا واحدا في كل شيء، و ليست هي غيره في كل شيء، وبما أنّها من العقل،فهي غير ما هو، و بما أنّها تؤدي بالعقل إلى تبيان ذاته فليست هي غير العقل في كل شيء "[2].

و يعطي Abbé صورة من حياتنا البشرية تقرب ولادة الكلمة من الأب قائلا؛ بأن الفكر الـــذي نحسه **يولد** كالبذرة في عقولنا ، كابن ذكائنا، و هذا يعطينا فكرة عن ابن الله الذي ولد أزليـــا في فكـــر الأب السامي، لهذا أخذ ابن الله اسم " الكلمة "، فهو لم يولد كما تولد الأجسام، و لكن كما تولـــد الكلمة في داخلنا و التي نحس بها حين نفكر فيها[3].

وصورة الكلمة تتضمن أن يتلفظ المتكلم بكلمة موجهة إلى المتكلم إليه، فالأب المتكلم يتلفـــظ بابنه الكلمة، و يوجه الأب كلمته إلى البشر، فيرسل ابنه إليهم ، أو بتعبير آخر، الكلمة " وسيط " بـــين المتكلم " الأب " و المتكلم إليه " البشر "، فالعلاقة التي تربط المتكلم بالمتكلم إليه إنما هي الكلمة [4].

و بالرغم من التوضيحات التي عرضناها للفكر النصراني بخصـــوص ولادة الابـــن أو الكلمـــة، فالولادة تظل غير واضحة و لن تتضح حتى لو عرضنا كل ما في كتب علم اللاهوت قديمة و حديثة لأنها غير ممكنة و غير جائزة.

رابعا : أقنوم روح القدس .

إن الروح القدس هو اسم الأب و الابن و حبهما المتبادل، فهو روح الأب و روح الابـــن، و الأب ليس أب الاثنين، أما الروح فهو روح الاثنين،و الحب المشترك بين الأب و الابن،[5] واتحادهما الأزلي.

1- يوحنا، 11/14.

2- فاضل سيداروس: **سر الله الثالوث الأحد**، ص52.

3- **La doctrine catholique**, p 26.

4- فاضل سيداروس: **سر الله الثالوث الأحد**، ص53.

5- المرجع نفسه، ص87-88.

و هذه الروح كانت تعمل في الرسل و تكشف لهم أوامر الله و الأسرار المستقبلية، وهي التي قال عنها **إشعيا** : " لم أتكلم من البدء في الخفاء، منذ وجوده آنا ذاك، و الآن السيد الرب أرسلني وروحه "[1]، فالروح منفصل عن الله و هو الله نفسه، لأنه يرسل الرسل ويكشف لهم الأسرار المستقبلية، و هذه الروح التي تتكلم مع الرسل، و من خلالهم متحدة بالأب و الابن، و لا زالت الروح تنزل على المؤمنين المسيحيين، فيمتلئون بها و يعرفون بواسطتها ما لا يعرفه البشر، و هي مع ذلك متحدة بالأب و الابن[2].

و قد عبر أوغسطين عن العلاقة التي تجمع الأقانيم بقوله : " التثليث تراه عندما ترى المحبوب لأنهم ثلاثة، المحب و المحبوب و المحبة. "[3]

و المحبة فعل و مع ذلك تعتبر أقنوما، ذلك أن فعل الله في داخل الثالوث يطابق جوهره وكيانه، ففعل الله و جوهره واحد و على ذلك فالروح القدس و الله واحد، كما أن الروح القدس مركبة من كلمتين الروح " الله روح "[4] و " الله قدوس "[5]، و على ذلك فالروح القدس ليس صفة من صفات الله مثلما الأمر في العهد القديم – روح الله هي قوة الله – بل أقنوم بأتم معنى الكلمة، لأنه هناك تطابق بين شخصه و الطبيعة الإلهية، فالمحبة التي تجمع الأب والابن إنما هي أقنوم الروح القدس لا صفة من صفاته.

و ما يقال في الروح يقال في سائر الصفات الإلهية التي تطابق شخصية الروح القدس، كحكمة الله [6] و معرفة الله [7] و قدرة الله [8] و حياة الله [9] و أزلية الله [10] و مجد الله [11]، فالروح أقنوم تجمع

1- 48/16.

2- Abbé G.S : **La doctrine catholique**, P25.

3- Moltmann J : **trinité et royaume de Dieu**, P 81.

4- **يوحنا**، 4/24.

5- **رسالة إلى أهل رومية**، 1/4، و **عبرانيين**، 7/26 و **1 بطرس**، 1/5 و **أعمال الرسل** 4/30.

6- **أفسس**، 1/17.

7- **1 كورنثوس**، 2/ 10-11 و **أفسس**، 1/17.

8- **أعمال الرسل**، 1/8 و **رومية**، 15/17.

9- **رومية**، 8/2، 17. **2 كورنثوس** 3/6. **غلاطية**، 5/25 و 6/68. **1 بطرس**، 3/18-19.

10- **عبرانيين**، 9/14.

11- **1 بطرس**، 4/14.

شخصيته، صفات الله و صفات الطبيعة الإلهية [1].

يقول أوغسطين : " إن المراد من الروح القدس صفتا[2] الحياة و الحب للأب و الابـــن، أي أن الذات الإلهية (الأب) يحب بها صفة علمه (الابن)، و الابن كذلك يحب الأب، و هذه الصفة لها وجـود جوهري و قديمة و خالدة قدم و خلود الأب و الابن. "[3]

فقد اعتبر اللاهوت النصراني الروح أقنوما مستقلا مع أنه ليس ذاتا بل هو فعل المحبة المشـــتركة بين الأب و الابن.

خامسا: العلاقة بين أقنومي الأب و الابن و أقنوم الروح القدس .

يستخلص اللاهوت النصراني العلاقة بين أقنومي الأب و الابن و أقنوم الـــروح القـــدس مـــن النصوص التالية :

" ومتى جاء المعزى الذي سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي **عند الأب ينبثق فهو يشهد لي** . "[4]

" و أراني نهرا صافيا من ماء حياة لامعا كالبلور خارجا من عرش الله. "[5]

" **إن عطش أحد فليقبل إلي و يشرب. من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار مـاء حـي.** "[6]، وقد فسر **يوحنا الإنجيلي** هذا الكلام قائلا : " **قـال هـذا عـن الـروح الـذي كـان المؤمنـون به مزمعـين أن يقبلوه. لأن الروح القدس لم يكن قد أعطي بعد. لأن يسوع لم يكن قد مجد بعد** " [7]

و إذا جمعت هذه النصوص يظهر الروح متلاحما بيسوع المسيح، فهو روح الابن، والأب والابن يرسلانه معا، و الروح منبثق من الأب و الابن، وعلى هذا فالوحدة كاملة بين الأب والابن[8] و تظهر

1- فاضل سيداروس: **سر الله الثالوث الأحد**، ص 92-95.

2- نلاحظ تغير معنى الصفة من مفكر لآخر، فهناك من يعتبرها أقنوما، و هناك من يأخذها بمعناها الحقيقي.

3- The City of God(41 نقلا عن(محمد تقي العثمان: **ما هي النصرانية**، ص

4- **يوحنا**، 26/15.

5- **رؤيا يوحنا**، 1/22.

6-**يوحنا**، 7/ 37-38.

7- **يوحنا**، 7/ 38-39.

8- أنظر: **يوحنا**، 30/10 و 11/17، 22.

في بثقهما الروح[1].

والانبثاق في اللاهوت النصراني، هو صدور أقنوم إلهي من أقنوم إلهي آخر، والنصارى يرون أن في الله انبثاقان، إنبثاق ولادة وهو خاص بالأب، وانبثاق نفخ وهو مشترك بين الأب و" الابن" أو خاص " بالابن"، أو بالأب عن طريق الابن، وهذا الانبثاق الثاني يظهر بمظهر المحبّة في اللاهوت الأوغسطيني واللاتيني، وبمظهر الحياة في اللاهوت الشرقي[2].

و قد اختلف النصارى في قضية انبثاق الروح، فرأت الكنيسة الشرقية – القسطنطينية – أن الروح منبثق من الأب، و أما الكنيسة الغربية – روما – فرأت بأنه منبثق من الأب والابن[3]، و قد أدى هذا الاختلاف إلى انشقاق الكنيستين سنة 1045 م، و قام الكاثوليك والبروتستانت[4] بإضافة عبارة "**والابن** " إلى قانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني، و أما الأرثوذكس[5] فقد تمسكوا بالصيغة الأصلية، وقالوا بأن الروح منبثق من الله الأب فقط[6]، و قد اعتمد الغرب على عدة نصوص[7] لإدخال " و من الابن " في قانون الإيمان، و قد رأوا بأن الروح اشترك في تجسد الابن الأزلي، و قاد وحرك حياته الأرضية، وأقامه من بين الأموات، ويشهد له و يمجده في الكنيسة، و هذا يعني أنه اشترك مع الأب في إلادة الابن.

فالله يمنح الروح أن يلد الابن معه، كما أنه يمنح الابن أن يبثق الروح معه، هذا لأن الله وحده هو الأصل، و هو كله إشراك و لا يحتفظ بشيء لذاته، بل كل ما هو له، فهو**للابن ولروحهما**[8].

و أما عن وقت البثق، فيرى اللاهوت النصراني بأن الأب يبثق الروح، إذ يلد الابن، لأن الإلادة روحية، يشترك فيها الروح القدس؛ فالأب يبثق الروح في فعل ولادته ابنه، لأن الله لا يفعل إلا فعلا

1- فاضل سيداروس : **سر الله الثالوث الأحد**، ص 73-75 و Vallentin J : **la Foi des chrétiens**, P 115.

2- صبحي حموي اليسوعي: **معجم الإيمان المسيحي**، ص 67.

3-أحمد عبد الغفور عطاء: **الديانات و العقائد في مختلف العصور**، ج3، ص 146.

4- كلمة يونانية الأصل تعني الشهادة العلنيّة. وهي اسم أطلق على مجموعة الكنائس النصرانية المنتمية إلى الإصلاح، باستثناء الاتحاد الأنكليكاني(صبحي حموي اليسوعي: **معجم الإيمان المسيحي**، ص104و Royston Pike : **Dictionnaire des Religions**, p 258.)

5- كلمة يونانية معناها " استقامة الرأي" **وهي** تطلق على الفكر الموافق لتعليم الرسل، وتستعمل في آيامنا للدلالة على الكنائس الشرقية غير المتّحدة بروما.(صبحي حموي اليسوعي: المرجع نفسه، ص28. و Royston Pike : op Cit. , p237)

6- توماس ميشال: **مدخل إلى العقيدة المسيحية**، ص 98

7-مثال: **يوحنا**، 30/10، و 11/17 و 22.

8- فاضل سيداروس: **سر الله الثالوث الأحد**، ص 80 و Moltmann J : **Trinité et Royaume de Dieu**, P 228-229

واحدا و هي إلادة ابنه، و لا يتلفظ إلا بكلمة واحدة و هي ابنه الكلمة، ولقد قال يوحنا الدمشقي في هذا الصدد : " إننا نعلم بأن إلادة الابن و انبثاق الروح كانا معا. "[1]

وعـــن الفرق بين " الإلادة " و " الانبثاق " ، يقول يوحنا الدمشقي : " نعلم أن هناك فرقا بين الإلادة و الانبـــثاق لكننا نجهل كيفيته " فإن " الكيفية في الإلادة و الانبثاق تظل غير مدركة "، ويشبه يوحـــنا الدمشقي الفرق بينهما، بخلق آدم و حواء، فأما آدم فقد جبله الله و أما حواء فإنها "منبثقة من ضـــلع آدم"، و مـــع ذلـــك لا يختلف أحدهما بالطبيعة عن الآخر لأنهما بشـــر، بل يختلفان في طريقة وجودهما[2] .

أمـــا أوغسطين فيتساءل لماذا الروح القدس منبثقا و ليس مولودا، ثم يقر بجهله السبب[3]، ومع ذلـــك يعطي مثالا ليقرب به صورة الإلادة و الانبثاق إلى الأذهان، فيشبه الإلادة الأزلية بالإنسان الذي يلد فكرة بعقله و يعبر عنها بكلمة، فكما أن الفكرة و الكلمة وليدتا العقل، فكذلك الابن الكلمة وليد الأب، و أمـــا إرادة الإنسان فإنها لا تلد شيئا بل توجه نحو العمل، و مثل ذلك لا يلد الأب الروح، بل الروح هو اتجاه الأب نحو إلادة ابنه[4].

ويـــرى Vallenttin بأنـــه لا يوجـــد أي اختلاف بين ولادة الابن و انبثاق الروح، فالواحدة مســـتمرة بالأخرى و هما في اجتماع و اتحاد و في ألفة فائقة الوصف، لأنهما ليس لهما مكان إلا حضن الألوهية[5].

فالعلاقة التي يمكن أن نستخلصها مما سبق أن الروح شارك في إلادة الابن، و الابن شارك في بثق الروح و هما كانا معا. والحقيقة أن العقل يحار أمام هذه التفسيرات اللامنطقية.

1– فاضل سيداروس: **سر الله الثالوث الأحد**، ص80.

2- المرجع نفسه، 85. .

3- **Dictionnaire de la théologie catholique**, T15, 2ème P, P 1692.

4– فاضل سيداروس: المرجع السابق، ص86.

5- **La Foi des chrétiens**, p115

المطلب الثاني : الثالوث الأحد .

بعد أن تعرفنا على الأقانيم و علاقتها ببعضها، نعود إلى عقيدة التثليث لنفهم أو لنحاول فهم ما يقصده النصارى من هذه العقيدة، فهم لا يقولون بثلاثة آلهة كل إله مستقل بذاته Le Tritheisme بل يقولون بإله واحد في ثلاثة أقانيم.

فما معنى إله واحد في ثلاثة أقانيم ؟ و كيف يجمع الواحد و الثلاثة أو الوحدة والتعدد ؟!

أولا: إشكالية الوحدة و التثليث .

إن الله في اللاهوت النصراني واحد و طبيعة إلهية واحدة، لأنه لا يمكن أن يكون هناك اثنان لا متناهيان، و هذه الطبيعة توصف بكل صفات الكمال، و قد عرف جانب الطبيعة الإلهية بالعقل والإدراك، و النظر إلى أعمال الله التي تدل على وجوده و وحدانيته، و هو مع ذلك ثلاثة أقانيم، وهذه الأقانيم لم تعرف إلا عن طريق النصوص و الإيمان، فالله ليس طبيعة واحدة لشخص واحد، لأن النصوص تخبر بأنه ثلاثة أقانيم [1].

والأقانيم تمتلك طبيعة واحدة، مما يعني أن لهم أزلية واحدة، وقدرة واحدة، و عظمة واحدة، فهم كالأشعة النورانية تستمد بريقها و حرارتها من مصدر واحد، وكالجذع والفرع و الوردة مشتركة في طاقة واحدة، فلا وجود إلا لإله واحد، لأنه لا توجد إلا طاقة واحدة، و الأقانيم متساوية فيما بينها لا تختلف إلا في العلاقات التي تربطها ببعضها البعض [2].

و يحاول أوغسطين توضيح التثليث في وحدة ، بأن التثليث هو إله واحد، أزلية واحدة، قدرة واحدة، لكن ليس ثلاثة آلهة، كما أن الأقانيم الثلاثة لهم إرادة واحدة، فهم متساوون مساواة تامة، فالأب ليس أعظم من الابن، و الأب و الابن ليسا أعظم من الروح القدس، وكل أقنوم وحده ليس أقل من التثليث نفسه.

كما أن " الأب هو الله و الابن هو الله و الروح القدس هو الله، و الأب طيب و الابن طيب والروح القدس طيب، و الأب قادر و الابن قادر و الروح القدس قادر، و هم ليسوا ثلاثة آلهة طيبون

1- **Ecclésia**, P 108.
2- Vallentin J : **La Foi des chrétiens**, P 112.

و ثلاثة آلهة قادرون بل إله واحد طيب و قادر و هو التثليث نفسه. "[1]

و أما عن عمل الأقانيم في وحدتها فيقول **بوست** : " طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية، الله الأب، و الله الابن و الله الروح القدس، فإلى الأب ينتمي الخلق بواسطة الابن وإلى الابن الفداء و إلى الروح القدس التطهير، غير أن الثلاثة الأقانيم تتقاسم جميع الأعمال الإلهية على السواء. "[2]

و يظهر مما سبق، أن الله في اللاهوت النصراني طبيعة واحدة في أقانيم ثلاثة متساوية ولها نفس الصفات، و بالرغم من اختلاف وظائفها فهي إله واحد.

و بعد كل هذا يحق لنا أن نتساءل كيف يمكن لله الواحد أن يكون في ثلاثة أقانيم و لماذا هذا التعارض الصارخ المخالف لمنطق العقل، فكيف يمكن لله أن يكون واحدا و ثلاثة في آن واحد ؟!

لقد حاول اللاهوتيون منذ مجمع نيقية إلى يومنا هذا الجمع بين المتناقضين، الوحدة والتعدد و لم يجدوا حلا إلا في المنطق الجدلي[3] الذي تبناه النصارى المعاصرون، فقالوا بأن الأب و الابن وروح القدس واحد في ثلاثة و ثلاثة في واحد، بدون أي تعارض أو تناقض، وبدون أن يتلاشى أقنوم في الآخرين، لأن تمييز الآخرين لا يهدم وحدانية الله، و وحدانية الله لا تهدم تمييز الأقانيم، فعلاقة وحدانية الله و تمييز الأقانيم علاقة جدلية بتمام معنى الكلمة، أي أنها تدمج حقيقتين في حقيقة ثالثة، تجمعهما في ائتلاف جديد؛ فليس حقيقة الله كامنة في كونه أحدا و لا في كونه ثلاثة، بل في كونه أحدا و ثلاثة معا، أحد في ثلاثة و ثلاثة في أحد[4].

و يرى فاضل سيداروس بأن المفهوم اليوناني الخاص بعلاقة الواحد و الكثير، هو الذي زاد من صعوبة فهم الوحدة في التثليث، ففي الفلسفة اليونانية " الواحد " فقط هو إلهي، لأنه بسيط لا يتجزأ، فهو كامل، و أما " الكثير " فهو غير بسيط و غير كامل، لأنه يتجزأ و بالتالي فهو غير إلهي، و أما

1- **Dictionnaire de la théologie catholique**, T15 2ème P, P 1687.

2- محمد أبو زهرة: **محاضرات في النصرانية**، ص173.

3- راجع ص 3 من البحث، ففيها كلام عن هذا الموضوع.

4- فاضل سيداروس: **سر الله الثالوث الأحد**، ص 100.

المسيحية فترى أن الكامل كامن في علاقة، و بأن حقيقة الله كامنة في العلاقة الجدلية بين الواحد والكثير، فحقيقة الله في كونه واحد في ثلاثة و ثلاثة في واحد[1].

و لقد كثرت البحوث اللاهوتية بخصوص الوحدة و الكثرة، فانطلق اللاهوتيون الشرقيون من الأقانيم الثلاثة ليصلوا إلى إثبات وحدة الله، في حين انطلق اللاهوتيون الغربيون من طبيعة الله الأحد ليصلوا إلى الأقانيم الثلاثة، و قد ولّد اختلاف نقطة الانطلاق هذه وجهتي نظر مختلفتين[2].

فاللاهوت الشرقي ينطلق من التمييز بين الأقانيم، ثم البحث عن عنصر توحيد هذه الأقانيم، ولقد أقر بأن الأب هو عنصر التوحيد، و من هنا ركّز على وحدانية الأصل، إذ أن الأب هو وحده أصل الابن " **مولود من الأب** " و من هنا أيضا رفض اللاهوت الشرقي كما مر معنا اشتراك الابن في انبثاق الروح، لأن هذا الانبثاق مخالف لـ " **وحدانية الأصل** " المتمثلة في الأب وحده [3].

و أما الحديث اللاهوتي الغربي فينطلق من طبيعة الله الأحد ثم يبحث عن التمييز في الله و قد أقر بأن الله علاقة بين الأقانيم الثلاثة، و من هنا جاء القول بأن الروح القدس علاقة الأب بالابن، وبالتالي هو **ينبثق من الأب و الابن**[4].

و رغم اختلاف المدارس اللاهوتية، فغرضها واحد، و هو محاولة الجمع بين متناقضين، ولكن مهما حاولوا و مهما يحاولون يظل الجمع بين المتناقضين مستحيلا، و يظل شيئا لا منطقيا، لذلك لجأ البعض إلى القول بأنه سر من الأسرار الخاصة بالله وحده، لا يمكن للعقل أن يحيط به.

يقول رودريفو براون : " الثالوث الأقدس ليس سرا على المعرفة بشكل تام، و لكن هو سر على الإحاطة به، لذلك لا أجرب أن أحيط الثالوث الأقدس بعقلي، بل أشير إلى بعض المؤشرات التي أعطانا الله إياها في الكتاب المقدس. "[5]

و قد رأى بعض الكتاب الغربيين أن إشكالية الوحدة و التثليث تعارض منطق العقل فحاولوا

1- المرجع نفسه، ص 100، 102.

2- Moltmann J, **Trinité et Royaume de Dieu**, P 192.

3- فاضل سيداروس: **سر الله الثالوث الأحد**، ص 102-103.

4- المرجع نفسه، ص 103.

5- شوقي أبو خليل: **الحوار دائما و حوار مع مستشرق**، ط2 ، (بيروت : دار الفكر المعاصر، سورية : دار الفكر 1995م)، ص 136.

إيجاد البديل، فهذا **سويدنبرغ** [1] يطلق لفظ الثالوث على أقنوم المسيح معلما بثالوث و لكن **ليس** ثالوث الأقانيم، بل ثالوث الأقنوم، وكان يفهم بذلك أن ما هو إلهي في طبيعة المسيح هو الأب، و أن الإلهي الذي اتحد بناسوت المسيح هو الإبن و أن الإلهي الذي إنبثق منه هو الروح القدس.

و ذهب **كنت** [2] إلى أن الأب و الابن و الروح القدس إنما تدل على ثلاث صفات أساسية في اللاهوت و هي القدرة و الحكمة و المحبة أو على ثلاثة فواعل عليا و هي الخلق و الحفظ و الضبط.

و حاول كل من **هيجل** [3] و **شلنغ** [4] أن يجعلا لتعليم الثالوث أساسا تخيليا، و قد اقتدى بهما اللاهوتيون الألمان المتأخرون، و حاولوا عرض الثالوث بطرق مبنية على أسس تخيلية، وقد ظهر في الغرب من يعضد رأي السابليين على الخصوص [5].

ثانيا: بعض التشبيهات التي استعملها اللاهوت النصراني لتقريب الثالوث الأحد للأذهان .

بحث اللاهوت النصراني عن صور و تشابيه للتعبير عن العلاقة بين الأب و الابن وروح القدس، و لقد كثرت هذه التعابير شرقا و غربا[6]، و يعلق فاضل سيداروس على تلك التشابيه بأنها ناقصة

1- عالم طبيعي سويدي ، أصبح فيما بعد متصوفا ، مؤلفاته الفلسفية مشبعة بروح المذهب العقلاني ، تعهد بتفسير الإنجيل تفسيرا رمزيا، وقد تأثر مذهبه بمذاهب الغنوصية، مؤلفاه الرئيسيان هما " أركاناتوليستيكا" و" السماء والجحيم"وقد عاش ما بين 1688-1772.(م.روزنتال ، ب. يودين: **الموسوعة الفلسفية**، ص252.)

2- فيلسوف ألماني ولد سنة 1724م، درس الإلهيات والفلسفة والعلوم والرياضيات، ثم درّس بجامعة Koenigberg ، يعتبر مؤسس الفلسفة النقدية، توفى سنة 1804م، من أهم كتبه: "Critique de la raison pure" ، "Critique de la raison pratique" (**Mon encyclopédie,** CD-ROM 1. Et Gérard Legrand : **dictionnaire de la philosophie**, p155.)

3- هو فيلسوف ألماني، ولد سنة 1770م، بدأ في التدريس سنة 1831م، وكان دكتورا في اللاهوت، كان زعيم المثالية الألمانية، وقد لاقى فكره تأثيرا كبيرا على الأجيال اللاحقة، خاصة عند ماركس، توفي سنة 1831، أهم كتبه: " Phénoménologie de l'esprit"، "Science de la logique"، "Principe de la philosophie du droit" (Gérard Legrand, op cit., p130)

4-فيلسوف ألماني، ولد سنة 1775م، يعتبر من أهم ممثلي المثالية ، والرومانسية الألمانية، قام بتطوير فلسفة الطبيعة،توفى سنة 1854م، أهم كتبه " Philosophie de l'art "و" Philosophie des Religions " و" Philosophie et Religions " (**Mon encyclopédie**, CD-ROM 1. Et Gérard Legrand : **dictionnaire de la philosophie**, p235.

5- بطرس البستاني : **دائرة المعارف**، ط[ ]،(تهران: مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان، ت[ ])، ج6، ص 305-306.

6- سنذكر لاحقا الكثير من التشبيهات التي استخدمها اللاهوت النصراني، و هذا أثناء عرضنا للردود الإسلامية.

تماما، لأنها لا تظهر العلاقة القائمة بين أقنوم و الأقنومين الآخرين، كما أن جميع الصور والتشابيه تميز ثلاثة أقطاب، بيد أنه ثمة قطبين اثنين هما عنصرا الغيرية في الثالوث؛ الأب و الابن، أما الروح فهو عنصر الباطنية في الثالوث فهو يجمع الأب و الابن و هو فيهما.

و لتقريب صورة الثالوث للأذهان جاء الكاتب بتشبيه من عالم الطبيعة و الكيمياء، وهو الذرة، فالذرة مكونة من مركز موجب و قطب سالب حوله، مما يعبر تعبيرا مناسبا عن الأب الذي يهب (القطب الموجب) و عن الابن الذي يقتبل (القطب السالب)، و ما الروح سوى الطاقة التي تجذبهما، وتدفع الواحد نحو الآخر، فهما في علاقة الغيرية، و عندما تتفاعل الذرة مع الخارج، فهي تقوم بذلك عن طريق القطب السالب (و الابن هو الوسيط بين الله والبشر) [1].

و المثال الثاني الذي يعتبره الكاتب أفضل تعبير عن الثالوث، هو من عالم الأشخاص، ولاسيما الرجل و المرأة (الأب و الابن) و ما يجمعهما من حب الواحد للآخر (الروح القدس)[2]، وأيضا المرأة و أحشائها أو حضنها حيث يمكث مولودها، إذا اعتبرنا بأن الروح هو الأحشاء أو الحضن حيث يلد الأب ابنه الوحيد[3].

و قدم أوغسطين في القرن الثالث مثالا استفاد منه كل من درج بعده ... فهو يرى بأن دماغ الإنسان هو أداة العلم عنده، و أن العالم و المعلوم و أداة العلم، ثلاثة أشياء على الانفراد في الأغلب، فمثلا : " إذا كان لك علما بوجود زيد، فأنت عالم و زيد معلوم، و دماغك أداة العلم إذا فإن :

العالم ..... هو أنت.

و المعلوم .....هو زيد.

و أداة العلم ... هي الدماغ.

وبجانب ذلك فإن دماغك عنده علم بوجود نفسه أيضا، وعليه فالدماغ هو العالم وأداة العلم معا، لأن الدماغ حصل له العلم بنفسه عن طريق نفسه، فكان الواقع إذا كما يلي:

1- فاضل سيداروس: **سر الله الثالوث – الأحد**، ص 111.إن المثال الذي أورده الكاتب لا يمكن أن يطبق على عقيدة التثليث، فالذرة ليست مركبة من قطب موجب وآخر سالب فقط، فقد توصل العلم الحديث إلى أن الذرة تتألف من نواة موجبة الشحنة، مكونة بدورها من بروتونات ونترونات ودقائق خفيفة مختلفة، و من إلكترونات سالبة الشحنة. راجع(**Mon encyclopédie**, CD-ROM) وهذا يعني أن على النصارى تجزئة أحد الأقنومين حتى يمكن تطبيق مثال الذرة على عقيدتهم.

2- من المعلوم أن العلاقة التي تجمع الرجل والمرأة يسرى عليها التغير، وقد يزول حبهما لبعضهما، فهل يمكن للروح القدس أن يتغير ثم ينعدم؟؟ إن هذا المثال أيضا لا يوضح عقيد التثليث.

3-فاضل سيداروس: المرجع نفسه ، ص112.

العالم.....هو الدماغ

والمعلوم.....هو الدماغ

وأداة العلم.....هي الدماغ.

ففي المثال أن العالم و المعلوم و أداة العلم، ثلاثة أشياء في الواقع على الانفراد، و لكنها صارت واحدة، فقد كان العالم شيئا، و المعلوم شيئا آخر، و أداة العلم شيئا ثالث.

و لكن هذه الثلاثة كانت واحدا في المثال الثاني.

ثم يقول أوغسطين، بأن الله كذلك عبارة عن ثلاثة أقانيم و كل من هذه الأقانيم إله، ولكن ذلك لايستلزم أن يكون الإله ثلاثة و إنما هو إله واحد[1].

و نكتفي بهذا القدر من الأمثلة التي قدمها اللاهوت النصراني لتوضيح صورة التثليث، فالأمثلة كثيرة و كل عالم يحاول قدر الإمكان إقناع نفسه و غيره بما لا يعقل.

المطلب الثالث : التثليث و حياة النصارى .

إن الاعتقاد بالتثليث في اللاهوت النصراني هو محور حياة النصارى، لذلك فللتثليث علاقة وطيدة بالمؤمنين به، فكل الصلوات تبدأ أو تنتهي بالتحام بالثالوث المقدس، رمز الصليب الأب و الابن و الروح القدس[2].

فقد كان النصارى الأولون يدعون قائلين : " **نعمة ربنا يسوع المسيح و محبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم آمين** "[3].

و التعميد هو الذي ينمح الحق في الالتحام بالتثليث، فيدخل المتعمد في عائلة الله ويشارك في الحياة الإلهية [4]، و هذا بعد أن يعترف بالتثليث و يسأل ثلاثة أسئلة هي :

- هل تؤمن بالله الأب القادر خالق السماء و الأرض ؟
- هل تؤمن بالمسيح ابنه الوحيد الذي ولد و الذي تألم ؟

1- محمد تقي العثمان: **ما هي النصرانية**، ص 50-51. و راجع بخصوص التشبيهات: بولمان اليسوعي: **البطريك طيموتاوس الأول أو الكنيسة والإسلام في العصر العباسي**،(بيروت: دار المشرق، 1986)، ص13.

2- Vallentin J : **la Foi des chrétiens**, P 117.

3- **2 كورنثوس**، 14/13.

4- Guerry M : **Dans le christ total**, (Paris : desclée de bronwer, 1952), P 198.

هل تؤمن بالروح القدس ؟"[1]

ثم يسكب الماء على جبين المتعمّد، و تلفظ كلمات سرية و في تلك اللحظة يتحقق وعد الإله بالحرف : " **إن أحبني أحد يحفظ كلامي و يحبه أبي و إليه نأتي، و عنده نضع منزلا** "[2]، فيسكن الثالوث الروح، و تبدأ حياة جديدة، لأن الروح يكون على علاقة بحياة الله الخاصة، و بأقانيمه الثلاثة، فتحب الأقانيم تلك الروح، و يبقوا فيها مادامت حية، فتعرف الروح الله، و لا تبحث عنه خارجا عنها.

فالثالوث إذن يأخذ الروح نحوه و يتبناها، و يدخلها في شركته الثالوثية، و في عائلته الإلهية، فالله لم يخلقها إلا لكي يسحبها إليه و يرجعها إليه في اتحاد مع الثالوث المقدس[3].

و يرى اللاهوت النصرانِي أن لكل واحد من الأقانيم دوره في أرواح النصارى، يقول إيريني Irénée : " الأب يريد و يقود، و الابن ينفذ و يخلق و الروح تحفظ و تكمل، و الإنسان يسير شيئا فشيئا نحو الكمال و يلمس .. و يقترب من الكائن غير المخلوق "[4]

فالله في نظر اللاهوت النصراني لم يرد أن تكون علاقة الأشخاص به فقط ثالوثية، بل علاقة الأشخاص بعضهم ببعض لابد أن تكون كصورة الثالوث متلاحمة [5]، " **و أنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني، ليكونوا واحدا كما أننا نحن واحد، أنا فيهم و أنت في ليكونوا مكملين إلى واحد وليعلم العالم أنك أرسلتني و أحببتهم كما أحببتني.** "[6]

فاللاهوت النصراني إذن قال بإله واحد في ثلاثة أقانيم، كل أقنوم له علاقة تربطه مع الأقانيم الأخرى، و الأب يلد الابن في المحبة، و الروح القدس منبثق من الأب و الابن، كما أن الأب و الابن والروح القدس ليسوا آلهة بل إله واحد ليس له كينونة إلا في أقانيمه.

1- Vallentin J : **la Foi des chrétiens**, P 117.

2- **يوحنا، 23/14 و كذلك يوحنا، 20/14 و أفسس، 18/2.**

3- Guerry M : **Dans le christ total**, P 202-203.

4- Vallentin J : **la Foi des chrétiens**, P 118

5- Ibid, P 118.

6- **يوحنا، 17/ 22-23.**

فهذه هي عقيدة التثليث النصرانية التي تعارض جوهر التوحيد الخالص ، والتي تبناها فكر وقلب النصارى، فالشيء الملاحظ مما تقدم أنها نشأت عبر أطوار مختلفة، فقد قال بولس بألوهية المسيح وبنوته لله تعالى عن ذلك، كما روّج لعقيدة الخلاص، فغيّر بذلك مسار العقيدة النصرانية، ثم جاءت المجامع الكنسية ورسخت عقيدة التثليث، بالرغم من وجود معارضين لقراراتها، و قد أحاط المفكرون النصارى قرار المجامع الكنسية بالرعاية، فقام علم اللاهوت ليدافع عن عقيدة التثليث، هذه العقيدة التي سلبت التوحيد روحه وجعلت الواحد ثلاثة و الثلاثة واحد فعارضت بذلك المنطق و أطاحت بالعقل فجعلته عاجزا عن فهم نسقها.

والسؤال الذي يفرض نفسه ، من أين جاء النصارى بهذه العقيدة الشاذة عن لب الرسالات السماوية، فهل كانت موجودة قبل النصرانية أم أنها عقيدة ذات أصول نصرانية ؟!

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني

عقيدة التثليث في الديانات القديمة

المبحث الأول : التثليث في الأديان السائدة في بابل

المبحث الثاني: التثليث في الديانة المصرية القديمة

المبحث الثالث: التثليث في الديانتين البرهمية والبوذية

المبحث الرابع: التثليث في مدرسة الإسكندرية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

إن المتفحص لتاريخ البشرية والشعوب القديمة، يجد أنها تشترك في كثير من العادات والتقاليد، ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى اختلاط الأمم بعضها ببعض.

وعقيدة التثليث هي من أقدم العبادات الوثنية الضاربة في عمق التاريخ، فقد أجمع المحققون من علماء الآثار و المحققون من علماء الغرب، على وجود هذه العقيدة في الحضارات السابقة على ولادة المسيح، يقول برتشرد: "لا تخلو كافة الأبحاث الدينية المأخوذة عن مصادر شرقية من ذكر أحد أنواع التثليث، أو الواحد الثلاثي(أي الأب والابن وروح القدس) " [1].

فقد عبد الإنسان القديم-من بين ما عبد- ثلاثة آلهة، وهذا العدد ما هو إلا تحديد للعدد الكبير من الآلهة الذي بولغ فيه، كما أنه له صلة بعبادة الأبطال؛ تلك العبادة التي بدأت منذ فجر التاريخ، فقد كانت الجماهير تعبد البطل المتميز من بينهم، ثم يتخذ هذا البطل له زوجة، فتحتل معه منزلة الألوهية، وبعد الإنجاب يعين البطل أحد أبنائه ليتولى مكانه فيما بعد، فتسجد له الجماهير، ويتم بذلك الثالوث[2].

و قد كان البابليون أول من نظم آلهته أثلاثا، وهذا في الألف الرابع قبل الميلاد[3].كما أن المصريين والهنود عرفوا التثليث في مرحلة مبكرة من تاريخهم.

وقد عرف التثليث في حضارات مختلفة، ففي إندونيسيا مثلا، عبد ثلاثة آلهة كل إله له جانب خاص من السلطان والتدبير.وهم على التوالي:

الأول: **Dibata Iturutt** الذي يبسط سلطانه على العالم العلوي.

الثاني: **Dibata Hengah** الذي يبسط سلطانه على العالم الأرضي.

1- محمد علي برو العاملي: **الكتاب المقدس في الميزان**، ط[ ]،(بيروت : الدار الإسلامية، 1993م)، ص334.

2- توماس كارليل: **الأبطال**، ترجمة: محمد السباعي، ط3،(مصر: المكتبة المصرية بالأزهر، 1930م)، ص50-52.

3- أحمد شلبي: **المسيحية، مقارنة الأديان**، ج2، ص 135 .

الثالث : **Dibata Heruh** الذي يبسط سلطانه على ما تحت الأرض[1].

وقد عبد الفرس أيضا إلها مثلث الأقانيم، هو: **أورمزد ومتراث وأهرمان**؛ فأورمزد هو الخلاق، ومتراث هو ابن الله، المخلص الوسيط، وأهرمان هو المهلك.و قد وجد في كتابات الشرائع الفارسية هذه الجملة "الثالوث اللاهوتي مضيء في العالم ورأس هذا الثالوث موناد"[2].

وكان الدرديون يعبدون إلها مثلث الأقانيم، هو **تولاك وقان ومولاك**.

وسكان سيبيريا القدماء كانوا يعبدون إلها مثلث الأقانيم، ويدعون الأقنوم الأول "خالق كل شيء "والثاني" "إله الجنود"، و الثالث "روح المحبة السماوية"، ثم يقولون أقانيم ثلاثة إله واحد[3].

والمكسيكيون عبدوا إلها مثلث الأقانيم، ويدعونه "**تزكتاليبوكا**"، ومعه إلهان آخران، أحدهما "**إهوتزليبوشتكي**" ويصور واقفا عن يمينه، والثاني "**تلالوكا**" واقفا عن يساره[4].

وأما عقيدة الكلمة، فقد عرفت في الفلسفة اليونانية باللوغس Logos، وكانت تفهم على أنها القوة العاقلة في جميع الكون. وأول من استعملها هو الفيلسوف هرقليطس، ثم طورها فيلون وأخذها عنه اللاهوتيون النصارى فيما بعد.

ولأن عقيدتي التثليث والكلمة، كانتا لهما جذورا وثنية، آثرنا اختيار أهم الأديان التي كان لها الأثر الكبير في ظهور عقيدة التثليث النصرانية، والتي هي:الديانات السائدة في بابل، الديانة المصرية، والهندية(البرهمية والبوذية)، وكذلك الأفكار السائدة في المدرسة الإسكندرية خاصة فكر قطبيها الشهيرين فيلون وأفلوطين.

1-**التفكير الديني في العالم قبل الإسلام**، عرض وترجمة وتعليق: رؤوف شلبي، ط[ ]، (الدوحة: دار الثقافة، ت[ ]) ص57-58.

2-دوان: **خرافات التوراة والإنجيل**،(نقلا عن، محمد علي برو العاملي: المرجع السابق، ص338.)

3- دوان : **خرافات التوراة والإنجيل**،ص377. نقلا عن: (علي برو العاملي: **الكتاب المقدس في الميزان**، ص342.)

4-علي برو العاملي: المرجع نفسه، ص342-343.

المبحث الأول

التثليث في الأديان السائدة في بابل

لم تخل الحضارة البابلية من دين، كما هو الشأن بالنسبة لباقي الحضارات، فأقدم نصوص وصلتنا عن الدين في بابل ترجع إلى ما بين 4000 و 3000 قبل الميلاد[1]، بالإضافة إلى نصوص العهد القديم.

و تظهر تلك النصوص أن أرض بابل عرفت التعدد و الوثنية منذ زمن بعيد، و أن أجداد إبراهيم عليه السلام في أور[2] كانوا معددين، و عرفوا الثالوثات قبل أيام حمورابي[3].

و قد أعطى لنا القرآن الكريم فكرة عن الشرك و التعدد في بابل، حيث قال عز و جل ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ۞ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ۞ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۞ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ۞ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۞﴾[4]

و يظهر من النصوص الهيروغليفية الأكثر قدما، والتي تعتبر سابقة على أقدم تسجيلات مسمارية، أن التوحيد كان سابقا على التعدد[5].

و يقول فورنيي **Fournier** : " إن البابليين آمنوا بإله واحد متعال"[6] و قد كان للآلهة البابلية

1- P. Fournier : **Histoire des religions non chrétiennes**, (Paris : A.G, Raudon, 1928), P.94.

2- مدينة قديمة تقع في جنوب بابل، بلغت قمتها في عهد السومريين ما بين 3000 و2200 ق م، حسب التوراة، وهي مسقط رأس إبراهيم عليه السلام.(**Mon Encyclopédie**, CD- ROM, 1)

3- هو ملك بابلي، حكم من سنة 1792 إلى 1750 ق م، وهو مؤسس أول مملكة بابلية، اشتهر بقانونه الذي أملاه عليه الإله شمس حسب المعتقدات القديمة،وقد وجد مكتوبا في مسلة طولها2,25 م، وهذا في سنة 1902م.(E. Royston Picke : **Dictionnaire des religions** P.146, Et Mon Encyclopédie, CD- ROM, 1)

4- *الأنبياء* / 51-56.

5- Vigouroux : **La Bible et la découverte moderne en Palestine, en Egypte et en Assyrie**, 5eme édition, (Paris : Brèche et Tralin) P.45

6- P. Fournier : **Histoire des religions non chrétiennes**, P. 95.

نفس خصائص الآلهة السامية، فالساميين اعتقدوا بإله واحد هو " إل "، و هذا الاسم نجده عند البابليين مشتركا بين الآلهة، و قد كان للبابليين فكرة عن الطبيعة الإلهية إذ أعطوا للآلهة حياة حقيقية، و اعتبروها أزلية و من صفاتها الطيبة و الرحمة [1] .

و يظهر أيضا في المجال الضمير الأخلاقي معرفتهم لله، فقد كانوا يقولون « الله معنا » و « الله هو أبي »، « خادم الله »، كما أن قانون حمورابي ينص على عرض المتهم « أمام الله »[2].

لكن في مجال العبادة نجد البابليين معددين، و يرجع ذلك إلى أنهم كانوا مزيجا من السومريين[3]، و الأكّاديين[4] الساميين، مما أدى إلى تعدد الآلهة و كثرتها، فقد أحصى عددها إحصاء رسميا في القرن التاسع قبل الميلاد فكانوا حوالي خمسة و عشرون ألف و خمسة آلهة [5] .

المطلب الأول : الثالوثات البابلية .

بعد اتساع رقعة الدولة البابلية عقب الحروب، قل عدد الآلهة شيئا فشيئا بعد أن فسرت جميع الآلهة بأنها صور أو صفات للآلهة الكبرى[6]، و قد قسم البابليون آلهتهم إلى مجموعات كل مجموعة متميزة المكانة و القدر و جعلوها ثالوثات، و يظهر أن البابليين هم أول من قال بالثالوث و هذا في القرن الرابع قبل الميلاد [7].

1- Sous la direction de Abbé R Aigrin : **Ecclésia,** P730.

2- P. Fournier **: Histoire des religions non chrétiennes** P. 94.

3- هم شعب ظهر في القرن الرابع قبل الميلاد، سكنوا ما بين 3000-1800 ق م، منطقة تقع جنوب شرق بلاد ما بين النهرين، (**Mon Encyclopédie**, CD-ROM)

4- هي قبيلة عربية منذ زمن موغل في القدم، من الجزيرة العربية هاجرت إلى الهلال الخصيب هروبا من الجفاف، وبعد ترحال مستمر، استقر بهم المقام في بلاد السومريين، في المنطقة الجنوبية من العراق الحالي،وقد امتزجت هذه السلالة بالساميين الغربيين، وأصبح لها شأن كبير في تاريخ بابل. (عبد الوهاب الكيلاني (مؤسسا)، ماجد نعمة(مديرا): **موسوعة السياسة**، شارك في التحرير: محمد بشير الكافي ، سعد زروق، لبيب شقير، ط3، (عمان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990)، ج1،ص453، ج4،ص44.

5- ول ديورانت : **قصة الحضارة** ، م1، ج2، ص213.

6- المرجع نفسه،ص 214

7- أحمد شلبي : **المسيحية**، ج2، ص 135 و P. Fournier,: **Histoire des religions non chrétiennes**, P 96

و يرجع تكون أو نشأة أهم و أول ثالوث في الديانة البابلية، إلى قصة الخلق، ففي البدء كان العـــدم ثم ظهر الماء العذب و ماء البحر، فسمي إله المياه العذبة آبسو، و إله المياه المالحة تيامات، و أنجب آبســـو وتيامات بتزاوجها أول ثالوث[1] و هو :

1- آنو Anou : إله السماء الأعلى الذي لجأت إليه الآلهة أثناء الطوفان فسمي أبو الآلهة[2]، و هو ابن الإله الأعظم "إل" رب الأرباب و أصل الآلهة الذي أولده هو و الإله "بل".

و قيل أن اسم " أنا " بمعنى " الله " و يقال له " أنو " إذا كان فاعلا، و " أنا " إذا كان مفعـولا، و " أني " إذا كان مضاف إليه، و من ألقابه، القديم و الرأس الأصلي و رب الأرواح و الشياطين، وملك العالم السفلي و سلطان الظلام و رأس الموت[3]. و هذا الإله لم يحتفظ بسلطته العليا، كأسمى الآلهة، فبعد انتقال السيادة من سومر إلى بابل، أصبح إله هذه الأخيرة " مردوخ " على رأس الآلهة جميعها، و حـــل محل الإله " أنو "[4].

2- بل Bel أو إنليل Enlil : و هو سيد العالم الأرضي و ملك الإنسانية سلاحه القاهر هـــو الطوفان[5].

3- إيا Ea : و هو إله المحيطات الذي خلق العقل و الفكر ثم خلق الفنون و الصناعة للإنســان، و هو إله نصفه حوت و نصفه الآخر إنسان[6]، و هو مبتكر حروف الهجاء، و هو حامل أول عنـــاصر الحضارة[7] و سيد الأرض المتحكم في مسكن المعرفة أي المياه التي تحيط بالأرض و تحملها، و هو إله

1- Saurat Denis: **Histoire des Religions**, p97-98.

2- P. Fournier,: **Histoire des religions non chrétiennes**, P 97.

3- محمد رشيد رضا : **تفسير المنار**، ط2،(بيروت : دار المعرفة، ت[ ]) ج7، ص 566.

4- محمد أبو المحاسن عصفور : **معالم حضارات الشـــرق الأرض القـــديم**، ط ، بـــيروت : دار النهضـــة العربيـــة، 1987، ص 216

5- P. Fournier,: **Histoire des religions non chrétiennes.**, P 97.

6- Ibid, p97.

7- أحمد عبد الغفور عطار : **الديانات و العقائد في مختلف العصور**، ج1، ص 216.

الحكمة، خلق الإنسان من كتلة من طين نفخ فيها نسمة الحياة، كما أنه منقذ البشرية من الطوفـــان[1] وهذا الإله من أصل سومري بلده معروفة بالسحر و الإيمان الشديد بفكرة التجسد[2].

أما **ثاني ثالوث** بابلي فهو :

1- سن Sin : القمر و هو الذي يحدد الأيام و الأشـــهر و الســـنوات و يتصـــف بالحكمـــة العملية[3] و هو أبو "عشتار" و "شمس" و يرمز له بثور قرناه "شمس" و "عشتار"[4].

2- شمس Shamash :وهو إله العدالة الذي أملى قانون حمورابي، وهو أيضا إله التنجيم [5] وإله النهار والنور، الذي يتتبع الشر ويعاقب المتهمين[6]

3- عشتار Ishtar : وهي كوكب الزهراء، و نجمة الصباح وابنة سن و أخت شمـــس نجـــمة السماء، وهي أيضا ابنة آنو، كما أنها إلهة مزدوجة، ففي الصباح تكون إله مذكر مهتم بالأمور الحربيـــة وفي المساء تكون إلهة الإغراء[7].

و **ثالث ثالوث** هو :

1- نينب Ninib : إله الحرب، و الصيد، و هو إله دموي.

2- مردوخ Mardouk : و هو الإله المحلي لبابل، استحوذ على جميع الأدوار الإلهية، فهو مسيّر الكون، و إله الحكمة و العلوم، و القوة و القدرة[8]، و تروى لنا بعض النصوص التي ترتقي إلى العهد الحمورابي، أن أكبر الآلهة تنازلت لصالح مردوخ، إله العاصمة بابل و منحوه ملكا أبديا، أي الملك

1- محمد أبو المحاسن عصفور : **معالم حضارات الشرق الأدنى**، ص 216 – 217.

2- **Ecclesia**. P 731.
3- Ibid., P97.
4- P. Fournier, P 97 : **Histoire des religions**. Paris.
5- Ibid., P97.
6- **Ecclesia**, P731.
7- Denis Saurat : **Histoires des religions**. P98, et **Ecclesia** P731.
8- P. Fournier, P 99 : **Histoire des religions**. Paris.

على العالم بأسره، فغدا " بل " أو " بعل " بمعنى " السيد " لهذا لقب بـــ " بل مردوخ " [1].

3- أسحور Ashour : و هذا الإله أخذ عند سيادة الآشوريين مكانة مردوخ [2].

و رابع ثالوث هو :

1- أفرات Euphrate : الإله النهر و يسمى أيضا إله الخير.

2- نسكي Nasku : إله النار، و يعتبر ابن إله السماء آنو و رسول الآلهة.

3- حداد Hadad : إله الريح و الأمطار و الأعاصير[3].

فهذه هي أهم الثالوثات البابلية، والشيء الملاحظ أن التثليث البابلي، مصدره ثنائي من الآلهـــة (إله و إلهة) و هما أبسو و تيامات، و مردوخ نفسه له زوجة هي نين كـــارزاج Nin Karsag، و تقـــوم بإرضاع الملوك الجدد، حتى ترسخ بنوتهم الإلهية[4].

فالإلهات كان دورهن الرئيسي ولادة السلالة الإلهية، و قد كان لكل إله زوجة، فزوجة آنو هي آناتي، و زوجة بل هي بليت، و زوجة إيا هي دماكينا، و زوجة سن ننجال، و زوجة شمس هي آجـــا، وأهم تلك الإلهات هي الإلهة عشتار [5].

و مما تقدم نستنتج أن العنصر النسوي أسندت إليه مهمة إنجاب " ابن الإله " أو الآلهـــة بصفـــة عامة، كما أسندت إلى الإلهة مهمة إرضاع الملك الذي يصبح ابنها بالتبني.

ومن الممكن أن تكون فكرة " إنجاب الإله " التي تقول بها النصرانية ليست بعيـــدة عـــن هـــذا المعتقد، إن لم نقل بأنها البذرة الأولى لفكرة " ابن الله ".

و قد كان الإله في الديانة البابلية يدعى الأب، و كان الإنسان يدعـــى " ابـــن الله "، وكـــان البابليون يعتبرون الملك الحقيقي للبلد هو الله و أما الملك (الأرضي) فيعتبر ابنه[6].

1-موريس كروزيه : **تاريخ الحضارات العام، الشرق و اليونان القديمة**، ط2، بيروت : منشورات عويدات، ج1، ص166.

2- P. Fournier, P 99 : **Histoire des religions**, Paris.

3- **Ecclesia**, P731.

4- Royston Pike : **Dictionnaire des religions**, P36, et **Briault** R P M : **Polythéisme ET fétichisme**, (librairie Bloud et gay, 1929), P13, et **Ecclesia**, P731.

5- Royston Pike : **Dictionnaire des religions**, P36.

6- Ecclesia, P732.

الحكمة،والدال على الله، ونائب الله، وصورة الله، والكاهن، وخالق العالمين، الإله الثاني، و المعبر عن الله، و سفير الله، و الملك والملاك، الإنسان، الوسيط، النور الابتدائي، والشرق، و اسم الله و الفادي "[1].

وعرف مردوخ أيضا بالكلمة، وكانوا يدعونه ابن الله البكر، و كانوا يتوسلون إليه بهذا الدعاء : " أنت القادر الموفق ومانح الحياة، أنت الرحيم بين الآلهة، أنت ابن الله البكر خالق السماوات والأرض ومالكها، ليس لك شبيه، أنت الرحيم ومحيي الموتى."[2]

فهذه النصوص تكشف عن اعتقاد البابليين بأن هناك " أب " هو الله، من خلال قولهم " ابن الله البكر "، فلن يكون الابن دون " الأب "، كما تكشف عن وجود " ابن " هو الوسيط و الفادي والسفير و الكلمة، و هذه الكلمات " أب " و " ابن " و " وسيط" و" كلمة " و " فادي "تكشف لنا عن وجود علاقة بين الابن و الأب و الخلق، و يمكن فهم هذه العلاقة بأن الأب أرسل ابنه الكلمة، ليكون وسيطا بين الله و الخلق و يقدم نفسه فداء للبشرية، ولا نستغرب وجود عقيدة الفداء في الديانة البابلية.

فقد كان تموز رمز التجسد يبعث في فصل الربيع من كل عام،ويموت من أجل التكفير عن خطايا البشر[3].

و كانت كثير من الشعوب القديمة تقيم في كل عام في زمن الاعتدال الربيعي، منسكا دينيا، يبتغون به وفرة حاصلاتهم، و كانوا يضحون في أول الأمر بالملك، ثم أصبحوا يضحون بابنه عوضا عنه، و بما أنهم يعبدون الملك خليفة الإله فقد كانوا يطلقون على ابنه اسم " ابن الإله " [4].

و بعد هذا العرض يمكن القول بأن هناك تشابه كبير بين التثليث في الديانتين البابلية و النصرانية خاصة في استعمالهما لمصطلحات : الوسيط، ابن الله البكر و الكلمة و الفادي و غيرها من الصفات، لكن لا يمكن القول بأن هذه المصطلحات لها نفس المدلول في الديانتين، لأنه ليس لدينا المعطيات الكافية

1-فروتنجهام : **مهد المسيح** ، ص 112.نقلا عن: (أحمد عبد الغفور عطار : **الديانات و العقائد**، ج3، ص 216).

2-دوان: **خرافات التوراة و الإنجيل**، ص 373-374 نقلا عن: (أحمد عبد الغفور عطار : المرجع نفسه، ج3، ص217).

3 - Briault : **polythéisme et fétichisme**, P13

4- ناصف عصام الدين حفني : **المسيح في مفهوم معاصر**،ط1، (بيروت : دار الطباعة 1979م)، ص 90.

الحكمة،والدال على الله، ونائب الله، وصورة الله، والكاهن، وخالق العالمين، الإله الثاني، و المعبر عن الله، و سفير الله، و الملك والملاك، الإنسان، الوسيط، النور الابتدائي، والشرق، و اسم الله و الفادي "[1].

وعرف مردوخ أيضا بالكلمة، وكانوا يدعونه ابن الله البكر، و كانوا يتوسلون إليه بهذا الدعاء : " أنت القادر الموفق ومانح الحياة، أنت الرحيم بين الآلهة، أنت ابن الله البكر خالق السماوات والأرض ومالكها، ليس لك شبيه، أنت الرحيم ومحيي الموتى."[2]

فهذه النصوص تكشف عن اعتقاد البابليين بأن هناك " أب " هو الله، من خلال قولهم " ابن الله البكر "، فلن يكون الابن دون " الأب "، كما تكشف عن وجود " ابن " هو الوسيط و الفادي والسفير و الكلمة، و هذه الكلمات " أب " و " ابن " و " وسيط " و " كلمة " و " فادي "تكشف لنا عن وجود علاقة بين الابن و الأب و الخلق، و يمكن فهم هذه العلاقة بأن الأب أرسل ابنه الكلمة، ليكون وسيطا بين الله و الخلق و يقدم نفسه فداء للبشرية، ولا نستغرب وجود عقيدة الفداء في الديانة البابلية.

فقد كان تموز رمز التجسد يبعث في فصل الربيع من كل عام،ويموت من أجل التكفير عن خطايا البشر[3].

و كانت كثير من الشعوب القديمة تقيم في كل عام في زمن الاعتدال الربيعي، منسكا دينيا، يبتغون به وفرة حاصلاتهم، و كانوا يضحون في أول الأمر بالملك، ثم أصبحوا يضحون بابنه عوضا عنه، و بما أنهم يعبدون الملك خليفة الإله فقد كانوا يطلقون على ابنه اسم " ابن الإله " [4].

و بعد هذا العرض يمكن القول بأن هناك تشابه كبير بين التثليث في الديانتين البابلية و النصرانية خاصة في استعمالهما لمصطلحات : الوسيط، ابن الله البكر و الكلمة و الفادي و غيرها من الصفات، لكن لا يمكن القول بأن هذه المصطلحات لها نفس المدلول في الديانتين، لأنه ليس لدينا المعطيات الكافية

1-فروتنجهام : **مهد المسيح** ، ص 112.نقلا عن: (أحمد عبد الغفور عطار : **الديانات و العقائد**، ج3، ص 216).

2-دوان: **خرافات التوراة و الإنجيل**، ص 373-374 نقلا عن: (أحمد عبد الغفور عطار : المرجع نفسه، ج3، ص217).

3 - Briault : **polythéisme et fétichisme**, P13

4- ناصف عصام الدين حفني : **المسيح في مفهوم معاصر**،ط1، (بيروت : دار الطباعة 1979م)، ص 90.

لمدلولها في الديانة البابلية.

و يشير أحمد عبد الغفور عطار، إلى التشابه الموجود بين الديانتين قائلا : " إذا كانت آلهة الكلدانيين أصول آلهة الأوروبيين و بخاصة الإغريق، فإن المسيحية التي عرفت من الأناجيل و بولس تشبه في عقيدة التثليث، عقيدة الكلدانيين وغيرهم في الكلمة، والثالوث وصفات المسيح التي يصفه بها المسيحيون. " [1]

و يختلف الثالوث البابلي عن الثالوث النصراني في أنه لا يفصح عن وجود " الروح القدس " ويرجع هذا إلى أن عقيدة التثليث كانت في طور النشأة، و لم يكن موضوع الأقانيم ، والروح القدس قد ابتدع بعد [2].

1-أحمد عبد الغفور عطار : **الديانات و العقائد**، ج1، ص216.

2-الملاحظ أن نفس الشيء كان في بداية النصرانية، فلم يقولوا بألوهية الروح القدس، إلا بعد القول بنبوة المسيح وألوهيته.

المبحث الثاني

التثليث في الديانة المصرية القديمة

إن الحضارة المصرية القديمة هي من أعرق الحضارات الإنسانية، و الإنسان المصري من أكثر الناس تدينا، قال هيرودوت : " إن المصريين أشد البشر تدينا، و لا يعرف شعب بلغ في التدين درجتهم فيه، فإن صورهم بجملتها تمثل أناس يصلون أمام إله، و كتبهم في الجملة أسفار عبادة ونسك. "[1]

و يرجع التأريخ للديانة المصرية إلى حوالي 5000 ق.م[2] فهي من أقدم الديانات البشرية، والسمة الغالبة عليها هي التعدد، وهذا راجع إلى أن المصريين مزيجا من سلالات مختلفة، و قد أدى هذا الاختلاط العرقي إلى تعدد الأفكار الدينية إلى درجة التناقض[3]، يقول D. Saurat : " و يمكن القول بأن كل الأفكار الدينية الممكنة وجدت على ضفاف النيل، من الوثنية الأكثر مادية إلى الروحانية – الاعتقاد بوجود الروح – المجردة، إلى الشكوكية – الشك في مبادئ الدين الأساسية كالخلود و الوحي – "[4].

فقد عبد المصري القديم الطواطم و الأرواح و الأسلاف، و يبدو ذلك واضحا من عنايته الشديدة بتشييد القبور و تحنيط الجثث[5]، كما اتخذ من مظاهر الطبيعة المختلفة آلهة، عبدها و أحاطها بالتقديس[6] .

و رغم هذا التعدد إلا أن المصري عرف التوحيد من طرق مختلفة، فقد عرفه عن طريق الرسل، فلم تخلو أمة إلا و بعث الله فيها رسلا يبعثون الروح الإيمانية و يرسخون عقيدة التوحيد الخالص، و من

1- Denis Saurat : **Histoire des religions**, P49.
2- Royston : **Dictionnaire des religions**, P196.
3- **Ecclesia**. P729.
4- Denis Saurat : **Histoire des religions**, P49.

5- ساعد مناخ مصر الحار و جفاف التربة على الاحتفاظ بجثث الموتى مما رسخ الاعتقاد بوجود حياة بعد الموت (أنظر : جمال ممتاز (مشرفا) : **تاريخ الحضارات العام، حضارات إفريقيا القديمة**، (اليونسكو ،1985)، ج2، ص76).

6-**موسوعة عباس محمود العقاد : توحيد الأنبياء**، ج1، ص79.

هؤلاء الرسل يوسف عليه السلام الذي دعا إلى التوحيد في نطاق ضيق - في السجن- ثم في نطاق واسع عندما أصبح وزيرا على خزائن الأرض و قد ساعده موقعه الاقتصادي على نشر عقيدة التوحيد[1].

كما دعا إلى عقيدة التوحيد موسى عليه السلام و قصته مع فرعون مصر معروفة [2]، و كذلك إبراهيم عليه السلام أثناء زيارته لمصر [3].

و يدعي بعض العلماء أن المصريين عرفوا التوحيد، و لكن في فترة وجيزة من تاريخهم، وهذا على يد أخناتون (1367 ، 1347) ق.م، إذ جعل من إله الشمس " آتون " قرص الشمس البعيد في السماء، و القريب من الإنسان بحرارته و ضوئه الإله الواحد، وألغى عبادة كل الآلهة الأخرى[4]، وقد ناهض ضد "آمون رع" إله طيبة، و لم يهمل الآلهة الأخرى تماما، بل جعلها تجليات خاصة بالإله آتون[5].

و يمكن رد هذا الرأي بأن المصريين عرفوا عقيدة التوحيد حقيقية منذ المملكة القديمة[6] أي قبل دعوة أخناتون، و يظهر هذا من نصوص الأدب الوعظي الذي كان له أهمية كبيرة في الديانة المصرية القديمة، و كانت تلك النصوص محفوظة في كتب الحكمة التي تدرس في مدارس النساخ، و هذا يعني أن عقيدة التوحيد كانت معروفة عند الطبقة المثقفة، قبل أخناتون[7].

المطلب الأول: نشأة التثليث في الديانة المصرية القديمة.

ترجع نشأة التثليث في الديانة المصرية، إلى أسطورة نسجها خيال المصري القديم، فقد اعتقد أن العالم كان يما عظيما، ظهرت فوقه بيضة،خرج منها المعبود الشمسي " آتوم " بقدرته الخاصة، ثم تفل،

1- أنظر : *يوسف* /34. *ويوسف*/ 37-39 .

2-أنظر : *الأعراف* / 103، *القصص*/32، *الزخرف*/46، *غافر*/26....

3- محمد أبو زهرة :**مقارنات الأديان، الديانات القديمة**، ط[ ]، (القاهرة: دار الفكر العربي، ت[ ])، ص7-8.

4- Sous la direction de Maurice Brillant, René Aigrain : **Histoire des religions** (Blond et gay), P25. Et Royston : **Dictionnaire des religions**, P117

5-**Mémo**. P290.

6- المملكة القديمة تبدأ من الأسرة الأولى إلى نهاية الأسرة السادسة (3000 ق.م، 2500 ق.م) ول ديورانت : **قصة الحضارة**، م1، ج1، ص 66.

7 - Brillant et Aigrain : **Histoire des religions**, P40.

فخلق ابنه " شو "، فجعله إله الهواء و ابنته " تفنوت " إله الرطوبة والندى، و هما بدورها ولـــدا إلـــه الأرض " جب " و إله السماء " نوت " و عاش هؤلاء الخمسة نائمين فوق المحيط مدة إلى أن توســـط كل من " شو " و " تفنوت " بين " جب " و " نوت "، ففصلاهما عن بعضهما البعض.

فصار " نوت " سماء، و " جب " أرضا. ثم حملت نوت من جب و جاءت بأربعة آلهة هـم: " إيزيس " و " أوزيريس " و " ست " و " نفتيس"، فأصبح جميع الآلهة مع عد الشمس منهم تســـعة، فلقبوا بالتاسوع المقدس، و قد استقر الأمر بعد ذلك لثلاثة من الآلهـــة هـــم : إيزيـــس و أوزيريـــس و ابنهما " حورس "[1]، و على منوال عائلة أوزيريس قسم المصريون آلهتهم إلى ثالوثات مكونة مـــن أب و أم و الابن الإله[2] على صورة العائلة الإنسانية.

و هناك آراء مختلفة حول مصدر تقسيم الآلهة المصرية إلى ثالوثات، فيرى البعض أن ثالوث طيبة: " آمون " الأب، و " موت " الأم، و " خونسو " الإله الابن، هو مصدر تجميع الآلهة إلى ثالوثـــات في كل مدينة[3].

و يرجع البعض الآخر سبب تجميع الآلهة إلى ثالوثات، إلى بداية تاريخ مصر، فقد كان القـــائد المنتصر في الحروب يستحوذ على عدة مدن، و تصبح تحت سيطرته سياسيا و دينيا، وكان يجد نفســـه أمام كم هائل من الآلهة، كل إله يعتبر هو الأسمى في نظر عابديه، وحتى يرضـــي الحـــاكم الشـــعب، ويستميلهم إليه، كان يقلص من عدد الآلهة،ويقسمها إلى الأب و الأم و الابن[4].

أما " مورنز " S. Mornz فيرجع اتجاه اللاهوتيين المصريين إلى القول بـــالتثليث، إلى أنهـــم رأوا الشمس الواحدة التي تمثـــل الإله **آتـــوم**، تظهر في ثلاث هيئات، ففي الصباح أو الشـــروق أطلقـــوا عليها اسم **خبري Khebri** ، وفي وقت الظهيرة أسموها **رع Re**، و في المساء **آتوم Atom**، و لأن

1- جيمس هنري برستيد : **صفحات من تاريخ مصر، تاريخ من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي**، ط ، القاهرة : مكتبـــة مدبولي، 1995، ص35، و **Encyclopedia Universalis**, corpus 7, P1008.

2- **Egypte, le Nil égyptien et soudanais du delta a Khartoum** (Paris : Hachette guides bleus 1986). P100.

3- **Encyclopedia Universalis**, corpus 7, P1007.

4- Sous la direction de Maxime Gorce et Raoul Martier : **Histoire générale des religions, introduction générale primitifs, ancien arien, indo-Européens**. (Paris : Librairie Austode Guillet), volume1, P247.

للشـــمس مكانة عظيمة في نفوس الناس، قسم اللاهوتيون الآلهة إلى ثالوثات[1].

ومهما كان سبب تقسيم الآلهة إلى ثالوثات، فقد عرفت مصر التثليث في أنحـــاء مختلفـــة مـــن أرجائها، نلخصها في الآتي.

المطلب الثاني: أهم الثالوثات المصرية

الثالوث الأول: وهو ثالوث أبيدوس[2]، و يعتبر من أهم الثالوثات المصرية، و هو مكون مـــن إيزيس أوزيريس و حورس، و قد استمد هذا الثالوث شهرته من أسطورة نسجها خيال المصري القـــديم، ملخصها أن أوزيريس نزل من السماء كي يعلم الناس السلام، فأحبوه، حتى حقد عليه أخـــوه ســـت فقتله، ووضعه في تابوت و رماه في نهر النيل، و لما علمت زوجته، جـــدت في البحـــث عنـــه إلى أن وجدته، لكن ست لم يستسلم و أعاد الكرة، وقطع جسم أخيه قطعا عددها اثنان وسبعين، ووضع كـــل قطعة منه في مقاطعة من مقاطعات مصر، وعادت إيزيس فجمعت أشلاء زوجها، و قرأت عليها تعاويذ سحرية، فدبت فيه الحياة من جديد، إلا أنه اختار أن يبقى في مملكة الموتى، و أنجبـــت إيزيـــس مـــن أوزيريس ابنا اسمه حورس، ثأر لأبيه عندما كبر فحارب عمه و انتصر عليه و أصبـــح بذلـــك منقـــذ الإنسانية[3].

و لهذه الأسطورة[4] عميق الأثر في الطقوس و الديانة النصرانية، "حتى أن المســـيحيين الأولـــين كانوا أحيانا يصلون أمام تمثال إيزيس الذي يصورها و هي ترضع طفلها حورس، وكانوا يرون فيها

1- **La religion égyptienne;** (Paris : Bibliothèque historique 1962). P194.

2- تقع بين أسيوط و طيبة، يوجد بها عدّة معابد ومقابر الملوك، وقد اشتهرت بعبادة الإله أوزيريس الذي حلّ مكـــان إلهـــها القـــديم " خنتمنســـيو" Georges posener et autres : **Dictionnaire de la civilisation égyptienne,** (Paris : Fernand Hazan. 1959) , p 1-2.

3- إبراهيم نمر سيف الدين، زكي علي، أحمد نجيب هاشم : **مصر في العصور القديمة**، ط ، (القـــاهرة : مكتبـــة مدبـــولي) ص183 و Denis Saurat : **Histoire des religions**, P55-56.

4- يبدو أن منشأ هذه الأسطورة مستوحى من حياة الفلاح المصري، فقد كانت أقدم بلـــد زراعـــي تعيـــش علـــى الأرض، و كانت عناصر وجودها الماء (النيل) و يسمى أوزيريس الإله المخصب و الأرض و هي إيزيس ثم الأمل الذي يتحقق من المـــاء و الأرض و هو النتاج النباتي أو حورس (أنظر، عبد المحسن خشاب : **تاريخ اليهود القديم بمصـــر**، ط1، (القـــاهرة: مكتبـــة مدبولي، 1989) ص167).

صورة أخرى للأسطورة القديمة النبيلة، أسطورة المرأة – أي العنصر النسوي – الخالقة لكل شيء، و التي تصبح آخر الأمر أم الإله"[1].

فقد كانت عبادة أوزريس منتشرة بين الرومان، وهذا بعد أن وقعت مصر في أيديهم، وأصبحت أسطورتها من أشهر العبادات الشرقية في العالم الروماني، وأصبحت تسمى "الأم الكونية للطبيعة"، و"أعظم الإلهات"، و"ملكة الأسماء"[2].

ولأن النصرانية وجدت في بيئة رومانية، سهل التأثر بعقيدة إيزيس، و كذلك أوزيريس الذي اعتبر الإله الإنسان الذي تألم، و مات و دفن ثم بعث من جديد، لكي يدخل إلى السماء أين يمتلك إلى الأبد[3]، و هذا عين ما يقوله النصارى في المسيح، فهو الإله الحي المنتصر على الشر و الذي مات على الصليب، و دفن ثم بعث من جديد، و صعد إلى السماء[4]، ويمكن القول : " إن صورة المسيح الذي يضحي بنفسه من أجل الإنسانية لها أصول أوزيرية"[5].

و أقرب مثال يبين لنا تأثر النصارى بعقيدة أوزيريس، هو تشبيههم المسيح بالبجع[6] الذي يضحي بنفسه من أجل صغاره، وقد شاع هذا التشبيه في الأدب النصراني، وخاصة عند أوغسطين في شرحه للمزمور 102.

وكان أوزيريس يشبه بالبجع في الديانة المصرية القديمة، فقد وجدت نصوص ترجع إلى حوالي 3200 ق م، يصرح فيها أوزيريس قائلا: " أنا البجع الذي مات، و الذي قاوم حلف ست "[7]، و هناك نص أكثر وضوحا يقول فيه أوزيريس : " أنا أنثى البجع التي تسهر على نسلك، فلكي أراقب عشي، جئت، فأمزق معدتي و أموت في صدري "[8].

1- ول ديورانت : **قصة الحضارة**، م1، ج2، ص160.

2- Royston : **Dictionnaire des religions**, P165.

3- Ibid, P 239.

4-Sous la direction de François Boesplug et François Duvand : **le comparatisme en histoire des religions**, (Paris : les éditions du cerf 1997), P223.

5- Ibid 226.

6-إن أنثى البجع تضع صغارها عميانا و حتى تطعمهم تضطر إلى إدخال منقارها في صدرها لكي تتحشأ احتياطاتها المعدية، وعندما يكبر صغارها و يموتون تفتح الأم جنبها في اليوم الثالث و تدع دمها يسيل فوق صغارها، و لأن سبب تضحيتها المحبة، شبه النصارى المسيح بالبجع (أنظر : **le comparatisme en histoire des religions** ، ص227).

7- Ibid , 230

8- Ibid, 231

و مما تقدم يمكن القول بأن النصارى تأثروا أيما تأثر بأسطورة أوزيريس و زوجته إيزيس، حيث شبهوا المسيح بأوزيريس و أحيانا بابنه حورس الذي انتصر على الشر "ست"، و أيضا بإيزيس أم الإله حورس و التي شبهوها بمريم البتول، و قالوا هي أم الإله المسيح.

الثالوث الثاني: و هو ثالوث هليوبوليس[1] و يتكون من :

" آتوم " : الإله الخفي الذي لا يظهر إلا بصفاته، وهو نور الأنوار.

" **رع** " : هو الإله الموكل بالخلق و الرزق، الذي تشخص فيه النور فصار عطاء وخلقا و رزقا.

" **آمون** " : هو مظهر " رع " الذي يوصل عطاءه إلى المخلوقات، و هو الدال على ظهور القدرة المشرقة في الشمس[2].

الثالوث الثالث: وهو مشتق من الثالوث الثاني و يتكون من :

" **نيت** " إله قديم للوجه البحري.

" **نوت** " إله السماء بأفلاكها و كواكبها، و إله العلم و المعرفة، يرسم عادة على غطاء التوابيت بريشة في كلا اليدين.

" **شو** " إله الجو أو الشحنة الكهربائية الموجبة[3].

الثالوث الرابع: وهو ثالوث منف[4] أو ممفيس ويتكون من :

" **فتاح** Ptah" : إله منف العظيم الذي خلق العالم.

1- تقع في الشمال الشرقي للقاهرة، عبدت فيها الشمس بأسماء عديدة" رع"، " آتوم"، " خبري"، " حرختي"، وقد بقيت القيمة الدينية لهليوبوليس إلى عهد قريب.(Georges posener et autres : **Dictionnaire de la civilisation égyptienne** , P128)

2- محمد أبو الفيض المنوفي : **موسوعة وحدة الدين و الفلسفة و العلم، الدين المقارن، بحث في سائر الديانات العالمية**، ط[ ] (القاهرة : دار النهضة الفجالة، ت [ ]) ج1، ص73.

3-ق.ي : **تاريخ توت عنخ آمون، محرر مصر العظيم**، ط1، (القاهرة : مكتبة مدبولي 1991)، ص227 و محمد الفيض المنوفي: المرجع نفسه، ص73-74.

4-تقع في الشرق المصري، تأسست سنة 3000ق م، وكانت أول عاصمة لمصر القديمة، اشتهرت بعبادة الإله فتاح.
Georges, posener et autres : **Dictionnaire de la civilisation égyptienne,** p169. ET **Encyclopédie Encarta 99 , ATlas du Monde ,** Behavior Tech Computer Corp. CD ROM 2.

" سخمات" " sekmat "" وهي الإلهة الأم التي تمثل بلبؤة.

" نفرتوم" " Nefertoum"الإله الابن الذي يرمز له بزهرة اللوتس[1].

وفي مراجع أخرى نجد هذا الثالوث مكوّن من ، فتاح، وسخت الإله الذي قام من بين الأموات،و دعاه الناس بالإله الصالح لأنه عمل على خلاصهم من الجهل و علمهم كثيرا،و" إمسوس " : إله منف القديم[2].

الثالوث الخامس: وهو ثالوث طيبة [3] و يتكون من :

" **آمون Amon** " : ملك الآلهة و رب الأرباب، و يمثل بكبش ذي تاج طويل و قرنين عموديين.

" **موت** " : و هي أم الآلهة و زوجة آمون.

" **خونسو** " :إله القمر، و يرمز له بصقر[4].

الثالوث السادس: وهو ثالوث " آدفو "[5] و يتكون من :

" **حوريس آدفو** " و " حاتحور، الإلهة البقرة، و " **إحي**".

و أحيانا يتكون هذا الثالوث من " **حوريس آدفو**"و" **حاتحور** " و ابنهما " **حرسوتوس** " (Harsoutous)[6].

فهذه أهم الثالوثات المعروفة في الأرجاء المختلفة من أرض مصر.

1- Gorge M, et Mortier R : **histoire générale des religions**, volume 1, P247.

2- ق.ي : **تاريخ توت عنخ آمون**، ص227.

3- تقع في مصر العليا ، وكانت لمدّة طويلة عاصمة مصر القديمة، اشتهرت بعبادة الإله آمون، وعرفت في العهد القديم ب" مدينة آمون" وتعرف الآن بالكرنك والأقصر، وتعتبر أكبر مدينة سياحية في مصر إذ بها عدد كبير من مقابر الآلهة.(Georges,posener et autres : **Dictionnaire de la civilisation égyptienne** , p 285. ET **Encyclopédie Encarta 99, ATlas du Monde** , CD ROM 2.

4-ق.ي : **تاريخ توت عنخ آمون**، ص227-229، و Gorge Mortier : **histoire des religions**, volume , P247.

5-مدينة مهمة في مصر العليا قديما، تقع على الضفة الغربية للنيل على بعد كيلومترات من الأقصر، جنوب طيبة، يوجد بها معبد حورس، الذي بني حوالي 200ق م، و الذي لازال يحافظ على شكله الخلاّب إلى حد اليوم, **Dictionnaire de la Civilisation égyptienne** P96. Et **Mon Encyclopédie**, CD 1.

6- Gorge M et Mortier R : **Histoire générale des religions**, volume 1, P247.

المطلب الثاني: نسق التثليث المصري .

من الصعب تحديد نسق التثليث المصري، فالآراء مختلفة و متضاربة حوله، و قد حاولنا تقسيمها حسب الآتي :

1- النسق الأول : مفاده أن التثليث المصري تثليث انفرادي، تتعدد فيه الـــذوات، دون أن تحدد في إله واحد، و دون أن تكون هناك علاقة تربط الآلهة بعضها ببعض، يقول رؤوف شلبي : " ليس المقصود بالتثليث هذا إتحاد الثلاثة في واحد، بل المقصود هو إعتقاد تعدد الآلهة في ثلاثة، لكـــل واحـــد منهم وظيفة، و لهذا أطلقت عليه التثليث الانفرادي"[1].

و يضيف الكاتب بأن هذا التثليث الانفرادي متفرق في الذات و الصفات و الغايات[2].

و بالرغم من تفرد هذا الكاتب برأيه فلم يأتي بأي دليل يدعم به ما ذهب إليه.

2- النسق الثاني: مفاده أن هناك تثليث في وحده، و ينقسم الكتاب في تحليلهم لهذا النسق إلى رأيين، الأول: يقول بوحدة الذات و تعدد الصفات، و الثاني : يرى أصحابه تعدد الذوات و الأقانيم في وحدة الإله و سنعرض الرأيين بالتفصيل :

الرأي الأول : أجمع بعض المفكرين على أن التعدد المصري تعدد في الصفات ولا علاقـــة لـــه بالذوات و الأقانيم.

يقول ولس بدج : " حين نتفحص هذه الآلهة [يقصد الآلهة المصرية] من برهة الكثب، فإنهـــا لا تتبدى من حيث هي شيء أكثر من صور و تجليات أو صفات لإله واحد، ذلك الإله الذي هو رع إله الشمس، و هو كما ينبغي أن نتذكر من كان نمط الله و رمزه"[3].

1- آلهة في الأسواق، دراسة في النحل القديمة، ص258.

2- المرجع نفسه، ص 260.

3-أحمد يوسف داود : الميراث العظيم، إعادة بناء المنجز الحضاري العربي بين الألف الرابع قبل الميلاد و ظهور الإســـلام، ص152.

و يقصد الكاتب أن الآلهة المصرية ليست إلا صفات للإله " رع "، و يدعم رأيه هذا ما ذهب إليه محمد أبو الفيض المنوفي، من أن المصريين عرفوا الله الواحد، و كان وصفه عندهم فرد أزلي، خالق كل شيء، و كانوا يدعونه " **آتون** "، و هذا الاسم له **معنيين**، **أحدهما خفي**، و **هو أصل كل شيء**، وهو الذي قام به الوجود، و معنى ظاهري، و هو" الأتوم "، الذي تكونت به السماوات والأرض و ما فيهن، و إذا اتجه " **آتوم** " للوهب سمي " رع "،و إذا ظهر بارزا بمثاله الشمس سمي " **آمون** "، فآمون مظهر رع، و رع كان مظهرا لآتوم الإله الخفي[1]، و أسماء آتوم و رع و آمون تعني الخفي، و الواهب أو المعطي، و الظاهر في الشمس و في كل الطبيعة[2].

و يستدل هذا الكاتب على أن المصريين عبدوا إلها واحدا هو " آتون "، وأن الآلهة الأخرى ما هي إلا تجليات و صفات لهذا الإله، بإحدى صلوات قدماء المصريين، التي نصها " الخضوع لك يا من اسمه ر ع إذا أشرق و أوزيريس إذا أغرب، يا من توج ملكا للآلهة، أنت الإله الأوحد، آتون الذي له الوجود الأزلي، أنت الأبدي الذي خلق نفسه بنفسه... "[3].

و يضيف الكاتب بأن الكثير من العلماء أكدوا على أن المصريين الأوائل كانوا موحدين، قبسوا عقائدهم عن الرسل الذين أرسلهم الله على فترات، كنوح عليه السلام، و سام بن نوح، و خاصة عن نبي المصريين إدريس عليه السلام الذي يدعى بالمصرية **هورس أو حورس**[4].

و يفسر الكاتب انحدار المصريين نحو التعدد بالرغم من معرفتهم لعقيدة التوحيد، بأن الكهنة كانوا يقربون صفات الإله إلى العامة بالرموز، وأخذت تلك الرموز تختلف من إقليم عنه في آخر، ثم اتُخذت له صور ترمز إلى أكثر صفاته وضوحا، ومع مرور الزمن أخطأ العامة في فهم المقصود من تلك الرموز والصور فتعبدوا لها، وأصبح التوحيد قاصرا على المتكتمين[5].

1-محمد أبو الفيض المنوفي : **موسوعة وحدة الدين و الفلسفة و العلم**، ص62.

2-المرجع نفسه ، ص73.

3- المرجع نفسه ، ص75.

4-المرجع نفسه ، ص63.

5-ق.ي : **تاريخ توت عنخ أمون محرر مصر العظيم**، ص230، و محمد أو المحاسن عصفور : **معالم حضارات الشرق الأدنى القديم**، ص70.

و يبدوا لنا هذا الرأي أقرب إلى الصواب، فمن المعقول أن الله تعالى لم يدع أمة إلا و بعث فيها رسولا، يغرس عقيدة التوحيد الخالص، و لأن يد البشر دائما و في كل الأزمان تحاول العبث بالتعاليم الإلهية، نجد التعدد شاع في مصر نتيجة محاولة الكهنة تقريب صفات الله للعامة، و عليه يكون التثليث المصري حسب هذا التحليل توحيدا في أصله، فهم خطأ ثم أصبح مع مرور الزمن يدل على تعدد الآلهة لا على تعدد صفات الإله.

الرأي الثاني: يرى بعض العلماء أن نسق التثليث المصري عبارة عن تثليث في وحدة " Tri-unite " أي اتحاد ثلاثة آلهة في إله واحد.

و يرى S.Morenz، بأن توحيد الآلهة بدأ بشكل ثنائي، ومثال ذلك التسميات التالية: " **سبك رع** " ، " **آمون رع**"، " **سبك حورس** "[1]، وكان ذلك حوالي سنة (1552-1069) ق م[2]، و يرجع سبب ذلك التوحيد الثنائي إلى أن الإله الأقوى، يعطي من قوته للإله الآخر، فعندما يعطي على سبيل المثال " رع " من قوته لـ " سبك " يصبح هذا الأخير " سبك رع "، وهذا الاتحاد لا يفقد الإلهين خصوصياتهما، و لا يمنع من اتحادهما بآلهة أخرى، كما أنه يمكن للإلهين أن يأخذا صفات بعضهما البعض، فمثلا "سبك " أصبح يسمى " أمير مات " و " سيد مات " و هذين الاسمين من أسماء رع، فقد سمي " فتاح " عند اتحاده برع بـ" الولد الذي يولد كل يوم "، كما هو الشأن بالنسبة لرع[3].

أما الاتحاد الثالوثي فقد بدأ من عهد الدولة الحديثة[4] إلى نهاية الحضارة المصرية، فأخذت الثالوثات منعرجا آخر، وأصبح هناك ما يسمى بالتثليث في وحدة Tri-Unité [5].

و هناك أدلة كثيرة على إعتقاد المصريين بالتثليث في وحدة، فمثلا بالنسبة لثالوث " فتاح – سوكاريس – أوزيريس"، نجد المصريين حين يتكلمون عنه في الصلوات الموجهة للموتى يقولون : "

1- MORENZ S : **LA RELIGION EGYPTIENNE**, P189.

2-Sous la direction de Frédéric Lenoir et Ysé Tordan Masquilier : **Encyclopédie des religions**, (Bayard Edition 1997), P36.

3-Morenz S, **La religion égyptienne**, P190.

4- تبدأ الدولة الحديثة من الأسرة 12 إلى الأسرة 31 (1580ق م- 322ق م). ول ديورانت : **قصة الحضارة**، م1، ج1، ص 73.

5- S.D Gorge M, Mortier R : **Histoire générale des religions**, volume 1, P247.

إنه يستطيع إعطاء ..... " فيتكلمون بصيغة المفرد و هم يعبرون عن ثالوث من الآلهة[1].

أما الثالوث " آمون – رع – فتاح "، فقد وجد نص بخصوصه يقول : " إلـــه هرموبوليـــس، الكائن، قلب رع، لسان تاتلنين (فتاح) و رقبة الذي اسمه خفي (آمون) "[2]،فهذا دليل آخر على الاتحاد الثالوثي.

و يفسر S.Morenz اتجاه اللاهوتيين المصريين إلى التثليث، لكونهم رأوا أن الشمس الواحـــدة تظهر في ثلاث هيئات كل هيئة متعلقة بالمراحل التي تطبع الشمس في الصباح و في الظهيرة و في المســاء، ففي متون الأهرامات كانوا يصفون الشمس في الصباح بالشمس الصاعدة و سموها خبري Khebri و في المساء يصفونها بالشمس الغاربة و يسمونها رع و آتوم، و هناك نص آخر يقول فيه إله الشمس " أنـــا خبري في الصباح في الصباح و رع في ساعة الظهيرة، و آتوم في المساء "[3].

و تظهر عقيدة التثليث في الوحدة، من ولادة الآلهة من إله واحد، فإن الآلهة المصرية[4] ســـواء كانت مقسمة إلى تاسوعات أو ثالوثات، فهي مرتكزة على الفكرة الأساسية للواحد الذي تصدر عنـــه الكثرة[5]، ومثال ذلك؛ الإله شو الذي خلق حسب نظرية هليوبوليس هو وزوجته تفنوت من الإله آتوم بدون تدخل أي إلهة، وهناك نص يتكلم عن الميت الذي يشبه نفسه بالإله " شو"كالآتي: "أنا حياة سـيد السنين،حي إلى الأبد، سيد الخلود، أنا الذي خلقني آتوم، القديم، بقدرته في سالف الزمان، عندما كـــان واحدا و أصبح ثلاثة "[6]، فهذا النص و غيره يدل على أن مصر عرفت عقيدة التثليث و عرفت إتحـــاد الثلاثة في الواحد الذي قال به النصارى بعدها بقرون.

1- Morenz S : **La religion égyptienne**, P191.

2- Ibid,م193

3- Ibid,م194

4–حسب مدارس الخلق المعروفة في مصر و هي مدرسة هيليوبوليس و مدرسة ممفيس و مدرسة الأشمونيين.

5- S.D : Lenoir F, Masquilier Y.T : **Encyclopédie des religions**, P38.

6- Morenz S : **La religion égyptienne**, P195.

3- النسق الثالث : هذا النسق كسابقيه فيه تثليث في وحدة، و قد أفردناه لما له من أهمية. ومفاده أن التثليث المصري مكون من ثلاثة أقانيم أب، ابن و روح قدس، وهي جميعها وجوه لإله واحد.

فقد جاء في التاريخ العام للأديان بأن الإله " فتاح " كان له خاصيتان، هما القلب و اللسان أو "الروح و الكلمة "، و قد تجسدتا في شكلين مرئيين و هما "حورس" (القلب أو الروح) و "شو" (اللسان أو الكلمة)، و أصبح لهما بعد الاتحاد الثلاثي نفس الهيئة الروحانية للإله الواحد، (عقله السامي و الروح المدركة، و الكلمة أداة الخلق).

و هناك مثال آخر للثالوث " آمون، رع، فتاح "،الإله الواحد الذي يسيطر على ثلاثة مدن مختلفة و هم طيبة و هيليوبوليس و ممفيس، ف"رع" هو الرأس المفكرة للثالوث و" فتاح"، جسده و"آمون" العقل الخفي، و يقول الكاتب بأن هذا الثالوث ليس بعيدا عن عقائد الأفلاطونية الحديثة، التي تقول بإله واحد في ثالوث فهو في نفس الوقت فكر و روح و عقل[1].

و قد كان كهان هيكل ممفيس يعبرون عن الثالوث المقدس للمبتدئين بتعلم الدين بقولهم: " إن الأول خلق الثاني و هما معا خلقا الثالث و بذلك تم الثالوث المقدس "، و قد سأل ملك مصري كاهنا : " هل يوجد من هو أعظم منه ؟ فأجابه الكاهن : نعم يوجد من هو أعظم، و هو الله قبل كل شيء ثم الكلمة و معهما الروح القدس، و لهذه الثلاثة طبيعة واحدة، و هم واحد بالذات و عنهم صدرت القوة الأبدية[2].

و من هذه النصوص يمكن القول بأن المصريين فهموا التثليث على أنه ثلاثة أقانيم : الأول هو الله و الثاني الكلمة و الثالث الروح القدس، و أن الأول خلق الكلمة و هما معا خلقا الروح القدس، وهم جميعهم آلهة متحدين في ذات واحدة.

1- George M, Mortier R : **histoire générale des religions**, volume I, P 247.

2- دوان: **خرافات التوراة و الإنجيل** ص 373. (نقلا عن، محمد رشيد رضا: **تفسير المنار**، ج 6، ص 90)

ولو حاولنا البحث عن أطراف النسق التثليثي في الديانة المصرية، لوجدناها حسب رأي أحمد يوسف داود، مكونة من:

الأب : و هو الإله " رع " الذي تجسد في الفرعون باعتباره مبدأ الحياة البشرية[1].

الابن : و هو الفرعون الذي سيلحق بالآلهة بعد موته و ينضم إليهم بجزء من روحه[2].

الروح القدس : و هي الـــ" كا " و تعني القرينة أو الجزء المحيي أو النفس[3].

و يرجع أحمد يوسف داود، العلاقة التي تربط هذه الأقانيم إلى النظريات المصرية في الخلق، التي تسعى دائما إلى خلاص الإنسان برده إلى مبادئه الإلهية، فهي تحل معظلة الموت بالسعي لقبول البشر في ملكوت السماوات، عبر مفهوم الملك الذي هو رمزيا "الابن" و الذي يحقق بواسطته الأب " رع " فعاليته الخالقة من خلال كلمته القدسية الأزلية، و التي تنجم عنها الـــ" كا "[4].

و يرى أرنولد توينبي بأن الفرعون كان دوما ينظر إليه على أنه أحد الآلهة، لكنه بدءا من الأسرة الخامسة، في الدولة الوسطى[5] أصبحت ألوهيته تستمد من كونه ابنا لرع، و لم تكن أم الفرعون لتلده نتيجة الأسباب الطبيعية، بل نتيجة فعل غير عادي يقوم به الإله[6].

و يقارن الكاتب الفرعون و المسيح قائلا : " إن أقدم ما وصل إلينا من أخبار يسوع هي الأعمال التي دونها أتباعه المتحمسون، الذين كانوا قد قبلوا بأن يسوع مثل الفراعنة، لم يكن له أب إنسان، بل ولد لأمه من إله، و في حالة يسوع لم يكن الإله رع المصري بل الله. " [7]

و يمكن القول أن فكرة الإله الإنسان مستمدة من ألوهية الفرعون [8]،وأن عقيدة التثليث في

1- **الميراث العظيم**، ص 150.

2- أرنولد توينبي: **تاريخ البشرية**، ترجمة: نقولا زيادة، ط 2، (بيروت: الأهلية للنشر و التوزيع 1983)، ج1، ص 100.

3- أحمد يوسف داود: **الميراث العظيم**، ص 182.

4- المرجع نفسه، ص 184.

5- يقسم عصر الدولة الموحدة إلى؛ الدولة القديمة والدولة الوسطى والدولة الحديثة، وتبدأ الدولة الوسطى بدأ من الأسرة 7 إلى الأسرة 12.ما بين (2500ق م، 1580ق م) ول ديورانت : **قصة الحضارة**، م1، ج1، ص 73.

6- أرنولد توينبي : **تاريخ البشرية**، ج 1، ص 104.

7- المرجع نفسه، ج1، ص 372.

8- S.D Lenou F, Masqulier y, t : **Encyclopédie des Religions**, P 40.

وحدة المصرية، أثرت كثيرا في الديانة النصرانية[1]، فمن المحتمل أن النصرانية أخذت عن طريق المدرسة الإسكندرية من الديانة المصرية، عقيدة البنوة ووجود الابن الأزلي، فقد وجد في العقائد الخاصة بالإله " شو " ابن " آتوم " إله هيليوبوليس ما نصه : " أنا شو الذي خلقني آتوم، اليوم الذي ولد فيه هو " وأكثر وضوحا ما قاله آتوم : " عندما كنت وحيدا مع نون، و لم يبدأ الخلق بعد، شو و أخته تفتوت كانا إلى جنبي. "[2]

فلم يعد هناك أدنى شك، في أن الديانة النصرانية قد تبنت المعتقدات المصرية القديمة.

و لم تكن عقيدة التثليث وحدها التي انتقلت إلى الديانة النصرانية بل أيضا عقيدة الكلمة أو أقنوم الابن المتجسد، فهي أيضا عرفها المصري القديم.

المطلب الثالث : الكلمة في الديانة المصرية القديمة.

إن عقيدة **فتاح**، هي أساس مذهب الخلق بالكلمة Logos عند الإغريق الأولين، فلا حاجة بالخالق إلى أداة للخلق غير أن يشاء فإذا ما يشاء موجود كما يشاء[3]، فالإله فتاح خلق الكون بالفعل المنسق من قلبه – يعني روحه و إرادته، و بلسانه و تعني كلمته الفعالة[4]، يقول هذا الإله في إحدى النصوص : " لقد خلقت كل القوى بما خرج من فمي، و لم يكن حينها لا سماء و لا أرض "[5]

و لم يكن الإله فتاح وحده الخالق بالكلمة، فالإله آتوم قال للإله رع : " تعالى إلى هنا، تعالى إلي "، و هذا النداء أخرج النور من العماء، و بعد أن انتهى الخلق استمر الآلهة الآخرون بالعمل بالكلمة لإتمام الحياة العالمية[6].

1- Morenz S : **La religion égyptienne**, P 326.

2- Ibid, p 328.

3- موسوعة محمود عباس العقاد، توحيد و أنبياء، ج 1، ص82.

4- Lectio Divina **: La création dans l'orient ancien**, (Paris : les éditions du cerf, 1987), P 110.

5- George M, Mortier R : **histoire générale des religions,** volume I, P 253.

6- Ibid, volume I, p 253.

و كان الإله آتوم يتمتع بميزتين لا غنى عنهما في عملية الخلق، فقد كان له عقل في صدره يتمثل في صورة الإله حور، و له إرادة يمثلها اللسان في صورة تحوت، فقد برأ الإله آتوم العالم بعقله قبل أن يخلق الكلم[1].

فالكلمة عند المصريين هي التي خلقت كل قوى الحياة، وهي التي أخرجت القوانين، وأعطت الحياة لمن يحب السلام، والموت للأشقياء، كما تسببت في نشأة كل الفنون، فإذا ما أمرت الكلمة سعت الأقدام وتحركت الأعضاء[2].

و يذكر بونويك أن أغرب عقيدة عمّ انتشارها في ديانة المصريين قولهم بلاهوت الكلمة، و أن كل شيء صار بواسطتها و أن الكلمة منبثقة من الله، وأنها الله[3]،فقد وجد في كتب المصريين المقدسة ما نصه: " ... إني أعلم بسر لاهوت الكلمة، و هي كلمة رب كل شيء و هو صانع لها، فالكلمة هي الأقنوم الأول بعد الإله و هي غير مخلوقة و هي الحاكم المطلق على كافة المخلوقات "[4].

ويرجع العقاد وجود مبدأ الخلق بالكلمة في الديانة المصرية، إلى احتمال كون كهان تلك العصور قد تدرجوا إلى فهم قوة الكلمة الإلهية، من فهمهم لقوة الكلمة على لسان الساحر، و قوة الكلمة على لسان المبتهل بالصلاة[5].

أما محمد رشيد رضا، فيرى أن الرسل الذين أرسلهم الله إلى المصريين قالوا لهم أن كل شيء خلق بكلمة، فلما طال عليهم الأمر، و سرت إليهم الوثينة، ظنوا أن الكلمة ذات[6].

ورأي محمد رشيد رضا أقرب إلى الموضوعية، خاصة و أننا نعلم أن الله عز وجل أخبر الرسل أنه إذا أراد شيئا فإنما يقول له " كن فيكون "، ولا بد أن هذه الطريقة في الخلق والإيجاد أذهلت العقول، ومع تعاقب الأزمان، وسريان الوثنية في المجتمعات القديمة، أصبحت هذه الطريقة في الخلق تنسب للآلهة المحليين، ثم أصبحت الكلمة تعتبر إلها.

1- محمد شفيق غربال : **تاريخ الحضارة المصرية، العصر الفرعوني**، ط1، لبنان: بيروت 1979، ج1، ص212.

2- أدولف إرمان : **ديانة مصر القديمة**، ترجمة : عبد المنعم أبو بكر، محمد أنور شكري، ط [ ] ، (مصر : مطبعة مصطفى البابي و أولاده)، ص106.

3- تماما مثل ما جاء في إنجيل **يوحنا**، 1/1-13.

4- **عقيدة المصريين**، ص 402. نقلا عن (أحمد عبد الغفور عطار: **الديانات والعقائد في مختلف العصور**، ج3، ص 26.)

5- موسوعة محمود عباس العقاد **توحيد و أنبياء**، ج1، ص 82.

6- **تفسير المنار**، ج6، ص 91.

ومما تقدم، يمكن القول بأن مصر هي مصدر لاهوت الكلمة و قد أخذها اليونان و قال بها أفلاطون وأرسطو ثم أصبحت أفكارهما تدرّس في مدرسة الإسكندرية و منها انتقلت إلى الديانة النصرانية[1]، حتى إننا نجد يوحنا و الذي يقال بأنه تلميذ في مدرسة الإسكندرية [2]، قد افتتح إنجيله بقوله: " في البدء كان الكلمة، والكلمة كان مع الله، و كان الكلمة الله... "[3].

و لا يسعنا في نهاية كلامنا عن التثليث في الديانة المصرية القديمة، إلا القول بأنها أثرت أيّما تأثير في الديانة النصرانية التي أخذت عنها القول بالتثليث، و التثليث في وحدة، والقول بوجود ثلاثة أقانيم، أب و ابن و روح قدس، ثم القول بنبوة المسيح لله ثم القول بلاهوت الكلمة. و قدكان اليونان[4] ثم المدرسة الإسكندرية هما الممر الذي نقل تعاليم الديانة المصرية إلى الديانة النصرانية.

1- موريس: **الآثار الهندية**، ص127 (نقلا عن، أحمد عبد الغفور عطار:**الديانات والعقائد في مختلف العصور**،ج3، ص 26).
و : George M, Mortier R: **histoire générale des religions**, volume I, P 252.

2- محمد أبو زهرة: **محاضرات في النصرانية**، ص 123.

3- **يوحنا**، 1/ 1.

4- تأثير اليونان بالتثليث المصري، و منهم انتقل إلى الديانة المسيحية، والأدلة على ذلك كثيرة، من بينها أنه وجدت تعويذة ترجع إلى حوالي 100ب م، رسم على وجهها صور لثلاثة آلهة مصرية هم: بيات Biat و حاتحور Hathor و آكوري Akori وعلى الوجه الآخر كتب مايلي: " **واحد هو بيات، واحدة هي حاتحور و واحدة هي آكوري، بقوة واحدة هي لهم، سلام لك، أب العالم، سلام لله الإله المنتصر**"، و قد كتب هذا النص باللغة اليونانية (أنظر: Morenz S : **La religion égyptienne**, P 326).

المبحث الثالث

التثليث في الديانتين البرهمية والبوذية.

المطلب الأول: التثليث في الديانة البرهمية .

ظهرت الديانة البرهمية بعد تطور بطيء للديانة الفيدية[1]، وهذا ما بين سنتي 1200-700 ق.م ، و أهم مصدر عرفت منه الديانة البرهمية هو البراهمان Les Brahmanas والأوبانيشاد Les Oupanishads [2]، وهما تفسيرات مطولة لكتب الفيدا[3]، التي نشأت في قرون عديدة ومتوالية لا تقل عن عشرين قرنا ، من لدن أجيال من الشعراء و الزعماء الدينيين والحكماء الصوفيين.

وقد مرت الديانة البرهمية في تطورها بثلاثة أدوار، و قد ظهر التثليث في الدور الثاني :

الدور الأول : و هو دور التوحيد الذي دان به قدماء الهنود المنحدرون من الأصل السامي، وقد كانت ديانتهم غاية في البساطة في أشكال العبادة القاصرة على أناشيد الريح فيدا[4]، و كانوا لا يعرفون لهم إلا الإله الواحد الذي يعبدونه و لا يبحثون عن ماهيته، وقد وجد في أسفار الفيدا ما يفيد بأن الله واحد لا شريك له، صدرت عن جميع الموجودات، و سرت منه روح في الجماد و النبات

1- هي أدب ديني أتى به الغزاة الأوربيون حوالي 2000 ق.م و تطور مع مرور الأزمان (Eccclesia, P 734).

2- Briault P.M : **Polythéisme et Fétichisme**, P 22.

3-لكلمة الفيدا من اللغة السنسكرينية؛ و معناها : القانون أو العلم أو المعرفة و هي أربعة كتب، هي الريجافيدا و اليـاجورفيدا، و ساماويدا و الآثارفيدا و قد أنتجت بين القرنين العاشر و الخامس قبل الميلاد، و الفيدا تضم أيضا البراهماناس (الكتب التي نشرح و تفسر طقوس الفيدا) و الآرانياكا التي تشرح المعنى الصوفي لطقوس الفيدا و رموزها، و اليوبانيشاد، و هي رسائل تزود فيها كتب الفيدا و أساطيرها بجدل فلسفي(تحت إشراف روزنتال، بوب بودين : **الموسوعة المختصرة** ص 362.

4- و هو أشهر كتب الفيدا الأربعة، و أهمها، و يرجع تأليفه إلى 3000ق.م و يشتمل على 1028 أنشودة مكونة من 10417 بيتا موزعا على 10 أبواب (أحمد شلبي، **أديان الهند الكبرى، الهندوسية، البوذية**، ط8، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ، 1988م)، ص 46 وأحمد عبد الغفور عطار: **الديانات و العقائد في مختلف العصور**، ج 2، ص 88.)

والحيوان، و عليه، فالموجود بحق هو الله وحده و ما الكائنات إلا مظاهر منه[1].

الدور الثاني : وهو دور الكهنة البرهميين، و الرموز الطقسية، وفيه ظهر الثالوث الهندي و فيه أيضا تجسد الإله في كرشنا[2].

الدور الثالث : و هو دور الشرك و الوثينة، حيث اتسع نفوذ الكهنة فوضعوا نظام الطبقات، وزعموا بتفردهم بمعرفة الحقائق العلوية، حتى جنح الشعب إلى الشرك و انحدر إلى عبادة الأسلاف والطواطم و التماثيل[3].

و ما يهمنا من هذه الأدوار هو الدور الثاني الذي ظهر فيه التثليث البرهمي.

أولا : التثليث البرهمي

قبل الكلام عن التثليث البرهمي تجدر بنا الإشارة، إلى انعدام ذكره في كتب الفيدا، وفي كتب قوانين مانو –التي تعتبر من الكتب العظيمة الاعتبار لدى الهنود–، والتي تذكر قصة الخلق، وتذكر براهما وحده، موجد الكون و معدمه، و لا يوجد ذكر الإلهين الآخرين[4]، مما يدل على أن التثليث الهندي عارض على الديانة البرهمية.

و حوالي القرن التاسع قبل الميلاد وصل فكر الكهنة الهنود إلى إبراز هذه النتيجة التي تقرب من التوحيد أو تصل إليه، فقد جمعوا الآلهة في إله واحد و قالوا أنه هو الذي أخرج العالم من ذاته. و هو الذي يحفظه، ثم يهلكه، و يرده إليه و أطلقوا عليه ثلاثة أسماء، فهو براهما من حيث هو موجد، و هو فيشنو من حيث هو حافظ و هو سيفا من حيث هو مهلك.

ويرى Briault، أن الديانة البرهمية بدأت منذ القرن الثالث قبل المسيح، تمتزج بالوثنية الدرافيدية Dravidienne، فاحتفظت ب "براهم" الروح العالمي للأشياء، و ظهر التريمورتي Trimourti

---

1- أحمد عبد الغفور عطار: **الديانات و العقائد في مختلف العصور**، ج2،ص 57.

2- المرجع نفسه، ج2، ص 51.

3- مصطفى حلمي: **معالم المنهج الإسلامي في دراسة الأديان**، ط [ ]، (الإسكندرية : دار الدعوة)، ص 47.

4- Briault : **Polythéisme et Fétichisme**, P 23-24.

-التثليث الهندي-، فأصبح براهم " براهما "، و أصبح هناك إلهين آخرين معه، هما فيشنو و سيفا[1].

أما أحمد شلبي، فيقول بأنه في حوالي القرن التاسع قبل الميلاد، وصل الكهنة إلى القول بالتريمورتي، فحتى يتقرب الناس من التوحيد، جمعوا الآلهة في إله واحد، وقالوا بأنه هو الذي أخرج العالم من ذاته، وهو الذي يحفظه و يهلكه، ويرده إليه،وأطلقوا عليه ثلاثة أسماء، فهو براهما من حيث هو موجد، وفيشنو من حيث هو حافظ، وسيفا من حيث هو مهلك[2].

والتثليث البرهمي هو كالآتي:

براهما[3] :هو الإله الخالق، الذي كان قبل الخلق، و وجد من بيضة ذهبية كانت طافية على الماء في العماء، فعندما وجد نفسه وحيدا، رغب أن يكون كثيرا، فخلق العالم بإرادته، وبفيض من ذاته، وسمى نفسه الخالق، ثم انبثق منه الإله المدمر سيفا، إله الخراب و الفناء الذي لو ترك وحده لفنيت السماوات و الأرض، ولهذا انبثق من براهما إله ثالث، حافظ مجدد، وهو الإله فيشنو الذي يتجه له معظم البرهميون الآن بالعبادة[4].

وأصبح براهما بعد ذلك هو الأب وخالق كل المخلوقات[5]، ولكنه، وبعد دمجه في الثالوث التريمورتي، لم يعد له عبادات خاصة به، ولا معابد، وأصبح ناذرا ما يعبد [6] ويعتقد البرهميون، أن براهما ينعم الآن بالراحة المطلقة، بعد أن أدى وظيفته.

فيشنو : هو الإله الحافظ، ومؤسس الدارما – القانون الكوني الأزلي -، و هو الإله الطيب الرحيم بالأموات، تميز بعبادة خاصة به، و يعرف أتباعه بتدفق مشاعر الحب[7]، يشارك فيشنو في الحياة

1- محمد فريد وجدي: **دائرة معارف القرن العشرين**، ج2، ص 157.

2- **أديان الهند الكبرى**، ص52.

3- كان هذا الاسم يدل على عمل معنوي و هو الصلاة، لكن الكهنة أخرجوه من هذه الميثولوجيا القديمة إلى فكرة لاهوتية تحفظ رونق الدين، فجعلوه إلها (علي عبد الواحد وافي: **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام** ، ص 103.)

4- أحمد عبد الغفور عطار: **الديانات و العقائد**، ج2، ص 95.

5- Royston Picke : **Dictionnaire des religions**, P 53.

6- **Encyclopeadia universalis**, corpus 11, p 441.

7- **Mémo, larousse encyclopédie** ,(Paris : librairie larousse, 1991), p 342.

الإنســـانية من خلال تجسداته المستمرة، فقد اشتهر بتناسخاته العشرة الأساسية، و رغم اتحاده المستمر بقي إلها تاما، وإنسانا تاما.

وأول ثلاث تناسخاته هي: الحوت، السلحفاة المائية و الخنزير البري المكلف بجذب الأرض من جهـــنم عندما يغرق العالم في الطوفان العالمي[1]، و رابع تناسخ هو الرجل الأسد، و الخامس هو الناين Le Nain وهـــو مرتـــبط بالإلـــه الفيدي الخاص بالنور، و سادس تناسخ هو راما بالفأس يبين كفاح الـــبراهمان و طـــبقة الجـــنود، وسابع تناسخ هو راما بطل الرمايانا الذي جسد الطيبة والإيمان بمحاربته للمجنون رفانا Ravana[2]، ثم تناسخ كرشنا الأسود و هو من أشهر المعتقدات الهندية الحالية، و تاسع تناسخ هو بوذا و التناسخ العاشر هو أمل التحرر: " فيشنو سيعود مرة أخرى إلى الأرض في نهاية عصر الحديد بهيئة حصان أبيض، حتى يخرب العالم و الشر السائد و يخلق عالما آخر. "[3]

و يمـــثل **فيشنو** بإله كبير نائم فوق ثعبان، بلا نهاية له على مر الزمن، يحلم بغرق العالم، فيحفظه في ذاكـــرته لكي يخلقه الإله **براهما** من جديد، و صورة **فيشنو** هذه معاكسة لصورة **سيفا** الذي يرقص رقصته الكونية (طندافا Tandava)، والتي بواسطتها يوجد و يعدم العالم [4].

و من بين المعتقدات السائدة عند الفرق الفيشنية القديمة، أن الإله فيشنو يلجأ إلى خمسة أشكال تســـمى: الهيـــئة السامية بارا (Para) ، وهي غير مرئية للإنسان؛ أربعة أقانيم من هذه الأشكال تسمى **فيهـــا (Vyuha)** ، لهـــا علاقة بعملية التطور، وأما الشكل الخامس، فيسمى أفاتارا **Avatara** ، وهو عـــبارة عـــن تجســـدات بالمصادفة ينزل من خلالها الإله إلى الأرض لكي يعيد النظام، و قد تكون هذه التجســـدات بشكل حيواني أو إنساني، و أشهرها تجسده في راما و كرشنا، ثم أنتاريامين Antaryamin وهـــو وجود الإله الغير مرئي في قلب الإنسان، وآخر تجسد ،الذي يعتقد الفيشنيون أنه يستحق الولاء والاحترام، هو أركانا **Arcana** وتعني التمثال الذي تقدم له النذور[5].

1- Fournier P : **Histoire des religions non chrétiennes**, p 190, et Denis Saurat : **Histoire des religions**, p 328.
2- Mémo, p 342.
3- Fournier P : **Histoire des religions non chrétiennes**, p 190.
4- **Encyclopeadia universalis**, corpus 11, p 441.
5- Ibid, Op cit, p 441.

و يظهر لنا من الأشكال المختلفة للإله فيشنو أن الهنود عرفوا الأقانيم على اختـــلاف عددهـــا واعتقدوا أنها تجليات و ظهورات للإله الواحد (فيشنو).

سيفا : هو إله الدمار و الفساد، و معنى كلمة سيفا (العطوف) و هي لفظة أريد بها التخفيـف من بشاعة هذا الإله الذي يدمر جميع الكائنات العضوية، و كل ما أبدعتـــه يـــد الإنســـان، و كـــل الكواكب[1]، و لم يرد ذكر سيفا في كتب الفيدا كما قلنا، و إنما حل محل كلمة ريـــدرا المســـتعملة في تلك الكتب، ومعناها الباكي، وكانت تطلق على الروح الموكل بالرياح الثائرة و الزوابع الهوجاء، و قـــد كان هذا الإله قائد الأحد عشر إله الجويين[2]، و كان يعرف في العهد المسيحي بباســـيباتي Pasupati ، إله القطيع، الذي يحمي الماشية ، و يحمي أيضا الأرواح الإنسانية، و في نفس الفـــترة أصبـــح يســـمى سيفا[3].

وسيفا هو الإله المتوحش الذي يجسد العظمة و الرعب المقدس، و هو الإله الذي يداهنه أغلبيـــة الشعب الهندي، الذين تعودوا على رعبه و تعود هو عليهم [4].

و أما سبب تدميره الأشياء فمن أجل التغيير، وقد عرف بأنه نموذج النساك و أتبـــاع اليوجـــا Yoga، الذين يبحثون عن الضمير الأعلى، وهو يمتلك جميع القوى الحياتية، و خاصة القوى الجنســـية، وكل العبادات السيفية بدرجاتها المختلفة مطبوعة بالنسك والعشق[5].

فهذه إذن، هي أطراف الثالوث البرهمي و التي قد يكون استخلصها الإنسان الهندي من نظرتـــه إلى الكون، فقد رأى أن الكون كله ثلاثة وجوه رئيسية، هي الخلق و الاحتفاظ بالمخلوق، ثم الفنـــاء، ومن ثمة كانت هذه الآلهة عنده ثلاثة صور، براهما الخالق و فيشنو الحافظ و سيفا المدمر[6].

1- ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ج3، ص 205.

2 - محمد فريد وجدي: **دائرة معارف القرن العشرين**، ج2، ص 155، و **Encyclopeadia universalis**, corpus 11, p 442 .

3- **Encyclopeadia universalis**, corpus 11, p 442.

4- Denis saurat : **histoire des religions**, p329.

5- Mémo, p342.

6- ول ديورانت: **قصة الحضارة**، ج2، ص 204.

و يفسر لنا محمد رشيد رضا وجود التثليث في الديانة البرهمية بقوله :" أول رسول أرسل إليهم - إلى الهنود- وصف لهم الإله بثلاث صفات، هي التي تظهر بها حقيقة الألوهية ، الأولى: ما به الخلق والإيجاد، الثانية: الحفظ و الإمداد،الثالثة: التصرف والتغيير في عالم الكون و الفساد، فلما طال عليهم الأمر ودبت إليهم الوثنية، جعلوا لكل فعل من هذه الأفعال إلها، و جعلوا أسماء الصفات، أسماء أقانيم وذوات، ولما كانوا ناقلين بالتواتر كلمة التوحيد،وإن الله إلها واحد،قالوا إن الثلاثة واحد، وكل واحد منها عين الثلاثة "[1].

وسواء كان سبب التثليث البرهمي استخلاصه من لدن الإنسان الهندي أو تحريفه للتعاليم الإلهية و تغيير الصفات إلى أقانيم، فقد عرف الهندي التثليث، ودان به، بل ذهب إلى أبعد من ذلك وقال بالتثليث في وحدة كما سنرى.

ثانيا : نسق التثليث البرهمي.

يرى البراهمة أن إلههم واحد متسام، ممثل في ثلاثةأقانيم، فهو براهما من حيث هو خالق وفيشنو من حيث هو حافظ و سيفا من حيث هو مهلك[2].

و يقول دوان بخصوص نسق التثليث أو " التريمورتي " الهندي مايلي : " إذا أرجعنا البصر إلى الهند نرى أن أعظم و أشهر عباداتهم اللاهوتية هو التثليث، و يسمون هذا التعليم بلغتهم " تري مورتي"، وهي عبارة مركبة من كلمتين بلغتهم السنسكريتية " تري " و معناها ثلاثة و " مورتي " و معناها هيئات أو أقانيم، و هي (براهما و فيشنو و سيفا) ثلاثة متحدة لا تنفك عن الوحدة فهي إله واحد بزعمهم. "[3].

و يسود هذا المعتقد في المحيط السيفي Shivaite[4] الذي تطغى عليه النزعة النسكية، أما البيئات التي تعتمد على التفسيرات الميتافيزيقية للأوبانيشاد Oupanishads القديمة، فالوحدة هي وحدة البراهمان

1- **تفسير المنار**، ج6، ص 89.

2- **Encyclopeadia universalis**, corpus 11, p 441.

3- دوان: **خرافات التوراة و ما يماثلها في الأديان الأخرى**، نقلا عن: (محمد رشيد رضا : **تفسير المنار**، ج6، ص 88 .)

4- انقسم البرهميون إلى طائفتين : إحداهما تميل إلى ديانة فيشنو، و أخرى إلى ديانة سيفا، و كلتا العقيدتين بمثابة الجارتين المسالمتين. (ول ديورانت: **قصة الحضارة** ، ج 3 ص 204.)

اللاشخص -غير معين- و ما براهما و سيفا و فيشنو سوى تجليات لهذا الإله المبهم[1].

و قد جاء في كتاب الباجافاتابورانا- وهو من الكتب الهندية المقدسة- أن كاهنا توجه إلى الآلهة براهما و فيشنو و سيفا فسألهم أيهم الإله بحق ؟ فأجابه الآلهة الثلاثة جميعا قائلين: " اعلم أيها الكـــاهن، أنه لا يوجد أدنى فارق بيننا نحن الثلاثة، فإن الإله الواحد يظهر بثلاثة أشكال بأعماله من خلق و حفـظ وملاشاة، و لكنه في حقيقته واحد، فمن يعبد أحد الثلاثة فكأنه عبدهـــا جميعـــها أو عبـــد الواحـــد الأعلى"[2].

و يستخلص من هذا النص أن الإله الواحد قد يظهر بثلاثة هيئات مختلفة بحسب العمل الـــذي يقوم به، و بالتالي يكون الهنود قد قالوا بالوحدة في تثليث.

و يشرح لنا دوان معنى الأصول أو الأقانيم، وهذا بعد أن يذكر بأن الهنود يرمزون لهـــا بثلاثـــة أحرف هي : أ، و، م[3]، فيقول بأنهم يصفون هذا الثالوث المقدس، الذي لا ينقسم في الجوهـــر و لا في العقل و لا في الاتحاد بقولهم : " براهما الممثل في مبادئ التكوين و الخلق و لا يزال خلاقا إلهيـــا و هـــو (الأب)، و فيشنو يمثل حفظ الأشياء المكونة (أي من الزوال و الفساد) و هو الابن المنبثق و المتحول عن اللاهوتية، وسيفا هو المهلك و المبيد و المبدئ و المعيد (أي الذي له التصرف و التحويل في الكون وهـــو روح القدس) "[4].

و بالرغم من أن دوان قد تفرد -فيما يبدو- برأيه، فقال بأن النسق التثليثي البرهمي هو عبـــارة عن أب و ابن و روح قدس، فلا نجده مناقضا لما ذكرناه سابقا، فقد رأينا عند تعريفنا بالثالوث البرهمي، بأن براهما سمي " الأب و خالق كل الموجودات "، و سيفا حل محل الإله ريدرا و هذا الاسم كان يطلق على الروح الموكل بالرياح الثائرة، كما أن فيشنو في بعض تجسداته كتجسده في كريشنا وبوذا كـــان يدعى ابن الله.

1- **Encyclopeadia universalis**, corpus 11, p441.

2- محمد فريد وجدي : **دائرة معارف القرن العشرين**، ج2، ص 154.

3- يرى البراهمة أن (أ.و.م) هي لفظة سحرية عندما تلفظت وجدت الآلهة، فعندما نطق "أ" وجد الإله براهما، و عندما نطـق " و" وجد فيشنو، و عندما نطق "م" وجد سيفا. ثم رجعت الخلائق من نفي براهما بصورة متأنية (رؤوف شـــلبي : **آلهـــة في الأسواق**، وضياء الرّحمان الأعظمي : فصول في أديان الهند ، ط1(المدينة المنوّرة: دار البخـــاري للنشـــر، 1927)، ص 33. ص 106 و Denis Saurat, **histoire des religions**, p326).

4- محمد رشيد رضا : **تفسير المنار**، ج6، ص 88-89.

وعلى هذا الأساس يمكن القول بأنه هناك التقاء بين التثليثين البرهمي و النصراني في كثير من الجوانب، و أن النسقين قريبين من بعضهما إلى حد التطابق، و الفرق الوحيد بين التثليثين هو في نشأة كل أقنوم من الآخر و عمل الأقانيم.

و ليس التثليث النصراني وحده المستوحى من الديانة البرهمية، بل شخصية المسيح أيضا، فقد جعله النصارى توأما لكرشنا.

ثالثا : كرشنا و المسيح .

كريشنا هو الإله الأكثر شهرة في الهند، وقد رويت حكايات مختلفة حوله، فمنهم من يقول بأنه ولد في متهيرا ، والده فاسديفا Vasidiva وأمه ديفاكي Devaki، وهو من سلالة ياداڤاس Yadavas، وتروي لنا نصوص مها بهراتا (Maha-Bhârata)[1]، بأن عمه كمسا Kamsa ، رأى في منامه أنه سيقتل على يد أحد أبناء ديفاكي، فأمر جنوده بقتل كل مولود لها، لكن كرشنا نجى بأعجوبة، إذ أخرجه أبوه من القصر و أخذه ليربى في بيت رجل فقير (مربي أبقار)، وعندما كبر كرشنا، تجسد فيه الإله فيشنو، وأصبح إلها وإنسانا معا، فقام بمحاربة عمه كمسا فقتله، وأصبح ملكا مكانه[2].

و يرى البعض بأن كرشنا هو من صالحي كهنة الهنود ولد سنة 4800 ق.م، و تربى على يد النساك حتى أصبح فيلسوفا حازما قضى حياته في إرشاد معاصريه و تهذيبهم، و بعد موته بزمن أراد أتباعه أن يخلدوا أفكاره فجعلوه إلها[3].

أما الرأي الأكثر ذيوعا، فهو أن كرشنا ولد من العذراء مارتالا التي اختارها الله والدة لابنه بسبب طهارتها وعفتها، وقد مجدها الملائكة قائلين : "يحق للكون أن يفاخر بابن هذه الطاهرة "، و لما ولد كرشنا سبحت الأرض وأنارها القمر، وترنمت الأرواح وهامت ملائكة السماء فرحا و طربا، وقد أتى بالمعجزات بعد ولادته مباشرة ، فسمع حاكم البلاد به، فأمر بقتله و قتل كل الأولاد الذكور الذين

1- هي النصوص التي تدرس حياة و عبادة كريشنا و هي مرفقة بهجفاد جيتا Bhagavad gita و بهجفاتا بيرانا Bhagavata-purana (Royston P , **Dictionnaire des religions** p187.

2- Royston P : **Dictionnaire des religions**, p 187-188.

3- محمد أبو الفيض المنوفي: **موسوعة وحدة الدين و الفلسفة و العلم**، ص 49.

ولدوا في الليلة التي ولد فيها كرشنا، لكنه لم يتمكن من قتله.

وقد أحب الناس كرشنا، واعترفوا بلاهوته، وقدموا له الهدايا، وأصبحوا يعتقدون بأنه الخالق لكل شيء، الذي لولاه لما كان شيء مما كان، فهو الصانع الأبدي، ثم قالوا بأنه الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس: براهما، فيشنو في صورته الكريشنية، وسيفا، وأنه صلب ومات على الصليب، ثم قام من بين الأموات و نزل إلى الجحيم، ثم صعد بعدها إلى السماء بجسده، و كثيرون شاهدوه صاعدا[1].

و هذه القصة قريبة جدا بل مطابقة لحياة المسيح كما تصورها الأناجيل، فأساطير كرشنا غير محدودة وهو نفسه يظهر بثلاث هيئات و أقانيم، فيظهر في صورة الإله المحارب، كما يظهر في صورة طفل ثم في الإله الراعي الذي عاش مع الرعاة و تزوج من راد[2].

و يمكن القول بأن فكرة الأقانيم كانت شائعة جدا في الأوساط الهندية فالإله فيشنو متعدد الأقانيم، والإله كرشنا أيضا يظهر بأقانيم ثلاثة.

و يرى Royston Pike ،بأن هناك تشابه كبير بين حياة كرشنا و حياة المسيح، فكلاهما ولد من عذراء، و كلاهما أتى بالمعجزات، و كلاهما صلبا للتكفير عن خطايا البشر، و هناك عدة وثائق تثبت بأن عبادة كرشنا كانت منتشرة في الهند قبل الميلاد بفترة[3].

ولأن شخصية كرشنا قريبة جدا من شخصية المسيح التي رسمها له النصارى، آثرنا تقديم هذه الموازنة حتى نوضح مدى تأثر النصرانية بالمعتقدات البرهمية :

1- ول ديورانت: **قصة الحضارة**، ج3، ص 204.

2- **Encyclopeadia universalis**, corpus 11, p 441 et Denis S : **Histoire des religions**, p328.

3- **Dictionnaire des religions**, p 188.

كرشنا عند البراهمة	المسيح عند النصارى
- كرشنا، هو"المخلص و الفادي و المعزي والراعي الصالح، وابن الله، والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس، وهو الأب والابن و روح القدس"[1]	- يسوع المسيح : "هو المخلص والفادي والمعزي والراعي الصالح، والوسيط وابن الله، والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس وهو الآب والابن وروح القدس"[1]
- كرشنا هو براهما العظيم القدوس وظهوره في الناسوت سر من أسراره العجيبة[2]	- يسوع هو يهوه العظيم القدوس، وظهوره في الناسوت سر من أسراره العظيمة الإلهية[2].
- وآمن الناس بكرشنا، واعترفوا بلاهوته وقدموا له هدايا من صندل وطيب[3]	- وآمن الناس بيسوع المسيح، وقالوا بلاهوته وأعطوه هدايا من طيب ومر[3]
- ويقولون عن كرشنا:الخالق لكل شيء مهما كان فهو الصانع الأبدي[4]	- ويقولون عن يسوع المسيح أنه الخالق لكل شيء مهما كان فهو الصانع الأبدي [4]
- وقال كرشنا أنا علة وجود الكائنات، فيّ كانت و فيّ تحل، وعلي جميع ما في الكون يتكل، وفي يتعلق كاللؤلؤ المنظوم في خيط [5].	- من يسوع وفي يسوع، وليسوع كل شيء :"كل شيء له كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان" [5] .
- كرشنا صلب ومات على الصليب.	- يسوع صلب ومات على الصليب.
1- العقائد الوثنية في الديانة النصرانية(نقلا عن،محمد أبو زهرة : **الديانات القديمة**، ص 25) . 2- كتاب فيشنو بوراما، ص 492. (نقلا عن: أحمد عبد الغفور عطار: **الديانات و العقائد في مختلف العصور**، ج3، ص 300) 3-كتاب الديانات الشرقية، ص 500 (نقلا عن: محمد أبو زهرة:**الديانات القديمة**،ص 26) 4- دوان: **خرافات التوراة**، ص282، (نقلا عن: محمد أبو زهرة: المرجع نفسه، ص33) 5- مورس وليمز: **ديانة الهنود الوثنيين**، ص 212 (نقلا عن: محمد أبو زهرة المرجع نفسه، ص 35)	1- محمد أبو زهرة:**الديانات القديمة**، ص 25 2- رسالة تيموتاوس الأولى ، ج1 (نقلا عن: محمد أبو زهرة: المرجع نفسه، ص 300). 3-أنظر: إنجيل **متى**، 2 /2 . 4-أنظر: إنجيل **يوحنا**، 1/ 1-3 . 5-أنظر: إنجيل **يوحنا**، 1/ 1-3 .

- ومات كرشنا، ثم قام من بين الأموات [1].	- ومات يسوع وقام من بين الأموات [4].
- و صعد كرشنا إلى السماء، وكثيرين شاهدوه صاعدا [2].	- وصعد يسوع إلى السماء وكثيرون شاهدوه صاعدا [5].
- ويدين كرشنا الأموات في اليوم الأخير [3].	- ويدين يسوع الأموات في اليوم الأخير [6].

وهناك مشابهات كثيرة بين كرشنا و المسيح، وقد اقتصرنا على الأمور الخاصة بألوهية كل واحد منهما، والشيء الملاحظ أن كرشنا و المسيح توأمان وجد أحدهما قبل الآخر بقرون و ما دامت البرهمية أسبق في الوجود من النصرانية، فبات من البديهي أن يكون النصارى اخترعوا شخصية المسيح على غرار شخصية كريشنا.

المطلب الثاني: التثليث في الديانة البوذية

إن الديانة البوذية في أصلها، فلسفة أكثر منها دين، فلا يمكن لدين أن يقوم بدون إله [7]، وقد وجدت من أجل التخفيف من تعاليم الديانة البرهمية، وإزالة التفرقة بين الناس التي أصبحوا يتوارثونها

1- دوان ،ص282 . (نقلا عن، محمد أبو زهرة:**الديانات القديمة** ، ص32) .

2- دوان، ص 282 .(نقلا عن، محمد أبو زهرة، المرجع نفسه، ص32).

3- دوان، ص 282(نقلا عن ، محمد أبو زهرة، المرجع نفسه ، ص 32).

4- الأناجيل الأربعة في قصة الصلب و الموت.

5- إنجيل **متى**، ص 24.

6-إنجيل متى ، 24 / 31 و رسالة إلى أهل رومية، 14 / 10 .

7- Royston P : **Dictionnaire des religions**, p 50, et **Polythéisme et Fétichisme**, p25.

خلفا عن سلف[1]، و قد كانت موجهة للعناية بالإنسان و التسامح و المحبة و فعل الخير و الدعوة إلى التصوف و نبد الترف.

و قد أسس هذه الديانة أو المذهب الأخلاقي بوذا.

أولا : حياة بوذا[2].

اسمه سدراتا جوتاما Siddaratha Gautama، ولد حوالي 563 ق م أو 500 ق م، وهناك أساطير عديدة حول ولادته، أشهرها أن أمه مايا حملت به، بعد أن رأت بوذا المستقبلي يدخل في حضنها بشكل فيل أبيض، و قبل ولادته تغيرت السماء و كثرت الزلازل، و نبتت الأزهار في غير وقتها، و سمعت موسيقى سامية[3]، وبعد ولادته أتى بالمعجزات، ونشأ في قصر أبيه ملك أسرة ساقياس، وتزوج في التاسعة عشرة من عمره[4].

و ذات يوم كان في نزهة فالتقى بعجوز و مريض و ميت و ناسك فاستنتج أن كل ما على الأرض هو إلى زوال، فغادر زوجته وولده، وهو في التاسعة و العشرين من عمره، أي حوالي سنة 534 ق.م، وقد أخضع نفسه للرهبانية القاسية برفقة خمسة تائبين، فكان يصوم حتى تظهر عظام صدره و يسقط في الأرض، و بعد ست سنوات عرف أن تلك الرهبانية ليست هي الطريق التي تقوده إلى السلام، ففارق رفقائه و جلس تحت شجرة التين، و قرر المكوث هناك حتى يصل إلى الحقيقة، و قد حاول الشيطان مارا إغراءه لكنه هزم أمام إصرار بوذا، و في خلال ساعات الليل أصبح جوتاما، **بوذا** و عاش لمدة سبعة أسابيع تحت شجرة **بوذي Bothi**[5]، ومن ثم أسس مذهبه الأخلاقي الذي يدعو إلى الزهد و التقشف و الخشونة في المعيشة و التأمل في الكون و رياضة النفس،

1- محمد أبو زهرة: **الديانات القديمة** ، ص 45.

2- بوذا هو الاسم الديني لمؤسس الديانة البوذية، و معنى هذه الكلمة في اللغة السنسيكريتية، العالم الذي وصل إلى درجة البوذا، و هو العالم الكامل و على هذا فكلمة بوذه أو بوذا، ليست اسم علم و لكنها صفة. (محمد فريد وجدي: **دائرة معارف القرن العشرين**، ج2، ص 384).

3- Royston P : **Dictionnaire des religions**, p 49, et **Mémo**, p 345.

4- عبد الجليل شلبي: **عظماء قادة الأديان**، ط1، (مؤسسة الخليج العربي 1991) ، ص 53-54 .

5- **Ecclesia** , p 737, **et dictionnaire des religions**, p 49.

و كانت غايته هي تخليص الإنسان من آلامه[1] التي منبعها الشهوات، وقد كان لبوذا العديد من الأتباع الذين نشروا تعاليمه بسرعة[2].

و لم يعن بوذا بالحديث عن الإله و تحاشي كل ما يتصل بالبحوث اللاهوتية، و ما وراء الطبيعة، إذ كان يرى أن خلاص الإنسان متوقف عليه **هو لا على الإله**[3].

ثانيا : بوذا و المسيح.

توفى بوذا في سن الثمانين حوالي سنة 480 ق.م، و بعد مضي قرنان من الزمان على وفاته، انقسم تراثه إلى ثمانية عشر مذهبا أبرزها؛ مذهب " هنايانا " و معناه البلاغ الأصغر، و قد عبد أصحاب هذا المذهب بوذا باعتباره معلما عظيما لا إلها، و مذهب" ماهايانا " و معناه البلاغ الأكبر، وقد عبدوا بوذا و ألهوه و أحاطوه بالملائكة و القديسين، و قد تم إعلان ألوهيته بعد انعقاد مجلس " كنشكا " الذي كان جميع أعضائه من اللاهوتيين[4].

فأصبح التفكير في بوذا الإنسان على أنه تجسيد لبوذا الإله المتسامي، الموجود منذ الأزل، وأصبح بوذا " **الدارما** " أي الحقيقة التي أصبحت جسدا، و عاش مع اخوته البشر في حياة جسدية ثم رفع، ويفترض الكاتب جون هك، بأن رفع بوذا أساسه شدة جوع الروح الإنسانية لمنفذ شخصي، دعمته فكريا العقيدة الميتافيزيقية المعقدة في التثليث[5].

و يرى جون هك أن يسوع مثل بوذا، فقد صار التفكير في يسوع الإنسان على أنه التجسد للكلمة واللوغس Logos الأزلية، و أنه الابن الخالد واحد في الله الأب، ثم يقول بأنه لا فرق بين **الدارما** الحقيقية التي أصبحت جسدا و بين **الكلمة** التي صارت جسدا.

1- إن العقيدة البوذية في مجملها حل لمشكلة الألم، و هي تبنى على أربعة حقائق أساسية، الألم، و سبب الألم، و إبطال الألم، و طريق إبطال الألم، و يتأتى ذلك بثمانية وسائل يشترط توفر الاستقامة فيها، وهي الاعتقاد، العزم، الكلمة، الفكر الوساطة، الطريق المستقيم، الجهد، و الوساطة (Ecclesia , p 737).

2- **الموسوعة الميسرة في الأديان**، ط1، (الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، 1988م)، **ص 857**

3-أحمد شلبي: **أديان الهند الكبرى**، ص 171.

4- ول ديورانت: **قصة الحضارة**، ج3، ص 196-197 و **Mémo**. p 345.

5- جون هل: **يسوع و الديانات العالمية، أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح**، ص 261.

و الترجمة " البورمية للأناجيل تعتبر الدارما مواز للوغس أي الكلمة الإلهية، حتى أن أول جملة من إنجيل يوحنا في اللغة البورمية كالتالي : " في البدء كان دارما. "[1]

و يبدو من تحليل جون هك أن هناك شبه كبير بين بوذا و المسيح، فبوذا تجسيد للدارما و المسيح تجسيد للكلمة، و الدارما مواز للوغس.

و الشبه بين بوذا و المسيح يتعدى إلى أبعد من ذلك، فكلاهما تقرر تأليههما في مجامع [مجمع كنشكا بالنسبة لبوذا و مجمع نيقيا بالنسبة للمسيح] مما يؤكد بأن النصرانية متأثرة بالبوذية سواء على مستوى الأفكار أو في طرق و وسائل تقرير الأمور الدينية.

كما أن عقيدة التثليث كانت معروفة في الديانة البوذية، فقد عرفنا سابقا[2] أن بوذا هو تاسع تجسد للإله فيشنو، و عليه فالثالوث البوذي مكون من براهما و فيشنو في صورته البوذية و سيفا.

و حتى يتضح تأثر الديانة النصرانية بالأساطير و الخرافات التي نسجها خيال الهندي حول بوذا نقدم هذه الموازنة :

1- جون هك: **يسوع و الديانات العالمية**، ص 261-262.

2- راجع ص121 من المطلب البحث، و انظر: Fournier P : **Histoire des religions non chrétiennes**, p 190.

بوذا عند البوذيين	المسيح عند النصارى
- كان تجسد بوذا، بواسطة حلول روح القدس على العذراء " مايا "[1].	- كان تجسد يسوع المسيح بواسطة حلول روح القدس على العذراء " مريم " [1].
- لما نزل بوذا من مقعد الأرواح و دخل في جسد العذراء " مايا " ، صار رحمها كالبلور الشفاف النقي و ظهر فيه كزهرة جميلة[2].	- لما نزل يسوع من مقعده السماوي، ودخل في جسد " مريم " العذراء صار رحمها كالبلور الشفاف و ظهر فيه يسوع كزهرة جميلة[2].
- و قد عمد بوذا المخلص، حين عمادته بالماء، و كان روح الله حاضرا، و هو لم يكن الإله العظيم فقط بل وروح القدس الذي فيه صار تجسد جوتاما لما حل على العذراء " مايا" [3].	- و يوحنا عمد يسوع، بنهر الأردن و كانت روح الله حاضرة ، وهو لم يكن الإله العظيم فقط، بل الروح القدس الذي فيه تم تجسده عندما حل بالعذراء مريم، فهو الأب و الإبن والروح القدس[3].
- و عرف الحكماء بوذا، وأدركوا أسرار لاهوته، و لم يمض يوم على ولادته حتى حياه الناس و دعوه إله الآلهة [4] .	- و قد زار الحكماء يسوع و أدركوا أسرار لاهوته، و و لم يمض يوم واحد على ولادته حتى دعوه إله الآلهة[4].
- كان بوذا ولدا مخيفا، و قد سعى الملك " بمبسارا " وراء قتله لما أخبروه أن الغلام سيترع الملك من يده إن بقي حيا [5] .	- كان يسوع ولدا مخيفا، سعى الملك " هيرودس " وراء قتله كيلا يترع الملك من يده[5].
1- دوان ص289، (نقلا عن: أحمد عبد الغفور عطار: **الديانات و العقائد**، ج3، ص 304). 2- الملاك المسيح ص 290، (نقلا عن، أحمد عبد الغفور عطار: ا لمرجع نفسه، ج3، ص 304). 3- دوان، ص 293 و بنصون ص45. (نقلا عن، أحمد عبد الغفور عطار: المرجع نفسه، ج3، ص 309) 4- دوان ، ص 290 .(نقلا عن، أحمد عبد الغفور عطارا: لمرجع نفسه،ج3، ص 305). 5- الأسطورة البوذية. (نقلا عن، أحمد عبد الغفور عطار: المرجع نفسه، ج3، ص 306).	1- أنظر: متى، إصحاح 1. 2- دوان ص 290، و بنصون .2ص(نقلا عن، أحمد عبد الغفور عطار: **الديانات و العقائد**، ج3، ص 304). 3- أنظر:**متى**، 17/ 1-2. 4- أنظر: **متى**، 2/ 1-11. 5- أنظر: **متى**، 2/ 1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بوذا عند البوذيين	المسيح عند النصارى
- لما مات بوذا و دفن انحلت الأكفان و فتح غطاء التابوت بقوة غير طبيعية (أي بقوة إلهية)[1].	- لما مات يسوع و دفن انحلت الأكفان وفتح القبر بقوة غير اعتيادية، أي بقوة إلهية[1].
- و صعد بوذا إلى السماء لما أكمل عمله في الأرض[2].	- و صعد يسوع بجسده إلى السماء من بعد صلبه لما كمل عمله على الأرض[2].
- و لسوف يأتي بوذا مرة ثانية إلى الأرض ويعيد السلام و البركة فيها[3].	- و لسوف يأتي يسوع مرة ثانية إلى الأرض و يعيد السلام و البركة فيها[3].
- و سيدين بوذا الأموات[4].	- و سيدين يسوع الأموات[4].
- بوذا الألف و الياء، ليس له ابتداء، و هو الكائن العظيم، و الواحد الأزلي[5].	- يسوع الألف و الياء، ليس له ابتداء، و لا انتهاء و هو الكائن العظيم، و الواحد الأزلي[5].
-قال بوذا : لتكن الذنوب التي ارتكبت في هذه الدنيا علي ليخلص العالم من الخطيئة[6].	- يسوع هو مخلص العالم، و كافة الذنوب التي ارتكبت في العالم تقع عليه عوضا عن اللذين اقترفوها و يخلص العالم[6].

1-بنصرن: الملاك المسيح، ص 49.(نقلا عن، أحمد عبد الغفور عطار : **الديانات و العقائد في مختلف العصور**، ج3، ص 310).

2-دوان ص 293.(نقلا عن، أحمد عبد الغفور عطار : المرجع نفسه،ج3، ص 310).

3-دوان ص 293. (نقلا عن، أحمد عبد الغفور عطار : المرجع نفسه، ج3،ص 310)

4- أحمد عبد الغفور عطار ، المرجع نفسه ج3،ص 310.

5- دوان ص293(نقلا عن،أحمد عبد الغفور عطار : المرجع نفسه، ج3،ص 311).

6- ماكس مولز:تاريخ الأدب السنسكريتية،ص 80(نقلا عن، أحمد عبد الغفور عطار :المرجع نفسه ، ص 311)

1- إنجيل متى، إصحاح 28، و **يوحنا**، إصحاح 20.

2- **أعمال الرسل**، 1/ 1-12.

3- **أعمال الرسل**، إصحاح 1.

4- **متى**، 16/ 28 و **يوحنا**، 5 / 22.

5- **يوحنا**، 1/ و رؤيا **يوحنا**، إصحاح 1.

6- دوان ص 293 (نقلا عن، أحمد عبد الغفور عطار: **الديانات والعقائد**، ج3، ص311،).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فالشيء الملاحظ، أن هناك تطابق كبير بين شخصيات كرشنا و بوذا و المسيح، و لا نستغرب تشابه كرشنا و بوذا لأنهما من بيئة واحدة، و غالبا ما يسند الناس لشدة إعجابهم بشخصية معينة ما كانوا يسندونه لشخصية بطولية سابقة، وأما عن تشابه المسيح بهما فسنعرف طريقه من الآتي.

ثالثا : أثر البوذية على الديانة النصرانية .

إن معظم العلماء مجمعون على أن المدرسة الإسكندرية[1] هي حلقة الوصل التي جمعت البوذية بالنصرانية، فقد صارت منذ القرن الأول الميلادي منبع العلوم و مهد الثقافات و ملتقى الحضارات التي تشد إليها الرحال.

وقد تردد كثير من البوذيين، وهم في طريقهم إلى روما على المدرسة الإسكندرية، و هناك وثائق عديدة تشير إلى مثل هذه الزيارات، و "من هنا يعتقد راولسيون أن الإسكندرية كانت على علم تام ومعرفة كاملة بأديان الهند و فرقها و نحلها."[2]

و قد كان تيتوس كليمان[3] النصراني ملما بالبوذية، وذكر في بعض كتبه أن اليونانيين سرقوا البوذية، و هم لا يزالون في الطور البدوي، و هو أول عالم نصراني تكلم عن الديانة البوذية، وعن البوذيين الذين أصبغوا على بوذا صفات الألوهية، و نصبوه إلها من الآلهة.

وبالإضافة إلى ما أورده كليمان، فقد أورد أحد الكتاب[4] نصوصا تدل على اتصال الإسكندرية النصرانية بالبوذية، وهذا خلال القرنين الثاني و الثالث الميلاديين[5].

و يرى البعض أن هناك ملامح متشابهة بين القصص البوذي و بين قصص بعض الأناجيل مثل ولادة بوذا و المسيح، و أول وعظ لبوذا و الحواريين الإثني عشر، و قد وردت هذه القصص

1- سنعرف بالمدرسة الإسكندرية في المبحث اللاحق.

2- محمد إسماعيل ندوى: **الهند القديمة حضارتها و ديانتها**، ص 218.

3- عاش ما بين (150-218م)، و هو لاهوتي يوناني ولد في أثينا من أبوين وثنيين ثم اعتنق المسيحية (المرجع نفسه، ص 218).

4- و هو ميك كريندل Mic Crindel.

5- محمد إسماعيل الندوى: **الهند القديمة حضارتها و ديانتها**، ص 219.

البوذية في كتاب يسمى " لاليثا فيستارا " Lalita Vistara ، وهو كتاب قديم، مما يدل على اقتباس النصرانية هذه القصص من البوذية، بسبب كونها متأخرة عنها، و كما أن البوذية قد أحدثت دويا كبيرا في العالم الروماني قبل ظهور المسيح و بعده[1].

فلم يبق أدنى شك في أن النصرانية قد استعارت كثيرا من معتقداتها و شعائرها من البوذية، فالتثليث و الأقانيم وقصة الصلب و الفداء، وكذلك الزهد والورع والتخلص من المال للدخول في ملكوت السماوات، والرهبانية، كلها مستعارة من البوذية التي سبقت النصرانية بخمسة قرون.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- المرجع نفسه، ص 219.

المبحث الرابع

التثليث في مدرسة الإسكندرية

كانت الإسكندرية عاصمة العلم، ومركز الفكر والثقافة، فقد تجاوبت مع جميع الأفكار والفلسفات العالمية، حيث تلاقت فيها مدارس جمة ومذاهب مختلفة، ويرجع ذلك لموقعها الجغرافي، بين الشرق والغرب، وبعدها عن الحروب التي توالت على بلدان آسيا وبلاد اليونان.

وكانت مدرسة الإسكندرية[1] ضخمة، تضم نصف مليون بردية، وقد نبغ فيها الكثير من العلماء [2] وذاع فيها اسم مدرسة الطب، وترجمت فيها التوراة إلى اللغة اليونانية، ونشطت الرياضة والكيمياء ووضعت فيها أسس تصنيف العلوم ونقد النصوص، وشرح المذاهب الدينية والفلسفية، وامتزجت الآراء والأفكار والمذاهب والأديان [3] والمعتقدات ، كما اصطبغت فيها اليهودية ثم النصرانية بالصبغة اليونانية[4].

وقد ظهر في مدرسة الإسكندرية قطبان، لهما الأثر الكبير في الديانة النصرانية و ظهور عقيدة التثليث خاصة، و هذان القطبان هما : فيلون و أفلوطين.

1-بناها بطليموس سوتير(230-185 ق م)، ملك مصر بعد وفاة الإسكندر، وتم بناها في عهد بطليموس الثاني (285-247 ق م)، وكانت المدرسة مقسمة إلى مساكن للعلماء وغرف للتدريس وحدائق للحيوانات، وقد خربت هذه المدرسة عندما هجم عليها الرومان تحت قيادة قيصر الروم.(محمد فريد وجدي: **دائرة معارف القرن العشرين**، ج1، ص329)

2-أمثال: إقليدس(3 ق م)، وأرخميدس(287- 212 ق م)، ونبغ فيها العالم واللغوي إيراتوستين Eratostenes (275-194ق م).(محمد عبد الرحمان مرحبا: **مع الفلسفة اليونانية**، ط3، (بيروت، باريس: منشورات عويدات، 1988م)، ص 217-218.)

3-وهي الأديان التالية: الديانة اليونانية والرومانية، وديانة قدماء المصريين، والديانات الشرقية كالبوذية والزرادشتية والمانوية.

4-محمد إسماعيل ندوي: **الهند القديمة حضارتها وديانتها**، ص223.

المطلب الأول : فيلون و أثره في عقيدة التثليث النصرانية.

أولا : حياته .

فيلون هو من أشهر فلاسفة اليهود، ولد ما بين (20-10) ق.م[1] أو 30 ق.م[2]، و هو من أسرة عريقة الحسب و النسب، ولد بالاسكندرية، و بها تلقى تعليما جيدا في العلوم اليونانية كما في الديانة اليهودية، و قد حمل مشعل الثقافة اليهودية في العالم و كان من رسلها الواقفين على أسرار الفلسفة اليونانية، حتى سمي بأفلاطون اليهود [3].

وبالرغم من مؤلفاته العديدة باليونانية، بقي فيلون يهوديا ، حتى أن الكثير من كتبه موجهة لتعليم اليهودية لليونان ، و هو يري أن اليونان استمدوا بعض أفكارهم من موسى- عليه السلام [4].

وأكثر ما أشتهر به فيلون هو الشرح الرمزي أو التفسير المجازي للتوراة، فحواء مثلا كناية عن الحس، و الحية كناية عن اللذة [5]، وكان غرضه من التفسير المجازي ، محاولة تقديم الديانة اليهودية بصورة يتقبلها المجتمع اليوناني ، ويبدو هذا بارزا في تفسيره لوصايا التوراة ، و بعض المحرمات من الحيوانات والختان وغير ذلك[6] وقد اشتهر فيلون أيضا بفكرة اللوغس، والتي كان لها الأثر البالغ في الديانة النصرانية . توفي سنة 50 بعد الميلاد.

ثانيا : فلسفة فيلون وأثرها في عقيدة الكلمة النصرانية.

يعتقد فيلون بالإله الواحد ، ويرى أن الله موجود ولكننا لا نعلم حقيقته ، فلا حد له ، ولا صفات له ، وقد خلق العالم لا لأنه محتاج إلى خلقه، وهو يعتني به من غير جهد، وهو كمال كله بريء عن المادة ،غير متصل بالعالم [7]، وهو خارج عن الزمان والمكان، ويستحيل إدراكه بالوسائل

1- Royston P,: **Dictionnaire des religions**, p 251.

2- حربي عباس عطيتو: **ملامح الفكر الفلسفي الديني في مدرسة الإسكندرية،وتياراتها الفكرية والعلمية**، تقديم: علي عبد المعطي، ط1، (بيروت: دار العلوم العربية،1992م)، ص 250.

3- المرجع نفسه، ص 250، و أحمد عبد الغفور عطار: **الديانات و العقائد في مختلف العصور**، ج3، ص 321.

4- Royston P : **Dictionnaire des religions**, p 215.

5- عمر فروخ: **تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون**، ط4 (بيروت: دار العلم للملايين)، ص18-19.

6- **Encyclopeadia univdersalis**, corpus 18, p 68.

7- عمر فروخ: المرجع السابق، ص 19 .

العقلية لأنه فوق العقل وفوق الوجود المتناهي أو المخلوق، ولا يمكن له الاتصال بالعالم الحسي إلا عن طريق سلسلة من الوسطاء[1].

والوسطاء طبقات أولها هو اللوغس logos أو ابن الله أو العقل الإلهي أو الكلمة الخالقة ، وبعده الحكمة الإلهية، فآدم الله ، فالملائكة ، فنفس الله ، وأخيرا القوات من ملائكة وجن تنفد الأوامر الإلهية، وهذه القوى تعتبر بمثابة رابطة أو وساطة بين الله و العالم ، وتحتل موقعا متوسطا بين الله الخالق والعالم المخلوق[2].

ويتصدر سلسلة الوسطاء الكلمة logos، فالكلمة في الفلسفة اليهودية القديمة تعني " كلمة الله " التي من أثارها الخلق، وهي بهذا المعنى تتفق مع ما جاء في القرآن الكريم : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[3].

وقد حاول فيلون التوفيق بين الكلمة في اليهودية والفلسفة الرواقية، فأدخل عنصرا ثالثا استمده من الفلسفة الأفلاطونية، ويسمى " البرزخ" بين الله والعالم ، ويسميها ابن الله الأول،والصورة الإلهية وحقيقة الحقائق[4].

ويرى فيلون أن **الكلمة** كانت في عقل الله ابتداء قبل جميع الأشياء، وصارت متجلية في جميع الأشياء فهي أداة الخلق، والوسيط بين الله والعالم، وفيلون " إذ يدعى أن الكلمة ابن الله، يزعم أن الصلة بينهما مثل العقل بأفكاره ، وكما أن العقل يلد أفكاره ،فإن الله ولد الكلمة ولكن لا يعتبر الكلمة غير مولودة مثل الله الذي لم يولد ، ولا تعتبر مولودة مثل البشر الذين يولدون "[5].

ويضيف فيلون بأن خلق الله الإنسان على صورته، تعني أنه خلقه بصورة " الإله الثاني"، الذي هو اللوغس ، لأنه لا يمكن لفان أن يصنع على شكل الواحد العلي الأعلى.

و اللوغس أكثر من نموذج لأنه هو الرباط الجوهري الذي يتخلل الكل ويحفظ الخلائق المتعددة

1- ماجد فخري: **تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس (585 ق.م) إلى أفلوطين (270م) و برقليس (485م)**، ط 1، (بيروت: دار العلم للملايين، 199)، ص187.

2- حربي عباس عطيتو: **ملامح الفكر الفلسفي و الديني في مدرسة الإسكندرية**، ص 257 و Royston pi.ke **dictionnaire des religions**, p 251.

3- **يس**/ 82.

4- أحمد عبد الغفور عطار : **الديانات و العقائد في مختلف العصور**، ج3، ص 321-322.

5- المرجع نفسه ، ، ج3، ص322.

الأشكال في وحدة لا تنكسر، وهكذا فالله مرتبط بالعالم عبر وسيطه اللوغس.

واللوغس ليس فقط الله ، ولكنه أيضا إنسان يتطلع البشر أن يصبحوا أولاده، والذين يعيشون في معرفة الواحد يسمون " أبناء الله " ، وهو غير قابل للفناء لأنه صورة الله الذي يتمتع بمعرفة مباشرة بالواقع والحقائق أكثر مما يعتمد على تلقي التعليمات، فهو إذن يمنح الوحي، ويعمل كنائب لله [1].

و الشيء الملاحظ مما تقدم، أن فيلون لم يصل إلى حل حاسم بالنسبة للوغس الإلهي ، إن كان كائنا قائما بذاته متميزا عن الله أم هو العقل الإلهي ، أو قوة من قوى الله أو صفة من صفاته[2]، لهذا يقول فيه ألبيرديفو: « إنه لمن المحال أن تكون أقوال فيلون هذه مذهبا منسجما، ذلك أنها زئبقية لاثبات لها ، ولا استقرار ، وعلى الخصوص مسألة اللوغس، فتارة تبدو شخصية متمايزة ... وتارة تبدو وكأنها مجموعة من العقول الخاصة ، وتارة تنطبق عن الحكمة الإلهية التي تفيض عنه ... »[3].

ومما تقدم نستنتج أن الكلمة عند فيلون هي عينها الكلمة في الديانة النصرانية ، إلا أن فيلون لا يحصر مدلول الكلمة في شخص معين، بعكس النصرانية التي تحصرها في السيد المسيح عليه السلام.

ففيلون يرى أن الكلمة هي البرزخ بين الله والعالم ، وابن الله الأول والصورة الإلهية وحقيقة الحقائق ، والابن الأكبر المنتمي لأمه الحكمة وأول الملائكة ، والإنسان الأول الذي الله على صورته[4]، والنصارى يرون أن المسيح هو ابن الله وصورته أو الروح المتغلغلة في الكون والواسطة في خلق العالم ، ويرون أن الكلمة تشخصت في صورة المسيح ،فبالابن وعن الابن وفي الابن ظهر كل شئ ، فهو أول الموجودات وأول الحياة[5] ولا يوجد فرق بين الكلمة عند فيلون وعند النصارى إلا في تصريحهم بتجسدها في المسيح .

1- فرانسيس يونغ: **أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح**، ص186-187.

2- حربي عباس عطيتو: **ملامح الفكر الفلسفي و الديني في المدرسة الإسكندرية**، ص 257.

3- أحمد عبد الغفور عطار : **الديانات و العقائد في مختلف العصور**، ج3، ص 326.

4- المرجع نفسه، ج3، ص 25.

5- حربي عباس عطيتو: المرجع السابق، ص 257.

وإذا استعرضنا ما أورده يوحنا في إنجيله " في البدء كان الكلمة والكلمة كان مع الله، وكان الكلمة هو الله ، وهو كان في البدء مع الله ، به تكون كل شئ ، وبغيره لم يتكون أي شئ مما تكون ، فيه كانت الحياة ، والحياة هذه كانت النور للبشر،والنور يضئ في الظلام"[1] ، نجد أنه لا فرق بين الكلمة عند فيلون وعند يوحنا ، خاصة إذا علمنا أن معظم الباحثين لا ينسبون الإنجيل إلى يوحنا الحواري، وإنما إلى طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية[2] وقد تعدى تأثير فلسفة فيلون للكلمة إلى الكتاب النصارى خاصة في حواراتهم حول عقيدة التثليث[3].

يقول فرانسيس يونغ عن تأثر النصرانية بكتابات فيلون: " وقد حفظت الكنيسة وكرّمت كتابات فيلون، ووفرت بذلك الإلهام للاهوت مسيحي فلسفي معقد، والواقع أن فيلون تنبأ من عدّة أوجه بالعرض الرسمي لدراسة شخص المسيح، ورغم أنه لا يعرف رجله (اللوغس) السماوي بأية شخصية تاريخية معينة، لأن كل البشر يشتركون فيه بدرجات متفاوتة...إلا أنه وفر بالتأكيد صورة قبل ظهور المسيحية، لكائن سماوي وسيط من النوع الذي عرّف به المسيحيون يسوعا، والمتشابهات الكثيرة في لغة (مقدمة يوحنا) [4]، وفي (الترنيمة الكولوسية) [5] عن المسيح الكوني لم تمر دون ملاحظة. " [6]

المطلب الثاني: أفلوطين وأثره في عقيدة التثليث النصرانية.

أولا: حياة أفلوطين.

ولد أفلوطين في صعيد مصر بمدينة ليقوبوليس (أسيوط) حوالي سنة 203 أو205 ق.م[7]، من أبوين رومانين ، لم يهتم بدراسة الفلسفة إلا في سن الثامنة والعشرين من عمره ، تتلمذ على يد

1- 1/ 1.

2- محمد أبو زهرة: **محاضرات في النصرانية**، ص 123 .

3- **Encyclopeadia universalis**, corpus 18, p 68 و م روزنتال و ب يودين: **الموسوعة الفلسفية**، ص 41.

4- **يوحنا**،1 /1.

5- **كولوسي**، 1/15-20.

6- فرانسيس يونغ : **أسطورة تجسد السيد المسيح في الإله**، ص187-188.

7- **Encyclopeadia universalis**, corpus 18, p 493.

أمونيوس سكاس [1]، فلازمه على مدى إحدى عشر سنة [2]، غرف أفلوطين من معين البحر الثقافي الإسكندري فاستوعب فلسفة الإغريق و بخاصة تعاليم أفلاطون، كما تأثر بنزعات التدين في المجتمع المشرقي آنذاك ، كاليهودية والهرمسية[3] والأفكار الهندية والرواقية.

لم يبدأ أفلوطين في التأليف إلا في سن التاسعة والأربعين، وقد جمع تلميذه فورفوريوس الصوري[4] ما كتبه في مؤلف سماه " التاسوعات "[5]، وقد كان الاتجاه العام في مذهب أفلوطين يهدف إلى الاهتمام بمسائل الدين والأخلاق ، والنزوع إلى الزهد والتصوف، عن طريق تصفية النفس وتطهيرها من الشوائب والأدران[6].

توفى أفلوطين سنة 69 2 م أو 270 م، بعد أن أسس المدرسة الأفلاطونية المحدثة[7] في القرن الثالث الميلادي، و هي عبارة تدل على المجهود الخلاق الذي بذلته العصور الوثنية القديمة من القرن الثالث، إلى القرن السادس لإنتاج مذهب فلسفي شامل [8] يمكن أن يلبي مطامح الإنسان الروحية

1- لا يكاد يعرف شيء عنه، سوى أنه ولد من أبوين نصرانيين، ثم صبا إلى الدين اليوناني القديم، و لم يؤثر عنه أي كتاب، وقد أعجب به أفلوطين وكان يشيد بفضله عليه.(محمد عبد الرحمان مرحبا: **مع الفلسفة اليونانية**، ط3، (بيروت : منشورات عويدات 1988)،ص226.

2- المرجع نفسه، ص 226.

3-أصل هذه التسمية من الإله الإغريقي" هرمس" إله العلم والمعرفة، وهي فرقة وثنية ظهرت في مصر في القرون المسيحية الأولى، وقد عبدت الإله" تحوت"، الذي له نفس صفات " هرمس"، وقد قام الأدب الهرمسي بتطوير الغنوصية، التي تضمن لمن يمتلكها معرفة نفسه و لإلهه.(Royston P :**Dictionnaire des religions**, p148 Et Gérard Legrand : **Dictionnaire de La Philosophie**, p 132

4- ولد سنة 233م و هو فيلسوف ينسب إلى المدرسة الإسكندرية، قال عنه أوغسطين بأنه كان مسيحيا، و هو تلميذ أوريجان في أثينا، و أصبح التلميذ الوفي لأفلوطين في روما، وبكتب أستاذه ،توفي سنة 306م. (Royston P :**Dictionnaire des religions**, p 156) دون

5- حنا الفاخوري، خليل الجر: **تاريخ الفلسفة العربية**، ط2، (بيروت: دار الجيل، 1982)، ص 107.

6- مصطفى غالب: **في سبيل موسوعة فلسفية**، ط [ ]، (بيروت : دار مكتبة الهلال، 1986)، ص8.

7- يطلق عليها البعض اسم "الأفلاطونية الحديثة"، و هذا خطأ يقع فيه الكثيرون، فهي ليست حديثة بمعنى (Moderne) ولكنها وليدة أفكار أفلاطون القديمة، فهي منبثقة منها، محدثة عنها (محمد عبد الرحمن مرحبا: **مع الفلسفة اليونانية**، ص 226.)

8- كانت فلسفة الأفلاطونية المحدثة تصوفية،افترضت نظرية أفلاطون عن المثل، و أصبحت تقول بوجود عقيدة خاصة بالانبثاق الصوفي للعالم المادي عن عنصر أولى روحاني، فالمادة ما هي إلا أدنى حلقة من البناء الهرمي للكون و هي انبثاق النفس العالمية التي فوقها تنشأ الروح، ثم أعلى منها الجوهر الأول أو الواحد (روزنتال : **الموسوعة الفلسفية** ،ص 41.)

جميعا سواء كانت عقلية أو دينية أو أخلاقية [1].

و قد نشأت الأفلاطونية الحديثة أولا في مصر في الإسكندرية على يد أمنيوس سكاس وبعدها أسس أفلوطين مدرسة أفلاطونية جديدة في روما[2].

و لقد نجحت الأفلاطونية المحدثة في إدماج معظم الفكر الفلسفي المبكر خاصة فكر أفلاطون وأرسطو و الرواقيين [3] بالأفلاطونية و أخذت كثيرا من الأساطير و الطقوس و عبادات اليونان والمشارقة الوثنيين [4]. و قد كانت الأفلاطونية المحدثة معادية أساسا للنصرانية، و مع هذا فقد كان لها تأثيرا بالغا في الكتابات الكنسية النصرانية [5].

ثانيا : فلسفة أفلوطين وأثرها في عقيدة التثليث النصراني.

أ- فلسفته : إن فلسفة أفلوطين تدور حول مشكلتين أساسيتين، الأولى دينية، وهي مصير النفس وطريق عودتها إلى طهارتها الأولى، والثانية فلسفية ، وهي مشكلة تركيب الكون وتفسيره تفسيرا عقليا[6] وما يهمنا نحن هو الجانب الذي أثر في فلسفة علماء النصارى لعقيدة التثليث، وهو منشأ الكون .

فقد فسر أفلوطين صدور الموجودات الكثيرة عن الموجود الواحد المطلق[7]، الذي يصدر عنه العقل الكلي ثم النفس الكلية، فالواحد والعقل والنفس هو ما يسمى بالمثلث الأفلوطيني .

الواحد : فهم أفلوطين الخير على أنه " الواحد " المطلق والعلة الأولى، ويرى أنه يقوم على قمة الأشياء جميعا ، ويدعوه أحيانا " الأب " ، فهو مبدأ كل شئ وهو الواحد الأوحد المطلق ،

1- فؤاد كامل : **الموسوعة الفلسفية المختصرة** ، ص61، و **Dictionnaire des religions**, p 227.

2- روزنتال : **الموسوعة الفلسفية** ، ص 41.

3-و كذلك الفيثاغوريين مع استبعاد فكر الأبيقوريين.

4-فؤاد كامل : المرجع السابق، ص 61.

5-روزنتال: **الموسوعة الفلسفية**، ص 41.

6- حنا الفاخوري، خليل الجر: **تاريخ الفلسفة العربية**، ص 109.

7- محمد يعقوب: **معجم الفلسفة**، ط [ ]، (الجزائر : مكتبة الشركة الجزائرية)، ص 266.

اللامتناهي [1]، الذي لا يوصف بأي وصف لتفاهة جميع الأوصاف وقلة شأنها، فلا يقال الله جميل، بل هو فوق الجمال،وعليه فهو لا يدخل تحت صفة أعلى منه هي الجمال[2]، ولا يوصف بصفات العلم والإرادة و الحركة والقدرة ، فلو كان الله مريدا لاحتاج إلى غيره وفي هذا نقص وهكذا...

و لا يمكن أن يقال عن الله أنه موجود لأن كل وجود إنما يكون خاضعا للتأثير بفعل أو انفعلل، والمتأثر متغير والله ثابت لا يتغير بحال من الأحوال[3]، يقول أفلوطين : " و لما كان المولّد كل شئ ، فهذا المبدأ ليس أيا من الأشياء ، وهو ليس متحركا، ولا ساكنا، وليس في زمان ولامكان، وهو محدد في ذاته فريد في صورته، بل قل لا صورة لأنه قبل الصورة موجود" [4].

وبعد أن سلب أفلوطين عن الله كل الصفات التي توهم حسب رأيه التعدد والتركيب والنقص، قال بأن الله لا يمكن أن يكون وحيدا ولا متناسلا، فهو لا يمكن أن يتره عن النقص إذا بقي وحيدا[5]، لذلك يقول أفلوطين ، بأن الله تأمل ذاته فعقل بذلك نفسه -أي علم بأنه موجود -حينئذ فاض عنه كائن واحد هو " العقل الأول "[6].

العقل : يعتبر العقل الأقنوم الثاني في الثالوث الأفلوطيني، ذلك أنه لما كان الواحد لا يمكن أن يظل غارقا في وحدته إلى الأبد ، فإنه لابد وأن يشع منه نور ينتشر فيفيض على ما حوله ، دون أن ينقص منه شيء، وهذا النور الذي يصدر عنه دليل جوده وكرمه، فالواحد يشاهد ذاته، و ينتج عن هذا انبثاق شبيه له، هو الأقنوم أو المبدأ الثاني وهو العقل [7].

يقول أفلوطين : " عندما يبلغ كائن كماله نرى أنه يلد، فهو لا يطيق أن يبقى في ذاته ، بل

1- حربي عباس عطيتو: **ملامح الفكر الفلسفي و الديني**، ص 147.

2- محمد عبد الرحمن مرحبا: **من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية**، ص 230.

3- حربي عباس عطيتو: **ملامح الفكر الفلسفي و الديني**، ص 148.

4- ماجد فخري: **تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلوطين و برقليس**، ص 197.

5- Encyclopeadia universalis, corpus 18, p 496.

6-عمر فرّوخ: **تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون**، ص 133.

7- حربي عباس عطيتو: **ملامح الفكر الفلسفي و الديني في مدرسة الإسكندرية**، ص155.

يبدع كائنا أخر ... فالنار تسخّن ، والثلج يبّرد ....، فكيف يمكن للكائن الكامل وهو الخير، أن يظل ساكنا في ذاته "[1].

ويفسر لنا أفلوطين كيفية الفيض[2] أو الصدور بقوله : " فالواحد من حيث هو كامل يفيض، وهذا الفيض يحدث شيئا جديدا وهذا الفائض الجديد يتجه نحو مبدئه فيتلقح منه، ويتجه نحو ذاته فيصبح عقلا، فعقله للأول يجعل منه كائنا و عقله لذاته يجعل منه عاقلا بالفعل "[3].

ويسمي أفلوطين العقل تسميات شتى، فهو سماء لامادية، والشمس المعقولة، وابن الخير، وصورة الأحد، والابن الكوني، والإله الثاني، وكلمة الأحد، والخالق الحقيقي للكون [4].

وهذا العقل يتصف بالإدراك والوجود، خلافا للأول الذي يعلو على العقل و الوجود، وهذا يعني أن العقل أقل كمالا من " الأول " لأن العقل بمقتضى كونه عقلا يستلزم معقولا، أي موضوعا للعقل، وهذا ما جعل أفلوطين ينفي عن « الأول » أن يكون عقلا ، أو يتصف بالعقل[5].

ونظرا لشدة تعقيد فكرة أفلوطين في العقل ، يلجأ إلى استخدام كلمة اللوغس، ليعبر عن العقل في علاقته بالواحد، فهو يرى أن العقل بمثابة كلمة ولوغس للواحد، أي مبدأ قوة ممثلة لهذا الواحد ، ومعبرة عنه في مستوى أدنى من الوجود [6].

والعقل ليس سلبي الوجود بل هو « فاعل » بقدر ما يهبه الواحد القدرة على الفعل ، فهو يفكر بالأحد لتتولد بينه وبين علته لحمة دينامية تجعله "مبدعا "، وعندما يبدع العقل ويفيض، يعطي المادة شيئا من ذاته، فتصدر عنه النفس الكونية [7].

1- حنا الفاخوري، خليل الجر: **تاريخ الفلسفة العربية**، ص 111.

2- إن الفيض في اصطلاح الفلاسفة يطلق على فعل فاعل يفعل دائما لا لعوض و لا لفرض، و يكون ذلك الفاعل دائم الوجود لأن دوام صدور الفعل عنه تابع لدوام وجوده، و هو المبدأ الفياض و الواجب الوجود الذي يفيض عنه كل شيء فيضا ضروريا معقولا (جميل صليبا: **المعجم الفلسفي**)، ج2، ص172.

3- حنا الفاخوري، خليل الجر: **تاريخ الفلسفة العربية**، ص 117.

4- غسان خالد: **أفلوطين رائد الوحدانية، و منهل الفلاسفة العرب**، ط1، (بيروت، باريس : منشورات عويدات 1983)، ص102.

5- ماجد فخري: **تاريخ الفلسفة اليونانية**، ص199. و محمد عبد الرحمن مرحبا: **مع الفلسفة اليونانية**، ص237.

6- حربي عباس عطيتو: **ملامح الفكر الفلسفي و الديني**، ص158.

7- غسان خالد: **أفلوطين رائد الوحدانية** ..، ص108-126. و **Encyclopeadia Universalis**, corpus 18, p 496.

النفس : وهي الأقنوم الثالث وصورة الأقنوم الثاني وانعكاس لنوره، وهي آخر الموجـــودات في العالم الإلهي، إلا أنها دونه درجة ، كما أن العقل دون « الأول » درجة، فكلما بعدت المسافة عن الأول، ازدادت الكثرة والتعدد حتى ينتهي الأمر إلى العالم المحسوس الذي هو عنوان الكثرة[1].

والنفس الكلية تملأ العالم، وتبعث فيه النشاط، وتظهر في كل كائن حي، ولها قدرة خارقة علـى إنتاج العالم المحسوس عندما تتوجه للعقل الذي صدرت عنه وتلتفت إليه لتتأمله وتجعله موضوعا لتعقلها، فهو علة وجودها كما أن الأول علة وجود العقل.

ومن هذه النفس فاضت فيوضات كثيرة، هي نفس الكواكب ونفوس البشر وسائر الموجـودات في العالم المحسوس[2]، والنفس لم تكن منقسمة وهي تحيا في العالم المعقول ، ولكن حينمـــا هبطـت إلى الأبدان في العالم المحسوس أصبحت قابلة للانقسام[3].

أما عن علاقة النفس بالعقل ، فهي كعلاقة العقل بالأول فالنفس هي « كلمة العقل وفعله، كما أن العقل كلمة الأحد وفعله،... ولأن العلاقة بين العقل والأحد تؤدى إلى إخصاب العقـــل وامتلائـه بالجواهر الكونية ، كذلك تؤدى العلاقة بين العقل والنفس إلى امتلاء هذه النفـــس بعلـل الوجـود ، فلاشيء مفصول بقطيعة عما يسبقه »[4]، وهذا معناه أن النفس ليست منفصلة عن العقـــل، كمـــا أن العقل ليس منفصلا عن الأحد، فالصلة بين الأقانيم الثلاثة أو درجات الفيض هي صلة دينامية تكاملية.

ويشبه أفلوطين مثلثه الفيضي، بالوحدة الإشعاعية الفلكية، فالأول أو الله يشبهه بالنور، والعقـل بالشمس، والنفس بالقمر الذي يتلقى نوره من الشمس، فكأن الواحد منها هو امتداد حي للآخـــر ، ليكون الواحد في الكل والكل في الواحد[5].

1- محمد عبد الرحمن مرحبا: **مع الفلسفة اليونانية**، ص238.

2- المرجع نفسه ، ص238-239.

3- حربي عباس عطيتو: **ملامح الفكر الفلسفي و الديني**، ص158.

4- غسان خالد: **أفلوطين رائد الوحدانية و منهل الفلاسفة العرب** ، ص 128.

5- المرجع نفسه ، ص 135.

ب - أثر المثلث الأفلوطيني في الثالوث النصراني .

إن أثر المثلث الفيض الأفلوطيني في عقيدة التثليث النصرانية واضح كل الوضوح، فنظرة أفلوطين الفيضية الثلاثية الدرجات ، تشابه في بعض من نواحيها كلام النصارى عن الثالوث، كما أنها ساعدت على توضيح فكرة الثالوث في الأذهان[1]، وكان لها أثرا بالغا في فكر اللاهوتيين[2] ، الذين تأثروا بدرجات متفاوتة بالفلسفة الأفلاطونية المحدثة وفسروا على غرار المثلث الفيضي الأفلوطوني، عقيدة التثليث النصرانية [3].

ومن بين الأفكار التي تأثر بها اللاهوتيون النصارى، ما قاله أفلوطين من أن الله إذا تأمل ذاته، عقل بذلك نفسه، وعندها يفيض عنه كائن واحد هو العقل الأول، ويطابق هذا القول ما قاله النصارى من أن الأب يتفق ويتكلم مع نفسه ، ثم يلد ابنه الذي هو كلمته ، وهذه الكلمة هي إدراكه وتفكيره وصورته العقلية [4]، فلا فرق بين رأي أفلوطين والنصرانية، إلا في استخدامهما للفظتي " الفيض" و"الولادة".

كما يرى النصارى، أن الأقانيم الثلاثة هي الوحدة الماورائية الجذرية للوجود، نظير ما هو المثلث الفيضي الوحدة الماورائية، الجذرية للوجود، كما أن أحد الأقانيم الثلاثة الذي هو الإبن شكل الواسطة الإبداعية للكون ، مثلما شكلت النفس في المثلث الأفلوطيني الواسطة الإبداعية للكون ، فتزمنت النفس لتصنع التاريخ وتنزل إلى خضمه كما صنع الابن التاريخ - في نظر النصارى - ونزل إلى خضمه [5].

وكما أن الروح القدس تحقق إعلان المسيح الذي أوحى به، فتحل في القديسين والكنيسة جيلا فجيلا، وتحل في الأفراد شخصا فشخصا[6]، فكذلك النفس الكلية عند أفلوطين تملأ العالم، وتبعث فيه النشاط، وتظهر في كل كائن حي.

1- غسان خالد: المرجع نفسه، ص143.

2- أمثال أوغسطين، بويس Boéce، إكهارت Eckhart، و القديس جون ديلاكروا Saint jean de la croix.

3- **Encyclopeadia Universalis**, corpus 16, p 179.

4- Abbé G.S : **la doctrine catholique**, P 27.

5-غسان خالد: **أفلوطين رائد الوحدانية، و منهل الفلاسفة العرب**، ص 144.

6- فاضل سيداروس: **بين وحي الله وإيمان الإنسان**، ط[ ]، (دار المشرق، 1992)، ص34.

فوجه الشبه بين فلسفة أفلوطين وعقيدة التثليث النصرانية واضح، وتأثير المثلث الأفلوطيني على علماء النصرانية أيضا مما لاشك فيه، خاصة إذا علمنا أن هذا المذهب كان منتشرا ومعروفا قبل مجمع نيقية الذي عقد سنة 325 م ، وكان هو المذهب السائد في المدرسة الإسكندرية.

كما أن بطريك الإسكندرية أثناسيوس Athanase، كان من أكبر المدافعين عن ألوهية المسيح وأشدهم حماسة في الدعوة إلى التثليث في مجمع نيقية. وكان لبطارقة الإسكندرية أثر بالغ في صياغة قانون الإيمان النصراني.

وبعد تناولنا لعقيدة التثليث في الحضارات القديمة، يمكن القول بأن وجود هذه العقيدة في الديانات الوثنية، لا يعد بحال من الأحوال تأصيلا لعقيدة التثليث النصرانية، بل يدل على وجود معتقد وثني، نشأ كما نشأت معتقدات كثيرة .

فمن ينظر في تاريخ البشرية وحياة الشعوب، يجد أنها تشترك في كثير من العادات والتقاليد، ولعل سبب ذلك التشابه هو اختلاط تلك الأمم، وأخذ الأمة الضعيفة بعادات وتقاليد ومذاهب الشعوب القاهرة، وعقيدة التثليث انتشرت بفعل عوامل مختلفة، وأخذها النصارى ورقعوها من كل الديانات، فكما رأينا في المباحث السابقة، أن هذه العقيدة كانت معروفة في المدرسة الإسكندرية، هذه المدرسة التي حوت ثقافات وأديان مختلفة –كالمصرية والبابلية والهندية –.

وعقيدة الكلمة كانت معروفة أيضا، و لم يفعل النصارى سوى تشخيص اللوغس في السيد المسيح عليه السلام.

وأما شخصية المسيح فقد استوحاها النصارى من شخصيتي كرشنا وبوذا، اللذين سبقاه بقرون، وأصبحا توأمين لأخ ثالث أوجده النصارى، الذين أرادوا أن يصنعوا من المسيح ضحية آثامهم وذنوبهم .

وقد رفض القرآن الكريم هذه العقيدة بشدة، وأحاطها الفكر الإسلامي بالنقد والرد، فكيف رد القرآن الكريم على هذه العقيدة؟ وما موقف الفكر الإسلامي قديمه وحديثه منها .

الفصل الثالث

القرآن الكريم وموقفه من عقيدة التثليث

المبحث الأول : موقف القرآن الكريم من عقيدة التثليث والقضايا المثارة حوله

المبحث الثاني: موقف القرآن الكريم من الأقانيم النصرانية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

إن الوثنية سم سرى في أوساط الأمم القديمة، والأمة العربية شأنها كشان باقي الأمـــم، تعلقـــت بالأحجار المنحوتة والأخشاب المنجورة، وعبدتها بعد أن طال بها الزمن عن دين جدها إبراهيم، و أبيـــها إسماعيل.

وقد جاء القرآن ليصحح نظرة البشر إلى الله، و يدعوهم إلى عبادته وحده، بعد تصفية تلك التركة المكدسة من الأحجار والأخشاب، وقد التقى الإسلام في الجزيرة العربية غير مشركي العـــرب، بـــأهل الكتاب من اليهود والنصارى، وكان له مع كلا الفريقين موقفا كشف به ما دخل عليهما من تحريـــف وتبديل.

فقام بتصحيح تصورات أهل الكتاب الاعتقادية، وأقامها على قاعدة التوحيد المطلق الذي يخلـــي القلوب و العقول من كل معبود غير الله تعالى، كما نقى العقيدة من شوائب الوثنية والشرك؛ فعرّف عـزّ وجل بحقيقة الألوهية، وأفرد نفسه بخصائصها، وجرّد البشر وسائر الخلائق من هذه الخصـــائص. وقـــد تحددت معالم النظرة القرآنية إلى المعتقدات النصرانية والتي هي مجال بحثنا في الفترة المكية الثانيـــة (-16 16ل 1619م) على ثلاث مستويات.

المستوى الأول: وفيه تعرض القرآن إلى أشخاص زكريا و يحيى و مريم وعيسى عليهم الســـلام، بصورة لا تختلف في جوهرها عمّا يؤمن به النصارى، وعمّا ورد في الأناجيل القانونية [1].

المستوى الثاني: وفيه رفض القرآن عقيدة بنوة المسيح لله، وأكدّ على أنه عبـــد ونـــبي دعـــا إلى التوحيد مثل باقي الرسل وجاء بالحكمة و البينات.

المستوى الثالث: وقد تعلق بصنفين من النصارى، أصحاب الكهف الذين ضربوا مثلا لإمكانيـــة البعث، و الأحزاب الذين اختلفوا فيما بينهم في شأن المسيح، وقالوا إتخذ الله ولدا دون أن يكون لهم بـــه علم .

1- انظر: **القرآن الكريم** ، *مريم*/ آية 37 ، *الزخرف*/ 81 ، *الكهف*/ 4- 5.

و أما الفترة المدنية (622 - 632)م، فقد وردت فيها جل الآيات المتعلقة بالنصرانية، وشملت عددا أوفى من الأغراض، منها الكلام على التثليث و الكلمة و الروح و غير ذلك [1].

لم يهمل القرآن أي غرض متعلق بعقيدة التثليث النصرانية، فقد انتقد عقيدة الأقانيم وأقام الدليل على نفي الأبوة والبنوة كما حدد المعنى الصحيح للكلمة و الروح القدس. كما تعرض القرآن إلى النسق التثليثي و انتقده، وقد أثار الموقف القرآني من عقيدة التثليث شبها كثيرة، سنحاول عرضها والرد عليها في المباحث التالية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-عبد المجيد الشرفي: **الفكر الإسلامي في الرد على النصارى**، ص116-117.

المبحث الأول

موقف القرآن الكريم من النسق التثليثي والقضايا المثارة حوله

المطلب الأول: الرّد القرآني على عقيدة التثليث

عرض القرآن الكريم موقفه من النسق التثليثي في آيتين كريمتين هما:

- ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَٞۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾[1].
- ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2].

ذكر ﷻ أن النصارى أفرطوا في رفع شأن عيسى عليه السلام و إدعاء ألوهيته، و رفعوه فوق المنزلة التي أوتيها، وهي الرسالة،وقد نبه الرسول ﷺ إلى حرمة الغلو في الدين بقوله: **"لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد الله ورسوله "**[3].

1- *النساء* / 171.

2- *المائدة* / 73.

3- أخرجه البخاري، من طريق ابن عباس،كتاب: الأنبياء ، باب: قوله تعالى:"واذكر في الكتب مريم ..." (مريم/16) انظر محمد بن حجر العسقلاني الشافعي (ت 852هـ) : **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، تحقيق و تصحيح : عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (بيروت: دار المعرفة، ت[ ])، ج6، ص476.وأحمد بن حنبل(241هـ) ، عن عمر،كتاب: العشرة المبشرين بالجنة.(**المسند**، ط[ ]، (دار الفكر، ت[ ])ج1، ص23،24.و محمد بن عبد الرحمان الدارمي(255هـ)، ك: الرقاق، ب: قول النبي صلى الله عله وسلم، لا تطروني، (**السنن**، تحقيق وتخريج: السيد عبد الله هاشم، (باكستان: حديث أكاديمي، 1984م)، ج2، ص228-229.

فقد أمر ﷻ بأن لا يوصف بما يستحيل اتصافه به، من الحلول و الاتحاد والولد و الصاحبة والقول بالتثليث [1]؛ فقال ﷻ ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَٰثَةٌ﴾ و ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ ، وقد فسرت هاتان الآيتان على وجهين:

الأول: ولا تقولوا إن الله سبحانه واحد بالجوهر ثلاثة بالأقانيم، الأب الذي هو الذات و الابن الذي هو الكلمة، الروح التي هي الحياة، وأن الأب إله و الإبن إله و الروح إله و الكل إله واحد [2]، أو لا تقولوا الله ثلاثة أقانيم كل منها عين الآخر و كل واحد منها إله كامل و مجموعها إله واحد [3].

و يرى الرازي [4] بأن الأقانيم في الآيتين غير الصفات، بل ذوات قائمة بأنفسها فلهذا قال تعالى ﴿لَا تَقُولُوا ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُوا﴾، فإن حملنا الثلاثة على أنهم يثبتون لله صفات ثلاثة، فهذا مما لا يمكن إنكاره، فتعدد الصفات لو كان كفرا للزم رد جميع القرآن ولزم رد العقل، فمن المعلوم بالضرورة أن المفهوم من كونه تعالى عالما غير المفهوم من كونه تعالى قادرا أو حيا [5].

الثاني: أن الآيتين معناهما لا تقولوا إن آلهتنا ثلاثة، الأب والابن ومريم أو أن الله أحد ثلاثة آلهة، الله والمسيح ومريم [6] وينبئ عنه قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [7].

وبعد أن بين ﷻ كفر من قال بالتثليث قال: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾،وأيضا: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾

1- محمد الطاهر بن عاشور: **التحرير و التنوير**، ط [ ]، (تونس: الدار التونسية للنشر 1984 المؤسسة الوطنية للكتاب ت[ ])، ج 6 - 7، ص 72.

2-أبو عبد الله فخر الدين الرازي(ت606هـ) : **التفسير الكبير**، ط3 (بيروت : دار إحياء التراث العربي) ج 12 ص 60.

3- محمد رشيد رضا : **تفسير المنار**، ج 6 ، ص 86.

4-هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسين التميمي البكري، ، أبو عبد الله فخر الدين الرازي، الإمام المفسر، ووحيد زمانه في المعقول والمنقول، وعلوم الأوائل، ولد سنة 544ه، بالري، وتوفى ستة 606ه، من مصنفاته: أساس التقديس في علم الكلام، ومفاتيح الغيب، والتفسير الكبير.(أبو الفداء بن كثير الدمشقي(774هـ): **البداية والنهاية**،ط6، (بيروت: مكتبة المعارف، 1985م)، ج13، ص55، وشهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، ابن خلكان (ت681هـ): **وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان**، ط[ ]، (بيروت: دار صادر، ت[ ])، ج13، ص28.)

5- الفخر الرازي : **التفسير الكبير**، ج 11، ص 116.

6- الرازي: المرجع نفسه ، ج 11، ص 116، ج 12، ص 60. ومحمد جمال الدين القاسمي(ت1914م): **محاسن التأويل**، تعليق وتصحيح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، (دار إحياء العربية، 1957)مج5، ص 1765.) وشهاب الدين محمود الألوس البغدادي (ت 1270هـ): **روح المعاني في تفسير السبع المثاني**،ط[ ]،(مصر: إدارة الطباعة المنيرية، ت[ ])، ج3، ص 200.

7- ***المائدة*** / 116.

أي أنهم قالوا ذلك بلا روية، و الحال أنّه ليس في الوجود ثلاثة آلهة ولا أكثر ولا أقل بل يوجد إله واحد متصف بالوحدانية، وهو الله الذي لا تركيب في ذاته ولا تعدد. ودليل الوحدانية في الآية الثانية أشد تأكيدا لنفي تعدد الآلهة من عبارة " **لا إله إلا اله واحد**"، لأن **من** بعد **ما** تفيد استغراق النفي و شموله لكل نوع من أنواع المتعدد و كل فرد من أفراده، فليس هناك تعدد ذوات و أعيان ولا تعدد أجناس وأنواع ولا تعدد جزئيات و أجزاء [1].

فهذا ما قاله المفسرون عن الموقف القرآني من عقيدة التثليث، أما المفكرون المسلمون فلم يولوا اهتماما كبيرا للتثليث في القرآن الكريم، فلم يتناولوه بالدراسة كما يجب بالرغم من أنه يحتوي على حجج قاطعة تنفي عقيدة التثليث وتقتلعها من جذورها كما سنرى لاحقا، وكان أغلب المفكرين المسلمين يرون ضرورة مواجهة عقيدة التثليث بالأدلة العقلية، يقول عبد المجيد شرفي في هذا الخصوص: "...إلا أن ما يلفت الانتباه حقا هو الغياب المطلق في جميع الردود الإسلامية على النصارى إلى نهاية القرن الرابع/ العاشر بلا استثناء للاستشهاد بالقرآن لدحض عقيدة التثليث المسيحية ...فقد أخضعوها لنقد عقلي ومنطقي صارم." [2]

وقد أثار العرض القرآني لعقيدة التثليث النصرانية شبها كثيرة في الأوساط النصرانية، فهذا Henri Michaud يذكر بأن القرآن بث في الوسط الإسلامي، خطأين محوريين حول عقيدة التثليث.

الأول: هو جعله التثليث ثالوث(Triade, Tritheisme).

الثاني: جعله مريم ثالث شخص في الثالوث المسيحي [3].

و يضيف هذا الكاتب بأن القرآن اتجه إلى محاربة الثالوث أكثر من محاربة التثليث، وهذا واضح في سورة المائدة آية 73، فقد ذكر القرآن بأن الله ثالث ثلاثة، و قيمة كلمة (ثالث) لا تكمن في

1- محمد رشيد رضا : **تفسير المنار** ، ج 6، ص 483.

2- **الفكر الإسلامي في الرد على النصارى**، ص 253، هذا لا ينفي اعتماد بعض الرادين على الموقف القرآني مثل القاضي عبد الجبار و إبن تيمية كما سنرى لاحقا، فالمقصود هو عدم تناول الموقف القرآني بالدراسة، و بالتالي عدم الوقوف على أبعاد الرد القرآني على عقيدة التثليث، مما أدى إلى عدم الاعتماد على الموقف القرآني في الردود.

3-**Jésus selon le Coran** : cahiers théologique N°46, (de la chaux et Nirstlé, S A Neuchâtel 1960), P 8

كون الله مرتب بحيث يكون الثالث بعد اثنين، بل تعني أن الله إله بين ثلاثة آلهة، ويدعم ذلك ما جاء في سورة المائدة آية 116. كما أن الرسول محمد ﷺ في رأي Henri Michaud ، أخذ القول بالثالوث من Jean philipen، وهو عالم و لاهوتي إسكندري توفي عام 580م، و الذي كان يرى أن الله ثلاثة أشخاص أو أقانيم لها ثلاث طبائع إلهية، كما أنه في القرن السادس كانت عقيدة التثليث تنحو نحو الثالوث Le Tritheisme[1].

ويضيف بأن مكانة مريم في الثالوث ليست من اختراع محمد، فعند بعض اليهومسيحيين كانت مريم تدعى الروح القدس، فهو تمثيل سهل في البيئة السامية، خاصة لأن كلمة الروح القدس عندهم مؤنثة، وعلى سبيل المثال جاء في إنجيل العبرانيين L'évangile des Hébreux « في الحال أمي الروح القدس أمسكتني من شعري »[2].

ويعتقد هذا الكاتب، بأن هناك عوامل كثيرة أثرت في محمد ﷺ ، منها مكانة مريم عند النصارى الشرقيين، واتصال النصارى الحبشيين (D'abyssine) بمعتنقي الإسلام الأوائل أثناء السنوات القاسية التي مرت بهم في مكة، بالإضافة إلى شأن مريم الكبير في بعض الكنائس، الذي بلغ شأن إيزيس، وأهميتها البالغة عند بعض الفرق [3]؛ فكل ذلك أثر في محمد حتى جاء « بالفكرة الغريبة التي كون بها الثالوث المسيحي: الله، المسيح، مريم »[4].

ويذكر توماس ميشال، أن المسيحيين قبل ظهور الإسلام، كانوا منتشرين بكثرة في أطراف الجزيرة العربية [5]، إلا أنهم كانوا قلة في الحجاز، وقد وقفت مكة – معقل الوثنية في الجاهلية– عقبة دون إنتشار المسيحية هناك، والمسيحيون القلائل الذين عرفوا في الحجاز لم يكونوا متجذرين في دينهم أو متبحرين في تعاليمه، و هذا بسبب إنعدام معاهد يتلقى فيها المسيحيون مبادئ دينهم، كما أن الأسفار المقدسة لم تكن قد ترجمت إلى العربية [6]، مما أدى إلى عدم وضوح المسيحية عند العرب.

وقد كان في الجزيرة العربية قبل الإسلام الثالوث السامي التقليدي، ومع أن القبائل لم تطلق على

1- Ibid, P 80 - 81

2- E, Henneche : **Neutestomentliche Apokryphen**, d'après, Henri Michaud : **Jésus selon le Coran**, P 108.

3– خاصة عند Les collyridiennes، وهي فرقة معروفة في المنطقة العربية في القرن الرابع.(Henri Michaud : **Jésus selon le Coran**, P82)

4 –Ibid, ., P82.

5– في البادية، سورية، سيناء، اليمن، وما بين النهرين. (توماس ميشال اليسوعي: **مدخل إلى العقيدة المسيحية**، ص68).

6– المرجع نفسه، ص68 .

على تلك الآلهة الوثنية الأسماء نفسها، إلا أن الهيكلة الأساسية كانت على النحو التالي [1]:

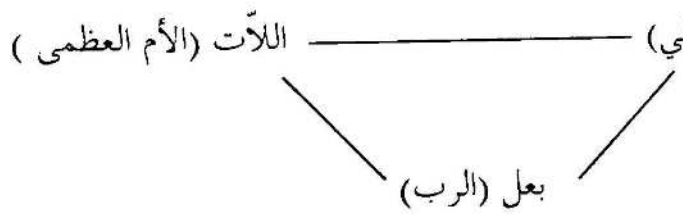

ويبدو أن ذلك المفهوم الوثني للثالوث راق بعض العرب الحديثي الاهتداء إلى المسيحية، فخلطوا بين الله (الإله العلي) و الأب، وبين مريم والأم العظمى، وبين المسيح والرّب المولود في الجسد من الله ومريم [2]

ويضيف الكاتب بأنّ القرآن انتقد هذا الثالوث وأنكر أنّ الله أنجب ولدا، وأن مريم و يسوع إلهان إلى جانب إله ثالث هو الله، أو أن الله ليس سوى واحد من ثلاثة آلهة.

ويقول الكاتب « وهنا أشير إلى أمر يلفت انتباهي أنا المسيحي عندما أطالع القرآن الكريم، فإني لا أجد فيه أي ذكر لما تعّلمه الكنائس المستقيمة الرأي عن طبيعة الله مثلث الأقانيم، وهذا ما لا نستغربه، إذ القرآن شجب معتقدا بدائيا لأناس مشركين عاشوا في الحجاز آنذاك، واعتنقوا بعضا من الديانة المسيحية، فشوّهوه وهذا المعتقد ترفضه الكنائس المسيحية على نحو ما يرفضه القرآن الكريم » [3]

و يظهر من رأي Henri Michaud وتوماس ميشال، أن هناك ثلاثة شبه مثارة حول الموقف القرآني.

1- Triminghame : **christianity in Arabia before the time of Muhammad**. d'après:

توماس ميشال اليسوعي : **مدخل إلى العقيدة المسيحية**، ص86.

2- حاول الكاتب انتقاد عرب الحجاز لتأثرهم بالثالوث السامي الله/ بعل/ اللات، وجعلهم ثالث أقنوم أو إله هو مريم والنصارى إلى حد اليوم يشبهون الروح بالأم ويقولون أنها أم الأسرة الثالوثية

يقول فاضل سيداروس: « فالروح بالنسبة للثالوث كالأم بالنسبة للأسرة ... فإن الأب يلد في أحشائه الأبوية، أي في روح القدوس» « ويشبه الروح القدس أما ممتلئة حنانا، فكما الأم تحب طفلها وتحميه هكذا يحمينا الروح القدس » ...**سر الثالوث – الأحد** ص 89، ص 91.

فالنصارى لم يستطيعوا التخلص إلى يومنا هذا من التأثيرات الوثنية ، وحاولوا وضع شيء غير ملموس و هو "الروح القدس" مكان الأم، ووصفوها بكل ما يجعلها أما، فهم يعتقدون بشكل أو بآخر بأن الثالوث أب و إبن و أم شاهم شأن عرب الحجاز.

3- توماس ميشال اليسوعي : **مدخل إلى العقيدة المسيحية**، ص 68-69.

أولها: أن محمدا ﷺ سمع تعاليم النصرانية من طرق مختلفة، أهمها الكتاب المقدس [1].

ثانيها: أن القرآن الكريم ردّ على الثالوث Le triade، و لم يرد على عقيدة التثليثLa trinité .

ثالثها: أن القرآن اعتبر التثليث المسيحي مكون من الله و المسيح ومريم.

فالشبهتان الثانية والثالثة خاصتان بعقيدة التثليث، ولهذا آثرنا تناولها بالدراسة والـــرّد عليـــها متسائلين هل انتقد القرآن الكريم عقيدة التثليث النصرانية في الآيتين السابقتين؟ وهل حقا اعتبر مريم طرفا في التركيبة الثالوثية.

المطلب الثانـي:موقف القرآن الكريم من التثليث النصرانـي وألوهية مريم

أولا: الرّد على عقيدة التثليث.

إن القرآن الكريم لم يكن يرد في الآيتين السابقتين على الثالوثات الجاهلية فحسب، بـــل تعـــرض لعقيدة التثليث النصرانية، وانتقدها وكفّر القائلين بها، والأدلة على ذلك كما يلي: [2].

1- إن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَٰثَةٌ﴾ وأيضا: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾، حســـب بعض المفسرين قد يفهم منها أنه تعالى كفّر من قال إن الله واحد في ثلاثة أقانيم، والحال أنه ما من إله إلا إله واحد.

1-إن الكلام عن تأثر محمد ﷺ، بالكتاب المقدس هو من باب الافتراء والتضليل، فلم يثبت أن كان في مكة أو ضواحيـــها أي مركز ثقافي ديني ليقوم بنشر فكرة الكتاب المقدس، بالإضافة إلى أنه لم توجد في الثقافة و البيئة الجاهلية ترجمة عربية للكتـــاب المقدس، فحتى القرن الرابع الهجري، لم تكن قد وضعت ترجمة عربية له، وعليه « فلا شيء أقل احتمالا من وجود تأثـــير .. في البيئة الجاهلية، لانعدام المصادر اليهودية المسيحية المكتوبة فيها، ليصبح من المستحيل أن نقول بإمكان حـــدوث امتصـــاص لا شعوري للذات المحمدية في هذا الوسط الجاهلي » (مالك بن نبي: **الظاهرة القرآنية**، ترجمة عبد الصبور شاهين، تقديم : عبد الله دراز ، محمود محمد شاكر، ط 4، (دمشق : دار الفكر 1987م) ص 256 – 258. وقد جاء في قاموس الكتاب المقـــدس، بأن أقدم ترجمة للكتاب المقدس ترجع إلى القرن التاسع بعد الميلاد، وقد اكتشفت حديثا كما أن إسحاق فالكيز ترجـــم عـــام 946 في قرطبة إنجيل لوقا إلى العربية، و نقل سعديا جاوت أو سعيد الفيومي (892-942 م) العهد القديم مـــن العبرانيـــة إلى العربية لمنفعة يهود المشرق، وقد قام هبة الله ابن العسال بترجمة الكتاب المقدس من القبطية إلى العربية وذلك حوالي سنة 1250م (**قاموس الكتاب المقدس**، ص 771). فكل ذلك يدل على استحالة معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم بالكتاب المقدس.

2- لقد بحثنا كثيرا عن ردود للشبه المثارة حول الموقف القرآني في مصادر و مراجع كثيرة، لكننا لم نعثر على أي رد، وهـــذا راجع إلى عدم تناول الكتاب المسلمين هذه المسائل بالدراسة، مما جعلنا نجتهد في وضع هذه الردود لما للموضوع من أهمية .

كما أن قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ﴾، خبر لمبتدأ محذوف كان حذفه ليصلح لكل ما يصلح تقديره من مذاهب النصارى فيحتمل أن يكون المراد من الآية : لا تقولوا ثلاثة أقانيم في إله واحد أنتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد [1].

2- إن القرآن الكريم عقب على قول النصارى في الآيتين بما يلي: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾، فتكرر الاستدلال بالوحدانية في الآيتين لنفي التثليث، و إذا رجعنا إلى اللغة، وجدنا الواحد من بين معانيه: « الذي لا يتجزأ و لا يثنى ولا يقبل الانقسام، و منفرد في الذات و لا نظير له و لا مثل ولا يجمع هذين الوصفين إلا الله عز وجل » [2].

و في الاصطلاح، نجد معنى الوحدانية « سلب تصور الكمية في ذاته و صفاته سبحانه و تعالى، سواء الكمية المتصلة و الكمية المنفصلة، فهو سبحانه ليس مركبا من أجزاء ولا مكونا من جزئيات، و كذلك صفاته.... فليس له سبحانه و تعالى مثلا علمان أو قدرتان بحيث تتمم واحدة منهما الأخرى، فهذا هو نفي الأجزاء عنها، وليس لغيره سبحانه وتعالى علم كعلمه، أو قدرة كقدرته، فهذا نفي الجزئيات عنها » [3].

و من التعريفين نجد أن الواحد لا يتجزأ ولا يتركب، وعليه، فقد يكون المولى عز وجل رد على من قال بأن الله إله واحد مكون من ثلاثة أقانيم : الأب و الإبن و الروح.

وتفهم الآيتن على ضوء ما تقدم كما يلي :

أ- لا تقولوا ثلاثة أقانيم في إله واحد، انتهوا خيرا لكم، إنما الله إله واحد لا يحتمل التجزئة بداخله.

ب- لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث أقانيم ثلاثة، ويقصد هنا أقنوم الأب [4]. وما من إله إلا إله واحد منفرد في ذاته غير مجزأ و لا مركب.

1- محمد الطاهر بن عاشور: **التحوير و التنوير**، ج 6-7، ص 72.

2-أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرّم، ابن منظور (ت 711هـ): **لسان العرب**، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي،ط[ ]، (القاهرة: دار المعارف ت[ ]) ج 6 ، ص 4781.

3- محمد سعيد رمضان البوطي : **كبرى اليقينيات الكونية** ، ط 8، (دمشق : دار الفكر 1987)، ص 111.

4- سنعرف في الدليل اللاحق أن الله عند النصارى هو الأب.

3- إن قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [1] لهو من أقوى الأدلة على أن المقصود في الآية، انتقاد عقيدة التثليث وإظهار أنها ثالوث، شأنها شأن الثالوثات البدائية .

فلو فهمنا أن المقصود في الآية هو تثليث الأقانيم، لكان معنى الآية أن الله واحد في ثلاثة أقانيم، ولا أحد من النصارى يصرح بأن الله أقنوم بل يرون أنه الأب و الابن و الروح القدس.

و لو رجعنا إلى النصوص النصرانية لو جدنا أن « **الأب**» هو « **الله** ».

جاء في إنجيل متى: « طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يدعون» [2] وأيضا : « **صلوا لأجل الذين يسيؤون إليكم و يطردونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات** » [3].

فالملاحظ أن **الأب** هو الله في نصوص النصارى ، وقد كان اليهود أيضا يدعون الله «الأب» ويدعون شعبهم ابن الله [4]، جاء في سفر الخروج : «**فتقول لفرعون هكذا يقول الرب، إسرائيل ابني البكر** » [5]، وجاء أيضا: « **و حدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات، أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنّهم حسنات**» [6].

ولو عدنا إلى كتابات النصارى أنفسهم، لوجدناهم يعترفون بأن الأب هو الله، فهذا أحدهم يتساءل عن معنى كلمة (أب) قائلا : فماذا كان يعني يسوع بكلمة « الأب » ثم يجيب بعد عدّة مقدمات: « فأبوه السماوي هو رب موسى الذي خلق العالم في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع»[7].و يضيف في مكان آخر « في ضوء هذه الرؤية يلوح لي أن « الأب » الذي تكلم عنه

1- *المائدة* / 73.

2- 5 / 9.

3- متى، 5 / 45.

4- توماس ميشال: **مدخل إلى العقيدة المسيحية** ، ص 55.

5- 4 / 22.

6- تكوين، 6 / 1.

7- ميخائيل نعيمة، **المجموعة الكاملة** ، ط 2 ،(بيروت: دار العلم للملايين، 1981م)، م9، ص242.

يسوع لم يكن الروح الكوني المتره عن الصفات و الحالات، بل كان الرب المسؤول عن عالمنا الشمسي بالدرجة الأولى وعن الإنسان الذي هو زهرة ذلك العالم »[1].

و يظهر مما تقدم أن **الأب** هو الله عند النصارى، كما هو الشأن عند اليهود وعليه فالله ﷻ ، ينتقد منطق النصارى قائلا : لقد كفر الذين قالوا إن الله (الأب) ثالث أقانيم ثلاثة : الأب والابن والروح القدس، فكيف يعقل أن يكون الله أقنوما واحدا ثم يكون هو الكل، فهذا كفر أي ستر وتغطية الحقيقة و إظهارها بصورة أخرى.

ويمكن التعبير عن الرّد القرآني بالتالي:

قول النصارى: الله = أقنوم الأب + أقنوم الابن + أقنوم الروح القدس .

الله إله = الأب إله + الابن إله + الروح القدس **إله** .

الرّد القرآني: الله = الأب + لاشيء + لاشيء ، وعليه فالنصارى عبدوا، الله وإلهين آخرين.

الله (الأب) + الابن(إله) + الروح القدس (إله) = ثلاثة آلهة.

وعليه فالنصارى عبدوا الله (الأب) و معه إلهين آخرين هما الابن، و الروح القدس، و بالتالي فتثليثهم في حقيقته ثالوث لهذا قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾، فالآية فيها عرض ونقد في آن واحد، وتبرز لنا منهج القرآن الفريد الذي قد يأخذه البعض بدون تعمق كما حدث مع Henri Michaud و توماس ميشال وغيرهم، ففهموا أن القرآن أخطأ إذ اعتبر عقيدة التثليث ثالوث، في حين نجد القرآن قد انتقدهم من نصوصهم، و بيّن أن الله هو الأب، و أنهم ستروا الحقيقة وقالوا بأنه أب وابن و روح قدس، وما داموا عبدوهم جميعهم، فقد عبدوا ثالوث من الآلهة، لا صلة لها ببعضها البعض لأن الأب وحده الإله الحقيقي.

4- إن الدليل على أن القرآن تناول عقيدة التثليث،في السياق القرآني، ففي سورة النساء نجده تعالى، بدأ بمعاتبة أهل الكتاب، لأنهم غالوا في دينهم و لم يقولوا على الله الحق، فقالوا هو أب و المسيح كلمته المتجسدة و الروح القدس إله، وكل هذه الأقانيم إله واحد، فبيّن ﷻ حقيقته وحقيقة الكلمة والروح القدس بقوله: ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُ

1-المرجع نفسه ، ص 244.

أَلْقَاهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ، فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ﴾ [1] .

فالآية إذن انتقدت عقيدة التثليث، وبينت حقيقة الأقانيم النصرانية، ثم دعت إلى الإيمان بالله وحده ورسله دون تأليههم، وأن لا يقولوا إن الله ثلاثة أقانيم في إله واحد.

وقد رد الرسول ﷺ أيضا على عقيدة التثليث بقوله : « من شهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله و أن عيسى عبد الله و رسوله و كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » [2].

فهذا العرض ما هو إلا تصحيح للمعتقدات الخاصة بالأقانيم، و بالتالي بعقيدة التثليث، وعلى ذلك يمكن القول أن القرآن انتقد كل معتقد من شأنه أن يعدد الإله أو الآلهة .

ثانيا : الموقف القرآني من ألوهية مريم.

لقد رأى البعض، أن القرآن الكريم، تأثرا بعدة عوامل، اعتبر التثليث النصراني ثالوثا مكونا من: الله والمسيح و مريم ، وقد ساعدهم في ذلك رأي بعض المفسرين في قوله تعالى :﴿ وَ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [3]، إذ رأوا أنها مفسرة لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ [4] فقالوا الثلاثة هم الله والمسيح و مريم [5].

وهذا القول يضعنا أمام إشكاليتين الأولى : هل اعتبر القرآن مريم إلهة ؟؟ والثانية : هل اعتبرها ثالث آلهة ثلاثة؟؟

و للإجابة عن هاتين الإشكاليتين لابد من المرور بعدة مراحل، أولها معرفة تفسير المفكرين المسلمين للآيات التي تذكر ألوهية مريم، ثم معرفة إن كانت مريم عبدت حقا وهذا بعرض عقيدة النصارى في مريم ، ثم في الأخير نرى إن كان القرآن يرد على عقيدة النصارى في مريم أم على عقيدة

1- *النساء* /171.

2- أخرجه البخاري، في الأنبياء، باب: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾،أنظر **الفتح**، ج6، ص474 . وأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشري (261هـ)،كتاب الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا،(**صحيح مسلم**، تحقيق وتصحيح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط2، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ت[ ])، ج1، ص58. وأحمد، كتاب: باقي مسند الأنصار، بلفظ مختلف.(م3، ص174-175.)

3- *المائدة* /116.

4- *المائدة* /73.

5- **راجع**:الرازي:**التفسير الكبير**، ج 11،ص 116.القاسمي:**محاسن التأويل**، ج 5،ص1765 .الألوسي:**روح المعاني**،ج 3، ص200.

التثليث النصرانية؟.

1- ألوهية مريم في الفكر الإسلامي:

لقد ذهب أغلب المفسرين إلى أن مريم ثالث إله دون أي مبرر سوى ما جاء في سورة المائدة، وقد أدرك البعض الآخر أن النصارى لم يؤلهوا مريم فحاولوا إيجاد المخرج.

فقال ابن الجوزي [1] : « فالنصارى لم يتخذوا مريم إلها، فكيف قال الله تعالى ذلك فيهم؟ فالجواب: أنهم لما قالوا: لم تلد بشرا، و إنما ولدت إلها، لزم أن يقولوا إنها من حيث البعضية بمثابة من ولدته، فصاروا بمثابة من قاله » [2].

أما الألوسي [3] فقد قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ﴾ مايلي : «استشكلت الآية بأنه لا يعلم أن أحدا من النصارى إتخذ مريم عليها السّلام إلها، و أجيب عنه بأجوبة » [4].

الأول: أنهم جعلوا عيسى عليه السلام إلها، لزمهم أن يجعلوا والدته أيضا كذلك، لأن الولد من جنس من يلده، فذكر إلهين على طريق الإلزام لهم.

الثاني: أنّهم لما عظموها تعظيم الإله أطلق عليها إسم الإله كما أطلق اسم الرب على الأحبار والرهبان في قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[5] ، لما أنهم عظموهم تعظيم الرب.

الثالث: أنه يحتمل أن يكون فيهم من قال ذلك [6].

وهذه التفسيرات ما هي إلا محاولة لتبرير قوله تعالى بألوهية مريم، و لم تبحث في حقيقة ألوهيتها

1- هو عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، علاّمة عصره في التاريخ، والحديث، كثير التصانيف، ولد سنة 508ه، وتوفى سنة 597ه، من مصنفاته:"زاد المسير في علم التفسير" و" دفع شبه التجسيم والرّد على المجسمة" (ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج13، ص28. ابن خلكان: **وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان**، م3، ص140-141.)

2-**زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله، ط 1، (بيروت دار الفكر للطباعة و النشر 1987م)، م2، ص 226.

3- هو شهاب الدين محمود الألوسي، أبو الثنا، مفسر، ومحدث، وفقيه، وأديب، ولغوي، ولد ببغداد في 14 شعبان، وتوفى بها في 25 ذي القعدة، سنة1270هـ)، من تصانيفه الكثيرة:"روح المعاني"،"شرح سلم العروج في المنطق". (عمر رضا كحالة: **معجم المؤلفين**، ط1، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1993م)، ج3، ص815-816.

4- **روح المعاني**، ج 3، ص 200.

5- *التوبة*/31.

6-الألوسي: المرجع السابق: ج 3، ص 200.

وقد ذكر هذه الإشكالية بعض مفكري الإسلام [1] ، وقال **عبد المجيد شرفي** عنها: « وهي لعمري ظاهرة جديد ة بالاهتمام، وتتنافى مع الرأي الشائع عند النصارى إلى اليوم من أن المسلمين يظنون إلزاما منهم بما جاء في كتابهم المقدس أن الثالوث المسيحي يتكون من الله ومريم وعيس » [2]

و قد ذكر الكاتب أثرين تناولا هذه الإشكالية.

أما الأول[3] فقد جاء فيه أن قوله تعالى:﴿ ءَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ ﴾ ، "توبيخ لمن أفرد المسيح دون أمه في العبودية و الإلهية، وحالهما في الذات حال واحدة مستوية، فعبدوه عماية وجهلا دونها، فلا يشكون أن أباها أبوه، فهي و آباؤها أولى منه بما أعطوه، إذ كان لولا جهودهم لم يولد، فكيف يعبدونه دونهم" [4].

و أما الثاني فهو كتاب تثبيت دلائل النبوة **للقاضي عبد الجبار**[5] ، الذي يرى أن الآية لا تفيد إخبارا فقد احتوت فقط على استفهام، القصد منه تبرئة ساحة عيسى مما نسب إليه، و فيه تقرير لاستخراج الجواب من المسؤول، و هذا كقوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [6] ، و هو عز وجل أعلم بذلك من موسى. ويضيف القاضي بأن من النصارى من قال بألوهية مريم و إن لم يصرح بلفظه، لأنهم قالوا إن مريم صفت حين قبلت الجوهر الإلهي و ولدته [7]

بالإضافة إلى ما ذكره عبد المجيد الشرفي، نجد ابن تيمية قد تناول ألوهية مريم بالدراسة، وقال بأن من النصارى من اتخذها إلها وعبدها كما عبد المسيح، وقد كان كثير منهم يطلب منها كل ما يطلبه من الله، فيطلب منها المغفرة والرحمة، والشفاعة. ويقول ابن تيمية بأن ،" الله لم يحك هذا عن جميع النصارى

1- أمثال الجاحظ الذي طرح الإشكال، لكنه لم يعط له حلا.راجع، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ: **المختار في الرد على النصارى**، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي، ط1، (بيروت: دار الجيل، 1991م)، ص 53-54.

2- عبد المجيد الشرفي: **الفكر الإسلامي في الرد على النصارى**، ص 253.

3- هو رد الحسيني الزبدي.

5- راجع ص 118-119 من البحث، ففيها تعريف كامل بهذا العالم.

6- **طه**/ 17.

7- عبد الجبار أحمد الهمذاني(ت 415 هـ): **تثبيت دلائل النبوة، تحقيق** وتقديم: عبد الكريم عثمان، ط[ ]، (بيروت: الدار العربية، ت[ ])، ص145.

بل سأل المسيح سؤلا يقرع به من اتخذه وأمه إلهين من دون الله." [1]

فهـــذه هي الإشارات الوحيدة التي عثرنا عليها بخصوص إلهية مريم، وهي في الحقيقة لم تبحـــث في لب المعتقد الذي أشار إليه القرآن "عقيدة النصارى في مريم" [2] ، بل حاولت تبرير قوله تعالى بألوهية مريم بأدلة مختلفة، وحتى نصل إلى المغزى القرآني، و إلى حل الإشكال، و منها معرفة ما إذا كانت مـــريم طرفا في الثالوث أم لا، نعرض عقيدة النصارى في مريم ثم موقف القرآن بعد ذلك

2- *عقيدة النصارى في مريم :*

إن للنصارى عقيدة خاصة بمريم، فقد قدسوها، و وضعوها في مصاف الآلهة و يظهر ذلـــك مـــن النقاط التالية.

ا-- أزلية مريم: يعتقد النصارى أن مريم موجودة منذ الأزل وقد اختارها الله لتكون أم الإلـــه، ويظهر هذا المعتقد في الطقوس الكنسية الخاصة بها، إذ يرددون ما جاء في سفر الأمثـــال: " **الرب قناني أول طريقة من قبل أعماله منذ القدم. منذ الأزل مسحت منذ البـدء منـذ أوائـل الأرض، إذ لم يكـن غمـر أبدئت ... فرحة من مسكونة أرضه ولذاتي مع بني إسرائيل**" [3] ، فهي إذا مهيأة منـــذ الأزل لحمـــل الكلمة الإلهية [4] .

ب- صفات مريم: يرى النصارى أن مريم استحقت أن تكون أم الإله لأنها خاشعة، مؤمنـــة، متواضعة،مطيعة، تقية فاضلة، و هي أم المسيح ولدته في الزمن، و هي أرقى من كل المخلوقات وليـــس أعلى منها إلا الاتحاد الثالوثي [5].

ج-علاقة مريم بالثالوث: إن لمريم علاقة وثيقة بالثالوث، فهي التي مكنت الأب من أن يظـــهر أبوته الأزلية ومساواته للابن، كما مكنته من إظهار حقيقته و جوهره للناس.

1-**الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، ط[ ]، (مطابع المجد التجارية، ت[ ])، ج3، ص42-43.

2- لقد أشار القاضي عبد الجبار دون غيره من العلماء إلى مكانة مريم عند النصـــارى، و أنهـــا ترقـــى إلى مرتبـــة الألوهيـــة (راجع،ص145 من كتابه تثبيت دلائل النبوة، لكنه استبعد أن يكون في الآية إخبار، بل أنها تفيد الاستفهام. و هذا ما لا يحـــل الإشكال)

3- 8/22-31.

4 - L. Garriguet: **la vierge marie**, édition(5), (paris: pierre téqui libraire-éditeur, 1924), P 9-13 .

5- Ibid. P42-53.

و أما علاقتها بالابن فهي التي مكنته من الوجود الجسدي، و أعطته القدرة على تحقيق العدالة الإلهية، من خلال حياته البشرية كما أعطته القدرة على مغفرة الخطايا.

و علاقتها بالروح القدس تكمن في مساهمتها في عملية التجسد، فالروح القدس وضع الكلمة بقدرته الإلهية في رحم مريم و هي غذته من دمها [1]

و يردد المصلون أمام أيقونة [2] مريم ثلاث جمل تظهر مدى علاقتها بالتثليث المسيحي و هي كالآتي:

السلام عليك مريم بنت الأب الأزلي

السلام عليك مريم أم الكلمة

السلام عليك مريم زوجة الروح القدس

و قد أطلقوا عليها اسم "سيدة الثالوث" ،"**La dame de la trinité**"[3] .

د -***علاقة مريم بالبشر***: إن لمريم علاقة وثيقة بالبشر فهي الملكة و الوسيطة والأم.

الملكة: لأنها أم الملك الذي تنحني له الرؤوس؛ لهذا لها حقوق على جميع المؤمنين، فولدها جعلها ملكة لكل الطبيعة.

الأم: لأن أمومتها للمسيح جعلتها جديرة بأن تتوسط بين الله والناس، فهي أم الناس القادرة على الاهتمام بشؤونهم و الدفاع عنهم، و هي أم الكلمة المتجسدة التي أعطتها الحق في أن تكون مسموعة من الله ومجابة، و يسميها النصارى" أمنا" "**Notre mère** " لأنها منحتهم حسب زعمهم حياة الأرواح، فخطيئة آدم تسببت في حرمان البشرية من الغفران. و لكن مريم أعادت الحياة إلى البشر، بإعطائهم المسيح مصدر الغفران [4] .

1- Ibid. P56-64. Et Glavis de provin : **Notre Dame de la trinité, d'après la théologie, l'art et la mystique,** 4eme édition. (France: Bloie. Belgique: Gembloux, 1932).P 13.

2- كلمة يونانية الأصل تعني الصورة، وقد استعمله التقليد المسيحي الشرقي للدلالة على صور المسيح والعذراء مريم، والقديسين.ويعتقد النصارى أن الأيقونة انعكاس لحقائق العلم المجّد لدى الله، في عالم المحسوسات.(صبحي حموي اليسوعي: **معجم الإيمان المسيحي**، ص 86.)

3- **Notre Dame de la trinité**, op cit., P 177.

4- Garriguet, **la vierge Marie**, P62-63.

و قد سميت مريم بأم الإله في مجمع أفسس سنة 431 حيث دعيت "**theo tokos**" [1] أم الإله .

الوسيطة: لأن أمومتها جعلتها جديرة بلعب دور هام بين الله و الناس، فهي أم الناس القادرة على الاهتمام بشؤونهم و الدفاع عنهم. لهذا هي الوسيط بين السماء و الأرض، فهي في السماء الآن ودائما القناة التي تعبر من خلالها كل الدعوات و الطلبات، و ترد من خلالها الإجابة.

و هي المحامية التي تمثل التماسات البشر بعد أن ترافع و تبين أسباب الخطأ لله [2] ، و تلتمس الرحمة من البؤس والشقاء، و تهدي إلى الله الأعمال الطيبة التي يقوم بها البشر، و تقوم بحماية البشر من سخط الله، و تهتم قبل كل شيء بتزويد البشر بالطمأنينة الروحية، و تزودهم بالخير المادي كالصحة والمجد والسلم و السعادة.

و هذا كله ما هو إلا جانب من دورها فهي بالإضافة إلى كونها وسيطة بين البشر و الله، هي كذلك بين الله و البشر [3] ،فالله مكّنها من عطاياه، فهي كانزة ثرواته –العلم والمادة – و المسؤولة عن توزيعها بالعدل بين البشر [4] .

و مما تقدم نلاحظ أن الصفات التي أعطاها النصارى لمريم جعلتها إلها، بل أنّها لم تترك للإله شيئا يعمله، مادامت الملكة، المسؤولة عن الغفران والرزق.

و قد توجه النصارى الكاثوليك و الأرثوذكس لها بالعبادة، أما البروتستانت فهم ينفون كل العبادات الموجهة إليها، و ينكرون على الفرق الأخرى عبادتهم لمريم [5] .

1- كان Cyril كبير أساقفة الإسكندرية، قد وصف مريم في موعظة له في أفسس سنة 431م،بكثير من العبارات التي كان الوثنيون من أهل تلك المدينة يصفون بها إلهتهم الكبرى " أرتميس –ديانا artimus-diana، و وافق مجلس أفسس في تلك السنة أن تلقب مريم "أم الإله" على الرغم من احتجاج نسطوريوسNestorius، و ما لبث أن جمعت صفات كل من عشتروت وأرتميس و إيزيس كلها في مريم، و قد قررت الكنيسة في القرن السادس، إقامة احتفال بعيد صعود العذراء إلى السماء، وحددته باليوم الثالث عشر من شهر أغسطس، و هو تاريخ عيدين قديمين لإيزيس و أرتميس . (ول ديورانت: **قصة الحضارة** ، ج16، ص 28-29).

2- إن النصارى أعطوا لمريم حق التدخل في شؤون الله عز و جل، وكأن الله لا يعلم أسباب الخطأ حتى تلتمس منه الغفران، فقد صدق عز وجل حين قال:﴿ . . مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾. *الزمر*/ 3، فما مريم إلا صنم في ثوب امرأة و ما النصارى إلا عبدة أصنام، شأنهم شأن الأمم الجاهلية الوثنية.

3- Garriguet : **la vierge marie**. P 369

4- **Notre dame de la trinité**. P 177

5- **La vierge marie**. P 388

و تولي الفرقتان اهتماما خاصا لمريم، فالصلاة الموجهة إليها تعتبر من أهم الصلوات بعد الصلاة الموجهة إلى الله ، و هي أرفع شأنا بكثير من الصلاة الموجهة إلى القديسين، و هذا لأنها تستحوذ على اسم "أم الإله" الذي لا يمكن لأي من البشر أن يسمى به [1] .

و يرى ول ديورانت أن الصلاة الخاصة بمريم، والتي مطلعها "السلام لك يا مريم"، أخذت صيغتها المعروفة قبل انتهاء القرن الثاني عشر. كما أن صلوات الشعب في ذلك الوقت كانت توجه في الأغلب إلى عيسى و مريم.

و يفسر هذا الكاتب الأسباب التي جعلت الشعب يتجه إلى عبادة العذراء، بأنهم يخافون الله تعالى، لأنه كان لا يزال يتصف في عقولهم بكثير من القسوة التي كانت ليهوه، فرأى الإنسان البسيط، أن عيسى أقرب إليه من الله، ولكنه هو أيضا إله، و من أصعب الأشياء أن يجرؤ الإنسان على مخاطبته، من أجل ذلك بدأ الناس بتوجيه صلواتهم إلى القسيس[2] ، و إلى مريم و هذا لأنها الطريق الوحيد للاقتراب من عيسى، فهي الأم التي لا ترد سائلا، و ابنها لا يستطيع أن يرد لها شفاعة، و نظرا للأهمية الخاصة بعبادة مريم صيغ لها إنجيل يسمى" إنجيل مريم" [3] .

و قد بلغت عبادة مريم حدا جعل خيال العامة يصور عيسى في صورة من يغار منها، و من بين القصص أن شخصا ملأ السماوات بصلاة العذراء " السلام لك يا مريم"، فظهر له المسيح و أنّبه أشد التأنيب، و قال له: إن أمي تشكرك كثيرا، و مع ذلك لابد ألا تغفل عن الصلاة لي أيضا. فهذه القصة رغم خياليتها إلا أنها تعكس مدى تعلق الناس بعبادة مريم.

فمن خلال ما تقدم لا يسعنا إلا القول بأن مريم ألهت و عبدت، و كل صفاتها هي صفات الله تعالى، لهذا كان للقرآن مع عبادتها موقفا صريحا، بيّن من خلاله وجود عقيدة خاصة بمريم، هذه العقيدة التي لم يعرها المفكرون المسلمون الاهتمام والدراسة الكافية، بالرغم من تنبيه القرآن الكريم إليها ، كما

1-Ibid.P388.

لمن أراد أن يعرف المزيد عن العبادات الموجهة إلى مريم فليطالع كتاب: Maria. **Etude sur la sainte vierge**: Sous la direction d'Hubert du Manoir. (Paris: Beauchesne et ses Fils,1949), Tome 1.
فهو يشتمل على الاعتقادات الخاصة بمريم بتوسع في جميع الحضارات، و كذلك العبادات الموجهة إليها.

2- و قد انتقد عز وجل عبادة النصارى لهم بقوله: ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ. . .﴾ *التوبة*/31.

3- **قصة الحضارة، عصر الإيمان** ، ج 16، ص 22.

أن القرآن كان أول من انتقد عبادة النصارى لمريم قبل أن تنتبه لها مدارس النقد الغربية.

3- القرآن و ألوهية مريم:

إن موقف القرآن الكريم من ألوهية مريم، هو الذي يجيبنا عن الشبه المثارة سابقا، فقد تكلم عز وجل عن عقيدة النصارى في مريم، في الآيات التالية:

1- ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [1].

2- ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [2].

3- ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [3].

فالآية الأولى، لا يمكن ربطها بعقيدة التثليث كما فعل المفسرون، لأنها تتناول معتقدا آخر، فهي تشير إلى عبادة كائنين غير الله تعالى، واتخاذهما بطريق إشراكهما إلهين، و هذا كما في قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [4]، و قد يراد به التوسط بينهما و بينه عز وجل، فيكون الدون إشارة لقصور مرتبتهما عن مرتبته عز و جل [5].

كما أن سياق الآية يدل على أن النصارى عبدوا مريم واتخذوها بطريقة أو بأخرى إله، مع أنهم

1- المائدة/116

2- المائدة / 17.

3- المائدة / 75.

4- يونس/18.

5- الألوسي: **روح المعاني**، ج 7-8 ، ص65. و قد فسر هذه الآية الرازي بأن الإله هو الخالق، و النصارى يعتقدون أن خالق المعجزات التي ظهرت على يد عيسى و مريم هو عيسى و مريم، والله تعالى ما خلقها البتة، فصح أنهم اثبتوا في حق بعض الأشياء كون المسيح و مريم إلهين له مع أن الله تعالى ليس إلها له، فصح بهذا التأويل هذه الحكاية. و يبدو أن هذا التفسير بعيد عن مراد الآية (**التفسير الكبير**، ج 12، ص 134.)

لم يصرحوا بألوهيتها، فلم يقل عزّ وجلّ: " و قالوا..." بخصوص هذا المعتقد- كما هو الشأن بالنسبة لعقيدة التثليث وعقيدة التجسد-، بل قال على لسان عيسى عليه السلام:﴿..اتَّخِذُونِي وَ أُمِّي﴾.

و قد نفى القرآن ألوهية مريم، بالآيتين 2-3 ففي الآية الثانية بيّن تعالى، أن من حق من يكون إلها ألا يتعلق به و لا بشأن من شؤونه قدرة غيره، فضلا عن أن يعجز عن دفع شيء منها عند تعلقها بهلاكه، و قد وصف الله المسيح بذلك للتنبيه على أنه حادث تعلقت به القدرة لأنه تولد من أم. ويرى الألوسي أن تخصيص مريم بالذكر مع اندراجها في عموم المعطوف لزيادة تأكيد عجز المسيح [1] .

و نرى أن تخصيص مريم بالذكر دليل على أنها عبدت شأنها شأن المسيح في الألوهية، و هما سواء لا دخل لهما في إرادته و قدرته عز و جل [2] .

وأما الآية الثالثة: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَ أُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [3]،فقد أشار فيها عز وجل، إلى أن مريم ما هي إلا إنسانة صدّيقة [4] و أنها و المسيح كانا يأكلان الطعام، و هذا دليل على احتياجهما أشد الحاجة، و الإله هو الذي يكون غنيا عن الحاجة [5] ، فكيف يعقل أن يكون إلها من كان يعتمد على

1- **روح المعاني**، ج 3، ص 271-270.

2- يعتقد النصارى كما ذكرنا سابقا أن مريم تتوسط عند الله ليدفع الضر عن البشر و يقبل الدعاء، و قد بّين عز و جل في هذه الآية أن إرادته مستقلة عن أي تدخل وأي وساطة، فلو شاء لأهلك المسيح و أمه الذين اتجه الناس إليهما بالعبادة ، ثم كيف تكون مريم خازنة أموال الله و لله ملك السماوات و الأرض.

و قد عقب عز وجل بقوله:﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لَا نَفْعًا وَ اللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ *المائدة*/ 76 فلا المسيح ولا أمه باستطاعتهما سماع الدعاء ثم توصيله إلى الله عز وجل لأن الله هو السميع العليم.

3- *المائدة* / 75.

4- فسر قوله تعالى صديقة من وجوه: أولها- أنها صدقت بآيات ربها و بكل ما أخبر عنه ولدها و بكلمات الله و كتبه. ثانيها- أنه تعالى قال: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (مريم/ 17) فلما كلمها جبريل و صدقت، وقع عليها اسم الصديقة. ثالثها- أن المراد بكونها صديقة غاية بعدها عن المعاصي و شدة جدها و ابتهالها في إقامة مراسيم العبودية، فالكامل في هذه الصفة يسمى صديقا(الرازي : **التفسير الكبير**، 122، ص 61)

5- الرازي: المرجع نفسه، ج12، ص134.

الأكل الذي هو وسيلة لاستمرار الحياة ودليل الإفتقار إلى الرازق.

و نرى أن في هذه الآية أيضا ردا على من قال أن مريم خازنة كنوز الله فلو كان الأمر كذلك لما احتاجت إلى من يرزقها.

و بعد هذا العرض نجد أن القرآن هدم كل المعتقدات الخاصة بمريم، إذ بين عجزها عن رد الضر عن نفسها، فكيف يمكن لها دفعه عن الآخرين؟، كما بين احتياجها وافتقارها إلى من يرزقها، فكيف تكون خازنة كنوز الله و وهي في حاجة إلى من يرزقها شأنها شأن المسيح وكافة البشر.

وقد وجهنا القرآن الكريم في الآيات السابقة إلى معتقد غاية في الأهمية، وهو"**عقيدة النصارى في مريم**"، وكان القرآن أول من انتقده، لكن الفكر الإسلامي لم يتنبه إلى هذا المعتقد و لم يرد عليه، كما أن المفسرين أخطئوا إذ أدمجوه بعقيدة التثليث، فلا علاقة له بها، و ما قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ إلا انتقاد لعقيدة التثليث وتبيين أنها مثل الثالوثات البدائية و هذا حسب رأينا هو الرد على من قال بأن القرآن أخطأ إذ اعتبر مريم ثالث الأقانيم الثلاثة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني

موقف القرآن من الأقانيم

المطلب الأول : موقف القرآن من أقنوم الأب

انتقد القرآن الكريم أقنوم الأب في سورة الإخلاص، فهذه السورة رغم قصرها إلا أنها تصلح لأن تكون ردا على جميع الاعتقادات التي من بينها الأبوة النصرانية.

فقد قال عز وجل ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ﴾

فقد قال عز و جل، قل هو الله الذي تعرفونه و تقرون بأنه خالق السماوات و الأرض، و خالقكم واحد متوحد بالإلهية لا يشارك فيها، وهو الذي يصمد إليه كل مخلوق، ولا يستغنون عنه و هو الغني عنهم[1].

وقد ذكر عز و جل بأنه لم يلد و لم يقل " لم يتخذ ولدا" كما في الآيات الأخرى، لأن الولد يكون على وجهين:

الأول : أن يتولد منه مثله و هذا هو الولد الحقيقي.

الثاني : أن لا يكون متولدا منه و لكنه يتخذه ولدا، و يسميه هذا الاسم ، و إن لم يكن ولدا له في الحقيقة [2].

و قوله تعالى " لم يلد " فيه إشارة إلى نفي الولد في الحقيقة و قوله " لم يتخذ ولدا " إشارة إلى نفي القسم الثاني.

و الولادة تقتضي انفصال مادة منه سبحانه، مما يقتضي التركيب المنافي للصمدية و الأحدية، والولد من جنس أبيه، و الله سبحانه و تعالى لا يجانسه أحد، لأنه واجب الوجود و غيره ممكن و لأن

1-محمود بن عمر الزمخشري (ت528هـ) : **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط1، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى،1929م)، ج4، ص 242.

2- الرازي : **التفسير الكبير**، ج 32، ص 175.

الولد يطلبه العاقل إما لإعانته أو ليخلفه بعده، و هو سبحانه دائم باق غير محتاج إلى شيء من ذلك[1].

فهذا دليل على نفي أبوة الله للمسيح و غيره، كما أن الآيات الخاصة بنقد عقيدة البنوة كلها تحمل نقدا للعقيدتين معا " الأبوة " و " البنوة "، لهذا سنتكلم عنها في المطلب اللاحق.

المطلب الثاني : موقف القرآن من عقيدة البنوة

تعرض القرآن الكريم لعقيدة البنوة النصرانية، و بين عز وجل أنه يستحيل عليه اتخاذ الولد، وقد استعمل كلمة " ولد " لأن الولد يضم الابن و الابنة [2]، فالقرآن ينتقد كل معتقد من شأنه أن ينسب لله الأبوة ، سواء بادعاء أبناء له كالمسيح و عزير، أو إدعاء البنات كالقول بأن الملائكة بنات الله.

و قد استدل عز و جل على نفي اتخاذه الولد بعدة أدلة هي كالتالي :

1-دليل الملك :

قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾ [3]

﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[4].

﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [5].

فقد بين عز و جل استحالة اتخاذه الولد بدليل ملكه السماوات و الأرض، و قد نزه نفسه عن ذلك بكلمة " سبحنه " التي تفيد التنزيه مع التعجب مما ينافيه، فإن الذي يعرف الله عز و جل لا ينبغي

1- الألوس : **روح المعاني**، ج30، ص 275.

2- أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني : **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط1، (لبنان : دار المعرفة 1998م)، ص 547.

3- *البقرة* / 116.

4- *النساء* / 171.

5- *يونس* / 68.

أن يصدر عنه مثل هذا القول الذي يشعر بأن للّه جنسا يماثله [1].

كما أن كلمة سبحانه فيها تنبيه على أقوى حجة تنفي عن اللّه الولد، و ذلك أن لكل موجود في العالم، مخلوقا طبيعيا أو مصنوعا، غرضا و كمالا أوجد لأجله، و الغرض في الولد للإنسان إنما ليبقى به نوعه، لأن الولادة امتداد للفاني و محاولة البقاء في صورة النسل، و لما كان اللّه تعالى هو الباقي بلا استثناء، و لا انتهاء، لم يكن لاتخاذه الولد لنفسه معنى، فكان غنيا عن اتخاذ الولد لأن ﴿ لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ فلا يتوهم له فقر فيحتاج إلى الولد [2].

ثم إن هذا الولد الذي نسبوه إلى الله تعالى، لابد أن يكون من العالم العلوي (السماء)، أو من العالم السفلي (الأرض)، و لا يصلح شيء منهما، لأن جميع ما في السماوات و الأرض ملك له، قانت لعزته و جلاله، فإنهم سواء في كونهم مسخرين له بفطرتهم، فلا معنى حينئذ لتخصيص واحد منهم بالانتساب إليه، و جعله ولدا مجانسا له [3].

كما أن الآية تشير إلى كون الكل تحت قهره تعالى و ملكوته، و أنه تعالى وحده ملك جميع الموجودات، و له وحده التصرف المطلق فيها إيجادا و إعداما، و إحياء و إماتة، لا لأحد سواه استقلالا ولا اشتراكا، فهو تحقيق لاختصاص الألوهية به تعالى إثر بيان انتفائها عما سواه [4].

و قد قيل أن قوله تعالى ﴿ لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ دليل على نفي ألوهية عيسى عليه السلام، لأنه لو كان إلها، لكان له ملك السماوات و الأرض و ما بينهما، كما أن فيها نفيا لبنوة المسيح فقد بيّن تعالى أن المملوكية تنافي البنوة [5].

و عليه فملك السماوات و الأرض دليل الغنى مما ينفي عن اللّه عزّ و جلّ الحاجة إلى الولد.

1- محمد رشيد رضا : **تفسير المنار**، ج1، ص 336.

2- القاسمي : **محاسن التأويل**، ج2، ص 232، و سيد قطب : **في ظلال القرآن**، ط2، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ت[ ]، ج6، ص 817 و الألوسي : **روح المعاني**، ج1، ص 366.

3- محمد رشيد رضا : **تفسير المنار**، ج2، ص 233.

4- الألوسي : **روح المعاني**، ج1، ص 337.

5- المرجع نفسه ، ج3، ص 271، و القاسمي : **محاسن التأويل**، ج5، ص 1768. و محمد الطاهر بن عاشور : **التحرير والتنوير**، ج6-7، ص 58.

2- دليل الإبداع و التكوين :

قال تعالى : ﴿ وَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ۞ بَدِيعُ السَّمَٰوَٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [1].

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[2]

﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[3].

استدل القرآن الكريم على بطلان بنوة المسيح، بأنه تعالى بديع السماوات و الأرض و أنه إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون، أي أنه ردّ بدليلي الإبداع و التكوين.

و الإبداع هو اختراع الشيء لا عن مادة، و لا في زمان، و يستعمل في إيجاده تعالى للمبادئ، و هو غير الصنع الذي هو تركيب الصورة بالعنصر، و هو غير التكوين الذي يكون بتغير و في زمان[4].

و قوله تعالى " بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ "، يضع النصارى أمام ثلاثة احتمالات، فإما أن يقولوا بأن المسيح ولد اللّه تعالى، أي أنه أحدثه على سبيل الإبداع، من غير تقدم نطفة والد، و إما أن يقولوا بأن المسيح ولد اللّه تعالى كما هو المألوف من كون الإنسان ولدا لأبيه، و إما أن يقولوا بأن المسيح ولد اللّه بطريق مغاير لهذين المفهومين.

و النصارى يعتقدون و يسلمون بأن العالم محدث، و هذا يلزمهم الاعتراف بأنه تعالى خالق السماوات و الأرض من غير سبق مادة و لا مدّة، فوجب أن يكون إحداث السماوات إبداعا.

ملو لزم مجرّد كونه تعالى مبدعا لإحداث عيسى عليه السلام كونه والدا له، للزم من كونه مبدعا للسماوات و الأرض كونه والدا لهما، و المعلوم أن ذلك باطل بالاتفاق فثبت أن مجرّد كونه مبدعا لعيسى عليه السلام لا يقتضي كونه والدا له [5].

1- *البقرة* / 116-117.

2- *آل عمران* / 59.

3- *مريم* /35 .

4- الألوسي : روح المعاني، ج1، ص 337.

5- الرازي : التفسير الكبير، ج13، ص 118.

وقد بين عزّ و جلّ أنه إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون، فكل شيء إنما وجد بمشيئة اللّه وتكوينه، فعبر عنه ب "كُن فَيَكُونُ"، و قد أجرى اللّه سنته في تكوين الأشياء أن يكونها بهذه الكلمة، وإن لم يمتنع تكوينها بغيرها [1].

و المراد بكلمة "كُنْ" سرعة نفاذ قدرة اللّه في تكوينه الأشياء، و أنه تعالى يخلق الأشياء لا بفكرة و معاناة و تجربة. و نظيره قوله تعالى عند خلق السماوات و الأرض: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [2] من غير قول " كُن " و هي تدل على سرعة نفاذ قدرته تعالى في تكوينهما من غير ممانعة و لا مدافعة [3].

و قوله تعالى ﴿ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ تنزيه له عن الولد، وبيان ذلك أن الولد الذي نسب إلى اللّه تعالى إما أن يكون قديما أو محدثا، فإن كان أزليا فهو محال، لأنه لو كان واجبا لذاته لكان واجب الوجود أكثر من واحد.

و إن كان ممكنا لذاته، كان مفتقرا في وجوده إلى الواجب لذاته فيكون الممكن محتاجا للواجب، و بالتالي يكون عبدا له، لأنه لا معنى للعبودية إلا ذلك، فثبت أنه يستحيل أن يكون للّه ولد، و هذا هو المراد من قوله تعالى "إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ"، لأن الذي يوجد بعد عدم يكون محدثا و بالتالي عبدا لموجده [4].

كما أن في قوله تعالى ﴿ . . . كُن فَيَكُونُ ﴾ تلميح إلى أن اللّه يخلق ما يريد، فإن أراد خلق المسيح من غير أب، قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [5].

فهذه الآية شروع في إبطال عقيدة تأليه المسيح، و هي أقطع دليل بالإلزام، فإن كانوا قالوا

1- الألوسي : **روح المعاني**، ج1، ص 368.

2- *فصلت*/11.

3- الزمخشري : **الكشاف الفريد**، ج4، ص 28.

4- الرازي : **التفسير الكبير**، ج 22، ص 217.

5- *آل عمران* / 59.

بألوهية عيسى و بنوته من أجل أنه خلق من اللّه و ليس له أب، فآدم أولى بأن يدعى له ذلك، فـــإذا لم يكن آدم إلها مع أنه خلق بدون أبوين، فعيسى أولى بالمخلوقية من آدم [1].

3- دليل الصاحبة :

قال تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ۞ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [2].

استعظم عزّ و جلّ أن يكون له شريك سواء كان ملكا أو جنيا أو إنسيا، و أن يفتعل له البشر شركاء و أن يدّعوا له الولد و الحال أنه له ملك السماوات و الأرض، ليس له صاحبة و خلـــق كـــل شيء [3].

و قد استدل عزّ و جلّ بدليل الصاحبة ، لأن مراد الناس من الولد هو الأمر المعتاد و المعروف مـــن الولادة الطبيعية، و هو باطل في حقه تعالى و ذلك من وجوه.

1- أن تلك الولادة إنما تصح ممن كانت له صاحبة و شهوة و ينفصل عنه جزء، و تحمل تلـــك الصاحبة بذلك الجزء، و هذه الأحوال إنما تثبت في حق الأجسام التي يصح عليها الاجتماع و الافـــتراق، و الحركة و السكون، و الحد و النهاية، و كل ذلك محال على الخالق تعالى [4] و هذا هو المواد من قولـــه ﴿ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ﴾.

2-إن تحصيل الولد بذلك الطريق، يصح في حق من لا يكون قادرا علـــى الخلـــق و الإيجـــاد والتكوين دفعة واحدة، و أما من كان خالقا قادرا فإنه إذا أراد إحداث شيء قال له كن فيكون، ومادام كذلك،امتنع منه إحداث شخص بطريق الولادة و هذا هو المراد من قوله تعالى : " وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ".

1- محمد الطاهر بن عاشور : **التحرير و التنوير**، ج3-5، ص 263.

2- ***الأنعام***/100-101.

3-الزمخشري: **الكشاف الفريد**،ج2، ص31.

4- الرازي : **التفسير الكبير**، ج 13، ص 119.

3- إن الولد إما أن يكون قديما أو محدثا، و لا يجوز أن يكون قديما لأن القديم واجب الوجود لذاته غنيا عن غيره، فامتنع أن يكون والدا لغيره.

و لو كان محدثا فاللّه تعالى عالم بجميع المعلومات، فإما أن يعلم أن له في تحصيل الولد كمالا ونفعا أو يعلم أن الأمر ليس كذلك، " فإن كان الأول فلا وقت يفرض أن اللّه تعالى خلق هذا الولد فيه إلا و الداعي إلى إيجاد هذا الولد كان حاصلا قبل ذلك، و متى كان الداعي إلى إيجاده حاصلا قبله وجب حصول الولد قبل ذلك، و هذا يوجب كون ذلك الولد أزليا و هو محال " [1].

و إن كان الثاني فقد ثبت أن اللّه عالم بأنه ليس له كمال حال في تحصيل الولد، فوجب أن لا يحدثه البتة في وقت من الأوقات و هذا هو المراد بقوله [2]: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

ب- دليل العبودية

قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾ [3].

نزه اللّه سبحانه و تعالى نفسه عن اتخاذ الولد، لأن الولد لابد و أن يكون شبيها بالوالد، فلو كان له تعالى ولد لأشبهه من بعض الوجوه، و لابد أن يخالفه من وجه آخر، و ما به المشابهة غير ما به المايزة، فيقع التركيب في ذاته تعالى و كل مركب ممكن، و اتخاذه تعالى للولد يدل على أنه ممكن غير واجب، و ذلك يخرجه عن حد الألوهية، و يدخله في العبودية لذلك نزه عزّ وجلّ نفسه عن اتخاذ الولد [4] ثم أخبر أن هذا الذي أسموه " **الابن** " ما هو إلا عبد للّه مقرب مفضل على سائر العباد ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ " و العبودية تنافي الولادة [5].

وبالإضافة إلى عبودية المسيح فقد بين عزّ و جلّ في عدّة آيات إنسانيته فكان دائما يسميه عيسى بن مريم حتى ينبه إلى إنسانيته.

1- المرجع نفسه : ج 13، ص 119.

2- المرجع نفسه : ج11، ص119.

3- *الأنبياء*/26.

4- الرازي : **التفسير الكبير**، ج 22، ص 109.

5- الزمخشري: **الكشاف الفريد**، ج3، ص9.

5- دليل الوحدانية

قال تعالى : ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [1]

فقد نزه سبحانه نفسه عن أن يكون له ولد لأنه الواحد الأحد الفرد الصمد، فلو أراد أن يتخذ ولدا لاصطفاه من بين خلقه، لأن إرادته مطلقة و الأمر ليس بحاجة إلى إقرار أو اقتراح من البشر، فمشيئته تعالى لم تتجه إلى هذا الاصطفاء [2] لأنه تعالى واحد حقيقي، و الواحد الحقيقي يمتنع أن يكون له ولد. فلو كان مركبا لاحتاج إلى كل واحد من أجزائه، و جزؤه غيره، فلزم أنه يحتاج إلى غيره، والمحتاج إلى الغير ممكن لذاته، و الممكن لذاته لا يكون واجب الوجود لذاته.

و الواحد لا يكون له ولد لأسباب منها :

1- أن الولد جزء من أجزاء الشيء ينفصل عنه، ثم يحصل له صورة مساوية لصورة الوالد، وهذا يعقل في الأشياء التي تنفصل منها أجزاء أما الفرد المطلق فلا يقال فيه ذلك.

2- أن الولد لا يحصل إلا من الزوج و الزوجة، و لابد أن يكون الزوجان من جنس واحد، فلو كان له ولد لما كان واحدا بل كانت زوجته من جنسه.

فكونه تعالى واحدا و قهارا ينفي عنه الولد، لأن المحتاج إلى الولد هو الذي يكون مقهورا بالموت، و أما الذي يكون قاهرا كان الولد في حقه محال [3].

6- دليل التحريف

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ [4].

فقد قال عز و جل لمحمد صلى الله عليه و سلم، قل يا محمد إن كان للرحمان ولد، فأنا أول الخادمين له و مقصود هذا الكلام، بيان أن الرسول صلى الله عليه و سلم لا ينكر الولد لله لمجرد العناد

1- *الزمر /4*.

2- ناصر بن علي عايض حسن الشيخ : **مباحث العقيدة في سورة الزمر**، ط1، (الرياض : مكتبة الرشد، 1995م)، ص 92.

3- الرازي : التفسير الكبير، ج 26، ص 242.

4- *الزخرف* / 81.

والمنازعة، فلو أنه تعالى له ولد،لكان أول مقر به معترف بوجوب خدمته، إلا أنه لم يوجد هذا الولد و لم يقم الدليل على ثبوته البتة، بل الدليل القاطع قائم على عدمه فكيف يقول به و كيف يعترف به؟ [1].

و من الواضح أن الآية تشير إلى أن الرسالات السماوية ما هي إلا مكملة لبعضها البعض، فإن كان للّه ولد، فلما لم يخبر عنه في الرسالات السابقة للنصرانية ، و لو كان له ولد، فما الداعي لإخفاء هذه الحقيقة، بل كان الواجب على الرسالة المحمدية أن توضحها أكثر، و مادام الأمر على خلاف ذلك وما دام اللّه منزّه عن الولد، كان على الرسول صلى اللّه عليه و سلم أن يبلغ ما أمر به، دون تحريف ولا تبديل .

7- دليل المضاهاة

قال تعالى :﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[2].

ذكر عزّ و جلّ أن النصارى قالوا "المسيح ابن اللّه " [3] و هذا القول لا يعضده برهان، فما هو إلا لفظ يتفوهون به فارغ من معنى معتبر لحقه، و الحاصل أنهم قالوا باللسان قولا، و لكن لم يحصل عند العقل من ذلك القول أثر، لأن إثبات الولد لله مع أنه منزّه عن الحاجة و المضاجعة و المباضعة قول باطل[4].

و الحقيقة أن النصارى لا يزالوا إلى يومنا هذا مختلفين في حقيقة البنوة و الكلمة المتجسدة والتثليث، فقد قالوا بهذه العقائد، لكنهم لم يجدوا لها حلا و لا مخرجا يرضي العقول، لذلك فقد صدق اللّه حين قال : ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِم ﴾ فهو مجرّد قول لا أساس له من الصحة، بالإضافة إلى أنه تكرار واجترار للمعتقدات الوثنية، السابقة للنصرانية ، قال تعالى:﴿ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾.

1- الرازي : التفسير الكبير، ج27، ص230.

2- *التوبة* / 30.

3- و هي الآية الوحيدة التي ذكر فيها اللّه، أن المسيح سمي " ابن " و ليس ولد، و لعله تعالى يسرد قولهم كما تفوهوا به، وأما في الآيات التي يقول فيها " ولد " فكان يحط من عقيدة البنوة كما سنرى لاحقا. كما أنه تعالى كان يعالج كل معتقد فاسد يقول بأن للّه ابن أو ابنة.

3- الرازي : التفسير الكبير، ج 16، ص 35.

و يبدو من هذا الدليل أن القرآن أول من استعمل النقد التاريخي لعقيدة البنوة، وبالتالي عقيدة التثليث، و قد أخذ عن هذا الدليل القاضي عبد الجبار ثم اشتهر في الأبحاث الحديثة والمعاصرة في ميـــدان نقد الكتاب المقدس.

فهذه هي الأدلة التي استعملها المولى عزّ و جلّ لرد عقيدة البنوة و بالتالي الأبوة.

و قد ذكر Henri Michaud، بأن كلمة "**ولد**" هي الكلمة التي لا زالت إلى اليوم تستعمل في الردود الإسلامية على عقيدة البنوة السامية للمسيح، و هذا ما نجده في تفسير المنار لسورة 6/ 101 و10/4 و يضيف بأن برهان المسلمين يرجع إلى ما قاله Jomier: " اللّه لا يمكن أن يكون له ولد لأنه لا يمكن أن تكون له زوجة "[1].

و يقول Denise Masson بأن عقيدة التثليث لا تحتمل إطلاقا فكرة النسل خارج الذات الإلهيـة (AD EXTRA) و لكن عن طريق الانبثاق داخل الذات الإلهية (AD INTRA)، بحيث يبقى واحـــد أزلي وثابت في جوهره، و بسيط في ذاته.

فإن كان معنى الولادة و البنوة بالمعنى المعروف عند الكائنات الحية، فاللّه لم يلد و لم يولد، ولا يمكن أن يكون له ولد و المسيحيون لا يقولون بأن اللّه أنجب الولد من زوجته بل المسيح ابن اللّه، وكلمة اللّه الأزلية، ولد في زمن العذراء مريم، لهذا سميت أم الإله، لأنها أم الكلمة المتجسدة [2].

و نرد على هذا،بأن اللّه عزّ و جلّ قصد تسمية الابن بالولد، لا لأن الولد يضم الابـــن و الابنـــة فحسب، بل لأن الذي يتبادر إلى الذهن حين تسمع كلمة " الابن" هو الولادة الطبيعية،و لأن الولادة شيء غير جائز في حقه تعالى أراد تعالى أن ينبه النصارى إلى قبح قولهم، ثم إنهم إذا كانوا يريدون بـالبنوة شيئا غير الولادة فليعبروا عنه بمصطلح آخر، لأن الابن هو الولد.

و يقول محمد رشيد رضا في هذا الشأن : " و النكتة في اختيار لفظ الولد في الرّد عليهم، علـــى لفـــظ الابن، الذي يعبرون به، هي بيان أنّهم إذا كانوا يريدون الابن الحقيقي، الذي يفهم من هذا اللفظ، فلابد أن يكون ولد، أي مولودا من تلقيح أبيه و أمه، و هذا محال على اللّه تعالى، و إن أرادوا أنه إبن مجازا لا حقيقة، كما أطلق في كتب العهد العتيق و العهد الجديد على إسرائيل و داود و على صـــانعي السلام و غيرهم... لا يعد من باب الخصوصية "[3].

1- **Jésus selon le Coran**, P 78.

2- **Monothéisme coranique et Monothéisme biblique**, P 101-102.

3-**تفسير المنار**، ج 6، ص 86.

المطلب الثاني : موقف القرآن من الكلمة

سمي المسيح في القرآن الكريم بـــ "الكلمة" في ثلاثة مواضع :

1- ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [1].

2- ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [2].

3- ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ [3].

و ذكر المسيح بأنه "قول" في قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ [4].

و قد فسرت الكلمة في هذه الآيات على عدّة معاني.

الأول : أن المراد بالكلمة : تعلق القدرة التنجيزي [5] كما في حديث خلق الإنسان، من قوله ﷺ: " **يؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه و أجله** " [6]. فلما كان أمر الخلق والتكوين مما يعلو عقـــول البشر، عبر عنه تعالى ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [7]، و قد خص المسيح

1- *آل عمران* /39.

2- *آل عمران* /45.

3- *النساء* /173.

4- *مريم* /34.

5- محمد الطاهر بن عاشور : **التحرير و التنوير**، ج 3-5، ص245.

6- أخرجه محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـــ)في كتاب التوحيد، بـــاب : قولـــه تعـــالى: ﴿ والوالـــدات يرضعـــن أولادهن...لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه﴾، (**الصحيح**، ط[ ]، (دار الفكر، 1991م)، 482/11)، و مســـلم في كتاب القدر، باب: كيفية خلق الآدمي، في بطن أمه وكتابه ورزقه وأجله وعمله وشقاؤه، (189/16). كلاهما عن عبـــد الله بن مسعود.

7- *يس* /82.

بإطلاق اسم" **الكلمة** " عليه، لأنه في العادة و العرف العام تنسب الأشياء إلى أسبابها، ولما فقد سبب علوق المسيح برحم أمه، جعل الله سببا للعلوق، و أضيف هذا التكوين إلى كلمة الله، وأطلقت الكلمة على المكون إيذانا بذلك، و جعل كأنه نفس الكلمة مبالغة، كما سمي المخلوق خلقا، والمقدور قدرة، والمرجو رجاء و المشتهى شهوة [1].

الثاني : أطلقت " **الكلمة** " على المسيح للإشارة إلى بشارة الأنبياء به فهو قد عرف بكلمة الله. فلما جاء قيل هو " **الكلمة** " فسمي كذلك بهذا التأويل قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ [2].

الثالث : أطلق عليه اسم " **كلمة** " لمزيد إيضاحه لكلام الله الذي حرفه اليهود، حتى أخرجوه عن وجهه، و جعلوا الدين ماديا محضا [3]، و هو من قبيل وصف الناس السلطان العادل بأنه ظل الله في أرضه، و أنه سبب لظهور العدل، و نور و إحسان، فكذلك كان عيسى سببا لظهور كلام الله ﷻ بسبب كثرة بياناته فلهذا سمي كلمة الله [4].

الرابع : إن الكلمة تفيد المعاني و الحقائق، و عيسى كان يرشد إلى الحقائق و الأسرار الإلهية، فسمي كذلك بهذا التأويل، و هو مثل تسميته روحا، فقد أحيا الله به من الضلال كما يحيا الإنسان بالروح، و قد ورد تسمية القرآن روحا قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [5].

الخامس : أنه تكلم في طفولته، و آتاه الله الكتاب في طفولته " فكان في كونه متكلما بالغا

1- محمد رشيد رضا : **تفسير المنار**، ج 3، ص304، الرازي : **التفسير الكبير**، ج 8، ص35.

2- ***الصافات***/ 171.

3- محمد رشيد رضا : المرجع السابق، ج 3، ص304، و الرازي : المرجع السابق، ج 8، ص36.

4- الرازي : المرجع السابق، ج 8، ص37-38.

5- ***الشورى***/ 52.

مبلغا عظيما، فسمي كلمة بهذا التأويل، و هو مثل ما يقال : فلان جود و إقبـــال إذا كـــان كـــاملا فيهما"[1].

السادس : أن المراد بالكلمة، كلمة البشارة لأمه، فقوله تعالى: ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ يعني بخبر مـــن عنده أو بشارة، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ﴾[2]، و تعني بشرى الله مريم بعيسى ألقاهـا إليها،ودليل ذلك أنه تعالى قال: ﴿ اسْمُهُ الْمَسِيحُ ﴾ و لم يقل اسمها فيؤنث، و الكلمة مؤنثة لأن الكلمـة لم يقصد بها الاسم الذي هو بمعنى فلان إنما هي بمعنى البشارة[3].

السابع : أن عيسى سمي كلمة الله و روح الله، من قبيل تسمية الإنسان بفضل الله و لطف الله. و كلمة الله هي كلامه، " و كلامه على قول أهل السنة صفة قديمة قائمة بذاته، و على قـــول المعتزلـــة أصوات يخلقها الله تعالى في جسم مخصوص دالة بالوضع على معان مخصوصة، هي أعراض غـــير باقيـــة يستحيل أن يقال : أنها هي ذات عيسى عليه السلام "، و لما كان ذلك باطل لزم التأويل[4].

و ذكر في القرآن أيضا بأن المسيح " قول "، قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾[5]، و قول الحق فيه وجوده.

1- أن نفس عيسى عليه السلام هو قول الحق، لأن الحق اسم الله تعالى، فلا فرق بين أن نقـــول عيسى كلمة الله و بين قول الحق.

2- تأكيد ما ذكر من أن عيسى عليه السلام ابن مريم.

3- أن قول الحق خبر مبتدأ محذوف، فكأنه قيل، ذلك عيسى ابن مريم و وصفنا له هـــو قـــول الحق، فكأنه تعالى وصفه أولا ثم ذكر أن هذا الموصوف هو عيسى ابن مريم، ثم ذكر بعد ذلك أن هـــذا

1- الرازي : **التفسير الكبير**، ج 8، ص36.

2- *النساء* /171.

3- محمد رشيد رضا : **تفسير المنار**، ج 3، ص304-305.

4- الرازي : المرجع السابق، ج 8، ص 36.

5- *مريم*/ 34.

الوصف أجمع هو قول الحق على معنى أنه ثابت [1].

و مهما اختلفت تفسيرات الكلمة في القرآن الكريم، يكون القرآن قد حسم موضوع " **الكلمة** " المتجسدة التي قال بها النصارى ، و بين المعنى الحقيقي لها.

و قد انتقد الله عز و جل تجسيد الكلمة في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [2].

فمن المعروف أن أحدا من النصارى لم يقل بأن **الله هو المسيح** فكيف يحكي الله عنهم ذلك ؟

ونرى أنه عز و جل تعرض لعقيدة التجسيد و انتقدها من خلال نصوص النصارى أنفسهم ويتضح ذلك من الآتي :

إن النص الوحيد الذي يتكلم عن الكلمة و عن تجسدها في الأناجيل جاء في إنجيل **يوحنا**: "في **البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله و كان الكلمة الله** "[3].

في هذه الفقرة يصرح يوحنا بأن الكلمة هي الله، و الكلمة هي المسيح، فالمسيح هو الله، أو بمعنى آخر **الله هو المسيح**.

و عليه يكون القرآن قد انتقد معتقدهم من خلال نصوصهم، فهم يستنكرون أن يكون الله هو المسيح، و يرون الله هو الأب و الابن هو روح القدس، و قد بين الله لهم، أنهم قالوا ما ينكرونه و جعلوا الله أقنوما واحدا من الأقانيم الثلاثة، فنسب الله إلى النصارى لازم قولهم حتى يوضح جهلهم و يبين حقيقة معتقدهم.

1- الرازي : **التفسير الكبير**، ج 21، ص217.

2- ***المائدة*** /17 . يقول الألوسي في تفسير هذه بأنه لم يصرح أحد من النصارى بهذا القول، و لكن لما زعموا أن فيه لاهوتا مع تصريحهم بالوحدة، و قولهم لا إله إلا واحد لزمهم أن الله سبحانه هو المسيح. **روح المعاني**، ج 3، ص 270.

3- 1/1.

المطلب الثالث : موقف القرآن الكريم من أقنوم الروح القدس

ذكر عزّ وجلّ **الروح القدس** في عدّة مواضيع من القرآن الكريم:

1- ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [1].

2- ﴿ ...وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [2].

3- ﴿...إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [3].

4- ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ... ﴾ [4].

فقد ذكر ﷻ في الآيات السابقة تأييده للمسيح عليه السلام بالروح القدس.

و التأييد : هو التقوية و الإقدار على العمل النفسي، و هو مشتق من الأيد أي القوة.

و الروح : جوهر نوراني لطيف، غير مدرك بالحواس، و يطلق على النفس الإنساني الذي به حياة الإنس و قد تطلق الروح و يراد بها " أرواح الأبدان ".

قال تعالى : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [5].

و تطلق على جبريل عليه السلام كما في قوله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۞ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [6]، و هو المراد في قوله تعالى : ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ [7].

و قد يراد بها رحمة منه و مثله قوله تعالى : ﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [8].

1- البقرة /87.

2- البقرة /253.

3- النساء /171.

4- المائدة /110.

5- الإسراء/ 85.

6- الشعراء/ 193.

7- القدر/ 4 .

8- المجادلة/ 22.

و القدس : معناه النزاهة و الطهارة.

و روح القدس : روح مضاف إلى النزاهة فيجوز أن يكون المراد به الروح الذي نفخ الله في بطن مريم، فتكوّن منه عيسى، و إنما كان ذلك تأييدا له، فتكوينه بذلك الروح، هو الذي هيأه لأن يأتي بالمعجزات العظيمة، و يجوز أن المراد به جبريل عليه السلام و التأييد ظاهر لأنه يأتيه بالوحي [1] و في الحديث: " **إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستوفي أجلها** " [2].

و قد سمي المسيح بروح من الله لأسباب منها :

1- أنه جرت العادة على وصف الشيء الطاهر النظيف بأنه روح، و لما كان عيسى قد تكون بدون نطفة الأب، و إنما من نفخة جبريل عليه السلام، وصف بأنه روح و المراد بقوله " **منه** " التشريف و التفضيل، كما يقال هذه نعمة من الله، و المراد كون تلك النعمة كاملة شريفة.

2- أنه كان سببا لحياة الناس في أديانهم و لذلك وصف بأنه روح، قال تعالى في صفة القرآن: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [3].

3- معناه رحمة منه قال تعالى : ﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [4] أي برحمة منه.

4- أن الروح هو النفخ في كلام العرب، فالروح و الريح متقاربان، و الروح هنا عبارة عن نفخ جبريل عليه السلام، و قوله منه يعني أن ذلك النفخ من جبريل كان بأمر الله و إذنه، فهو منه.

1- محمد الطاهر تن عاشور : **التحرير و التنوير**، ج 1، ص595.

2-أخرجه أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجة(ت275هـ) كتاب: التجارات باب الاقتصاد في المعيشة، (**السنن**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط[ ]، (دار الفكر، ت[ ]، ج2، ص725.) بلفظ آخر، " أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب، فإن نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها" وإسناده ضعيف.

و لم نقف على حديث يذكر فيه روح القدس بمعنى جبريل عليه السلام، إلا قوله صلى الله عليه وسلّم " إن روح القدس مع حسان ما نافح عن رسول الله"، راجع ص243من البحث ففيها تخريج هذا الحديث.

3- *الشورى*/ 52.

4- *المجادلة* /22.

5- في قوله تعالى **روح منه**، أدخل التنكير في لفظ (**روح**) ليفيد التعظيم، فكان معناها : روح من الأرواح الشريفة القدسية العالية، و قوله منه إضافة ذلك الروح إلى نفسه لأجل التشريف والتعظيم[1].

فأيا كان معنى الروح القدس فإنه بعيد كل البعد عن المعنى الذي أعطاه النصارى له، فقد جعلوه أقنوما و إلها.

و قد انتقد القرآن الكريم ألوهية الروح القدس في قوله تعالى :﴿...إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقَىٰهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِّنْهُ﴾ [2] فبيّن ﷻ حقيقة المسيح و الكلمة وكذلك الروح القدس، ووضح أن كون المسيح روحا منه، لا يمكن أن يدخله في شراكة مع الله، لأن معنى روح منه قد يحتمل من المعاني الكثير إلا أن يكون إلها، وما جعل النصارى الروح القدس أقنوما، إلا من باب الكذب والافتراء، فهذه الآية إذا جاءت لتصحح عقائد النصارى، وكما يقول مالك بن نبي[3] بخصوص تعامل القرآن مع المعتقدات النصرانية: "...و على كل فإن هذه القرابة تسم القرآن بطابعه الخاص، فهو في كثير من المواضيع يبدو مكملا أو مصححا معلومات الكتاب المقدس "[4].

وقد قال القرآن كلمة الفصل في ألوهية المسيح و بنوته و ألوهية الروح القدس، و في كل أسطورة من بنوة أحد لله أو ألوهية أي أحد مع الله في أي شكل من الأشكال[5].

فبيّن عز و جلّ أن المسيح و الملائكة المقربون ما هم إلا عباد لله ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَ لَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَ يَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾[6].

1- الرازي : **التفسير الكبير**، ج 11، ص115-116 ، و ابن الجوزي : **زاد المسير في علم التفسير**، ج2 ، ص225-226.

2- *النساء* /171.

3- مفكر جزائري ولد عام 1905 في مدينة قسنطينة ، تخرج عام 1935 مهندسا كهربائيا، وقد أعطته ثقافته المنهجية القدرة على إبراز مشكلة العالم المختلفة باعتبارها قضية حضارة ، لهذا وضع كتبه جميعها تحت عنوان (مشكلات الحضارة)، توفي في الجزائر 1973م، من أهم مؤلفاته" الظاهرة القرآنية" " دعوة الإسلام" " الآفاق المستقبلية الجزائرية". **موسوعة السياسة**، ج5، ص682-683.

4- **الظاهرة القرآنية** : ص199.

5- سيد قطب: **في ظلال القرآن**، ج 6، ص 819.

6- *النساء*/ 172.

ولا يسعنا بعد هذا العرض إلا القول، بأن القرآن الكريم كان موقفه واضحا من عقيدة التثليث، فقد كفر القائلين بها، و انتقدها بطريقة فريدة، إذ كان عز و جل يعرض في كل مرة لازم قول النصارى على أنه قولهم[1] و بالتالي فهو يعرض و ينقد في آن واحد، فهو يذكر ما لم يقله النصارى كما في الآيات التالية:

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ﴾

﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴾

فهم لم يقولوا بأن الله ثالث ثلاثة آلهة، و لم يقولوا بأن الله هو المسيح، و لم يقولوا بأن المسيح ولد الله بالطريقة المعروفة، لكن الله عز وجل في هذا العرض ينبههم إلى نتيجة قولهم.

وكان القرآن الكريم في كل مرة ينتقد النصارى من نصوصهم ، فقد قالوا في كتابهم المقدس **الله هو الأب**، فما دام الأمر كذلك فالابن و الروح إلهين آخرين غير الله (الأب)، وهم يقولون بأن **الكلمة هي الله** و مادام الأمر كذلك فالله هو الكلمة أو الله هو المسيح.

و هم يقولون أيضا بأن **المسيح ابن الله**، فلو كانوا يعنون بذلك شيئا آخر فليعبروا عنه بمصطلح آخر، و ماداموا يقولون هو الابن فلا معنى للابن غير الولد.

فالقرآن إذن انتقد عقيدة التثليث نقدا لاذعا من خلال نصوص النصارى،وقام بتفكيك ذلك النسق الذين يرددونه في كل صلواتهم "الله ، الأب و الإبن و روح القدس"، وبين حقيقة تثليثهم الذي ما هو إلا صورة للثالوثات الوثنية السابقة له، و بين بأدلة كثيرة هشاشة عقيدة البنوة، وأعطى التصور الصحيح للكلمة و للروح القدس.

و بالرغم من أن القرآن تناول كل هذه المعتقدات إلا أننا إلى حد الآن لم نعطها الاهتمام الكافي مما جعل البعض يحاول التشكيك في مصداقية الردود القرآنية.

وبعد هذا العرض يحق لنا أن نتساءل كيف كان موقف الفكر الإسلامي قديمه وحديثه من هذه العقيدة؟.

1- إن هذا العرض القرآني جعلنا نتساءل، كيف يقول الله عز وجل ما لم يقله النصارى؟ مما جعلنا نبحث عن السبب، وتوصلنا بعد بحث مطول إلى أنه تعالى يعرض لازم قول النصارى وينتقدهم من الكتاب المقدس.

الفصل الرابع

موقف القدامى من عقيدة التثليث

المبحث الأول : موقف الباقلاني (النموذج الأشعري) من عقيدة التثليث

المبحث الثاني: موقف القاضي عبد الجبار(النموذج الاعتزالي) من عقيدة التثليث

المبحث الثالث: موقف ابن حزم (النموذج الظاهري) من عقيدة التثليث

المبحث الرابع: موقف ابن تيمية (النموذج السلفي) من عقيدة التثليث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

لقد قام المسلمون، بعد شروق شمس الإسلام على الجزيرة العربية، بإخضاع أقطار الشرق الأدنى لسلطانهم، وكان في تلك البلدان أقوام وأديان شتى.

ففي الشام ومصر عمّت النصرانية واليهودية، وفي العراق وفارس غلبت المجوسية بفرقها(الثنوية، والزرادشتية، والمانوية، والمزدكية)[1]، وقد اختلط هؤلاء بالمسلمين منذ أواخر القرن الأوّل، وقد نشط بعض أصحاب تلك الأديان في مقاومة العقيدة الإسلامية، بالفكر بعدما عجزوا عن مقاومة أهلها بالسيف ،مستغلين جو التسامح الديني والحرية الفكرية الذي كان سائدا في المجتمع الإسلامي.

فقد كان اليهود يقذفون بالأخبار والأحاديث التي تفيد التشبيه والتجسيم، وكان النصارى يبثون عقائدهم، ويجادلون المسلمين فيها منذ وقت مبكّر، وقد استعملوا الأسلوب العقلي الفلسفي، لسابق معرفتهم بالفلسفة والمنطق اليونانيين[2].

وقد أقبل بعض النصارى على الإسلام، لأنهم رأوا فيه صورة بسيطة للمسيح، واستشرت ظاهرة اعتناق النصارى للإسلام، مما جعل آباء الكنيسة يدافعون عن دينهم ونظرياتهم في طبيعة المسيح،فتصدى لهم مفكرو الإسلام، وبدأ الجدال حول وحدة الله وطبيعته وصفاته وكلمته[3].

1-عواد بن عبد الله المعتق: **المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها**، ط3،(الرياض: مكتبة الرشد، 1996م)، ص34.

2-عبد المجيد النجّار، أبو لبابة حسين، علي الشابي:**المعتزلة بين الفكر والعمل**، ط[بدون]،(تونس:الشركة التونسية للتوزيع،ت[بدون])، ص8، 14.

3-كانت الأحاديث بين الإسلام والنصرانية في مبدأ الأمر، أحاديث جدل في لين ورقة، ولكنها أخذت صورة من الشدّة في عهد الأمويين، حين اصطدم يوحنا الدمشقي في جدال عنيف مع المسلمين حول وحدة الله وطبيعته والكلمة.(علي سامي النشار: **الفكر الفلسفي في الإسلام**، ط7، (دار المعارف،1977م)،ص92-93.

فقد كان النصارى في ذلك الوقت، يقولون بأن الذات الإلهية جوهر يتقوم بأقانيم أو صفات ثلاثة، هي الوجود والعلم والحياة، وأنها أشخاص، وأن الأقنوم الثاني أي العلم تجسد في الابن.

كما قالوا بأن المسيح كلمة الله المنبثقة من الأب منذ الأزل، وجاء الإسلام ليقول بأن القرآن كلام الله الأزلي، فأصبح هناك تشابه بين المسيح عند النصارى والقرآن عند المسلمين، إلى درجة عدم إمكان وجود فرق جوهري بينهما[1].

وقد كان النصارى يشجعون القول بقدم القرآن، قاصدين بذلك الانتهاء بالعقيدة الإسلامية الموحدة إلى إثبات قديمين، وبالتالي إلى إثبات إلهين: ذات الله، وكلامه، على غرار ذات الله عندهم وكلمته المتجسدة في المسيح[2].

ولأن القرآن والسنة هما المصدر الأساسي الذي استمد المسلمون منه تصوراتهم العقدية، ولأنهما الملاذ الذي يلوذون به كلما ورد عليهم من الآراء، أخذ المسلمون يتمعنون في الآيات والأحاديث ليقايسوا بها الأفكار الواردة، فسروا الكلمة في ضوء ما حدده القرآن، وهو مفهوم بسيط يتسق مع دين الفطرة، وينأى عن إقحام تعقيدات تصورات الفلسفة، ف"كن" في القرآن الكريم تعبر عن إرادة الله، فمجرد التعبير ب"كن" كاف لإيجاد الشيء بعد عدمه، وما عيسى إلا أثر الكلمة وليس هو الكلمة[3].

وقد تجند المعتزلة[4]، للرد على النصارى، فقالوا بحدوث كلام الله وخلق القرآن،

1- ألبير نصري: **مدخل إلى الفرق الإسلامية السياسية والكلامية**، ط3، (بيروت: دار المشرق، 1989م)، ص70.

2- لقد تأثر بعض المسلمين برأي النصارى في الكلام، ويؤكد ذلك ما ذهب إليه عبد الله بن كلاب القطان(ت420ه)من أن كلام الله هو الله.(عبد المجيد النجار: **مباحث في منهجية الفكر الإسلامي**، ص83-84.)

3- أحمد محمود صبحي: **في علم الكلام-الأشاعرة-**، ط5، (بيروت: دار النهضة العربية، 1985م)، ج2، ص76.و المرجع السابق ، ص109.

4- يسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية والعدلية، وأصول مذهبهم هي: التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. (أبي الفتح محمد عبد الكريم أحمد الشهرستاني: **الملل والنحل**، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، ط[ ]، (بيروت : دار الفكر، ت[ ])، ص43-44. و المقريزي: **الخطط**، ج2، ص345.و **البغدادي** الحافظ أبي بكر علي الخطيب (463هـ): **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ت [ ])، ص 20)

ورد عليهم أهل السلف[1]، ثم حسم الأشاعرة[2] الأمر، حين فرقوا بين الكلام النفسي المعبر عن علم الله، وبين الكلام اللفظي المعبر عنه بالعبارات والحروف[3].

وفي خضم هذه الأحداث، ظهر علمين إسلاميين، وهما: علم الملل والنحل، وعلم الكلام. ولأن العلمين مرتبطين ببعضهما البعض، آثرنا أن نختار من كل فرقة إسلامية رادا، حتى نعرف إن كان الاختلاف المذهبي قد خدم علم الأديان أم لا !.

وقد اخترنا أربعة نماذج، تعتبر أقطاب علم مقارنة الأديان، وهم: الباقلاني (الأشعري)، القاضي عبد الجبار (المعتزلي)، ابن حزم (الظاهري)، وابن تيمية (السلفي). وكل هؤلاء الرادين جاءوا بعد القرن الرابع الهجري، فالردود الإسلامية على النصارى لم تتبلور إلا بعد ذلك التاريخ، وأما قبل ذلك فأغلب الردود كانت لنصارى أسلموا، بالإضافة إلى أن الردود لم تكن قد اكتملت معالمها بعد[4].

1-هم الداعون للعودة إلى سيرة السلف الصالح، وقد أطلق السلف على الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ، وعلى أهل القرون الثلاثة الأولى، ومن تبعهم من الأئمة الأربعة، وغيرهم من أئمة السلف والشيوخ والمحدثين. (عبد المنعم الحفني: **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية**، ط1، (القاهرة: دار الرشاد، 1993م)، ص245. وانظر أيضا محمد علي الفاروقي التهاوني : **كشاف اصطلاحات الفنون** ، تحقيق: لطفي عبد البديع ، ترجمة: عبد النعيم حسنين،(مصر: الهيئة المصري للكتاب، 1972)، ج4، ص15.

2-هم أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، الذي كان يرى أن الله لا يشبهه شيء ولا يشبه شيئا، وأنه قديم لنفسه، وصفاته قائمة بذاته، و هي ليست ذاته ولا غير ذاته إذ لا يتصور أن يكون الذات حيا بغير حياة، أو عالما بغير علم، وهكذا. (الشهرستاني: **الملل والنحل**، ص91-92. و المقريزي: **الخطط**، ج 2، ص 358.)

3-أحمد محمود صبحي: **في علم الكلام-الأشاعرة-**، ص76-77.

4-وقد أول الردود الإسلامية على النصارى ظهورا، في منتصف القرن الثاني الهجري، فقد ذكر ابن النديم في كتابه الفهرست، أكثر من اثني عشر كتاب في الرد على النصارى، لم يصلنا منهم إلا واحدا وهو لعلي بن ربان الطبري(ت 240ه/855م)، وعنوانه "الدين والدولة" ويعتبر أقدم رد. وهناك ردين آخرين كتبا بعد ذلك بسنوات، أولهما للقاسم بن إبراهيم الحسين(ت 246ه/860م)، والثاني لأبي عثمان بن بحر الجاحظ ، والكتابين يحملان نفس العنوان "الرد على النصارى". وقد ذكر ابن تيمية في كتابه "الجواب الصحيح" رد الحسين بن أيوب على أخيه علي بن أيوب ليبين له أسباب إسلامه، و لم يذكر ابن تيمية تاريخ كتابة هذا الرد، ويمكن القول بأنه كتب قبل سنة 339هـ/989م، تاريخ وفاة ابن النديم، الذي ذكره في كتابه الفهرست.(Bouamama Ali: **La Litterature polemique musilmane contre le Christianisme) Depuis SES origines jusqu au 13eme siecle**, (Alger: Enterprise nationale du livre), p 39.

المبحث الأول

الباقلاني و موقفه من عقيدة التثليث
(النموذج الأشعري)

المطلب الأول : حياته.

هو أبو بكر محمد بن الطيب محمد بن جعفر البصري، ولد بالبصرة بعد النصف الثاني من القرن الرابع أو قبله و سكن بغداد [1]، تعلم الحديث و الفقه و علم الكلام عن كبار العلماء [2]، و كان مالكي المذهب، درس ببغداد و كانت له حلقة عظيمة من التلاميذ، و يصفه الخطيب البغدادي بأنه كان أعرف الناس بالكلام و أحسنهم لسانا و أوضحهم بيانا و أصحهم عبارة [3].

و كان الباقلاني أفضل المتكلمين المنتسبين إلى المذهب الأشعري ، و سيف السنة الذي انتهت إليه الرياسة في مذهبه، و كان يوصف بجودة الاستنباط و سرعة الجواب، و كان واسع العلم و الحفظ إلى حد أنه يرد على مصنفات الخصوم دون حاجة إلى الرجوع إلى مؤلفاتهم [4].

1- أبو العماد بن عماد الحنبلي (ت1089): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، (بيروت:منشورات دار الآفاق الجديدة،ت[ ])،ج3، ص169. وأبو سعد عبد الكريم السمعاني(ت562هـ): **الأنساب**، تعليق وتقديم: عبد الله عمر البارودي، ط1،(بيروت: مؤسسة الكتاب الثقافية، 1988م)، ج1، ص265-267. وشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748 هـ): **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1993م)، ج 28 ، ص89.

2- سمع الحديث عن أبي بكر بن مالك القطيعي، و أبي محمد بن ماسي، وأبي محمد الحسين النيسبوري، وأخذ الفقه على أبي بكر الأبهري، وأما علم الكلام، فقد درسه على يدي أبي بكر بن مجاهد البصري، وأبي الحسن الباهلي، تلميذي أبي الحسن الأشعري. (الحافظ أبي بكر علي الخطيب البغدادي (463هـ): **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ت [ ])،ج5، ص379، و الحافظ الذهبي(ت748هـ): **العبر في خبر من غبر**، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط1، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1985م)ج2،ص 207.)

3- البغدادي: **تاريخ بغداد**، ج5، ص379.

4-أحمد محمود صبحي: **في علم الكلام، دراسة في الفرق الإسلامية،وأصول الدين (الأشاعرة)**، ط5، (بيروت: دار النهضة العربية، 1985م)،ص89.

تميز الباقلاني عن معاصريه بسعة اطلاعه و علمه بمسائل الخلاف عامة، و بـــالعقيدة النصرانـــة خاصة، ويبدو هذا واضحا في كتاب " **التمهيد** " الذي نستخلص منه وجود حركة مناظرة قوية بـــين الإسلام والنصرانية، خصوصا في بغداد حيث وجد أعداد من علماء النصرانية المتخصصين في اللاهـــوت والفلسفة معا[1].

توفى الباقلاني في آخر يوم السبت، و دفن يوم الأحد لسبع باقين من ذي القعدة ســـنة ثلاثـــة وأربعمائة هجرية(403 هـــ)، و خلف تسعا و تسعين كتابا في مسائل الكلام و أصول الفقه و إعجـــاز القرآن[2].

المطلب الثاني : رد الباقلاني على مسألة الجوهر

بدأ الباقلاني الباب الثامن من كتابه " التمهيد " بدون مقدمة، فلم يعتـــن بتقـــديم معتقـــدات النصارى قبل الرد عليها، بل شرع في مناقشتهم مفترضا في كل مرة أنهم يقولون قولا أو يأتون بدليـــل ما، ثم يجيب على ذلك الأساس[3].

و قد بدأ مناقشة النصارى في قولهم : " **إن الله جوهر** "، و افترض أنهم يستدلون علـــى ذلـــك بأربعة أدلة هي كالآتي :

أولا : وجدنا الأشياء كلها في الشاهد و الوجود، لا تخلو من أن تكون جواهر أو أعراضا، وإن القديم ليس بعرض فوجب أن يكون جوهرا.

و يرد الباقلاني على هذا الدليل متسائلا : " لو زعمتم أولا أنكم إذا لم تجدوا الأشياء في الشـــاهد إلا على ما وصفتم، وجب القضاء على الغائب بمجرد الشاهد، و أن الموجودات في الغائب لا ينفك مـــن أصناف الموجودات في الشاهد، و ما حجمتكم عن ذلك ؟ فإن الخلاف في جهة استدلالكم أعظم،

1- على رأسهم عيسى بن زرعة، ويحيى بن عدي، وأبو الفرج بن الطيب.(عبد الرحمان بدوي: **مذاهب الإسلاميين ، المعتزلـــة والأشاعرة**، ط3، (بيروت: دار العلم للملايين، 1983م)، ج3، ص 569-570.

2- البغدادي: **تاريخ بغداد**، ج5، ص382. والذهبي: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ج 2،ص89.

3- عبد المجيد الشرفي: **الفكر الإسلامي في الرد على النصارى**، ص153.

والغلط و الخطأ فيه أفحش " [1]، و بعد هذا التساؤل أتى بأدلة يبين من خلالها بأنه لا يمكن الحكم على الغائب بما هو موجود في الشاهد :

1- ففي الشاهد لا يوجد حادثا إلا و قبله حادث، و لا شيئا إلا عن شيء، و لا جسما إلا وبعده جسم، و لا فاعلا اخترع الأجسام و أحدث الأفعال بغير أدوات و جوارح، فلو حكمنا على الغائب بمجرد الشاهد، لاقتضى أن يكون العالم قديم لا نهاية له، و أن تكون الحوادث لا أول لها، و أن الأجسام لا كل لها ولا غاية، و أنه لا فاعل لأجسام العالم، و أن الفاعل لأعراضه يفعلها بآلات وأدوات.

و جاء الباقلاني بمثال ذكي، يوضح به أنه لا يمكن الحكم على الغائب بمجرد الشاهد، فقال : "وأوجبوا على من نشأ في بلاد الزنج فلم يجد بها ماء إلا عذب، و لا إنسانا إلا أسود، و لا زرعا إلا أخضر، أيقضي على أنه لا ماء إلا عذب و لا إنسان إلا كما وجد؟ " [2].

2- من المتفق عليه أنه لا موجود معلوم في الشاهد و المعقول إلا محدث موجود من العدم، وقياس الغائب على الشاهد يقتضي أن يكون صانع العالم موجودا محدثا و هذا محال.

3- لا يوجد جوهرا في الشاهد إلا متحيزا قابلا للاعتراض من جنس الجواهر المعقولة، و قياس الغائب على الشاهد يوجب أن يكون الله تعالى كالجواهر المعقولة و من جنسها، و قابلا للاعتراض كقبولها.

و بناءا على ما تقدم، يقول الباقلاني بأنهم لا يمكن أن ينكروا أن يكون القديم سبحانه موجودا ليس بجوهر و لا عرض، و لا كالموجودات في الشاهد، كما أنه ليس كالجواهر[3].

ثانيا : الدليل على أن الله جوهر، أنا وجدنا الأشياء كلها على ضربين، ضرب يصح منه

1- أبو بكر الباقلاني: **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، ط1، (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1987م)، ص 95 .

2- المصدر نفسه، ص95.

3- المصدر نفسه، ص96.

الأفعال و هو الجوهر، و ضرب يتعذر و يمتنع منه الأفعال و هو العرض، و مادام القديم فاعلا، ثبت أنه جوهر[1].

و يرد الباقلاني، بأن هذا الدليل يقتضي بأن يكون القديم حاملا للأعراض، ويستنتج من قولهم، أن الأشياء كلها على ضربين، ضرب فعال شريف قائم بنفسه ليس بعرض و هو الحامل للأعراض، وضرب آخر ليس قائما بنفسه و لا فعالا و لا شريفا، و هو العرض، وهذا يقتضي أن يكون الله تعالى حاملا للأعراض ذو حيز و شغل، لكونه فعال قائم بنفسه شريف ليس بخسيس و هذا باطل[2].

ثالثا : الدليل على أن الله جوهر، أنا وجدنا الأشياء على ضربين، شريف؛ و هو الجوهر القائم بنفسه المستغني في الوجود عن غيره، وخسيس؛ قائم بغيره و محتاج إليه، و هو العرض، فلما لم يجز أن يكون الله من قبيل الخسيس ثبت أنه شريف و أنه قائم بنفسه[3].

و يرد عليهم، بأن دليلهم يستلزم أن تكون الأجسام على ضربين، جسم خسيس و هو المتميز القابل للصورة و التأليف و الحوادث، و ضرب شريف لا يقبل شيئا من ذلك و لا يجوز عليه. و الله تعالى شريف، فوجب أنه جسم ليس بذي صورة و لا مكان و لا قابلا للأعراض[4].

رابعا : الدليل على أن الله جوهر، أنا وجدنا الأشياء كلها تخرج من قسمين، إما قائم بنفسه أو قائم بغيره، والقائم بغيره هو العرض و القائم بنفسه هو الجوهر، و الله ليس قائما بغيره و ليس عرضا، فثبت أنه قائم بنفسه و أنه جوهر من الجواهر[5].

و يرد الباقلاني بأنهم أخطؤا في قسمة الأشياء المعقولة الموجودة، فهي منها الفعال الشريف القائم بنفسه الذي هو الجسم المؤلف، و منها الشريف القائم بنفسه، الذي هو الجوهر الغير مؤلف، فإن أنكروا

1- الباقلاني: **التمهيد**، ص94.

2-المصدر نفسه ، ص96.

3- // // ، ص94.

4- // // ،ص 97.

5- // // ، ص94.

أن يكون الله جسما لأن الجسم متغير مصور و هده من صفات الحوادث، يقال لهم بأنهم أنكروا أيضا أن يكون جوهرا، لأنه لم يعقل الجوهر إلا شاغلا متحيزا قابلا للحوادث، و هذه الأمور دالة على حدوث من جازت عليه، فكما لم يجز أن يكون القديم سبحانه محدثا، لم يجز أن يكون جوهرا [1].

و يبدو من رد الباقلاني على مسألة " الجوهر " أنه متأثر بمدرسته الكلامية فالجوهر عند الأشاعرة: " الذي له حيز، و الحيز هو المكان أو ما يقدر تقدير المكان عن أنه يوجد فيه غيره " [2]، وهو عند النصارى " القائم بنفسه و ليس هو في موضوع "، ويبدو أن الباقلاني لم يتخلص من نزعته الأشعرية في الرد على موضع الجوهر، وهو مع ذلك لم يغفل التعريف النصراني للجوهر ففي الرد **الثالث والرابع** يتضح لنا إدراكه للفرق بين المفهومين الإسلامي والنصراني للجوهر.

ويبدو أن مناقشته للنصارى خاصة في مسألة الجوهر أنجبت تفكيرا إسلاميا خالصا في "الجوهر والعرض " [3].

المطلب الثالث : رد الباقلاني على الأقانيم

أولا : التحديد العددي للأقانيم

ركز الباقلاني على تحديد النصارى للأقانيم بثلاثة، محتجين على أن الله موجود جوهر متصف بالعلم و الحياة، لأن الحي العالم لا يكون حيا عالما حتى يكون ذا حياة و علم، فوجب أن الأقانيم ثلاثة.

و قد أنكر الباقلاني تحديد النصارى الأقانيم بثلاثة قائلا : " ما أنكرتم أن تكون الأقانيم أربعة، لأننا نقول أن القديم موجود حي عالم قادر، و القادر لابد له من قدرة، فوجب أن تكون الأقانيم أربعة"[4]، ثم يقول بأنه لا يجب إنكار أن تكون الأقانيم خمسة و عشرة، و هذا لأننا نقول : " إن الباري موجود حي عالم قادر، و نقول إنه مريد و باق و سميع و متكلم، و الباقي، السميع، البصير، المتكلم، لا يكون كذلك إلا لوجود بقاء و إرادة و سمع و بصر و كلام. "[5]

1- الباقلاني: **التمهيد**، ص 96-97.

2- الباقلاني: **الإنصاف فيما يجب اعتقاده، ولا يجوز الجهل به**، تحقيق وتعليق وتقديم: محمد زاهد بن الحسين الكوثري، ط3، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1993م)، ص16.

3- علي سامي النشار: **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، ط7، (دار المعارف، 1977م)، ج1، ص100.

4- الباقلاني: **التمهيد**، ص98.

5- المصدر نفسه، ص99.

فإن يرد النصارى صفتي الكلام و الإرادة، لأنهما فعل من أفعال المتكلم المريد، يرد عليهم بأن العلم كذلك فعل من أفعال المريد، وإن قالوا : يعلم بالعلم من لم يفعله، يرد عليهم بأنه قد يريد بالإرادة و يتكلم بالكلام من لا يفعله.

و إن قالوا سمع الباري و بصره هو نفس علمه، يرد عليهم بأن علم الباري هو حياته، فوجب أن يكون أقنومين.

و إن قالوا أن الأقنومية تثبت للباري بصفة ترجع إلى نفسه لا تعلق لها بغيره، فهو موجود عالم حي بنفسه لا بغيره، يرد عليهم بأنه تعالى قديم بنفسه و ليس كل موجود جوهرا قديما بنفسه، فوجب أن تكون الأقانيم أربعة، و كذلك كونه باقيا هو شيء موجود بنفسه، و جوهر بنفسه، فيجب أن يكون كونه شيئا موجودا أقنوما، و كونه جوهرا أقنوما، لأنه ليس كل موجود جوهرا يرجع إلى نفسه لا تعلق له بغيره، و كونه باقيا أقنوما خامسا، لأنه ليس كل موجود باقيا، و يختم الباقلاني رده بقوله : " و لا جواب لهم عن ذلك، وفيه ترك التثليث. " [1]

ثانيا : علاقة الجوهر بالأقانيم

يوجه الباقلاني سؤالا إلى الفرق النصرانية فيقول : هل الجوهر عندكم هو الأقانيم أم غيرها ؟

و يرد على اليعقوبية و النسطورية، الذين يرون أنه ليس الجوهر بغير الأقانيم، بأن الجوهر غير مختلف من حيث كان جوهرا، و من حيث لم يكن معدوما، و من حيث لم يكن له خواص متباينة المعنى، والأقانيم مختلفة من حيث هي خواص متباينة المعنى، فإن كان الجوهر هو الأقانيم و الأقانيم مختلفة معدودة متباينة في الاختصاص، فنفس الجوهر إذا مختلفة معدودة متباينة متحدة بناسوت المسيح عليه السلام.

فلا يمكن أن يكون نفس الجوهر الذي ليس بمعدود و لا مختلف و لا متباين المعنى، هو نفس المختلف المعدود المتباين المعنى.

ثم يرد على الملكية الذين يرون بأن الجوهر غير الأقانيم بقوله : " فإذا كان الجوهر إلها، والأقانيم الثلاثة آلهة وهي غيره، فالآلهة إذن أربعة، جوهر و ثلاثة أقانيم، وهذا يبطل قولهم بالتثليث."[2]،ويسأل

1- الباقلاني: التمهيد، ص100.

2- المصدر نفسه، ص102.

المذكية إن كان الجوهر الذي هو غير الأقانيم موافق أو مخالف للأقانيم؟؟ .

فإن قالوا موافق فيجب أن يكون الجوهر أقانيما، و أن يكون ابنا و روحا، و أن يكون أقنوما وخاصا لجوهر آخر خامس، كما أن الأقانيم خواص لجوهر، و يجب أن تكون نفسه متباينة المعنى، مختلفة من حيث أشبهت أقانيم مختلفة المعاني، وأن يكون ابن نفسه، و روح نفسه، لأنه مثل ابنه و روحه و بمعناهما.

و إن قالوا ليس الجوهر موافقا للأقانيم من كل جهة، و إنما يوافقها بالجوهرية، لأن جوهرها من جوهره، فيرد عليهم بأن ذلك يوجب أن يكون هناك خلاف ثابت بين الجوهر والأقانيم في القنومية، وهذا يعني أن الجوهر يوافق بنفسه الأقانيم في الجوهرية، و يخالفها بنفسه في القنومية، و هذا كلام فاسد، لأنه لو جاز قول ذلك جاز أن يكون وفاق الشيئين هو خلافهما [1].

ثالثا : الرد على معنى الأقانيم

يرى بعض النصارى أن الأقانيم هي صفات الجوهر، و يرد الباقلاني على أصحاب هذا الرأي، بأن الأقانيم لا يمكن أن تكون صفات لأنفسها، و إنما تكون صفات و أقانيم لشيء آخر هو غيرها، ولا يقال إنه هي، فهذا يوجب إثبات أربعة معان، منها جوهر و ثلاث صفات له، و هذا ترك التثليث.

و إن قالوا هي خواص لأنفسها و أقانيم لأنفسها و صفات لأنفسها، قيل لهم بأنه يجب أن يكون الابن ابن نفسه، و الروح روح نفسه، و الصفة صفة نفسها، و هذا جهل عظيم [2].

ويبدو الباقلاني في رده على معنى الأقانيم متأثرا بمدرسته الكلامية، فالأشاعرة يرون أن الله تعالى عالم بعلم، قادر بقدرة، حي بحياة، مريد بإدارة، متكلم بكلام، و هذه الصفات أزلية قائمة بذاتها، لا هي هو، ولا هي غيره، و لا : لا هو، و لا : لا غيرها [3]، ومن هذا المنطق نجد الباقلاني ينفي أن تكون الصفات صفات لأنفسها، وإنما تكون صفات لشيء آخر هو غيرها، و لا يقال أنه هي كما رأينا سابقا.

1- الباقلاني: التمهيد، ص104.

2- المصدر نفسه، ص106.

3- الشهرستاني: الملل والنحل ، ص94.

و هناك من النصارى من يرى أن **الأقانيم و الخواص هي أشخاص**، و يرد عليهم الباقلاني متسائلا : أهي أشخاص لأنفسها أم لجوهر يجمعها ؟!، فإن قالوا : لأنفسها قالوا بتعدد الآلهة و تركوا قولهم، و إن قالوا بجوهر يجمعها أبطلوا التثليث

رابعا: الرد على بنوة المسيح

يرد الباقلاني على الملكية لقولهم إن مريم ولدت الابن متسائلا، كيف ولدت مريم الابن دون الأب و روح القدس و هو غير متباين لهما، و لا منفصل عنهما، و الأب و الجوهر الجامع للأقانيم ليسوا في بطن مريم، و هما مع ذلك غير متباينين و لا منفصلين مما هو حال في بطن مريم؟ فكيف يكون هناك مولود و غير مولود مما لا ينفصل و لا يتميز ؟ [1].

و بعد هذا التساؤل الذي يحمل النقد والرد المفحم، يناقش الباقلاني جميع الفرق النصرانية عن مصير المسيح الابن بعد الصلب فيسألهم : أكان باقيا موجودا في حال وقوع القتل و الصلب أم لا ؟

فإذا قالوا موجودا، يرد عليهم بأن الذي مات مسيح من طبيعتين، لاهوت و هو الابن، وناسوت و هو الجسد، و بالتالي يكون ابن الله القديم قد مات، و لم يجز أن يكون في تلك الحال إلها لأن الإله لا يكون ميتا ولا ناقصا، و لو جاز عليهم الموت، لجاز موت الأب و الروح و هذا ترك قولهم.

و إن قالوا بطل اتحاد الابن بالجسد عند القتل و الصلب، يرد عليهم بأن ذلك ينقض قولهم، فالميت الجسد و المسيح الابن لم يمت، و لم يقع عليه الصلب و بالتالي يكون المقتول المصلوب الواقع عليه الموت إنسانا و لا معنى لقولهم إن المسيح قتل و صلب [2].

و مما تقدم يمكن القول بأن الباقلاني اعتنى بمسألة الأقانيم في جميع نواحيها، فقد تكلم عن تحديدها بالعدد ثلاثة ثم ناقش معنى الأقانيم و علاقتها بالجوهر بكل دقة و براعة.

1- الباقلاني: **التمهيد**، ص116-117.

2- المصدر نفسه، ص118.

المطلب الرابع : الرد على الأدلة النقلية

يتساءل الباقلاني عن سبب تأليه المسيح دون غيره من الأنبياء، و يفترض عدة أسباب من بينها :

1- أن ما ظهر على يد المسيح عليه السلام، من فعل الآيات و المعجزات، هو الذي جعل النصارى يؤلهونه، و يرد بأن موسى عليه السلام قد جاء بالآيات و المعجزات أيضا، و التوراة زاخرة بالفقرات التي تذكر معجزاته، فلم يؤله عيسى و لا يؤله موسى ؟

فإن قيل : موسى لم يكن مخترعا لشيء من ذلك، و إنما كان يدعو و يرغب إلى الله تعالى أن يظهر المعجزة على يديه، يرد عليهم بأن عيسى عليه السلام أيضا كان يرغب إلى الله في أن يظهر الآيات على يديه.

فقد جاء في الإنجيل : " يا أبي إن كان ممكنا فلتعبر عني هذه الكأس. و لكن لا كما أريد أنا بل كما تريد أنت " [1]. و كذلك : " إلهي. إلهي لما تركتني " [2]. و أيضا : " يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك " [3]، فهذه الفقرات تدل على أن المسيح عبد مربوب و محدث مخلوق، كموسى و غيره من الرسل عليهم السلام.

2- إن المسيح إله، لأن الله قال في الكتب، إنه إله و سماه بذلك فقال : " ها العذراء تحبل وتلد و تدعو اسمه إلهنا معنا " [4] ، يرد الباقلاني على هذا الدليل بأن في كتبهم قال الله لموسى : " و هو يكون لك فما، و أنت تكون له إلها " [5]، على معنى أن موسى مدبر لهارون و آمر له و واجب عليه طاعته، و هذا هو معنى الإله في لغتهم.

و يضيف الباقلاني بأن الفقرة لا تخبر أن الله هو الذي سمى المسيح إله و إنما قال :" يدعى اسمه

1- متى، 26/43-44.

2- متى، 27/45-50.

3- متى، 26/42.

4- إشعيا، 7/14.

5- خروج، 4/16.

إلها " فمن المحتمل أنه أراد، أن قوما يعلون في تعظيمه. ويتجاوزون به الحد، و يفترون عليه، فيدعونه "إلها " [1].

3- فإن قالوا أن سبب تأليهه لأنه ولد لا من فحل، و ليس إنسان من هو كذلك.يرد الباقلاني بأنـــه على قياسهم يكون آدم عليه السلام إلها وجد لا من ذكر و لا من أنثى، وكذلك حواء يجب أن تكون ربا لأنها خلقت من ضلع آدم من غير ذكر و لا أنثى.

4- فـــإن قالوا أن المسيح إله لأنه قال في الإنجيل : " **الذي رآني فقد رأى الأب** ... أليس تؤمن أني في الأب و الأب في. " [2]

يـــرد الباقلاني بأن معنى هذه الفقرة، أن من أطاعني فقد أطاع أبي أي مرسلي، و قوله : " **من رآني فقد رأى الأب** " فكأنه رآه و سمع كلامه و أمره و نهيه، و لا يمكن حمل هذا النص على معنى آخر. لأنـــه لـــو كان الأب في المسيح بمعنى أنه حال فيه، لوجب أن تكون الولادة و الحمل و القتل والأكل والشـــرب و الحركة جارية على الأب، و إن كان الابن متحدا بالجسد، يكون الأب كذلك متحدا به، وهذا باطل، و هو ترك قولهم [3].

5- و لو قالوا وجبت إلهية المسيح لأنه قال : " **قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن** " [4] و هو إنسان من ولد إبراهيم، فعلم بذلك أنه قبل إبراهيم بلاهوته و ابنه بناسوته.

يـــرد الباقلاني بأن المراد بقولهم : " **أنا قبل إبراهيم** " أن كثيرا من ديني و شرعي كان متعبدا به مشروعا قبل إبراهيم على لسان بعض الرسل، أو أن المراد بأن المسيح مبعوث إلى المحشر قبل إبراهيم.[5]

و بعـــد هذا العرض لردود الباقلاني على عقيدة التثليث النصرانية تظهر لنا براعته في فن الجدل والمناقشة واهتمامه وتركيزه على أهم المسائل الخاصة بالتثليث، كمسألة الجوهر، و الذي يعتبـــر هـــو

1- المصدر السابق، ص122.

2- **يوحنا**، 14/9-10.

3- المصدر السابق، ص123.

4- **يوحنا**، 8.58.

5- المصدر السابق، ص124.

والقاضي عبد الجبار الوحيدين من بين مفكري الإسلام اللذين اهتما بهذه المسألة [1] ، كما ناقش النصارى في مسألة الأقانيم و حصرهم لها بثلاثة، و قد أثبت بوسائله الجدلية و متابعته لسياق المذهب النصراني نفسه أنه من الممكن أن تكون أربعة أو عشرة.

و كان الباقلاني حريصا على تطبيق منهج مدرسته الكلامية على المواضيع المناقشة، كموضوع الجوهر و الأقانيم أو الصفات.

و ما يعاب على الباقلاني، أنه كان يفرع المسائل على حسب ما تحتمل من الوجوه بقطع النظر إن كانت مما يحتج به النصارى أو لا.

و يظهر ذكاء الباقلاني من عرضه للنصوص التي يحتج بها النصارى على ألوهية المسيح، فلم يكن يرد عليها بقدر ما كان يحلل و يناقش الأسباب و الدوافع التي جعلت النصارى يؤلهون المسيح و التي من بينها المعجزات، و ولادته من غير أب.

و يمكن القول أن مناقشة الباقلاني و غيره قد أنتجت تفكيرا إسلاميا خالصا في الجوهر و العرض " و الجوهر و الأقانيم " و قدمت لنا فلسفة متناسقة مع القرآن الكريم في مناقشته للنصرانية[2].

1- عبد المجيد الشرفي: **الفكر الإسلامي في الرد على النصارى**، ص206.

2- علي سامي النشار: **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، ص 99-100.

المبحث الثاني

القاضي عبد الجبار وموقفه من عقيدة التثليث
(النموذج الاعتزالي)

المطلب الأول : حيـــــاتـــه

هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل بن عبد الله الهمذاني الأسد أبـــادي[1]، لا يعرف سنة ولادته ، فليس هناك معلومات كافية عن حياته الأولى ، و لكن المدونات التاريخية تقول بأنه جاوز التسعين من عمره بعد أن عاش إلى سنة 415 هجري ، الأمر الذي يجعل ولادتـــه على أقـــل تقدير في حدود سنة 325 هـــ[2].

نشأ عبد الجبار فقيرا في ظل أسرة كادحة ، و أب حرفي يمتهن الحلاجة ، يصـــدرها نسيجا إلى سواد همذان[3] ، و رغم فقره ، فقد درس على يد علماء معروفين ، و قرأ الحديث و هو ابن عشر سنوات، توجه سنة 340 هجري إلى همذان ليسمع الحديث عن عدد من ثقاتها، ودرس الفقه وأصوله ، ثم توجه إلى البصرة عاصمة الفكر والثقافة ، فاعتنق الأشعرية أصولا ، وتبنى الفـــروع على مذهـــب الشافعـــي[4]، كمرحلة تحضيرية لاستكشاف قدراته العقلية ، و ميوله الفكريـــة.

اتصل القاضي برجال المعتزلة وممثليها[5] ، وحضر ندواتهم ، و تعرف على طريقة تفكيرهم،

1- السمـــعاني : **الأنســـاب** ، تعليق : عبد الله عمر البـــارودي (بيروت : مؤسسة الكتاب الثقافية ، 1988) ، ج1، ص136، وأبو عماد الحنبلي: **شذرات الذهب**، (بيروت، منشورات دار الآفاق)، ج3، ص202.

2- عبد الستار الزاوي : **العقل و الحرية في فكر القاضي عبد الجبار المعتزلي** ، ط 1 (بيروت : المؤسسة العربـــية للدراســـات و النشر 1980 م) ص 37 .

3- مدينة عراقية تقع بين تقاطع بغداد قهران، بناها كرميس بن حليمون، فتحت في عهد عمر بن الخطاب رضـــي الله عنـــه. ويوجد بها حاليا سوق مهمة وآبار البترول.(شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحمـــوي(ت 626هـــ): **معجـــم البلدان**، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1990م)، ج5، ص471. و**mon encyclopédie** (CD 1.

4- أبو عماد الحنبلي: **شذرات الذهب** ، ج 3 ، ص 202 .

5- منهم عالم الاعتزال أبو إسحاق بن عياش ، و الشيخ أو عبد الله البصري ، و أبو العباس ابن رزق ، (الحـــاكم : **شـــرح العيون و المسائل**، ط 2 ، (تونس : التونسية ، الجزائر : المؤسسة الوطنية 1986 م) ص 366 .

فاقتنع بأصولهم ، و اعتنق المذهب الاعتزالي ، ثم توجه بعد ذلك إلى مركز الاعتزال في عاصمة العباسية بغداد. و أصبح يمثل الحلقة الأخيرة من الاعتزال الخالص ، و قد وصف بأنه أعلم أهل الأرض في زمانه ، و قد انتهت إليه الرياسة في الاعتزال، حتى سمي شيخ المعتزلة وعالمها ، و صار الاعتماد على كتبه ومسائله، حتى نسخت كتب من تقدمه من المشايخ[1].

تولى سنة 367 هجري قضاء الري [2] ، و امتدت سلطته القضائية إلى توابع و أعمال أخرى ، و قد اكتسب لقب قاضي القضاة و لا يطلق هذا اللقب على أحد غيره[3] .

اهتم القاضي بدراسة المذاهب و الفرق الإسلامية ، و نقدها و إلى جانب ذلك اهتم بدراسة الأديان ، وتعرض للديانة النصرانية على اختلاف فرقها وآرائها، وهذا لإحساسه بخطر النصرانية على مبدأ التوحيد، ويظهر اهتمامه بها من مؤلفاته العديدة في الردّ عليها[4] .

توفي القاضي في ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربعمائة بالريّ ودفن في داره[5].

1- أحمد محمود صبحي: **في علم الكلام، دراسة في الفرق الإسلامية و أصول الدين –المعتزلة–**، ط[ ]، (بيروت : دار النهضة العربية 1985 م) . ج1 ، ص 333 .

2-وهي مدينة مشهورة، من أمهات البلاد وأعلام المدن، بناه فيروز بن يزدجرد، وتشتهر من بين مدن العراق بكثرة الفواكه والخيرات.(ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج3، ص132.)

3- عبد الستار الزاوي: **العقل والحرية**، ص40.

4- منها "شرح الأصول الخمسة " ، "المغني في أبواب العدل والتوحيد" ، "تثبيت دلائل النبوة "، "المجموع في المحيط بالتكليف".

5- السمعاني: **الأنساب**، ج1، ص137.

المطلب الثاني : الجذور التاريخية لعقيدة التثليث وتطورها

تناول القاضي عبد الجبار عقيدة التثليث النصرانية من عدة وجوه، وقد ركز في كتابه "تثبيت دلائل النبوة " على جانب في غاية من الأهمية، وهو جذور عقيدة التثليث ومراحل تطورها، وهذه الدراسة لم يسبقه لها أحد من المفكرين المسلمين ولا الغربيين.

أولا : جذور عقيدة التثليث

بحث القاضي جذور عقيدة التثليث وتأليه البشر في الديانات القديمة، فقال : "والنصارى كما علمت، والمجوس (الثنوية) عندها أن الإله غالبه الشيطان ونزل إلى الأرض وكانت الحرب بينهما ألف سنة، وأن الشيطان غلبه وحاصره..."[1].

وهذا في رأيه ما قالته النصارى عن نزول الإله إلى الأرض، غير أن المجوس "ما قالوا قتل كما قالت النصارى، ولا بلغوا إلى هذا، وإن كانوا قد فحشوا في القول"[2]، فقد حاول القاضي المقاربة بين عقائد المجوس وعقيدة النصارى، وهذا لأن في كليهما يؤله البشر.

ويذكر القاضي بأن عقيدة تأليه الإنسان كانت معروفة في ديانات أخرى كالديانة المصرية والمانوية وأديان الهند[3] إذ يقول : " وكانت القبط تقول بالإلهية فرعون صاحب مصر، والمنانية من الزنادقة، فقولها في نحو من قول المجوس وأقاويل الهند ...."[4]

وإضافة إلى ذلك، يرى القاضي أن التثليث عرف عند الفلاسفة القدماء ، إذ يقول : " وهذا التثليث الذي للنصارى، قد كانت فلاسفة الروم تنحو نحوه من أن العقل والعاقل والمعقول تصير شيئا واحدا، ويقولون هو من المثلث[5] وهو من فيلسوف قديم" [6].

1- القاضي عبد الجبار : **تثبيت دلائل النبوة**، ص106.

2- المصدر نفسه، ص106.

3- راجع الفصل الثاني من البحث، ففيه كلام مفصل عن عقيدة التثليث في الديانات القديمة .

4- القاضي عبد الجبار:المصدر نفسه، ص106، 109، 162.

5-يقصد هرمس المثلث ، راجع ص 141 من البحث، ففيها تعريف الهرمسية.

6- **تثبيت دلائل النبوة** ، ص169.

فالتثليث حسب رأي القاضي، هو عقيدة قديمة وجدت في الفلسفة اليونانية ثم انتقلت إلى الأوساط الرومانية ومنها للديانة النصرانية، كما أنّ عقيدة البنوة الأزلية التي تقول بها النصرانية، هي امتداد للاعتقادات القديمة كالديانة المصرية والهندية وغيرهما.

ويبدو أن القاضي اعتمد على القرآن الكريم في توصّله إلى هذه النتائج، فهو في كتابه "تثبيت دلائل النبوة"، يأتي بالآيات والبراهين الدالة على صدق نبوة محمد -ﷺ- وقد اتّهم القرآن الكريم النصارى بتحريف الديانة النصرانية ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾ [1] وبأن النصارى ضاهوا في قولهم بألوهية المسيح أديان أخرى، قال عز وجل : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ﴾ [2].

وانطلاقاً من هذه الآيات أثبت القاضي أن الديانة النصرانية ديانة محرّفة، طرأ عليها التحريف على مراحل، فهو يقول : "واعلم أن دين المسيح وديانات الرسل عليهم السلام لم تتغيّر، ولم تتبدّل جملة واحدة، ولكن شيئاً بعد شئ ، وفي كل عصر وفي كل حين حتى تكامل تغيّرها " [3]، ويقول أيضاً: " إن النصارى قد كذبوا عليه، وبدّلوا دينه، وعطّلوا وصاياه، وأنهم ضاهوا بقولهم الذين كفروا من قبل"[4].

فالقاضي إذن بحث جذور عقيدة التثليث والبنوة معتمداً على المنهج القرآني، وهذا واضح من استعماله للمصطلحات القرآنية "ضاهوا" ، وقد توصّل إلى نتائج رائعة لم يتوصّل إليها إلاّ في عصور متأخرة، يقول عمار طالبي بهذا الخصوص، إن "كتابه تثبيت دلائل النبوة، لم يستغله حسب علمي أي باحث من الباحثين في هذا المجال، ومن جهة.... فإن منهجه ونتائجه لا يكادان أن يختلفان عما وصل إليه الباحثون النصارى أنفسهم[5] في عصر نشطت فيه الحركة النقدية للكتاب المقدس"[6].

1- *المائدة* / آية 13.

2- *التوبة* / آية 30.

3- **تثبيت دلائل النبوة**، ص152.

4- المصدر نفسه، ص152.

5- ويقصد العالم شارل جنيبر، الذي تكاد تتطابق نتائج بحوثه مع ما توصل إليه القاضي عبد الجبار.

6- محمد أبو زهرة: **محاضرات في النصرانية**، ص34.

فالقاضي إذن توصّل إلى آراء في النصرانية تعتبر من بين النتائج التي توصّلت إليها الأبحاث الحديثة والمعاصرة في ميدان نقد الكتاب المقدس.

ثانياً : تطور الديانة النصرانية

بعد عرض القاضي لجذور عقيدة التثليث والبنوة، نجده في دقة وروعة يذكر مراحل تحريف الديانة النصرانية، وقد ركّز على دور بولس في ذلك، ووصفه قائلاً : "وقد كان بولس هذا يهودياً خبيثاً شديداً، ساعياً في الشر ومعيناً للأشرار وثائراً في الفتن، طالباً للرئاسة والدولة، محتالاً فيها بكل وجه..."[1].

وبعد هذا الوصف بيّن القاضي الدور الذي قام به بولس في تغيير العقيدة والشريعة اليهودية، وبيّن محاولته التوفيق بين الديانة النصرانية والعقائد الرومانية الوثنية، فقال : "فاختلع بولس من ديانات المسيح، وصار إلى ديانات الروم، فإذا تبيّنت الأمر وجدت النصارى ترووا ورجعوا إلى ديانات الروم، و لم تجد الروم تنصروا" [2].

ويضيف بعد أن بيّن أن الروم كانوا يعتقدون بألوهية الجمادات "وكانت ديانات الروم إذ ذاك منتشرة، أكثرهم يعظم الكواكب ويعتقد فيها أنها تحي وتميت وتنفع وتضر، ومنهم من كان على دين اليونان"[3] ، وبعد أن ذكر القاضي دور بولس في صبغ الديانة النصرانية بالصبغة الرومانية ، بدأ يتكلّم عن المعتقدات الرومانية الوثنية، وكيف تسرّبت إلى الديانة النصرانية فقال : "فما أزال إلاّ الكواكب، وما زاد إلاّ تعظيم المسيح، والقول بربوبيته، وتعظيم الصليب، و لم يكن هذا بالبعيد عن الروم، لأن من اعتقد في الكواكب وهي جماد موات أنها أرباب وتنفع وتضر، لم يبعد عنهم أن يقولوا في الإنسان حي عاقل مميّز، قد قيل لهم كان يحي الموتى وإنه إله وإنه وأبوه وزوجته خلقوا الكواكب..."[4].

فالقاضي إذا بيّن بأن الأرضية كانت مهيأة لبولس[5] ، فالروم اعتقدوا بإلهية الكواكب وهي جماد، و لم يقم بولس إلاّ بتغيير الإله الجامد إلى إله متحرّك، ظهرت على يديه الخوارق والمعجزات وكان

1- **تثبيت دلائل النبوة**، ص156.

2- المصدر نفسه، ص158.

3- المصدر نفسه، 158.

4- المصدر نفسه، ص162.

5- راجع ص 37-40 من البحث، فقد ذكرنا فيها المؤثرات التي جعلت بولس يمهّد للقول بعقيدة التثليث.

هدف بولس من هذا التغيير هو التقرب إلى السلطات الرومانية، وقد وضح ذلك القاضي حين قال في وصفه لبولس : " طالبا للرئاسة والدولة ".

وقد خلص القاضي إلى القول بأن النصرانية هي التي ترومت، فأخذت بتقاليد الرومان وبأخلاقهم، وبآراء الفلاسفة اليونان وبأن الروم لم يعتنقوا الديانة النصرانية "لتعلم أن الروم ما تنصرت، ولا أجابت المسيح، بل النصارى ترومت وارتدت عن دين المسيح وعطلت أصوله وصارت إلى ديانات أعدائه" [1].

وبعد أن تحدث القاضي عن دور بولس في تغيير مسار الديانة النصرانية تكلم عن دور المجامع الكنسية في ترسيخ عقيدة التثليث.

فذكر مجمع نيقية وتسبيحة الإيمان التي تعتبر أصلا من الأصول[2]، ثم قال معلقا : "فتأمل هذا الشرح وهذا التفصيل والكشف في التثليث والتشبيه، وكيف يعتقدون في الله حقيقة المدبرين المصنوعين، من النزول والصعود والولادة وغير ذلك"[3].

وقد ذكر القاضي كيف تم الترسيخ لعقيدة التثليث بقوة السيف وقهر السلطان حيث قال: " ثم اجتمع بعد ذلك ثلثمائة وثمانية عشر رجلا بنيقية من بلاد الروم، وعملوا تسبيحة إيمانهم التي ذكرت، فأتوا بها قسطنطينوس فأخذها، وعمل عليها، وأخذ الناس بها، فمن لم يقبلها قتله، فاحتاج أولئك أن يظهروا قبولها خوف السيف، وأبطل ما سواها على التقرير، وحصل من كان على دين المسيح في كل مكروه، وأخذوا بتعظيم الصليب، وأكل الخنزير وديانات الروم، وكان من لا يأكله يقتل" [4].

فقد بين القاضي أن عقيدة التثليث عقيدة باطلة لأنها أخذت من الديانات الوثنية أصولها، ولأنها انتشرت بحد السيف وقهر السلطان، ولم تكن لتوجد لولا هذه العوامل مجتمعة.

1- **تثبيت دلائل النبوة**،ص168.

2- راجع ص62-63 من البحث ، ذكرنا فيها قانون الإيمان النصراني، وتكلمنا عن المجامع الكنسية ودورها في الترسيخ لعقيدة التثليث في المبحث الثالث من الفصل الأول.

3-**تثبيت دلائل النبوة**، ، ص95.

4- المصدر نفسه، ص163.

المطلب الثالث : رد القاضي على الجوهر والأقانيم

عرض القاضي المسيحولوجيا النصرانية في الأقانيم، وذكر أنهم اختلفوا فيما بينهم، فمنهم من قال بأن الأقانيم هي الجوهر والجوهر هو الأقانيم، وهم اليعقوبية والنسطورية.

وأمّا الملكانية، فقد قالوا بأن القديم جوهر واحد وثلاثة أقانيم، وأن الأقانيم هي الجوهر، والجوهر غير الأقانيم، وليس برابع لها في العدد، ويقولون في الأقانيم أنها جوهر بسيط ويمتنعون من كونه جوهراً مركباً.

كما ذكر القاضي اختلاف النصارى في مفهوم الأقانيم، فمنهم من قال هي الخواص، وقال بعضهم هي أشخاص، وقال البعض الآخر هي وجوه وصفات، كما أشار إلى إشكالية ترجمة مفاهيم النصارى أو عرضها ، كالجوهر والعرض[1]

ويرد القاضي على هذه الآراء والأفكار بالآتي:

أولاً : الرد على كون الله جوهر

يستنكر القاضي أن يوصف الله -ﷻ- بأنه جوهر، فيقول : "على أنه تعالى ليس بجوهر، إذ لو كان جوهراً لكان محدثاً وقد ثبت قدمه"[2]، فالجوهر محدث والله قديم لهذا لا يمكن أن يكون الله جوهرا.

ويعرض القاضي رأي من استدلّ على أن الله جوهر ، بأن الأشياء لا تخلو من جوهر وعرض، والعرض لا يصح منه الفعل، فيجب أن يكون الله جوهراً، والجوهر على ضربين جسم ولا جسم، والله ليس بجسم لأنه ليس مركب ولا مجزأ.

ويرد القاضي بقوله : " إن الذي ذكرتموه من الاعتبار إنما كان يجب لو لم يصح إثبات معلوم سوى الجوهر والعرض، فأمّا وقد بيّنا أن القديم ليس بجوهر ولا عرض، فقد بطل أصل ما بنيتم عليه"[3].

1- عبد الجبار : **المغني في أبواب التوحيد والعدل**، تحقيق : محمود محمد الخضري، مراجعة : إبراهيم مدكور ، إشراف : طه حسين، ط[ ]، (مصر : الدار المصرية للتأليف والترجمة، ت[ ])، ج5، ص81، 82.

2- المصدر نفسه، ج5، ص98.

3- المصدر نفسه، ج5، ص99.

بالإضافة إلى أن وصف النصارى الله بأنه ليس بجسم مع كونه فاعلاً مختاراً، يلزمهم بأن الله ليس بجوهر ولا عرض يقول القاضي : "وقولكم إن الجوهر جسم، وما ليس بجسم؛ فيجب أن يكون الإله ليس بجسم، لأنه لا يحتمل التركيب، ويوجب عليكم القول بجواز كونه غير جوهر ولا عرض، لأنه إذا جاز لكم إثباته فاعلاً مختاراً وإن لم يكن جسماً بخلاف الشاهد، ليجوزن إثباته ليس بجوهر ولا عرض بخلاف الشاهد"[1].

فالقاضي ألزم النصارى القول بأن الله ليس بجوهر ولا عرض خلافاً للشاهد، كما أثبتوا هم كون الله ليس بجسم مع أنه فاعلاً مختاراً خلافاً للشاهد.

ثانيـاً : اختصاص الأقانيم

درس القاضي مسألة اختصاص كل أقنوم بما لا يختص به الآخر، ورأى بأن الأقانيم إذا كانت قديمة فيجب أن لا يصح أن يختص الأب بما يستحيل على الابن والروح، ولا يصح اختصاصهما بما يستحيل على الأب، ولا اختصاص كل منهما بما يستحيل على الآخر، فقدم الأقانيم يوجب كون الإبن أباً وكون الأب ابنا وكون الأب روحاً، والروح أباً، وذلك يستلزم أن يكون للابن ابن وهذا لأن الابن"إذا شارك الأب في كونه قديماً ووجب كونه مثلاً له في ذاته، فيجب إن كان الأب لا بد له من ابن هو العلم والكلمة، أن يكون الابن بمنزلة في أن له ابنا وهو العلم والكلمة، ولابن الابن ابن إلى ما لا نهاية،... وكذلك يلزمهم في الروح أن يكون له روح لما له قالوا في الأب أن له وروحاً ولروح الروح روحاً، إلى ما لا نهاية. ويلزمهم أن يكون للابن روح، وللروح ابن، كما أن للأب ابنا وروحاً لمشاركتهما له في القدم الموجب للتماثل."[2]

فقد بيّن القاضي أن اختصاص كل أقنوم بما يستحيل على الآخرين يوجب أن تكون الأقانيم حادثة، لأنها لو كانت قديمة لوجب أن لا يختص أحد الأقانيم بما يستحيل على الآخرين، ولوجب أن يكون الأب ابنا والابن أباً والروح أباً وغير ذلك، ولوجب أن يكون للابن ابن وللروح روح وهذا لاشتراكهما في القدم الموجب للتماثل.

ويضيف القاضي بأن ذلك يستلزم أن يكون كل واحد من الأقانيم إلها، لأنه إذا كان الابن

1- القاضي: **المغني في أبواب التوحيد والعدل** ، ج5، ص86، 87.

2- المصدر نفسه، ص86، 87

والـــروح مشاركين للأب في القدم، فما أوجب كونه إلها أوجب كونهما إلهين، وهذا يبطل أصل مقالة النصارى، فالقاضي هنا ألزم النصارى بالقول بثلاثة آلهة لا بثلاثة أقانيم.

وبعـــد ما تقدم، استخرج القاضي نتيجة منطقية أخرى من رفض النصارى استحقاق كل أقنوم من الصفات ما يستحقه الأقنومان الآخران، وهي انعدام الأقانيم جملة وانتفاء القدم عن الأب، فيقول : "وقد ألزموا على قولهم إن جوهر الأقانيم الثلاثة جوهر واحد، القول بأن الابن يستحق كل ما يستحقه الأب مـــن الصـــفات، مـــن حيث كان جوهره كجوهره، وإلاّ فإن صحّ أن يكون مخالفاله، وإن كان جوهـــره كجوهره، ليجوزن خروج الأب من أن يكون أباً والابن من أن يكون ابنا، وإن كان إنما كان كذلك لجوهره ؛ لأن إثبات مثل الشيء في جوهره مع مخالفته له في صفته الراجحة إلى جوهره إذا صحّ، صـــحّ أيضـــاً خروج الشيء عن جوهره، وهذا يوجب عليهم أن لا يأمنوا عدم الأب والابن، وخروج الأب من أن يكون قديماً." [1]

فالقاضـــي كان مقتنعاً بأنه لا وجه لأن يختص أحد الأقانيم بالأبوة والآخر بالروحانية، لأن هذا الاختصاص يقتضي نتائج فاسدة وغير منطقية لا يريد النصارى قبولها[2]

ثالـــثاً : اتفـــاق الأقـــانيم واخـــتلافها

بحـــث القاضي مسألة اتفاق الأقانيم في الجوهرية مع اختلافها ، فأحدها أب والثاني ابن والثالث روح.

ويـــرى القاضي أن الزعم بأن الأقانيم متغايرة من حيث كانت أقانيم، وإن كان الجوهر واحداً، يـــلزم النصارى "كون الإله متغايرا من وجه، غير متغاير من وجه آخر، وهذا في الاستحالة بمنزلة كون الأشـــياء مختلفة من وجه، متّفقة من وجه، بل هو آكد منه، لأن كون الأشياء غير متغايرة يوجب نقض كونها متغايرة، ويوجب ذلك كونه شيئاً واحدا أو أشياء" [3].

1- المصدر السابق، ص95.
2- عبد المجيد الشرفي: **الفكر الإسلامي في الرّد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع/العاشر**، ص219.
3- المصدر السابق، ص89.

ويضيف القاضي بأن القول بتغاير الأقانيم واتفاق الجوهر يلزم النصارى أن يقولوا في القديم إنه متفق مختلف، فهو من حيث كان أقانيم وجب أن يكون مختلفا، ومن حيث كان جوهرا واحدا وجب أن يكون متفقا، وكون الأشياء متفقة مختلفة مستحيل[1].

رابعا : الأقانيم والصفات

تناول القاضي إمكانية رجوع أقنوم الأب إلى ذات الله، والأقنومين الآخرين إلى صفتين هما الكلام والحياة.

ويرد بأن : " الحي و إن كان له بكونه حيا حال، فليس له بكونه متكلما حال، وإنما المرجع له إلى أنه فاعل للكلام ، على أن الذات لا تتعدد أوصافه، فإن الجوهر الواحد وإن كان موصوفا بكونه جوهرا ومتحيزا وموجودا وكائنا في جهة، فإنه لا يتعدد بتعدد هذه الأوصاف، ولا يخرج عن كونه واحدا فكيف أوجبتم تعدد الله لتعدد أوصافه، ولم جعلتموه واحدا أو ثلاثة " [2].

فالقاضي يرفض تعدد الصفات، لأن التعدد يكون في الذات وليس في الصفات، فلا يمكن أن يقال ثلاثة أقانيم، والحال أن الأقنوم الأول ذات والأقنومين الآخرين صفتين لهذه الذات، فإما أن تكون هناك ثلاث ذوات وإلا بطل التعدد.

كما رفض القاضي أن يكون الابن هو الكلمة وهذا لأن المتكلم لا يصير متكلما إلا بأن يفعل الكلام، والكلام لا يكون فعلا إلا للمتكلم، وهذا يوجب أن الكلام حادث، وعليه فالكلمة "الابن" حادث وليس أزلي كما تقول النصارى.

والشيء الملاحظ هو حضور المفهوم الاعتزالي للكلام في ذهن القاضي لدى رده على موضوع الكلمة، فالمعتزلة يرون أن كلام الله " محدث مخلوق في محل وهو حرف وصوت كتب أمثاله في المصاحف حكايات عنه، فإن ما وجد في المحل عرض قد فني في الحال"[3] .

1- **المغني في أبواب التوحيد والعدل**، ج5، ص91.

2- عبد الجبار: **شرح الأصول الخمسة**، تقديم: عبد الرحمان بوزيدي، ط[ ]، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1990)، ج1، ص212-213.

3- الشهرستاني: **الملل والنحل**، ص45.

فالنموذج الأمثل للكلام الإلهي عند المعتزلة هو القرآن المخلوق، وقد جاء قولهم هذا كرد على ركن من أركان النصرانية، وهو الاعتقاد بأن المسيح هو كلمة الله الأزلية، فالمعتزلة رأوا أن في القول بقدم القرآن، ما يشبه القول بقدم الكلمة، وإذا كان المسيح هو كلمة الله، فإن القول بقدم الكلمة يعني موافقة النصارى في ألوهية المسيح[1].

تناول القاضي احتمالا ثانيا، وهو أن يرجع بالأقانيم إلى معان قديمة هي الحياة والكلمة، وليس إلى الصفات، و قد نفى هذا الاحتمال بقوله : "فقد فسدت مقالتهم بدلالة التمانع" [2] ، فقد نفى احتمال كون الأقانيم صفات معاني، لأن ذلك حسب رأيه يؤدي إلى تعدد الآلهة.

ونلاحظ هنا أيضا أثر إسقاط القاضي للمفاهيم الكلامية على المفاهيم اللاهوتية، فهو قد استلزم تعدد الذوات بتعدد الصفات، متأثرا برأي المعتزلة، الذين يرون أن الله قديم، والقدم أخص وصف لذاته، ولهذا نفوا عنه الصفات القديمة وقالوا عالم بذاته، حي بذاته لا بعلم وقدرة وحياة هي صفات قديمة ومعان قائمة به، لأنه لو شاركته هذه الصفات في القدم لشاركته في الإلهية [3] ، وقالوا بأن الله علما بمعنى أنه عالم وله قدرة بمعنى أنه قادر، قال أبو هذيل العلاف [4] : " إذا قلت إن الله عالم ثبت له علما هو الله، ونفيت عن الله جهلا، ودللت على معلوم كان أو يكون، وإذا قلت قادر، نفيت عن الله عجزا، وأثبت له قدرة هي الله سبحانه ودللت على مقدور"[5] .

فالمعتزلة ينفون الصفات القديمة لأن ذلك يؤدي إلى تعدد القدماء ومشاركة الله في أخص صفاته التي هي القدم وبالتالي مشاركته في الإلهية، وانطلاقا من هذا الرأي رد القاضي على الأقانيم النصرانية.

1- محمد عمارة (دراسة وتحقيق): **كتاب رسائل العدل والتوحيد**، المؤلفون: الحسن البصري، القاضي عبد الجبار ، ط1، (القاهرة، بيروت: دار الشروق، 1987م)، ص80.

2- **شرح الأصول الخمسة**، ص213.

3- الشهرستاني: **الملل والنحل**، ص44.

4- هو أبو الهذيل محمد بن الهذيل العبدي، من أهل البصرة: كان يلقب بالعلاف، لأن داره كانت للعلافين، له ستون كتابا في الرد على المخالفين في دقيق الكلام وجليله، توفى سنة 235هـ. القاضي عبد الجبار، أبو القاسم البلخي، الحاكم الجشمي: **فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة**، تحقيق: فؤاد سيد، ط2، (الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس: الدار التونسية للنشر، 1986)، ص69.

5- أبو الحسن الأشعري: **مقالات الإسلاميين، واختلاف المصلين** ، ج1، ص244 – 245.

كما ردّ على احتمال كون الأقانيم صفات معاني، مع أنه لا يمكن مطابقة الأقنوم بصفات المعاني، لأنه ليس من لوازم صفات المعاني الألوهية، فهي صفات قديمة قائمة بذاته تعالى لا هي هو ولا هي غيره، وأمّا الأقانيم فمن أخص صفاتها الألوهيـــة[1]

خامسًا : عمـــل الأقـــانيم

درس القاضي إشكالية عمل الأقانيم، فإذا كانت الأقانيم متفقة غير مختلفة، وكـــانت جوهـــرا واحدا، فمن الفاعل ؟ أهي الأقانيم أم ماذا ؟

وقدم القاضي عدة احتمالات لدراسة هذه المسألة.

1– أن المسيح هو الفاعل. وهذا يلزم أن يكون هو الإله، وبهذا يبطل قولهم أن الإلـــه جوهـــر واحد أقانيم ثلاثة.

2– أن الفعل فعل الأقانيم الثلاثة. وهذا يوجب أن يكون كل واحد مـــن الأقـــانيم فـــاعلا، ووجوب ذلك يلزم كون كل واحد حيا قادرا، وهذا يوجب أن يكون كل واحد إلها، وفي ذلك تـــرك قولهم[2] .

ثم يضيف رادا على قولهم إن فعل الثلاثة فعل واحد، بأن الفعل إذا كان واحدا لا يوجب إثبـات ثلاثة فاعلين، بل يجب إثبات فاعل واحد، فالفعل الواحد يستحيل أن يكون لفاعلين، لأن ذلك يوجـــب أن يصح من أحدهم أن يفعله، ومن الآخر أن يتركه، فيجب أن يكون فعل كل واحد منهم غير فعـــل صاحبه، كما أن كل واحد منهم غير صاحبه، فالفعل لا بد أن يكـــون لواحـــد، وإلا أدى إلى تعـــدد الفاعلـــين.

3– أن الفعل، فعل لواحد هو ثلاثة. ويرد القاضي بأنه لا فرق بين إثبات الفعل لثلاثة، وبين إثبات الفعل لفاعل هو ثلاثة في الحقيقة، لأن المعنى واحد.

4– أن كل واحد من الأقانيم فاعل مع الآخرين، وليس كل واحد منهم فاعل في الحقيقة، ويـــرد القاضي بقوله : "هلا قلتم إنهم ثلاثة فاعلين كما كان كل واحد منهم فاعلا مع الآخر"[3]، ويقصد

1– عبد الكريم فرحات: **منهج القاضي عبد الجبار في الرد على النصارى**، رسالة ماجستير، (معهد الدعوة وأصول الدين جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية1995/1996).ص166.

2– **المغني في أبواب العدل والتوحيد**، ج5، ص93.

3– المصدر نفسه، ص94.

القاضي بأن كون واحد من الأقانيم فاعلا مع الآخرين، يؤدي إلى تجزئة الفعل، كما أن فعل كل واحد من الأقانيم ناقص يكمّله فعل الأقنومين الآخرين مما يؤدي إلى اختلاف وتعدّد الفاعلين، ويفضي إلى القول بثلاثة آلهة..

5- أن كل واحد من الثلاثة بعض الفاعل، وثلاثتهم فاعل واحد. ويردّ القاضي بأن ذلك "يوجب جواز التبعيض على الإله الفاعل، ويوجب أن يجوزوا كون الحياة بعضاً له، ويوجب جواز كون الفعل بعضاً للفاعل، كجواز كون الحياة بعضاً له، لأن كونه فاعلاً ولا فعل يستحيل كما أن كونه حياً ولا حياة يستحيل" [1].

فالقول بأن كل واحد من الثلاثة بعض الفاعل يجوز أن تكون صفة الحياة أو الروح القدس بعضاً من الإله، مما يوجب تبعيض وتجزئة الإله، وهذا يستحيل.

وأمّا إذا قالوا أن الحياة ليست بعض له، ولا هي هو فيستلزم القاضي أن يكون غيره، لأنه لا منزلة رابعة لذلك وهذا يوجب أن يثبتوا الحياة غير الإله، وأن يكون الله هو الصانع وحده دون الحياة والعلم[2].

ويبدو القاضي هنا أيضاً متأثراً بمدرسته الكلامية ورأيها في الصفات.

سادساً : عدد الأقانيم

يلزم القاضي النصارى بزيادة صفات الله مادام وصف الذات يوجب زيادة الأقانيم، وهو يتساءل "فكيف أوجبتم تعدد الله لتعدد أوصافه ولما جعلتموه واحد أو ثلاثة ؟ " [3]، ثم يقول بأن هذه الطريقة توجب على النصارى أن يزيدوا في عدد الأقانيم بعدد صفاته عز وجل، وأن يثبتوا لله أقنوما بكونه قادرا، وأقنوما بكونه عالما، وآخر بكونه مدركا، ورابعا وخامسا بكونه مريدا وكارها، حتى يبلغ عدد الأقانيم ثمانية أو تسعة.

وإن قالوا بان الأقانيم ثلاثة، لأن الثلاثة تجمع نوعي العدد اللذين هما الشفع والوتر ، وما جمع نوعي العدد كان أكمل الأعداد، لأن أحد نوعي العدد مقصر عن كمال العدد ولا يصح وصف الأقانيم بالتقصير، فيجب أن توصف بكمال العدد الذي يجمع الشفع والوتر.

1- **المغنى في أبواب العدل والتوحيد**، ج5، ص94.

2-المصدر نفسه، ج5، ص94.

3- عبد الجبار: **شرح الأصول الخمسة**، ص113. **والمحيط بالتكليف**، تحقيق: عمر السيد عزمي، مراجعة: أحمد فؤاد الأهواني، ط[ ]،(الدار المصرية للتأليف والترجمة، ت[ ])، ص224.

يردّ القاضي بأن ذلك يوجب على النصارى القول بأن الأب وحده يجمع نوعي العدد، لأن الثلاثة هي أكمل الأعداد وكذلك الإبن والروح، ويكون عدد الأقانيم تسعة، فإذا لم يكن الأقنوم يجمع نوعي العدد ،كان منقوصا حسب رأي النصارى، وهذا يوجب أن يكون كل واحد من الأقانيم منقوصاً ويوجب أن يكون كل الأقانيم مجتمعة إليها.

ويضيف القاضي بأن الإله في جوهريته عند النصارى ليس بثلاثة، وإنما هو بثلاثة في أقنوميته، والجوهر لم يجمع نوعي العدد، فلزم أن يكون منقوصا[1].

سابعاً : علاقة الجوهر بالأقانيم

اكتفى القاضي بنقد رأي الملكية في علاقة الجوهر بالأقانيم ،وردّ على قولهم : "إن الجوهر غير الأقانيم، وإن لم تكن الأقانيم غيره"، بأنه لا يصحّ أن يكون الجوهر غيرها وهي ليست بغير له، وهذا لأنه إذا كانت الأقانيم ثلاثة، ثم جعلوا الجوهر غيرها، وَجَب أن يثبتوا أربعة أشياء، وفي هذا ترك قولهم.

وإن أرجعوا الجوهر إلى واحد من الأقانيم، فقد نقضوا قولهم إن الجوهر غيرها، ووَجَب أن يكون الشيء غير لنفسه وهذا تجاهل.

ويضيف القاضي بأن الإله لا يخلو من أن يكون هو الجوهر دون الأقانيم، أو الأقانيم دونه، أو هو الأقانيم والجوهر معاً. ويعطي لذلك عدّة احتمالات.

أولها : إن كان الإله هو الجوهر، وعندهم أن الجوهر غير الأقانيم، فيلزمهم إخراج الأب والابن والروح من الإلهية.

ثانيها : إن قالوا إن الإله هو الأقانيم دون الجوهر، لزمهم أن يكون الجوهر القديم ليس بإله، وهذا ترك قولهم، لأنهم يقولون إن الإله جوهر ذو ثلاثة أقانيم.

ثالثها : إن قالوا إن الإله هو الجوهر والأقانيم معاً، لزمهم القول بأن الأب والابن وروح القدس ليسوا بإله، ومن عبد أحد تلك الأقانيم لم يعبد إلها، ومن كفر به لم يكفر بالإله، وهذا لأن الإله هو الأقانيم الثلاثة مجتمعة.

ولزمهم القول أيضاً بانتقاء الألوهية عن الجوهر، فإن كان الإله هو الأقانيم فقط، كان الجوهر ليس إلهاً وهذا ما لا تقوله النصارى[2].

1- عبد الجبار: **شرح الأول الخمسة**،ص113.و **المغني في أبواب التوحيد والعدل**، ج5، ص99-101.

2- **المغني في أبواب التوحيد والعدل**، ج5، ص96-97.

رابعها : إن قالوا إن الإله هو الجوهر ذو الأقانيم الثلاثة، يردّ عليهم بأن قولهم إن الإله هو الأب والإبن وروح القدس غلط، لأن هذه أمور مضافة إلى الإله وليست هي الإلـــه.

كما يوجب عليهم هذا القول أن تكون الثلاثة والواحد ليس أربعة، بل يوجب " أن يقولـــوا إن ثلاثة وواحدا هو واحد، وهذا يوجب أن قول القائل ثلاثة لا شيء غيرها، بمنزلة قوله ثلاثة وشيء آخـــر هو غيرها، ويوجب أن ثلاثة أشياء وشيئاً هو غيرها ثلاثة، وذلك يوجب أن إثبات الغير ونفيه ســـواء، ويوجب جواز القول بأن واحدا وواحدا هو واحد، وهـــذا يوجـــب أن لا يـــتزايد المعـــدود بـــتزايد الأعداد"[1].

وإذا عبّرنا عمّا قاله القاضي رياضياً، يلزم القول بـــأن 3 + 1 = 1 ، ويوجـــب القـــول بـــأن 3 + 0 = 3 + 1 ويوجب أن 3 + 1 = 3.

وهذا يثبت جواز القول 1 + 1 = 1 مما يوجب أن لا تتزايد الأعـــداد.

وبعد ذلك يعمد القاضي إلى نقد علاقة الجوهر بالأقانيم انطلاقاً من تعريف النصارى للجوهـــر، فالجوهر عندهم هو "**القائم بنفسه**" ، فإثبات أن الأقانيم جوهراً، والقول بأن الجوهر غير الأقانيم، هـــو إثبات ما ليس بجوهر قائم بنفسه، مما يوجب بأن الأقانيم جوهر، والجوهر جوهر آخر، وهذا يوجـــب إثبات جوهرين هما الإله وفي ذلك نقض النصرانيـــة.

ويتساءل القاضي بعد ذلك إن كان هذان الجوهران متفقان أم مختلفان، فإن قالوا متفقان، يـــرد عليهم متسائلاً : فلم صار أحدهما أقانيم دون الآخر؟ وإن قالوا مختلفان، لزمهم إثبات قديمين مختلفـــين جوهر أحدهما مخالف لجوهر الآخر، وهذا يضارع قول الثنوية، وأمّا إن قالوا بأن الأقانيم ليست بجواهر، تركوا قولهم إن كل واحد من الأقانيم جوهر واحد[2] .

1- المصدر نفسه، ص97.

2- المصدر نفسه، ص97-98.

المطلب الرابع : الـــرد على الأدلـــة النقـــليـــة

ركّز القاضي على مسألة بنوة المسيح في ردّه على النصوص، و لم يعتنِ كثيراً بـــالنصوص الـــتي يستدلّ بها النصارى على النسق التثليثي[1]، فهو يرى أن كل ذلك مما تأوله النصارى، وهو يرفض تأويل تلك النصوص ويحثّ على فهمها كما جاء بها الأنبياء.

وقد أورد القاضي عدّة احتمالات لفهم النصارى لمعنى البنوّة من خلال النصوص أهمّها ما يلي :

أولاً : أن المسيح ابن الله بمعنى التبني والكرامة، وهذا ما يقوله بعض النصارى، ويرد القاضي بأن هذا يوجب أن يكون الله أباً في حال خلقه لعيسى، كما أن معنى التبني لا يصح إلاّ فيما كان من جنسه. فلا يصح من الميّت أن يتبنّى الحي، ولا يصحّ من الشاب أن يتبنّى شيخاً ولا عجوزاً.

والمعنى الحقيقي للتبني، أن يجري المتبني المتبنَى مجرى إبنه في التربية والاختصاص والأحكام المتعلّقة بالابن والأب، وذلك يستحيل في القديم تعالى، فكيف يقال إن الله تبنى المسيح ؟!

بالإضافة إلى أن هذا القول يوجب أن يكون كل نبي ابن الله بالتبني، وأن لا يكون لعيســـى في ذلك اختصاص ما ليس لغيره[2].

وقد اعتمد القاضي على شيخه أبو علي الجبّائي[3] في الردّ على من قال: إذا صـــحّ أن يكـــون إبراهيم خليلاً صحّ أن يكون عيسى إبناً لا على حقيقة البنوة، لكن بمعنى الكرامة، فقال : " فقـــد قـــال شيخنا أبو علي –رحمه الله- : إن الخليل في الحقيقة يصحّ في إبراهيم معه تعالى لأن الخلّة مأخوذة

1- مثل ما جاء في (**تكوين**، 1 / 1 – 5) وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا" ، أنظر: **تثبيت دلائل النبوة**، ص115-116 .

2- **المغني**، ج5 ، ص105.

3- أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبّائي،نسبة إلى جُبي، وهي بلد من أعمال خوزستان، من شيوخ المعتزلة، وأبو شيخها عبد السلام أبو هشام الجبائي، تلقى الاعتزال على أبي يعقوب الشّحام، وكان في المكانة بعد أبي هذيل العلاف، توفى سنة 303هـــ.(ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج11، ص 125.و المقريزي: **الخطط**، ج2، ص340.)

من الاصطفاء والاختصاص، وإنما يقال في الإنسان إنه خليل لغيره إذا اختصّه من الأمور بما لم يختصّ به غيره، فلما خصّ عزّ وجل إبراهيم -عليه السلام- من وحيه وكرامته بما لم يخصّ به غيره في زمنه، جاز أن يقال إنه خليل الله فسمى نفسه خليلاً لله"[1].

وهذا القياس يقتضي أن يوصف كل نبي بأنه خليل الله، لأن كل نبي اختصّ في زمنه بما لم يختصّ به غيره، وعليه يكون إبراهيم -عليه السلام- قد خصّ بهذه التسمية، كما خصّ موسى بأنه كليم، مع أن الله كلّم الملائكة، وهذا لأسباب منها أنه ظهر من حاجته في انقطاعه إلى الله سبحانه في ذلك الزمان ما لم يظهر من غيره[2] أو لأنه ظهر له من محبّة الله ما لم يظهر لغيره[3] ، أو لأنه خصّه بما لم يخصّ به غيره، فصار الاسم له كالعلم.

ولا يصحّ مثل ذلك في البنوة " لأن حقيقة الابن أن يكون مولوداً من الأب كائناً من مائه، وذلك يستحيل على الله تعالى، فيجب أن لا يصحّ أن يوصف عيسى بأنه ابن الله من حيث وصف إبراهيم بأنه خليل الله "[4] .

وقد ذكر القاضي رأي الجاحظ[5] في هذا الموضوع، وتجدر الإشارة إلى أن الجاحظ تميز عن غيره من الرادين المسلمين و حتى عن أقرانه من المدرسة الاعتزالية ، بأنه يرفض البنوة حقيقة و مجازا[6] و يستند في ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾[7] و كذلك قوله تعالى : ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ

1- **المغني**، ج5 ، ص106.

2- وهذا استناداً إلى تفسير الخليل بمعنى الحاجة، وهو مأخوذ من الخَلَة بفتح الخاء (المصدر نفسه، ص107).

3- استناداً إلى تفسير الخليل بمعنى المحبّة، وهي مأخوذة من الخُلّة بضم الخاء.

4- .المصدر نفسه، ص107.

5- هو عثمان عمرو بن محبوب الجاحظ، من أهل البصرة، ولد سنة 150هـ، كان من الذكاء وسرعة الخاطر و الحفظ بحيث شاع ذكره، أخذ الكلام عن النظّام والنحو عن الأخفش، اعتنق المذهب الاعتزالي، تنسب إليه فرقة الجاحظية، توفى سنة 255هـ، من أشهر مصنفاته" البيان والتبيين" و" مسائل القرآن"(ياقوت الحموي: **معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية ، 1991م)، ج4، ص473.)

6- جل المفكرين المسلمين، يرون أن نصوص أهل الكتاب مصروفة إلى المجاز ، و هي من ثم لا تمنحهم مسندا في دعواهم بنوة عيسى على الحقيقة ، لكنهم يمتنعوا من القول بأن البنوة مجازية (الجاحظ : **المختار في الرد على النصارى** ، تحقيق ودراسة : محمد عن الله الشرقاوي، ط1 (بيروت : دار الجيل ، القاهرة : مكتبة الزهراء، 1991)، ص31).

7-مريم/ 92.

﴿مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾[1]، فهاتان الآيتان تنفي عن الله الولد حقيقة و مجازا.

بالإضافة إلى ذلك فقد تميز في تفسيره لمعنى الخليل فقال : " أن إبراهيم ، صلوات الله عليه ، وإن كان خليلاً، فلم يكن بخُلَةٍ كانت بينه وبين الله، لأن الخُلة والإخاء والخلطة وأشباه ذلك منفيـــة عـــن الله- ﷻ- فيما بينه وبين عباده ... ويجوز أن يكون إبراهيم خليلاً بخَلّة التي أدخلها الله على نفسه ومالـــه، وبين هذا وبين أن يكون خليلاً بخُلة بينه وبين ربه، فرق ظاهر، وبون واضـــح ، ذلـــك أن إبراهيـــم - عليه السلام- اختلّ في الله اختلالاً لم يختله أحد قبله،....فصار لهذه الشدائد مختلا في الله وخليلاً لله ، والخليل والمختل سواء في لغة العرب، وفي قياسنا هذا لا يجوز أن الله خليل لإبراهيم كما يقال إن إبراهيم خليـــل الله" [2].

ويبدو تميز الجاحظ في تفسيره الخليل بالخلة أو الحاجة، وبتفسيره هذا لا يدع أي مجال لمقارنة الخليل بالابـــن.

ثانيـــاً : إن المسيح ابن الله بمعنى أنه خصّه بأن خلقه من غير ذكر، ويرد القاضي بأن هذا يوجب مثله في آدم لأنه خلقه من غير ذكر وأنثى.

ثالثـــاً : أن المسيح ابن الله بمعنى أنه خصّه بالتربية بما لم يخصّ به غيره، فلذلك جاز أن يقال إنه ابنه، فهذا يسري على جميع الأنبياء عليهم السلام ، فالله رباهم بمعنى أنه رزقهم وغذاهم وأطعمهم[2] .

وبعد أن بيّن القاضي الاحتمالات التي توحي بها كلمة "ابن" في الكتب النصرانية، بيّن أن البنوة لا تصحّ في الحقيقة إلاّ في من ولد منه على الوجه المعقول ، وعلى جهة المجاز لا يستعمل إلاّ في من يجـــري مجرى ابنه؛ بأن يكون من الآدميين، فلا يمكن للشاب أن يقول للشيخ المسن : بُني و يا بُني وإن كـــان من جنسه، لأنه لا يصحّ أن يلد الشاب شيخاً، ولا يمكن لإنسان أن يسمي أحد البهائم أو الجـــماد ابنه، "ومخالفة القديم تعالى للأجسام أشدّ من مخالفة أحدنا للبهائم أو الجماد، لأن تلك مخالفة في الذات، وهذه مخالفة في الصفات ، فبأن لا يستعمل فيه ذلك أولى" [3] .

1- *المؤمنون* / آية 91.

2- الجاحظ : **المختار في الرّد على النصارى** ، ص33-34.

3- **المغني** ، ص109.

الخصوص : "...حتى لقد أحصى أهل المعرفة والعلم فوجدوا المسيح -عليه السلام-، له من الإقـــرار علـــى نفسه بالعبودية والضعف والحاجة والفقر والفاقة، ولله -عز وجل- بالغنى والربوبية، ما لم يكـــادوا يجدونـــه لأحد من الأنبياء والصالحين، ثم تقول فيه النصارى ما قد سمعـــت" [1].

وبعد هذا العرض لردود القاضي عبد الجبار على عقيدة التثليث النصرانية، يمكن القول، بأن القاضي تميّز عن غيره من الرّادين باهتمامه بالنقد التاريخي لعقيدة التثليث، إذ بحث في جذورها وتطوّرها عن طريق بولس ثم الترسيخ لها بواسطة المجامع الكنسية، وقد توصّل إلى نتائج لم يتوصّل إليها إلاّ في العصر الحديث.

كما تميّز القاضي أيضاً في ردّه على مسألتي الجوهر والأقانيم ، فقد ردّ على مسألة الجوهـــر من خلال تعريف النصارى له وهذا ما لم يفعله أحد الرّادين ، ويبدو أن الكاتب Guy Monnot [2] قد بخس القاضي حقه في دراسته لردوده على النصارى إذ اعتبرها غير مجدية، مادام القاضي قد انطلق من التعريف الإسلامي للمصطلحات النصرانية، لكن ما لمسناه من ردود القاضي على مسألة الجوهر عكس ذلك تماماً.

وقد ردّ القاضي على مسألة الأقانيم انطلاقاً من موقفه الاعتزالي من الصفات شأنه شأن بـــاقي الرّادين المسلمين، كما درس كل الاحتمالات التي يمكن أن تعنيها كلمة "ابن" و ردّ عليها بذكاء ودقّة. وكانت ردوده في عمومها ذكية متميّزة تحمل بصمة العقل الإعتزالي.

1- تثبيت دلائل النبوة ، ص114.

2-Islam et Religions, p 242- 245.

ابن حزم و موقفه من عقيدة التثليث

(النموذج الظاهري)

المطلب الأول : حياته

هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن سفيان بن يزيد الفارسي، كنيته أبو محمد و شهرته ابن حزم.

ينتمي إلى أسرة فارسية، ولد في مدينة قرطبة في آخر يوم من أيام رمضان سنة 384 هـ[1] الموافق لليوم السابع من نوفمبر.

نشأ في بيت عز و مال و جاه عريض، فقد كان والده وزيرا للمنصور بن أبي عامر الخليفة الأموي في عصر من أزهى عصور الأندلس بالنسبة للوضع الاجتماعي[2].

حفظ القرآن على يد النساء من الجواري و القريبات اللواتي علمنه الكتابة و التدرب على الخط وحفظ الشعر، ثم اتجه إلى أفاضل الشيوخ يغترف من مناهلهم و يقتدي بأخلاقهم[3]، فتعلم الحديث والفقه ولما يبلغ السادسة عشر، و قد بدأ مالكي المذهب ثم تحول شافعيا، و اشتهر بذلك قبل أن ينتحب إلى مذهب أهل الظاهر[4] و نفى القياس[5].

1- أبو الفلاح الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج3، ص299.

2- ابن حزم: النبذة فيما يجب اعتقاده، تحقيق وتعليق ودراسة: محمد بن ناصر بن محمد الحمد بن سعيد بن عبد الرحمان بن موسى الفرقي، ط1، (القاهرة: مطبعة المدني، 1988م)، ص46.

3- محمد أبو زهرة: ابن حزم، حياته وآراءه، وفقهه، ط[ ]،(القاهرة: دار الفكر ت[ ])، ص26-29.

4-أتباع أبي علي بن داود بن علي الأصبهاني، ، وكان أول من انتحل الظاهر، وأخذ بالكتاب والسنة وألقى ما سوى ذلك من الرأي والقياس، واضطر إلى ذلك بعد أن صار التأويل أسلوبا متبعا أدى إلى الغموض في فهم العقيدة. (عبد المنعم الحفني: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ص286.)

5- ابن حزم : النبذة فيما يجب اعتقاده، ص53.

تكون لابن حزم منهجا فقهيا قائما بذاته، و لم يتجه إلى إعلان آرائه و أفكاره إلا بعد أن اعتزل السياسة[1] و انصرف بكليته إلى العلم و نشره، و الدفاع عن الإسلام و آرائه [2]

و قد اهتم بدراسة الأديان دراسة تاريخية نقدية، و كان اهتمامه صادرا عن وعي قوي و إيمان عميق بمسؤولياته الدينية و العقائدية، خاصة و قد نشأ في بيئة دينية مختلفة، اختلفت فيها الديانات السماوية من يهودية و نصرانية و إسلام، و قد كان الصراع بينها محتدما، مما أثر في نفس ابن حزم، فعكف على دراسة الأديان و التوراة و الإنجيل، و صارت له مؤلفات كثيرة في هذا المجال[3] ، أهمها **كتاب الفصل في الملل و الأهواء والنحل**، الذي يعد من أثرى كتب علم مقارنة الأديان، يقول فيليب حتى بخصوصه: " أما أنفس كتب ابن حزم الباقية إلى الآن و أفيدها، هو كتاب الفصل في الملل والأهواء و النحل، الذي يؤهل مؤلفه لاحتلال مركز الأولوية بين العلماء الذين عنوا بدراسة الأديان على سبيل النقد و المعارضة، وفي هذا الكتاب لفت ابن حزم الأنظار إلى بعض المشاكل في قصص التوراة، لم ينتبه لها فكر أحد من العلماء حتى ظهور مدرسة نقد التوراة في القرن السادس عشر. " [4]

توفي ابن حزم في آخر نهار الأحد لليلتين بقيتا من شعبان (28 شعبان) سنة ست و خمسين وأربعمائة (456هـ)، و كان عمره إحدى و سبعين و عشرة أشهر و عشرون يوما[5].

1- اشتغل وزيرا لأمير المؤمنين المرتضى عبد الرحمان بن محمد ، ثم في سنة 414هـ أصبح وزيرا لعبد الرحمان بن هشام المستظهر (ابن حزم : **الذرة فيما يجب اعتقاده**، ص50-51).

2- محمد أبو زهرة: **ابن حزم، حياته وآراءه، وفقهه**، ص38-39.

3- من بينها: إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل، الأصول والفروع، الرد على ابن النغرلة اليهودي، الذرة في تحقيق ما يجب اعتقاده. ويبلغ عدد كتب ابن حزم كافة، الموجود منها والمفقود،130كتاب، ورسالة.(ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، م3، ص326.)

4- عبد الحليم عويس: **ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري**، ط[ ]، (دار الاعتصام، ت[ ])، ص 335-336.

5- ابن خلكان : **وفيات الأعيان**، م3، ص328.

المطلب الثاني : رد ابن حزم على الفكر النصراني

تحدث ابن حزم عن عقيدة التثليث بإيجاز و تركيز وناقشها بكل ما أوتي من علم، وبدأ أولا بتحديد آراء الفرق النصرانية، فذكر رأى **الملكانية**، التي يعرف أتباعها في عالمنا العصري بالكاثوليك[1] الذين يرون " أن الله تعالى ثلاثة أشياء : أب و ابن و روح القدس، كلها لم تزل، و أن عيسى عليه السلام إله تام كله، وإنسان تام كله، ليس أحدهما غير الآخر، وأن الإنسان منه هو الذي صلب وقتل، وأن الإله منه لم ينله شيء من ذلك، وأن مريم ولدت الإله والإنسان، وأنهما معا واحد ابن الله. "[2]

و أما فرقة **النسطورية**، فقالت مثل الملكانية و أضافت أن مريم لم تلد الإله و إنما ولدت الإنسان، و أن الله تعالى لم يلد الإنسان و إنما ولد الإله.

و فرقة **اليعقوبية**، فقالت بأن المسيح هو الله تعالى نفسه، و أن الله مات و صلب و قتل، و أن العالم بقي ثلاثة أيام بدون مدبر، ثم قام و رفع كما كان، و أن الله تعالى عاد محدثا، وأن المحدث عاد قديما، و أنه تعالى هو كان في بطن مريم محمولا به[3] .

وقد ركز ابن حزم في عرضه هذا على عقيدة التثليث، والتجسد أو الاتحاد وعقيدة الصلب والفداء، و ما يهمنا هو الردود المتعلقة بعقيدة التثليث.

أولا : الرد على كون الله ثلاثة أشياء

يرد ابن حزم على جميع الفرق النصرانية التي تقول بأن الله ثلاثة أشياء، أب و ابن و روح قدس،

1- محمود علي حماية: **ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان**، ط1، (القاهرة: دار المعارف،1983م)، ص 265.

2- ابن حزم: **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمان عميرة، ط1، (المملكة العربية السعودية: شركة مكتبات عكاظ، 1982م)، ج1، ص111.

3- المصدر نفسه، ج1، ص110-111.

وبأنها لم تزل كلها، و هي مع ذلك شيء واحد، فيقول: " فبأي معنى استحق أن يكون أحدهما يسمى أبا و الثاني ابنا و الثالث روح القدس، و أنتم تقولون إن الثلاثة واحد، و أن كل واحد منها هو الآخر، فالأب هو الابن و هما روح القدس، و ليس روح القدس سواهما و هذا عين التخليط "[1].

ويضيف ابن حزم، بأن عدم تسمية الابن أب فيه معنى من النقص و الضعف، والنقص ليس صفة القديم[2].

ثم بين فساد زعمهم و تناقض أقوالهم ومخالفتها للمعقول، بنصوص من الأناجيل يستدل بها على أن كل واحد من الأقانيم غير الآخر من بينها : " **لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمي** "[3] ، و أيضا : " **أما ذلك اليوم و تلك الساعة، فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السماوات إلا أبي وحده**" [4].

فمن هذه النصوص يستنتج ابن حزم، أن الأب غير الابن فالأب يعلم ما لا يعلمه الابن، وعليه فلا يمكن القول بأنهما واحد.

ثانيا : الرد على كون حياة الله هي الروح و علمه هو الابن

يرد ابن حزم على من قال : " لما وجب أن يكون الباري تعالى حيا و عالما، وجب أن تكون له حياة و علم، فحياته هي التي تسمى روح القدس و علمه هو الذي يسمى الابن " [5]، ويقول ابن حزم بأن الله لا يوصف بشيء من هذا من طريق الاستدلال، لكن عن طريق السمع خاصة، ولا يوجد في كتب النصارى ما يفيد ذلك .

1- **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج1، ص112.

2-ابن حزم: **الأصول والفروع**، ج1، ص107.

3- متى، 12/ 50 .

4- متى، 32/24. والنص حسب النسخة التي اعتمد عليها ابن حزم:" **إن القيامة لا يعلمها أحد إلا الأب وحده. وأن الابن لا يعلمها**".

5- **الفصل**، ج1، ص113. **الأصول والفروع**، ج1، ص108.

أما إن سموا الله عز و جل من طريق الاستدلال، فقد أسقطوا صفة القدرة لأن بولس يقول بأن المسيح قدرة الله وعلمه :" الله بعدما كلم الأباء بالأبناء قديما، بأنواع و طرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثا لكل شيء، به أيضا عمل العالمين، الذي و هو بهاء مجده و رسم جوهره و حمل كل الأشياء بكلمة قدرته بعدما صنع بنفسه ... "[1].

و يعلق ابن حزم قائلا : " فليضيفوا صفة رابعة، و هي القدرة و أخرى وهي السمع وأخرى وهي البصر و أخرى و هي الكلام ... ".

ثم يفترض بأنهم يقولون القدرة هي الحياة، و يرد عليهم بأن العلم هو الحياة و يقول : " فإن قالوا العلم الحياة لأنه يكون حي ليس عالما كالمجنون، قيل لهم، قد يكون حي ليس قادرا كالمغشى عليه .. فالقدرة ليست الحياة "[2].

ثم يقول ابن حزم : " قال بعضهم : لما وجدنا الأشياء قسمين حيا و لا حيا وجب أن يكون الباري عز و جل حيا، و لما وجدنا الحي قسمين ناطقا و لا ناطقا وجب أن يكون الباري عز و جل ناطقا. " .

و يرد عليهم من وجهين :

الأول : إن هذه القسمة، قسمة طبيعية واقعة تحت جنس و معنى، هذا أن الله يقع مع سائر الأجسام تحت جنس الحي، و يحد بحد الحي و بحد الناطق، " و إذا كان كذلك فهو مركب من جنسه وفصله وكل ما كان محدودا فهو متناه، وكل ما كان مركبا فهو محدث. "[3]

الثاني : أن هذه القسمة منقوصة مموهة، لأنه يلزمهم أن يبدؤوا بأول القسمة الذي هو أقرب إلى الطبيعة فيقولوا : " وجدنا الأشياء جوهرا و لا جوهرا. "

1- **رسالة إلى العبرانيين**، 1 /1 -3. والنص عند ابن حزم" إن المسيح قدرة الله وعلمه تعالى".

2- **الفصل**، ج1، ص114.

3- المصدر نفسه، ج1، ص114.

فإن قالوا أنه تعالى جوهر، وجب أن يحدوه بحد الجوهر، و هذا يلزم أن يكون محدثا، إذ كل محدود هو محدث.

ومما تقدم نلاحظ ذكاء ابن حزم و فطنته، فهو عاب على النصارى تحديدهم للأقانيم الثلاثة بالرغم من وجود صفات أخرى كالقدرة،- علما أن النصارى كانوا يقولون بأن الأقانيم صفات في وقت ابن حزم - و ابن حزم كان يرى أن الله سبحانه و تعالى غير متعدد في ذاته و لا صفاته كما زعم النصارى في الأقانيم، بل يجب أن تكون صفاته ذاتية، بها تعرف ذاته سبحانه، و لا يؤدي تعددها إلى تعدد القدماء، كما يدعي النصارى[1].

كما أنه نفى عن الله عز و جل أن يكون جوهرا، وبين أن ذلك يستلزم أن يحد بحد الجوهر، وكل محدود فهو محدث.

ثالثا : الرد على كون الثلاثة أكمل الأعداد

يرد ابن حزم على قول بعض النصارى : "لما كانت الثلاثة تجمع الزوج و الفرد، و هذا أكمل الأعداد، وجب أن يكون الباري تعالى كذلك لأنه غاية الكلام "، و يرد ابن حزم من عدة وجوه :

أولها : أن كل عدد بعد الثلاثة هو أتم من الثلاثة، لأنه يجمع إما زوجا و فردا، وإما زوجا وزوجا، وإما زوجا وزوجا وفردا، وإما أكثر من ذلك، و بالضرورة يعلم أن ما جمع أكثر من زوج فهو أتم و أكمل مما لم يجمع إلا زوجا و فردا فقط.

ثانيها : هذا الاستدلال مضاد لقولهم، إن الثلاثة واحد و الواحد ثلاثة، لأن الثلاثة التي تجمع الزوج و الفرد هي غير الثلاثة التي هي عند النصارى واحد.

3- محمد أبو زهرة: **ابن حزم، حياته وعصره**، ص212.

ثالثها : أن كل عدد هو محدث، و كذلك كل معدود يقع عليه عدد فهو أيضا محدث، و العدد اثنان فصاعدا، والواحد ليس عدد و إنما هو مبدأ أول.

رابعها : أن المعنى الذي ذكره صاحب هذا الرأي، نجده في الاثنين لأنه عدد يجمع فردا و فرد، وهو زوج مع ذلك، فقد وجدنا في الاثنين الزوج و الفرد، فيلزمه أن يجعل ربه اثنين[1].

فابن حزم في معالجته لهذه النقطة أبدى مهارة جدلية و فطنة، إذ لم يدع أي ثغرة دون أن يسدها بما يناسبها.

رابعا : الرد على موضوع " الكلمة "

إن ابن حزم كغيره من المفكرين المسلمين، تناول موضوع الكلمة انطلاقا من رأيه في موضوع "خلق القرآن "، فهو يرى أن زعم النصارى أن المسيح كلمة الله باطل، لأنه لو كان عيسى نفسه الكلمة أي " كلمة الله " على الحقيقة، كانت كلمة الله مخلوقة، ومعاذ الله أن يكون الكلام مخلوقا، لأن ذلك يؤدي إلى القول بخلق القرآن، فهو كلام الله عز و جل[2].

فابن حزم يرى أن القرآن كلام الله على الحقيقة لا على المجاز، وهو غير مخلوق، وليس هو غير الله تعالى أصلا، ومن قال شيئا غير الله لم يزل مع الله، فقد جعل لله شريكا [3].

و يقول ابن حزم بأن " **الكلمة** " عند النصارى هي المتحدة بالإنسان الملتحمة في مشيمة مريم عليها السلام، و هم يستدلون بما روي عن يوحنا التلميذ : " في البدء كان الكلمة، و **الكلمة كان عند الله و كانت الكلمة الله** "[4]، و يتساءل ابن حزم إذا كانت الكلمة الأب أو الابن أو روح القدس أم شيء رابع، فإن قالوا شيء رابع فقد خرجوا عن التثليث.

1- **الفصل**، ج1، ص116. **الأصول والفروع**، ج1، ص108-109.

2- **الأصول والفروع**، ج1، ص105.

3- **الفصل**، ج3، ص14-17.

4- **يوحنا**، 1/1.

و إن قالوا إنها أحد الثلاثة، سئلوا من الملتحم مع طبيعة المسيح، الأب أم الابن ؟!، فإن قالوا الابن فقد بطل أن يكون هو الأب، و خالفوا يوحنا إذ يقول : " إن الكلمة هي الله" فإن كانت الكلمة هي الله فقد التحم كل من الأب و الابن و الكلمة في مشيمة مريم.

و إن قالوا الذي التحم هو الأب و الابن تركوا قولهم : إن الابن يقعد عن يمين الأب، و أن الأب يعلم وقت القيامة فلا يمكن للمرء أن يقعد عن يمين نفسه.

و إن قالوا الأب هو الابن و هو غيره لزمهم أن الابن ابن نفسه و أب لنفسه، و الأب أب لنفسه و ابن لنفسه[1].

و يبدو نقد ابن حزم لموضوع الكلمة في غاية الدقة و الذكاء، فهو كعادته لا يدع ثغرة إلا ووجد لها الحجرة المناسبة، فقد تميز باستعماله لمنهجه الظاهري في نقد عقيدة الكلمة، إذ التزم بظاهر النصوص، و ألزم النصارى بقولهم عكس ما يستلزمه النص، ففي قول يوحنا : " و كان الكلمة الله " يستلزم أن يكون المتحد الأب و الابن، وروح القدس، و الكلمة هي الأب و الابن وروح القدس، وهذا عكس ما يدعيه النصارى من أن الكلمة هي الابن، فرغم ظاهريته، توصل إلى نتائج مهمة، وإلزامات قوية، تجعل الخصم إما يؤول ظاهر النص، أو يقبل النقد، و في كلتا الحالتين ينهزم.

4- **الفصل**، ج1، ص119-120.

المطلب الثالث : رده على الأدلة النقلية

أولا : نصوص العهد القديم

إن ابن حزم، على عكس المفكرين المسلمين الذين يرون أن عقيدة التثليث هي وليدة تفسيرات مبيتة للكتابات الإنجيلية، يرجع مسؤولية القول بعقيدة التثليث إلى مدوني العهد القديم، فحسب رأيه فإن تزوير العهد القديم تم فيه التمهيد للقول بعقيدة التثليث، و يقدم كدليل على رأيه،نصوصا من العهد القديم [1].

" **وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض و ولد لهم بنات، أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات** " [2]، فهذا النص و غيره يوحي بأن الإله يولد و أن لله أبناء.

و هناك نصوص توحي بأن هناك عدة آلهة " **كرسيك يا الله إلى دهر الدهور، قضيب استقامة ... من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج ...** " [3]، و كذلك " **الله قائم في مجمع الله، في وسط الآلهة يقضي ...** "[4].

و يرى ابن حزم[5] أن هذه النصوص تدل على أن التثليث ذكر في العهد القديم.

و يقدم نصا آخر يرى أنه يزيل كل التباس، و يسمح بلمح الأسس المستقبلية لعقيدة التثليث[6] و هو كالآتي : " **و ظهر له الرب عند بلوطات ممرا و هو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار، فرفع**

1- Ali Bouamama : **La littérature polémique musulmane contre le christianisme**, p162-163.

2- **تكوين**، 6/1-2. وأيضا، **تثنية**، 19/32، و **مزامير**، 7/2.

3- **مزمور**45/8.

4- **مزمور**82/1.

5- انظر: **الفصل**، ج1، ص207،208،209.

6- Ali Bouamama : op. Cit., p163.

عينيه و نظر و إذا **ثلاثة رجال** واقفون لديه. فلما نظر ركض لاستقبالهم ... و سجد إلى الأرض. و قال يا سيد إذ كنت وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك ... فأسرع إبراهيم إلى الخيمة ... ثم اخذ **زبدا ولبنا و العجل الذي علمه و ضعه قدامهم، و إذ كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة أكلوا**" [1].

و يقول ابن حزم بخصوص هذا النص : " ... فإن ذلك إخباره أن الله تعالى تجلى لإبراهيم، وأنه رأى الثلاثة النفر، فأسرع إليهم و سجد و خاطبهم بالعبودية، فإن كان أولئك الثلاثة هم الله، فهذا هو التثليث بعينه بلا كلفة، بل هو أشد من التثليث، لأنه إخبار بشخوص ثلاثة، و النصارى يهربون من التشخيص " [2].

و يبدو مما تقدم أن ابن حزم هو الوحيد الذي قال بوجود التثليث في العهد القديم، و قد بين أن الذي سجد له إبراهيم و خاطبه بصيغة المفرد هو الله في الرواية، و هذا حسب ظاهر النص، كما أن الذين تجلو لإبراهيم و أكلوا كسر الخبز و شربوا اللبن ليسوا آلهة و ليسوا ملائكة، لأن الإله و الملاك لا يأكلان و لا يشربان، فتعين أن تكون هي الأقانيم الثلاثة كما تعين أن تكون الأقانيم أشخاص.

فالنص إذن يوحي بوجود التثليث، و في نفس الوقت يشخص الأقانيم، و هذا يقدح في رأي النصارى بأن الأقانيم ليست مشخصة، و عليه يثبت ابن حزم بان هناك تزويرا في هذا النص إذ يقول : " و حاشى له أن يكون هذا خبرا عن الله تعالى و لا عن الملائكة، أين هذا الكذب البارد الفاضح الذي يشبه عقول المصدقين به من الحق المنير الواضح عليه ضياء اليقين من قول الله عز و جل في هذه القصة نفسها: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾[3].

فبعد أن اثبت ابن حزم التزوير في العهد القديم، و حاجج بالنص و العقل، قارن تلك النصوص بما جاء في القرآن الكريم، و أثبت أن الذين تجلو لإبراهيم، لا يمكن أن يكونوا الله و لا الملائكة لأنهم لا يأكلون و لا يشربون، و أبطال تلك القصة أكلوا و شربوا.

1- **تكوين**، 18/1-8.

2- **الفصل**، ج1، ص219-220.

3- **هود**/ 69.

و يرجع ابن حزم سبب ظلال النصارى و قولهم بالتثليث إلى اليهود إذ يقول : " إن هذه السورة من الفضائح ما لا يجوز أن ينسب إلى الله عز و جل، مثل قولهم إن الله تعالى هو أبوهم الذي ولدهم، و أنهم بنوه و بناته، حاشى لله من هذا، و هل طرق للنصارى و سهل عليهم أن يجعلوا لله ولدا إلا ما وجدوا في هذه الكتب الملعونة المكذوبة، المبدلة بأيدي اليهود ... " [1].

و يبدو ابن حزم متميزا في إقراره بذكر التثليث في العهد القديم دون غيره من العلماء، الذين ينكرون وجود التثليث في العهد القديم، أما ابن حزم فبالرغم من أنه يعلم أن النصوص التي ذكرها هي التي يرتكز عليها النصارى في إثبات عقيدة التثليث[2] فقد طبق عليها منهجه الظاهري وانتقدها بطرق ذكية، وتوصل إلى أن اليهود هم الذين مهدوا للقول بالتثليث.

و الحقيقة حسب ما نرى، أن اليهود لم يكن في نيتهم التمهيد لعقيدة التثليث، بالرغم من تزويرهم للعهد القديم، بل كانوا متأثرين بالديانة البابلية[3]، فقد كان البابليون يسمون الله " أب " ويسمون أنفسهم " أبناء الله " و قد انتقلت كل هذه الأفكار إلى الديانة اليهودية بعد السبي البابلي[4]، ومنها انتقلت إلى الديانة النصرانية.

ثانيا : نصوص العهد الجديد

رد ابن حزم على عقيدة التثليث من خلال نصوص العهد الجديد و هذه أهم النصوص التي انتقدها :

1- عقيدة الأبوة : استدل ابن حزم بما جاء في إنجيل متى " فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم

1- **الفصل**، ج1، ص201.

2- Ali Bouamama : op. Cit ., p 164.

3- انظر: **Ecclésia**, p730-732 و **Fournier : Histoire des Religions non chrétiennes**, p82

4- حدث السبي البابلي بعد أن تعرضت مملكة يهوذا إلى التخريب على يد الملك البابلي نبوخذ نصر ، فهدم أورشليم والمعبد الكبير الذي بناه سليمان وسبى جيش بختنصر كل عظماء إسرائيل وأغنيائها، وأخذهم إلى بابل وقدر عددهم بخمسين ألفا، وكان ذلك سنة 586ق م.(أحمد عبد الغفور عطار: **الديانات والعقائد في مختلف العصور**، ج2، ص192.)

الذي في السماوات كامل "[1]، على أن الله تعالى أبو التلاميذ، و يتساءل لما خص النصارى المسيح بالنبوة، فقالوا إنه ابن الله دون أن يقولوا عن تلاميذه أنهم أبناء الله؟.

2- ***عقيدة البنوة*** : جاء في إنجيل متى " فصلوا أنتم هكذا. **أبانا الذي في السماوات، ليقدس اسمك ليأت ملكوتك** "[2]، و أيضا " فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم، يغفر لكم أيضا **أباكم السماوي** "[3]، و جاء في إنجيل يوحنا " ... إني سأصعد إلى **أبي و أبيكم** و إلهي و إلهكم "[4].

و يعلق ابن حزم على هذه النصوص بقوله : " فما ترى للمسيح من البنوة لله تعالى إلا ما لسائر الناس و لا فرق، فمن أين خصوه بأنه ابن الله دون سائرهم كلهم ؟ "[5]، ثم يضيف بأن النصارى يقولون بأن المسيح يسمي نفسه ابن الإنسان في غير موضع من الأناجيل، و من المحال و الحمق أن يكون الإله ابن إنسان، أو أن يكون ابن إله و ابن إنسان معا، أو أن يلد إنسان إلها[6].

3- ***اختلاف الأب عن الابن :*** يقدم ابن حزم عد ة نصوص ليبين كذب النصارى في قولهم إله واحد في ثلاثة أقانيم؛ الأب و الابن و روح القدس، فقد بين أن الأب ليس هو الابن، و أن هناك تغاير و هذا واضح من هذا النص : " السماء و الأرض تزولان و لكن كلامي لا يزول، و أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد و لا الملائكة الذين في السماء و لا الابن إلا الأب "[7].

فإذا كان الأب يعلم الساعة، و الابن لا يعلم متى هي، فبالضرورة نعلم أن الابن غير الأب، وأن

1- 48/5.

2- متى، 9/6.

3- متى، 14/6.

4- يوحنا، 17/20.

5- **الفصل**، ج2، ص51.

6- المصدر نفسه، ج2، ص53.

7- **مرقس**، 13/31-32.

أحدهما يعلم ما يجهله الآخر، فصح ضرورة أن من هو غير الله لا يعلم ما يعلمه الله، و بالتالي فهو مخلوق مربوب[1].

و كذلك ما جاء في متى : " و من الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة، و نحو الساعة العاشرة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : إيلي إيلي لما شبقتني، أي إلهي إلهي لماذا تركتني "[2].

4- الروح القدس: جاء في إنجيل متى بأن المسيح امتلأ من الروح القدس " أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئا من الروح القدس، وكان يقتاد بالروح في البرية أربعين يوما يجرب من إبليس "[3].

وجاء أيضا، أن يحي عليه السلام احشي من روح القدس في بطن أمه، ثم يحي أحشيت أيضا من روح القدس، قال لوقا: " ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس "[4].

ويعلق ابن حزم على ما تقدم قائلا: " فما ترى للمسيح من روح القدس إلا كالذي ليحي ولأم يحي من روح القدس، ولا فرق، فأي فضل له عليهما "[5].

وبعد هذا العرض لرد ابن حزم على عقيدة التثليث النصرانية يمكن القول أنه أبدع وتميز في رده. لكن البعض يقلل من شأن ردوده مثل أرنلديز، الذي أفرد بحثا في الرد على ابن حزم فقال "إنه لم يحارب النصرانية على أرض محايدة، وإنما كان هدفه دائما هو تأييد الحقيقة التي أقرها الإسلام، وأن ابن حزم وهو ينقد الإنجيل ويظهر ما فيه من تناقضات، إنما يستعمل المنهج الظاهري في فهم النصوص، نفس المنهج الذي استعمله في فهم القرآن والسنة، وإنه يرفض كل نص يعارض الإسلام، ولذلك كان نقده لعقيدة التثليث مقبولا فقط إذا ما قبلنا منهجه الظاهري، فإن المسيحية تبدو له كشيء غير معقول "[6].

1- **الفصل**، ج2، ص119-120.

2- **متى**، 45/27-50، وأيضا **مرقس**، 33/15-36، **ولوقا**، 44/23.

3- **لوقا**، 1/4.

4- **لوقا**، 15/1.

5- **الفصل**، ج2، ص39.

6- Analdez : **Controneses the olagraques crez Ibn Hazm** . (نقلا عن:(**الأصول والفروع**، ص 109

والواقع أن ابن حزم في دراسته للملل والنحل طبق عليها منهجا واحدا يعتمد على التفهم الظاهري لدلالة اللغة، وعدم الاعتراف بالتأويل، فهو يعتبر اللجوء إلى التأويل نوعا من الخداع والتضليل[1].

ونقد ابن حزم لنصوص الكتاب المقدس لا يخلو من النزعة الظاهرية، يقول فتحي النجاري: " يلاحظ آسين بلاسيوس عن حق أن ابن حزم استعمل مذهبه الظاهري كذلك في تفسير الإنجيل، كما فعل في الإسلام، فكان يستنكر تأويل رجال الكنيسة ويخشى أن يكونوا خاطئين في تأويلاتهم، فكانت نتيجة ذلك القول الرجوع إلى النصوص وترك التأويلات، وهذا ما جاءت به حركة الإصلاح النصراني البروتستانتية ... "[2].

وبالرغم من استعمال وتطبيق ابن حزم لمنهجه الظاهري في نقده الكتاب المقدس، فقد توصل إلى نتائج جيدة، وهو لم يعتمد المنهج الظاهري فحسب بل اعتمد على العقل وهذا واضح في نقده للعدد ثلاثة. فقد أظهر امتيازا عقليا ومهارة جدلية تجلت في أروع صورها، فهو لم يترك نقطة أو منفذا لأي معترض[3]، كما أنه كان يستعمل العقل المجرد، ورد المقدمات مسلسلة إلى البدائة التي تقرها العقول المستقيمة، ويراها هو الطريق القويمة لإدراك الحقائق وفهمها، وقد كان مع ذلك المنهاج العقلي المستقيم يعتمد على الإفحام والإلزام ببيان التناقض في أقوال النصارى والرد عليها من كتبهم[4].

ولا يسعنا في الأخير إلا أن نقول مع المستشرق " آسين بلاسيوس " بأن ابن حزم حقق شيئا أكثر من غيره، عرف كيف يبدع، وعرف كيف يقدم شيئا أصيلا ونادرا وجعل فكره يتألق مع ملامح قوية وملحوظة، وكانت له المقدرة على تعميم المنهج الظاهري على الأديان الأخرى"[5].

1- عبد الحليم عويس: **ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري**، ص338.

2- مجلة دعوة الحق .(نقلا عن، محمود علي حماية: **ابن حزم ومنهجه في نقد الأديان**، ص182)

3- ابن حزم: **الأصول والفروع**، ص110.

4- محمد أبو زهرة: **ابن حزم، حياته وعصره، وآراؤه وفقهه**، ص155-156.

5- سهيل أبو وافية: **ابن حزم**.(نقلا عن، محمود علي حماية: **ابن حزم ومنهجه في نقد الأديان**، ص182.)

وبالإضافة إلى ذلك فقد كان مؤسس علم الأديان المقارن، الذي أبرزه كعلم لـــه طريقتـــه في البحث، من استقصاء، وتتبع وتحقيق ومقارنة، كما بين موضوعاته المحددة، وإليه يرجع فضل الأسبقية في طريقة التبويب و الاستنباط، و انتظام التفكير وسعة الإطلاع وشمول النظرة [1].

فابن حزم إذن كان سباقا إلى إقامة بنيان علم مقارنة الأديان على أساس من الدراسة المقارنـــة النقدية، كما أنه استطاع أن يعمم منهجه الظاهري على العقائد الأخرى.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- عبد الحليم عويس: **ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري**، ص334.

المبحث الرابع

ابن تيمية وموقفه من عقيدة التثليث
(النموذج السلفي)

المطلب الأول : حياته

هو أحمد تقي الدين بن الشيخ شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم بن الشيخ مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الخضر بن علي بن عبد الله، وتعرف أسرته بابن تيمية[1].

ولد يوم الاثنين عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة[2] ، نشأ في أسرة علم، حفظ القرآن منذ حداثة سنه، ثم سمع الحديث من حفاظ ذلك العصر وجهابذة علمائه، ولازم السماع سنين، تعرف إلى الأحكام الفقهية، وكان يتميز منذ صغره بثلاث مزايا هي : الجد، والاجتهاد والانصراف إلى المجدي من العلوم، وكان ذكي، متوقد القريحة نافذ البصيرة، قوي الذاكرة ذو عقل مستقيم ونبوغ مبكر[3].

وقد قال بعض معاصريه، بأن شيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتي شيخ، وبأنه سمع مسند الإمام أحمد مرات[4].

وقد درس ابن تيمية بالإضافة إلى تلك العلوم، الرياضيات والعلوم العربية والتاريخ، وأصول الفقه، كما درس الفقه الحنبلي الذي كان والده من شيوخه، و درس أيضا المنطق وأقيسته، واطلع على آراء الفلاسفة والمتكلمين ورد عليهم.[5]

1- أبو الفلاح الحنبلي : **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، ج6 ، ص80.و ابن كثير: **البداية النهاية** ، ج14 ، ص132 .
2- أبو الفلاح الحنبلي : المرجع نفسه ، ج6 ، ص80.
3- ابن تيمية : **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد،ط[ ]، (بيروت : دار الكتب العلمية، ت[ ]) ص5. ومحمد أبو زهرة ، **ابن تيمية حياته وعصره** ،ط[ ]، (دار الفكر العربي ، دار الثقافة، ت[ ]) ، ص19.
4- محمد أبو زهرة : المرجع نفسه، ص22.
5- أبو الفلاح الحنبلي : المرجع السابق ، ج6 ، ص81.

قرأ ابن تيمية كتب النصارى والأدوار التي مرت عليها ديانتهم دراسة فاحصة، وليس شيء أدل على ذلك من كتابه "**الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**" فقد رد فيه أقوال النصارى رد العـــارف لمذهبهم، المدرك لأدوار عقيدتهم[1]، وقد ألف كتبا كثيرة في الرد على مذاهب النصارى المختلفة [2].

توفي ابن تيمية ليلة الاثنين عشرين ذي القعدة سنة سبعمائة وثمانية وعشرين (728هـــ)[3].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- محمد أبو زهرة : ، **ابن تيمية حياته وعصره** ، ص26 ، ص118.

2- من بينها كتاب : الرد على النصارى، وكتاب : تخجيل أهل الإنجيل ، وكذلك اقتضاء الصراط المستقيم ومجانبة أهل الجحيم.(**دائرة المعارف الإسلامية**، ترجمها إلى العربية: محمد ثابث الفندي و آخرون، (بيروت ، دار المعرفة)، م1 ، ج1 ، ص114-115.)

3- الذهبي: **العبر في خبر من عبر**، ج4، ص84.و- أبو الفلاح الحنبلي: **شذرات الذهب**، ج6، ص88، ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج14، ص142.

ويعكس لنا عرض ابن تيمية للمسيحولوجيا النصرانية سعة اطّلاعه من جهة، ومن جهة أخرى يبرز أمرين؛ أحدهما أن النصارى في وقت ابن تيمية كانوا يعتبرون الأقانيم صفات، و الثاني هو وجود الاختلاف في المعنى المراد بالأقانيم الثلاثة.

وبعد أن عرض ابن تيمية اختلافات النصارى في معنى الأقانيم الثلاثة ، تناول مصطلح " الأقنوم" بالدراسة، وقال بأنها لفظة مبتدعة لم توجد في كتب النصارى ولا في كتب الأنبياء، ولا في كلام الحواريين ثم قال : " ويقال : أنها رومية ، وقد قيل الأقنوم في لغتهم معناه الأصل، ولهذا يضطربون في تفسير الأقانيم تارة يقولون أشخاص ، وتارة خواص وتارة صفات ، وتارة جواهر ، و تارة يجعلون الأقنوم اسما للذات والصفة معاً وهذا تفسير حذاقهم" [1] .

والواقع أن كلمة " أقنوم " يونانية الأصل[2] وليست رومية ورغم خطأ ابن تيمية في تحديد أصل المصطلح،إلاّ أنه أظهر الاختلاف في تحديد معنى الأقنوم بدقة من خلال الآراء التي كانت موجودة في وقته، فقد كان يفهم من الأقنوم أنه شخص أو خاصة أو صفة أو جوهر وأحيانا اسم الذات والصفة معاً والحقيقة أن مفهوم الأقنوم لا يزال إلى يومنا هذا يحتاج إلى توضيح.

وقد لخّص لنا ابن تيمية حيرة النصارى في تحديدهم معنى الأقنوم بقوله : " فالنصارى حيارى متناقضون، إن جعلوا الأقنوم صفة امتنع أن يكون المسيح إلهاً ، وإن جعلوه جوهراً امتنع أن يكون الإله واحداً وهم يريدون أن يجعلوا المسيح الله ويجعلوا الأب والابن وروح القدس إلهاً واحداً" [3] .

وبعد أن بيّن ابن تيمية الاختلاف في مفهوم الأقنوم ، تعجّب كغيره من المفكرين المسلمين من تحديد النصارى الأقانيم بثلاثة وقال بأن أسماء الله كثيرة ومتعدّدة فإنه: : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۞ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ

---

1 - المصدر نفسه ، ج2 ، ص100.

2- راجع تعريف الأقنوم ، ص 6-9 من البحث.

3- **الفتاوى** ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (الرباط : مكتبة المقارن) ج2 ، ص184-185.

ويعكس لنا عرض ابن تيمية للمسيحولوجيا النصرانية سعة اطّلاعه من جهة، ومن جهة أخرى يبرز أمرين؛ أحدهما أن النصارى في وقت ابن تيمية كانوا يعتبرون الأقانيم صفات، و الثاني هو وجود الاختلاف في المعنى المراد بالأقانيم الثلاثة.

وبعد أن عرض ابن تيمية اختلافات النصارى في معنى الأقانيم الثلاثة ، تناول مصطلح " الأقنوم" بالدراسة، وقال بأنها لفظة مبتدعة لم توجد في كتب النصارى ولا في كتب الأنبياء، ولا في كلام الحواريين ثم قال : " ويقال : أنها رومية ، وقد قيل الأقنوم في لغتهم معناه الأصل، ولهذا يضطربون في تفسير الأقانيم تارة يقولون أشخاص ، وتارة خواص وتارة صفات ، وتارة جواهر ، و تارة يجعلون الأقنوم اسما للذات والصفة معاً وهذا تفسير حذاقهم "[1] .

والواقع أن كلمة " أقنوم " يونانية الأصل[2] وليست رومية ورغم خطأ ابن تيمية في تحديد أصل المصطلح،إلاّ أنه أظهر الاختلاف في تحديد معنى الأقنوم بدقة من خلال الآراء التي كانت موجودة في وقته، فقد كان يفهم من الأقنوم أنه شخص أو خاصة أو صفة أو جوهر وأحيانا اسم الذات والصفة معاً والحقيقة أن مفهوم الأقنوم لا يزال إلى يومنا هذا يحتاج إلى توضيح.

وقد لخّص لنا ابن تيمية حيرة النصارى في تحديدهم معنى الأقنوم بقوله : " فالنصارى حيارى متناقضون، إن جعلوا الأقنوم صفة امتنع أن يكون المسيح إلهاً ، وإن جعلوه جوهراً امتنع أن يكون الإله واحداً وهم يريدون أن يجعلوا المسيح الله ويجعلوا الأب والابن وروح القدس إلهاً واحداً" [3] .

وبعد أن بيّن ابن تيمية الاختلاف في مفهوم الأقنوم ، تعجّب كغيره من المفكرين المسلمين من تحديد النصارى الأقانيم بثلاثة وقال بأن أسماء الله كثيرة ومتعدّدة فإنه: : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۞ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ

---

1 - المصدر نفسه ، ج2 ، ص100.

2- راجع تعريف الأقنوم ، ص 6-9 من البحث.

3- الفتاوى ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (الرباط : مكتبة المقارن) ج2 ، ص184-185.

سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞[1].

وفي الصحيحين عن النبي -ﷺ- : " **إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة** "[2].

ويعلق ابن تيمية بأن أسماء الله كثيرة، والاقتصار على ثلاثة أسماء دون غيرها باطل[3].

فابن تيمية هنا يعتمد على القرآن الكريم والسنة المطهرة للرد على النصارى، وقد تميز عن غيره من الرادين بكثرة اعتماده وانطلاقه من القرآن والسنة ، ولكن ما يعاب عليه أنه لم يأت بنصوص من الكتاب المقدس يبين من خلالها أن أسماء الله وصفاته كثيرة، والكتاب المقدس مليء بأسماء الله. وابن تيمية يرى أن أسماء الله هي صفاته القائمة به، فالحي يدل على الحياة، والعليم يدل على العلم والقدير يدل على القدرة[4].

ثم يقول ابن تيمية بأن النصارى يرون أن الله واحد وثلاثة في نفس الوقت، ويرد عليهم بأن العقل يرفض مثل هذا المنطق، فالثلاثة لا تكون إلا ثلاثة، وليس واحدا " ولا يجوز أن يعتقد المعتقد في الشيء أنه ثلاثة مع اعتقاده فيه أنه واحد، لأن ذلك متضاد، وإذا كان ذلك كذلك، فليس يخلو من أن يعتقد أنه ثلاثة أو أنه واحد "[5].

فمن ادعى بأن الواحد ثلاثة هو كمن ادعى في الشيء أنه موجود معدوم، أو قديم محدث أو في الجسم أنه قائم قاعد ، متحرك ساكن[6].

كما أن الاعتقاد بالتثليث يحتمل وجود ثلاثة آلهة خالقين ، فإن قال النصارى بأنهم لا يعتقدون إلا بإله واحد له ثلاث صفات يرد عليهم متسائلا ، لماذا حددتم الصفات الإلهية بالعدد ثلاثة ؟![7]

1- ***سورة الحشر*** / آية 22-24.

2- أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب : إن لله مائة اسم إلا واحد (16/13) ، ومسلم في كتاب : الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب : أسماء الله وفضل من أحصاها، ج9 ، ص5، و محمد بن عيسى بن الضحاك الترمذي، (ت 279هـ)، أبواب الدعوات (35/13-43)، (**السنن**، تحقيق و تصحيح: عبد الرحمان محمد عثمان، ط2، (بيروت: دار الفكر، 1983م) كلهم عن أبي هريرة ، قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

3- **الجواب الصحيح** ، ج2 ، ص112-113.

4- المصدر نفسه ، ج2 ، ص153.

5- المصدر نفسه ، ج2 ، ص180.

6- المصدر نفسه، ج3 ، ص166-167.

7- Ali Bouamama : **La literature polimique** , p.180.

ويتساءل ابن تيمية إن كانت كل صفة من الصفات الثلاثة غير الأخرى ؟ ويقول : " فإن أرادوا صفات الرّب سبحانه وتعالى قد تباينه وتنفصل عنه ، وهو حقيقة قولهم ، ويقولون مع ذلك إنها متصلة به فهو جمع بين النقيضين "[1].

فإن مثلوا الله وصفاته بالشمس وشعاعها، يردّ عليهم بأن الشعاع القائم بالهواء و الأرض والجبال و الحيطان، ليس هو القائم بذات الشمس، و إن قالوا ما يقوم به من العلم يفيض على قلوب الأنبياء علوما، كما يفيض الشعاع من الشمس ، يرد عليهم بأنه لا اختصاص للمسيح بهذا بل هو خاص بجميع الأنبياء، وليس في هذا حلول ذات الرّب و لا صفته القائمة به بشيء من مخلوقاته و لا أن العبد يصير إلها بما حل فيه من العلم.

و بعد أن درس ابن تيمية عدم إمكانية انفصال الصفات عن الله، درس إمكانية قولهم أن الصفات قائمة به وتسمى كل واحدة غير الأخرى، وقد رد على النصارى انطلاقا من رأي السلف بقوله :" والذي عليه سلف الأمة و أئمتها إذا قيل لهم علم الله وكلام الله، هل هو غير الله أم لا ؟ لم يطلقوا النفي ولا الإثبات، فإنه إذا قيل لهم غيره أوهم أنه مباين له ، و إذا قيل ليس غيره أوهم أنه ليس هو"[2] ، و يقول في الأخير أنه ليس هناك ذات مجردة تكون الصفات زائدة عليها، بل الرّب تعالى هو الذات المقدسة الموصوفة بصفات الكمال وصفاته داخلة في مسمى أسمائه.

وابن تيمية هنا كغيره من المفكرين المسلمين ينطلق من رأيه في الصفات ويرد على الأقانيم النصرانية من ذلك المنطلق.

ثانيا : الجوهر

يقول ابن تيمية بأن النصارى يستدلون على أن الله تعالى جوهر؛ بأنه ليس في الوجود شيء إلاّ وهو إمّا جوهر وإمّا عرض، وإمّا قائماً بنفسه غير مفتقر في الوجود إلى غيره وهو الجوهر، وإمّا مفتقر في وجوده إلى غيره لا قوام له بنفسه، وهو العرض، و لا يمكن أن يكون لهذين القسمين قسم ثالث.

ولمّا كان تعالى أشرف الموجودات إذ هو سبب سائرها وجب أن يكون جوهراً.

1- الجواب الصحيح ، ج2 ، ص153.

2- المصدر نفسه، ج2 ، ص154.

ويردّ ابن تيمية مبيّناً سبب امتناع المسلمين عن تسمية الله "جوهر" بقوله: " إنا إنما نمتنع من أن نسميه جوهراً، لأن الجوهر ما قبل عرضاً وما شغل الحيّز"[1].

ويورد قول النصارى كرد عليه " إن الذي يقبل عرضاً ويشغل حيّزاً هو الجوهر الكثيف، فأمّا الجوهر اللطيف فما يقبل عرضاً ولا يشغل حيّزاً ، مثل جوهر النفس، وجوهر العقل وجوهر الضوء"[2]، فإذا كانت هذه الجواهر اللطيفة لا تقبل عرضا ولا تشغل حيزا ، فخالق الجواهر اللطائف، ومركب اللطائف بالكثائف، لا يقبل عرضاً و لا يشغل حيّزاً.

ويردّ ابن تيمية على قول النصارى بأمرين :

الأول: إن الخلاف يكمن في تعريف كل فرقة للجوهر، فهو خلاف اصطلاحي، بالإضافة إلى أن كلمة الجوهر في اللغة العربية ليست محدّدة .

ويورد ابن تيمية التعريفات المختلفة للجوهر فيقول :

منهم من يقول عن الجوهر ما شغل الحيّز وحمل الأعراض، والله تعالى ليس كذلك وهو قول أهل الكلام.

وأمّا متأخري الفلاسفة كابن سينا وغيره، فيقولون بأن الجوهر إذا وجد كان وجوده لا في موضوع، وهذا إنما يكون فيما وجوده زائد على ذاته، وواجب الوجود وجوده عين ذاته، فلا يكون جوهراً.

وأمّا قدماء الفلاسفة كأرسطو وأمثاله فكانوا يسمونه، جوهر وعنهم أخذت النصارى هذه التسمية.

فقد قام ابن تيمية بالتأصيل لمعتقدات النصارى، محاولا إيجاد أساس قولهم بالجوهر في الفلسفة، باعتبار هذا المصطلح فلسفي، كما بحث أيضا أصل هذا المصطلح من الناحية اللغوية.

فهو يرى أن لفظ الجوهر ليس من العربية العرباء ، ولهذا لا يعرف في كلام العرب المحض وإنما هو معرّب، وتسمية القائم بنفسه أو الشاغل للحيّز جوهراً، هو أمر اصطلاحي ليس هو من الأسماء اللغوية ولا

1- المصدر نفسه، ، ج2، ص96-97.

2- المصدر نفسه، ج3 ، ص202.

العرفية العامة، ولا الأسماء الشرعيـــة.

ثم يقول : " وقد قيل إنه مأخوذ من كلام الأوائل، كاليونان وغيرهم فإنه يوجد في كلامهم تســـمية القـــائم بنفسه جوهـــرا ".

وقيل :" سموه بذلك لأن جوهر الشيء أصله، والقائم بنفسه هو الأصل".

فابن تيمية متفطن إلى سبب اختلاف معنى الجوهر لدى كل من المسلمين و النصارى ، لهذا ناقشهم بكل ذكاء ورفض تسمية الله جوهرا؛ لأنه مما لم تذكره كتـــب الأنبياء بل هو مصطلح جاء به الفلاسفة الذين لم يكونوا يعرفون الله حق المعرفة، فكانوا مشركين يعبدون الأصنام والكـــواكب .

ويتساءل ابن تيمية " كيف يعدل عن طريقة رســـل الله وأنبيائه ، كموسى وداود والمسيح إلى طريقة هؤلاء الكفار المشركين المعطلـــين؟" [1].

الثاني: إن قولهم " الجوهر اللطيف لا يقبل عرضا " كلام ممنوع وباطل ، فإن نفس الإنسان تقبـــل الأعراض القائمة بها، وتقوم بها إرادات وتصورات متجددة.

وأما قولهم: " الموجود إما جوهر وإما عرض، فالقائم بذاته هو الجوهر، والقائم بغيره هو العرض، وأنه تعالى موجود حي ناطق، له حياة ونطق.

فيقال لهم، حياته ونطقه إما جوهر وإما عرض، وهي ليست جوهر لأن الجوهر ما قـــام بنفســـه، والحـــياة والنطق لا يقومان بأنفسهما، بل بغيرهما ، فهما من الأعراض ، فتعين أنه عندهم جوهر تقوم به الأعراض مع قولهم إنه جوهر لا يقبل عرضـــا.

ويتساءل ابن تيمية إن كان الابن القديم الموجود من جوهر أبيه، جوهرا قائما بنفسه أم عرضا قائم بغيره ؟.

فإن قالوا هو جوهر، فقد صرحوا بوجود جوهرين ، جوهر الأب وجوهر الابن ، ويكون أقنوم الحياة جوهر ثالث، وهذا تصريح بإثبات ثلاثة جواهر قائمة بذاتها، وحينئذ يبطل قولهم جوهر واحد ثلاثة أقانيـــم.

وإن قالوا الابن القديم الذي هو الكلمة عرض قائم بجوهر الأب، فقد صرحـــوا بأن الجوهر تقوم به الأعراض وهم يقولون بأنه جوهر لا تقوم به الأعراض.

1-**الجواب الصحيح** ، ج3 ، ص203.

١١ – الـــرّد على بنـــوة المسيـــح

يرى ابن تيمية أن القول ببنوة المسيح –عليه السلام– " لو عنى به الإنسان معنى صحيحاً فـــإن هـــذه العبارة إنّما يُفهم منها عند الإطلاق المعاني الباطلة " [1].

ولهذا يوجد الكثير من عوام النصارى الذين يفهمون " المسيح ابن الله " بالبنوة المعروفة، ولهـــذا قال تعالى : ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [2]. فإن من أثبت لله الولد أثبت له الصاحبة ، إذ أن الأب ولدت منه الكلمة، ومريم ولد منها النّاسوت، واتّحـــد اللاّهوت بالناسوت فكان المسيح، وأصبح بذلك الأب أب باللاّهوت، والأم أم بالناسوت، ولأن المسيح عاش إلهاً تاماً وإنساناً بلاهوته وناسوته واستطاع أن يجتمع فيه اللاّهوت بالناسوت، فكذلك أمكـــن أن يجتمع الأب اللاّهوت والأم النّاسوت ولو لمدّة قصيرة.

فإذا كان المسيح النّاسوت ، الذي ولدته إبناً للاّهوت، فلأيّ شيء لا تجعل هي صاحبة وزوجـــة للاّهوت ، علماً أن المصاحبة تكون قبل البنوة ، فكيف يثبت الفرع الملزم بدون ثبوت الأصل اللاّزم.

وإن كان المسيح قال هذا الكلام ، وهو نبي معصوم ، فلا بدّ له من معنى صحيح " ويمتنـــع أن يريدوا –أي النصارى– بقولهم ما يمتنع بطلانه بسمع أو عقل ، فإن كانت العقول ونصـــوص الكتـــب المقدسة مع نصوص القرآن تناقض ما ابتدعه النصارى في المسيح، علم أن المسيح لم يرد معـــنى بـــاطلاً يخالف صريح المعقول وصحيح المنقول" [3].

فابن تيمية في نقده لعقيدة البنوة، انطلق من القرآن الكريم، واستعمل المنهج القرآني بذكاء ودقـــة فبيّن استحالة أن يكون لله ولد لأن البنوة لا يفهم منها إلاّ المعنى الحقيقي ، مما يقتضي وجود صاحبـــة لله –تعالى عن ذلك–، بالإضافة إلى أن هذا الولد لا بد أن يكون نصفه لاهوت ونصفه ناسوت، ويـــترتب على ذلك القول بأن الأب اللاّهوت التقى بالأم الناسوت، وهذا ما لا يتصوّره عقل عاقل، وما دام هـــذا الأمر مخالفاً للعقل بطل أن يكون المسيح ابن الله.

ويسترسل ابن تيمية في نقد عقيدة البنوة ويرى بأن قول النصارى الابن مولود قديم أزلي وهـــو العلم أو كلمة الله، لم يستعمل في كلام أحد من الأنبياء ، وتفسير النصارى لظاهر كلام المسيح لا تدل

1- الجواب الصحيح، ج2، 96.

2- *الأنعام* / 101.

3- الجواب الصحيح، ج2، ص91–97.

عليه لغة المسيح وعاداته وكلامه ولا لغة غيره من الأنبياء[1].

وبعد أن بيّن أن تسمية المسيح كلمة ليس له دليل من كتب الأنبياء ، أخذ يحلّل فكرة البنوة عند النصارى، وأرجع سبب اختصاص المسيح بالبنوة الإلهية إلى وجود كلمة "الابن" في كتب النصارى، وإطلاقها على الأنبياء والحواريين، مثال ذلك: " فتقول لفرعون هكذا يقول الرّب، إسرائيل ابني البكر"[2] " ...إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم " [3].

فما دام جميع الأنبياء والحواريين يدعون أبناء الله، لزم أن يتميّز عنهم المسيح ويكون ابن الله بالطبع وغيره بالوضع، فجعل النصارى " لفظ الأب مشتركاً بين معنيين ، وأثبتوا لله طبعاً، جعلوا المسيح ابنه باعتبار ذلك الطبع ، وهذا يقرّره قول من يفهم منهم أنه ابنه البنوة المعروفة في المخلوقين وأن مريم زوجة الله –تعالى عن ذلك–، وكذلك جعلوا روح القدس مشتركة بين حياة الله وبين روح القدس التي تنزل على الأنبياء والصالحين ".[4]

ويردّ ابن تيمية على من جعل المسيح ابن الله بالطبع بأن الاشتراك في البنوة على خلاف الأصل ، فاللفظ إذا استعمل في مواضع مختلفة كان جعله حقيقة أولى من جعله مشتركاً اشتراكا لفظياً بحيث يكون حقيقة بخصوص لفظ معيّن، ومجازاً بخصوص لفظ آخر، فإن الاشتراك والمجاز على خلاف الأصل.

وبعد هذا النقد اللاّذع الذي قدّمه بالنسبة لاختصاص المسيح بلقب البنوة مع أنه لفظ مشترك بينه وبين سائر الأنبياء بالإضافة إلى أنه لم يرد في كتبهم ما يميّزه عن الآخرين، يقول ابن تيمية بأن تفسيرهم مخالف لظاهر اللغة التي خوطبوا بها، ولظاهر الكتب التي بأيديهم[5].

كما أن تسمية الله أب والأنبياء أبناء إن كان صحيحاً ، فالمراد به أنه تعالى هو الرّب المربي الرحيم، فإن الله أرحم بعباده من الوالدة بولدها ، والابن المربي المرحوم، وأن تربية الله لعبده أكمل من تربية الوالدة لولدها ، فيكون المراد بالأب الرّب، والمراد بالابن المسيح الذي ربّاه، لأنه لا يوجد لفظ

1- المصدر نفسه، ج2 ،ص99 .

2- خروج، 4 / 22 .

3- يوحنا، 20 / 17 .

4- الجواب الصحيح، ج2،ص96 .

5- المصدر نفسه، ج2 ، ص100.

الابن في كتب النصارى إلا ويراد به المخلوق، ولهذا يلزم أن يكون مسمى الابن في حق المسيح هو الناسوت، وهذا يبطل قول النصارى أن الابن صفة لله، وأنه اسم اللاهوت والناسوت، ويبين أن نصوص كتب الأنبياء تبطل مذهب النصارى.[1]

وقد رد ابن تيمية على قول النصارى بالولادة الأزلية وناقش قولهم : " **إن الكلمة مولودة منه** "، فقال بأن التولد له معنيان :

- إما أن ينفصل عن الله جزء.
- أو أن يحدث عنه شيء؛ إما باختياره ، وإما بغير اختياره وقدرته، كحدوث الشعاع عن النار والشمس.

وكل من الأمرين لا يكون إلا عن أصلين[2]، ويكون المتولد حادثا لا يكون من صفاته اللازمة له، فيمتنع أن يتولد عنه شيء، إن لم يكن معه أصل أخر يتولد عنهما.

والتولد عنه بغير قدرته ومشيئته ممتنع عند أهل الملل ، المسلمين واليهود والنصارى وسائر الأمم. سوى طائفة من المتفلسفة الذين يرون إنه موجب بذاته مستلزم لما يصدر عنه ، فهؤلاء قولهم يناسب هذا التولد[3].

ويضيف ابن تيمية بأن الصفة القديمة اللازمة لذات الرب ليست مولودة له ولا متولدة عنه ، بل هي قائمة به لازمة لذاته ، ولا تسمى ابنا ولا ولدا عند أحد من الأنبياء وغيرهم ، وما قول النصارى في ولادة المسيح إلا مضاهئة للذين كفروا من قبل[4] .

III- الرد على ألوهية الروح القدس

يقول ابن تيمية أن لفظة "روح القدس" موجودة في غير موضع من كتب النصارى والمراد بها حياة الله باتفاقهم ، وهي تحل في إبراهيم وموسى وداود وغيرهم من الأنبياء.

ويستشهد بالقرآن الكريم، ليبين بأن الله أيد المسيح بروح القدس: ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ

1- **الجواب الصحيح** ، ج2، ص123 .

2- لأن الواحد لا يتولد عنه وحده شيء، فلابد من شيء أخر ، المصدر نفسه، ج3 ، ص87 .

3- المصدر نفسه، ج3 ، ص185 .

4- المصدر نفسه، ج3 ، ص 186-187 .

الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [1] وأيضاً قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ [2] . وقال رسول الله -ﷺ- حسّان بن ثابت [3] : " **إن روح القدس معك ما دمت تنافح عن نبيّه** " [4] ، **وقال أيضاً : " اللّهم أيّده بروح القدس** ".

وعلى هذا الأساس يفسّر ابن تيمية روح القدس بأمرين ، فهي إمّا يراد بها الملك المقدس كجبريل ، وإمّا يراد بها الوحي والهدى والتأييد الذي يُنزله الله بواسطة الملك أو بغير واسطة، و قد يكونان متلازمين لأن الملك ينزل بالوحي والوحي ينزل به الملك[5].

ويستدل ابن تيمية كذلك بما جاء في التوراة على أنّ الروح القدس ليست إلهاً ولا أقنوماً "...**وروح الله ترف على وجه المياه** " [6]، فالروح لفظة عبرية" ר ו ח " (روح) ومعناها الريح، وجمعها أرواح ، والروح بهذا المعنى موافقة لقوله -ﷺ- : " **لا تسبوا الريح فإنها من روح الله ، تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب، ولا تسبوها ولكن تعوذوا بالله من شرها وسلوا الله خيرها** " [7].

وبعد أن فسر ابن تيمية معنى الروح ، استشهد بفقرات من العهد القديم ليبين بأن روح القدس ليست خاصة بالمسيح فقط: " **بكلمة الرب صنعت السماوات وبنسمة فيه كل جنودها** " [8]. جاء أيضا: "**روح الله صنعني ونسمة القدير أحيتني** " [9]، وجاء في العهد الجديد : " **لأن داود نفسه قال بالروح القدس ، قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك** " [10].

1- ***البقرة*** / 87 .

2- ***المائدة*** / 110 .

3- هو حسان بث بن ثابت بن المنذر الخزرجي، الأنصاري الصحابي، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وكان يقطن المدينة، وكان شاعر الرسول(ص)وقد توفى بالمدينة سنة 54هـ بالمدينة، من آثاره" ديوان شعر". (عمر كحلة: **معجم المؤلفين**، ج1، ص530)

4-أخرجه الترميذي أبواب الاستئذان و الآداب، باب : ما جاء في إنشاد الشعر، ج4، ص 216-217. قال عنه حديث حسن غريب صحيح، و أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت275هـ): **السنن**، تحقيق: محمد بن عند الحميد، ط[ ]، (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، ت[ ])، ج4، ص304.

5- **الجواب الصحيح**، ج2، ص97 .

6- **تكوين** ، 1 / 2 .

7- أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (250/3 ، 228 ، 409 ، 437 ...) ، والترمذي في السنن ، كتاب : الفتن ، باب : ما جاء في النهي عن سب الرياح (9 / 107) عن ابن كعب، وقال حديث حسن صحيح مع اختلاف في اللفظ ، وابن ماجة في سننه ، كتاب : الأدب ، باب : النهي عن سب الريح ، عن أبي هريرة بنفس هذا اللفظ.

8- **مزامير**، 33 / 6 ، النص عن ابن تيمية بصيغة أخرى.

9- **أيوب**، 33 / 4 ، النص عن ابن تيمية بصيغة أخرى.

10- **مرقس**، 12 /36 .

فالروح القدس ليست خاصة بالمسيح والنصارى أنفسهم يسلمون بأن روح القدس حلّـــت في داود وفي الحواريين.

ثم يقول ابن تيمية بأنه لو كانت الروح القدس هي حياة الله ومن حلّت فيه يكون لاهوتا، لـــزم أن يكون في الأنبياء والحواريين ، اللاّهوت والنّاسوت كالمسيح ، وهذا خلاف ما أجمع عليه المســـلمون والنصارى واليهود[1].

ومما تقدّم نلاحظ اعتماد ابن تيمية على الكتاب والسنة في ردّه على المعتقدات النصرانيـــة ، ثم بعد ذلك يرجع إلى النصوص النصرانية، ثم الأدلة العقلية، ليبيّن تناقض وخطأ المعتقد، وهذا واضح مـــن نقده للأقنوم والبنوة ثم روح القدس.

IV- الرّد على ألوهيـــة الكلمة

يقول ابن تيمية بأن الكلمة عند النصارى مولودة من الأب قديمة أزلية لم تزل ولا تزال. و أورد بعض النصوص ليبيّن بأن الكلمة ليست خاصة بالمسيح وحـــــده، مـــن بينـــها : " **بكلمة الله صنعت السماوات...** " [2] ، " **يبس العشب ذبل الزهر وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد** " [3]

ويرى ابن تيمية أن هذه الفقرة وغيرها حجّة على النصارى، لأن الله قال في التوراة: " ليكـــــن كذا ... ليكن كذا " [4] ، مما يظهر أن الله خلق الأشياء بكلمته التي هي " كن ".

ثم يستدلّ بالقرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [5] ، ليؤكّد بأن المسيح ليس هو هذه الكلمات المذكورة في الفقرات السابقة، أو مجموعها ، بل خلق بكلمـــة منها ، وهذا يقتضي أن الكلمة صفة فُعِل بها ، وليست إلهاً [6].

ثم يردّ على من استدل بما جاء في سفر إشعيا : " **وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد**"[7]، عـــلى أنهـــا إلـــه سرمدي وهو المسيح ، فبيّن بأن المقصود بها إمّا علم الله ، أو كلمة معيّنة، أو تكون كلمة

1- **الجواب الصحيح**، ج2، ص121 .
2- **مزامير**، 6/33.
3- **إشعيا**، 8/40.
4- **تكوين**، 1 /1-5.
4- ***سورة يس*** /آية 82 .
5-**الجواب الصحيح** ، ج2 ص125-126 .
6- 40/ 8.

الله اسم جنس، وعلى جميع التقديرات ليس للنصارى أي حجة. فإن كان كلمة الله اسم جنس لكل ما تكلم به –كقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [1] –فالمراد بذلك أن ما قاله الله هو ثابت لا يبطل.

فإن أراد إشعيا بكلمة الله باقية ، علم الله أو كلمة معينة ، فإن المسيح عند النصارى ليس كلمة معينة بل هو الكلمة وهو الله الخالق ، وليس في هذا اللفظ ما يدل على أن الكلمة المسيح، لأن المسيح عند النصارى أزلي ، أبدي لا يوصف بالبقاء دون القدم .

وإن أريد بالكلمة المسيح فتفسير ذلك إما بقاء المسيح إلى أن يترل إلى الأرض ، وإما يراد به بقاء ذكر المسيح والثناء عليه ولسان الصدق له إلى آخر الزمان ، ومما يوضح ذلك قول إشعيا : " **وكلمة الله باقية إلى الأبد** " فوصفها بالبقاء دون القدم[2].

ويظهر مما تقدم عبقرية ابن تيمية وذكاءه ، فقد أعطى عدة احتمالات لقول إشعيا كلها تؤدي إلى أن الكلمة لا يقصد بها المسيح ، وحتى لو عنى بها المسيح، فتفسر على أنها بقاء ذكره أو بقاؤه إلى وقت الترول ، لأن النصارى يوصفونه بأنه أزلي وأبدي والمذكور في سفر إشعيا أنه أبدي فقط.

وبعد أن بين ابن تيمية أن الكلمات المذكورة في الفقرات السابقة ليست هي المسيح، تكلم عن اختلاف الناس في الكلام ثم بين بطلان قول النصارى على جميع الأقوال التي نلخصها فيما يلي :

القول الأول : أن الكلام صفة ، والله لا تقوم به الصفات فالله ليس متكلما ، وكلامه يفيض على النفوس ، ويقال متكلما مجازا، وهذا الرأي هو قول الصابئة[3] والفلاسفة وبعض الجهمية[4].

القول الثاني : أن الله متكلم حقيقة ، لكن كلامه مخلوق خلقه في غيره ، وليس لله كلام قائم به حتى يتحد بالمسيح أو يحل به ، كما أن الكلام المخلوق عرض من الأعراض ليس بإله خالق ، وهذا رأي المعتزلة وبعض الجهمية.

1- ***الكهف*** / 109 .

2-**الجواب الصحيح** ، ج2 ، ص130-131 .

3- سموا كذلك لأنهم زاغوا عن سنن الأنبياء ، ومدار مذهبهم على التعصب للروحانيين، ويدعي الصابئة أن مذهبهم هو الاكتساب، و هم عكس الحنفاء اللذين يدعون إلى الفطرة.(الشهرستاني: **الملل والنحل**، ص259)

4- أتباع الجهم بن صفوان، وهم يوافقون أهل السنة في مسألة القضاء والقدر، مع ميل إلى الجبر، ويوافقون المعتزلة في نفي الصفات الأزلية، ويقولون بخلق القرآن، وهم فرقة عظيمة وعدادهم في المعطلة والمجبرة.(المقريزي: **الخطط**، ج2، ص351. والشهرستاني: **الملل والنحل**، ص86-78.)

القول الثالث : أن كلام الله صفة قائما به ، وهو إما أن يقال :

أ - أن الكلام قديم النوع ، بمعنى أنه لم يزل متكلما بمشيئة، وكلمات الله لا نهاية لها مع أنها قائمة بذاته ، وهذا هو قول أئمة السلف ، وقول أكثر أهل الحديث ، وكثير من أهل الكلام ومن الفلاسفة.

ب- أن الكلام قديم العين ، بمعنى أنه لا يتعلق بمشيئة الله وقدرته، لأن الله لا تحله الحوادث، وما كان بمشيئته وقدرته لا يكون إلا حادثا.

ج- أن الله متكلم بمشيئته وقدرته كلاما قائما بذاته حادثا ، ويمتنع أن يكون كلامه قديما ، لأنه ما لم يخل من الحوادث فهو حادث لامتناع وجود ما لا نهاية له.

وبعد عرض هذه الأقوال يقول ابن تيمية : " والمقصود هنا أن قول النصارى باطل في كل قول من هذه الأقوال "[1].

فبعد أن بيّن ابن تيمية بأن الكلمة ليست خاصة بالمسيح وحده في الكتاب المقدس ، وبأن كلام النصارى عن المسيح الكلمة لا يصح على جميع الأقوال ، بيّن أن الكلمة الإلهية لا يمكن أن تكون خالقة، وهذا لأن الله هو الخالق وليس كلمته ، ثم تساءل إن كانت الكلمة هي التي سكنت رحم مريم أم الله؟ فإن كان الله هو الذي سكن رحم مريم يكون الله هو الكلمة ، وهذا يناقض قول النصارى ، وإن كانت الكلمة وحدها هي التي سكنت رحم مريم، يكون هناك الله والكلمة ، وما دامت الكلمة هي الخالقة عند النصارى فيكون هناك إلهين[2] وهذا ما لا تقوله النصارى.

المطلب الثالث : الرد على قانون الإيمان النصراني

لم يذر ابن تيمية أي موضوع متعلق بالديانة النصرانية إلا ووضع له جوابا من وجوه كثيرة ، ولأن موضوع قانون الإيمان النصراني هو الأساس الذي بنيت عليه الديانة النصرانية نجد ابن تيمية قد تنبه إلى نقده ورده بالأدلة المنطقية.

1- **الجواب الصحيح** ، ج2 ، ص162-163 .

2- المصدر نفسه ، ج3 ، ص297 .

فقد جاء بنصي قرار مجمعي نيقية و القسطنطينية الأول[1] وأدمجها ، ثم ذكر إيمان النصارى بثلاثة أشياء وهذا حسب ما جاء في نص الأمانة التي جعلوها أصل دينهم.

أولاً : الإيمان بإله واحد خالق السماوات والأرض ، خالق ما يرى وما لا يرى.

ثانياً : الإيمان برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد ، المولود من الله قبل الدهور ، نور من نور ، حق من إله حق من جوهر أبيه ، مولود غير مخلوق ، مُساوٍ للأب في الجوهر.

ثالثاً : الإيمان بالروح القدس الرّب المحيي المنبثق من الأب.

وقد ناقش ابن تيمية إيمان النصارى بألوهية المسيح والروح القدس بما يلي :

1- مناقشة ألوهية الابن : يرى ابن تيمية بأن الإله الثاني الذي يسمّونه ابنا، ليس هو إله حق من إله حق ، بل هو صفة الإله –يقصد صفة الكلام– و صفة الإله ليست إله ، كما أن قدرته وسمعه وبصره وسائر صفاته ليست آلهة ، فالإله واحد وصفاته متعدّدة.

و يعلّق على تسمية النصارى الإله "جوهر"، ويقول بأن الصفة ليست جوهراً قائماً بنفسه ، وهم قالوا بأنه مولود غير مخلوق مساوٍ للأب في الجوهر ، فصرّحوا أنه مساوي له في الجوهر ، والمساوي ليس المسَاوى " ولا يساوي الجوهر جوهر ، فوجب أن يكون الأب جوهراً ثانياً وروح القدس جوهراً ثالثاً ، وهذا إثبات لثلاثة جواهر وثلاثة آلهة ، ومع هذا يقولون ، إنما نثبت جوهراً واحداً وإلهاً واحداً، وهذا جمع بين نقيضين"[2] ، وقد نزه الله نفسه عن ذلك بقوله: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[3].

وبعد أن استشهد بالقرآن الكريم على وحدانية الله، بيّن أن فكرة الجوهر غريبة عن تعاليم المسيح –عليه السلام– والأنبياء الآخرين ، فلم يقل واحد منهم بأن الله جوهر، بل أن أرسطو هو مصدر هذه الفكرة، وقد أخذها النصارى وحرفوا بها رسالة المسيح[4] فأصبحت الديانة النصرانية خليط من الاعتقاد

1- إن محتوى النص الذي أورده ابن تيمية مطابق للنص الذي أوردناه في ص (62-63) من البحث لكن الصياغة تختلف ، وهذا راجع إلى عدم وجود صيغة واحدة لهذه النصوص باللغة العربية في الكنائس (انظر : عبد المجيد الشرفي : **الفكر الإسلامي في الرد على النصارى** ، ص88).

2- **الجواب الصحيح** ، ج2 ، ص117 .

3- ***الإخلاص*** / آية 1 .

4- Ali Bouamama: **La literature polimique**, p. 182.

بالتوحيد والتعدّد.

ويضيف ابن تيمية بأن الكائن إمّا أن يكون جوهرا أو حادثا ، فالذي وجد بنفسه يكـــون جوهـــراً، والذي وجد بغيره يكون حادثاً ويتساءل ابن تيمية إن كان الابن حادثاً أم جوهـــراً؟ ، فـإذا أجـاب النصارى بأنه جوهر ، يكون مع الله إله آخر ، جوهر آخر، جوهر الأب وجوهر الابن ، ونفس الشـيء بالنسبة لروح القدس ، فإن قالوا هي جوهر ، كان هناك ثلاثة آلهة[1] .

فإن قال النصارى بأن الله أحدي الذات ، ثلاثي الصفات أو الأقانيم ، يرد عليهم بأنهم أثبتـوا جوهراً ثانياً لا صفة في قولهم : " من إله حق مساوٍ للأب في الجوهر " ، وأنهم جمعوا بين قولهم ثلاثـة جواهر وبين إثبات جوهر واحد، فهم وقعوا في التناقض لا محالة ولا ينجيهم من ذلك قول بعضهم إنـه بمنزلة قولنا، زَيْد الطبيب الحاسب الكاتب ، ثم يقول : زَيْد الطبيب وزَيْد الحاسب وزَيْد الكاتب.

ويردّ ابن تيمية على هذا التشبيه بأن لزيد مع كل صفة حكم خلاف حكمه مع الصفة الأخرى، ثم يقول بأن النصارى قد يفسّرون الأقنوم بأنه الذات مع الصفة ، فالذات مع كل صفة أقنوم ، فصـار الأقانيم ثلاثة ، ويردّ على ذلك بأن المثال السابق لا يطابق قولهم ، فإن زيداً هنا هو جوهر واحـد لـه صفات ، الطب والحساب والكتابة ، وليس هنا ثلاثة جواهر ولكن لكل صفة حكم ليـس للأخـرى " ولا يمكن القول إن الصفة مساوية للموصوف في الجوهر ، ولا إن الذات مع هذه الصفـة تسـاوي الذات مع الصفة الأخرى في الجوهر ، لأن الذات مع الصفة هي الأب، فإن كان هذا هو الـذي اتحـد بالمسيح ، فالمتحد به هو الأب، ولأنكم قلتم [إله حق من إله حق ، من جوهر أبيه الذي هـو مسـاوٍ الأب في الجوهر الذي نزل ، وتجسّد من الروح القدس ...وتأنس وصلب وتألم]، اقتضى ذلك أن يكون الإله الحق المساوي للأب في الجوهر صلب وتألم فيكون اللاّهوت مصلوباً متألّماً..." [2] .

ومما تقدّم يظهر ذكاء ابن تيمية في ردّه على فكرة "الجوهر" ، فقد استغلّ قـول النصـارى في قانون الإيمان " مساوٍ الأب في الجوهر " ليظهر تناقضهم وبأن هذا القول يفضـي إلى تعـدّد الجواهـر وبالتالي الآلهـة.

1- **الجواب الصحيح** ، ج2 ، ص118-119 .

2- المصدر نفسه ، ج2 ، ص118-119 .

كما أنه انطلق من تعريف النصارى للجوهر الذي وحد بنفسه، ليبيّن بأن الأب جوهر والمسيح حسب رأي النصارى جوهر ليس حادثا، وعليه يكون مع الله إله آخر أو يكون هناك إلهين.

أما عن تعريف النصارى للأقنوم بأنه الذات مع الصفة ، فالذات مع الصفة هي الأب والـــذات مع صفة أخرى هي الابن، وعليه تكون الذات أو اللاهوت قد صلب وتألم.

2- ***مناقشـــة ألوهيـــة الـــروح القـــدس*** : يرد ابن تيمية على قول النصارى " نؤمن بروح القـــدس الرب المحيي المنبثق من الأب الذي هو مع الأب مسجود له وممجد ناطق في الأنبياء " بأن قولهم المنبثق من الأب " يمتنع أن يقال في حياة الله القائمة به [1]، فهي ليست منبثقة منه كسائر الصفات ، فالانبثاق في الكلام أظهر منه في الحياة ، فإن الكلام يخرج من المتكلم ، وأما الحياة فلا تخرج من الحي، بل هي قائمة به لا تخرج عنه البتة ، وهي صفة لازمة له ، لا تتعـــلق بغـــيره ، فإن العلـــم يتعلـــق بالمعلومـــات، والقـــدرة بالمقدورات، والتكليم بالمخاطبين، يقال: علم الله كذا وقدر الله على كل شيء، وكلم الله مـــوسى، وأما الحياة؛ فاللفظ الدال عليها لازم لا يتعلق بغير الحي، يقال حيا يحيا حياة، ولا يقال حيا كذا ولا كذا، فلو كان من الصفات ما هو منبثق، لكانت الصفة التي يسمولها الابن[2].

وقد انفرد ابن تيمية بمناقشة مسألة الانبثاق، فبيّن أن حياة الله لا يمكن أن تنبثق من الله لأنها قائمة به، وهي صفة لازمة للحي.

وأما قولهم " وهو مع الأب مسجود له وممجد " فيرد عليه بأن الصفة القائمة بالرب ليست معـــء مسجود لها ، وقالوا هو ناطق في الأنبياء وصفة الرب القائمة به لا تنطق في الأنبياء، بل هذا كله صفـــة روح القدس الذي يجعله الله في قلوب الأنبياء ، أو صفة ملك من الملائكة كجبريل[3] ، فلو كـــان روح القدس الذي في الأنبياء هو أحد الأقانيم الثلاثة لكان كل نبي إله اتحد ناسوته باللاهوت، والنصـــارى لا يقرون بالحلول والاتحاد إلا للمسيح وحده مع إثباتهم لغيره ما ثبت له[4].

1- رأينا في المطلب الثاني بأن النصارى في وقت ابن تيمية كانوا يفسرون الأب بالوجود والابن بالكلام والروح القدس بالحياة.

2- **الجواب الصحيح**، ج2، ص119، 158.

3- المصدر نفسه، ج2 ، ص158 .

4- المصدر نفسه، ج2 ، ص120 .

المطلب الرابع : الـــرَد على أهـــم الأدلـــة النقليـــة

أولاً : نصـــوص العهـــد القـــديـــم

تناول ابن تيمية أهم النصوص التي يرتكز عليها المسيحيون في تأصيل عقيدة التثليث ، وردّ عليها وفسّرها بما يتوافق مع الكتاب والسنة ، وهذه أهمّ النصوص :

1– " ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعوا اسمه عماتوئيل "[1] ، والنصارى يرون أن مريم العذراء ولدت الإله، لأن تفسير كلمه "عماتوئيل" هو "إلهنا معنا" .

ويردّ ابن تيمية بأنه ليس في هذا الكلام أن مريم ولدت الإله المتحد بالناسوت أو أنها ولدت خالق السماوات والأرض، بل على العكس فهذا الكلام يدلّ على أنها ولدت ابناً عادياً ، بدليل أنه جاء نكرة، كما يقال في سائر البشر فلانة ولدت ابناً ، كما أنه في قول إشعيا يدعى إسمه "عماتوئيل" ، مما يدلّ على أن هذا الاسم يوضع له ويسمى به كما يسمي الناس أبناءهم بأسماء الأعلام أو الصفات ، وقد كان كثير من أهل الكتاب يسمي ابنه عماتوئيل.

ويدرس بعد ذلك ابن تيمية احتمال أن يكون المقصود بالعذراء في الفقرة "مريم البتول" وعلى ذلك التقدير يكون المراد بالفقرة أحد معنيين.

أ– أن يراد أن إلهنا معنا بالنصر والإعانة ، لأن بني إسرائيل كانوا قد خذلوا بسبب تبديلهم، ولما جاء المسيح –عليه السلام– بالحق كان الله مع المسيح ومن اتبعه بالنصر والإعانة ، كما قال تعالى : ﴿ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾[2] وقال تعالى أيضاً : ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾[3] .

ب– وإمّا أن يسمى المسيح إلهاً ، كما سمي موسى إله فرعون أي هو الآمر والناهي له المسلط عليه. فليس اسم "عماتوئيل" مخصوص بالمسيح، بل هو اسم يسمى به النصارى واليهود[4] .

1– إشعيا، 7 / 14 .

2– الصف / 14 .

3– آل عمران / 55.

4– الجواب الصحيح ، ج2 ، ص211–213 .

ويظهر من ردّ ابن تيمية على هذه الفقرة مدى إطّلاعه وذكائه كما يتّضح تميّزه بتفسير فقرات الكتاب المقدس بما يتوافق مع القرآن الكريم.

2- جاء في التوراة " **وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا** " [1] ، ويفسّر النصارى هذه الفقرة بأن الله نطق بصيغة الجمع فقال " نخلق " و " شبهنا " وليس هناك ما يشبهه سوى كلمته وروحه.

وكذلك حين خلق آدم قال : " **هو ذا الإنسان صار كواحد منا عارفاً الخير والشر...** " [2] .

ويردّ ابن تيمية بأن استدلالهم على قولهم في المسيح، هو في غاية الظلال ، ومعنى الفقرة؛ كما قال الرسول -ﷺ- " **إن الله خلق آدم على صورته** " [3]. والنصارى تقول بأنّه ليس هناك ما يشبهه سوى كلمته وروحه، وقولهم هذا من أبطل الأباطيل من عدّة وجوه :

أوّلها : أن الله ليس كمثله شيء ، وليس لفظ النص على مثالنا.

ثانيها : أنه لا اختصاص للمسيح في الفقرة على كل تقدير.

ثالثها : أنه إذا أرادوا بالكلمة التي هي شبهه ومثاله ، صفته التي هي العلم القائم به والحياة القائمة به مثلاً ، فالصفة لا تكون مثالاً للموصوف ، لأن الموصوف هو الذات القائمة بنفسها ، أمّا الصفة فتقوم بالذات ، والقائم بغيره لا يكون مثل القائم بنفسه.

وإن أرادوا شيئاً غير الصفة مثل بدن المسيح وروحه، فهذه مخلوقة له والمخلوق لا يكون مثل الخالق ، وكذلك الروح ليس مثلاً لله - ﷻ-.

رابعها : لو قدّر أنه أريد بذلك أن كلام الله يشبه ذاته من بعض الوجوه ، مثل كونه قديماً بقِدمه، فلا يدلّ على التثليث بوجه من الوجوه ، " وشبه الشيء بالشيء يكون لمشابهته له من بعض الوجوه ، وذلك لا يقتضي التماثل الذي يوجب أن يشتركا فيما يجب ويجوز ويمتنع ، وإذا قيل هذا حي عليم قدير ، وهذا حي عليم قدير فتشابها في مسمى الحي والعليم والقدير ، لم يوجب ذلك أن يكون

1- **تكوين** ، 1 / 26 .

2- **تكوين**، 3 / 22 .

3-أخرجه مسلم، كتاب: البر والصلة الآداب ، باب: النهي عن ضرب الوجه، ج5، ص2017. وأحمد ، كتاب: العشرة المبشرين بالجنة، ج2، ص 244، 251، 323، 434، 464، 519 عن أبي هر يرة.

هذا المسمى مماثلاً لهذا المسمى فيما يجب ويجوز ويمتنع "[1].

خامسها : أن قوله "إنا" و"نحن" لفظ يقع في جميع اللغات على من كان له شركاء وأمثال، وكذلك على الواحد العظيم المطاع الذي له أعوان يطيعونه وإن لم يكونوا شركاء ، والله خلق كل ما سواه، فيمتنع أن يكون له شريك أو مثل، والملائكة وسائر العالمين جنوده، قال تعالى:﴿ وما يعلم جنود ربك إلاّ هو ﴾[2].

فإذا كان الواحد من الملوك يقول : " إنا " و" نحن" ولا يريد بذلك مجموعة من الملوك بل يقصد نفسه ، فربّ العالمين ومالك الملك أحق بان يقول إنا ونحن مع أنه ليس له شريك[3].

ونلاحظ مما تقدّم أن ابن تيمية درس تفسير تلك الفقرة من عدّة وجوه ، لكنه لم يرجع إلى اللغة العبرية ليرى إن كان المفرد بإمكانه استعمال صيغة الجمع كـ " نحن" و"إنا".

3- " أنا إله أبيك إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب" [4] ، يرى النصارى أن في تكرار اسم الإله ثلاث مرات تحقق مسألة الثلاثة أقانيم .

ويردّ ابن تيمية بان الاحتجاج بهذا على التثليث من أفسد الأشياء ، وذلك أنه لو أريد بلفظ الإله " أقنوم " الوجود ، وبلفظ الإله مرّة ثانية أقنوم الكلمة، وبالثالث أقنوم الحياة، لكان الأقنوم الأول إله إبراهيم، والثاني إله إسحاق، والثالث إله يعقوب، فيكون كل من الأقانيم الثلاثة إله أحد الأنبياء الثلاثة ، والأقنومين ليسا بإلهين له ، وهذا باطل عندهم ، فيلزم أن يكون الآلهة الثلاثة إله واحد ، وفي هذه الحالة لا يوجد ذكر للتثليث[5].

4- " وهذا نادى ذاك وقال: قدوس ، قدوس ، قدوس ، رب الجنود مجده ملء الأرض." [6]

فالنصارى يستدلون على وجود التثليث بتكرار كلمة قدوس ثلاث مرات.

ويرد ابن تيمية بأن ذلك الكلام صريح في أن المثلث هو نفس التقديس، لا نفس الإله المقدس .

1- الجواب الصحيح ، ج2 ، ص232 .

2- *المدثر* / 31 .

3-الجواب الصحيح،ج2 ، ص235 .

4- حزقيال ، 3 / 6 .

5-الجواب الصحيح،ج2 ، ص239-240 .

6-إشعيا، 6 / 3 ، وكذلك تثنية ، 6 / 4 .

وقول النصارى في تسبيحة الإيمان "نقدسك ونعظمك ، و نثلث لك تقديسا مثلثا ، كالمكتوب على لسان نبيك إشعيا "، فيه نصب التثليث على المصدر الذي ينصب بفعل التقديس ، فقالوا نقدسك تقديسا مثلثا، فلم يقولوا أنت ثلاثة، بل جعلوا أنفسهم هم الذين يقدسون التقديس المثلث ، فهم يسبحونه ثلاث مرات، ولا يسبحون ثلاثة آلهة ، ولا ثلاثة أقانيم .

ثانيا: نصوص العهد الجديد

يستدل ابن تيمية بنصوص العهد الجديد على إنسانية و نبوة المسيح، و قد ركز على عدة نقاط أهمّها:

1- دعاء المسيح : فقد أخبر الإنجيل بأن المسيح كان يدعو و يتضرع ، و يعترف بربوبية الله، و يقر له بالعبودية ، وكان لا يأتي بمعجزة إلا بعد أن يدعو الله متضرعا ومطالبا أن يحقّق تلك المعجزة.

كما أن المسيح في الإنجيل كانت تعتريه المشاعر الإنسانية من حزن وكآبة وكان يستعين بالله ليزيل عنه الغم: "...فقال نفسي حزينة حتى الموت. وابتعد قليلا وارتمى على وجهه يصلي قائلاً : يا أبي. إن كان ممكنا . فلتعبر عني هذه الكأس . ولكن لا كما أريد أنا .بل كما تريد أنت "[1] وقال أيضاً : " سأصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم "[2] وقال : " ..لأن الأب أعظم مني "[3] فكل هذه الفقرات تدل على أن المسيح إنسان مثل غيره من البشر.

2- الرسالة : جاء في الإنجيل في غير موضع أن المسيح نبي مرسل "من لا يكرم الابن لا يكرم الأب الذي أرسله " [4]، " أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً... لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئته الأب الذي أرسلني " [5] و كذلك "بيسوع الناصري الذي كان إنساناً نبياً مقتدراً في الفعل والقول

1- متى، 26 / 36 – 44 .

2- يوحنا، 20 / 17 .

3- يوحنا، 14 / 28 .

4- يوحنا، 5 23 .

5- يوحنا، 5 / 38 .

أمام الله وجميع الشعب " [1] فكـــل هذه الفقـــرات وغيرها دليل قاطـــع على رسالة ونبوة المسيـــح عيسى عليه السلام.

3- *البنـــوة*: إن تسمية المسيح " ابن الله " ليس دليلاً على ألوهيته بل بالعكس ، فهو دليل على بشريتـــه، وأنه مثله مثل سائر الأنبياء ، فقد قال الله لإسرائيل: " **إسرائيل ابني البكر** " [2] وقال لداوود: " **أنت ابني أنا اليوم ولدتك** " [3] وقال المسيح: " **سأصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم** " [4] فسمى الحواريـــين أبناء الله وأقرّ أن له إلهاً هو الله، و من كان له إله فليس بإله.[5]

وبعد هذا العرض لردود ابن تيمية يمكن القول بأنه كان كثير الاطلاع على عقائد النصـــارى ، وكان يمثل النموذج الأمثل للمذهب السلفي ، فقد كان ردّه ينطلق غالباً مـــن الكتـــاب والســـنّة . ثم يستعمل ملكته العقلية المميّزة لإثبات تقريرات القرآن والسنّـــة.

ويعدّ ابن تيمية أوّل من أدخل المنهج القرآني في الرّد على النصارى ، وتجاوز الـــرّد إلى تفســـير فقرات الكتاب المقدس بالقرآن الكريم.

وقد خاض ابن تيمية في أدلّة النصارى العقلية خوض العارف المتمكّن ، فبيّن أحكـــام العقـــل وبداءة العقول وفسّر الإلهيات تفسير العارف الخبير ، كما تناول جميع مباحث التثليث، ، حتى نصـــوص قرارات المجامع الكنسية، وتناول قضية الجوهر بكثير من التوسع، وبيّن أن النصارى أخذوا عن الفلاســفة هذه المصطلحات وهي تختلف من بيئة لأخرى ، ورغم اختلاف النصارى والمسلمين في تعريف الجوهـــر، ناقش ابن تيمية النصارى من منطلقاتهم الفكرية، وأثبت لهم أن تعريفهم يؤدي إلى تناقض ، فكـــان في دفاعه عن الإسلام مهاجماً ، يهدم حجّة الخصم ببراعة فائـــقة.

1- لوقا، 24 19 .

2- خروج، 4 / 22 .

3- مزامير، 2 / 7 .

4- يوحنا، 14 / 28 .

5-الجواب الصحيح، ج2 ، ص338 .

وبعد عرضنا لهذه النماذج من ردود القدامى، يمكن تلخيص نتائج ردودهم في النقاط التالية:

-إن الرادين المسلمين قد حصروا ردودهم على أصحاب الفرق الثلاثة الكبرى الملكية والنسطورية واليعقوبية، مع التركيز على نقاط الاختلاف بينهم.

-لقد ردّ المفكرون المسلمون على مسألة جوهر، بالرغم من سوء التفاهم القائم بين المسلمين والنصارى، فالجوهر عند المتكلمين هو" ما شغل حيزا وقبل عرضا"، وهو عند اللاهوتيين " القائم بنفسه، وليس في موضوع" [1]، فكان استعمال كل منهما للجوهر قد كرّس تصورا معينا لهذا المصطلح.

ولا يمكن اتهام الفكر الإسلامي بالإخفاق في ردّه على الجوهر النصراني ، كما فعل Guy Monnt، بسبب ما تقدم، وهذا لأن الردود الإسلامية جاءت كرد على الهجوم الذي قام به آباء الكنيسة على الإسلام، وقد ضم هجومهم ، التعريف بالديانة النصرانية، وبالتالي التعريف بالجوهر والأقانيم وغيرهما، وقد كانت الردود الإسلامية في مجملها دفاعية، فكان المفكرون يعرضون رأي الخصم، ثم يردون عليه، ومن الواضح أن نصارى ذلك الوقت قد صوروا الجوهر على أنه القائم بنفسه، بالإضافة إلى أنهم كانوا يستدلون على أن الله جوهر، بأنه ليس في الوجود شيء إلا وهو إما جوهر وإما عرض، وإما قائما بنفسه غير مفتقر إلى غيره وهو الجوهر، وإما مفتقر إلى غيره وهو العرض[2].وقد قام الفكر الإسلامي بدوره في الرّد، وكان نتيجة ذلك أن أنتج الفكر الإسلامي تفكيرا إسلاميا خالصا في الجوهر والعرض. وإن كان المفكرون الغربيون المحدثون يشككون في مصداقية الردود القديمة، فقد أدت تلك الردود دورها في ذلك الوقت.

- ناقش الرادون المسلمون مسألة الأقانيم، وقد كان مجرّد القول بالأقانيم الإلهية مرفوضا لديهم، ويرجع رفضهم إلى سببين، الأول؛ اختلاف الأقانيم من جهة، واتفاقها من جهة أخرى، والثاني؛ اختصاص كل أقنوم بصفة لا تنطبق على الأقنوم الآخر.

1- لقد كان المفكرون المسلمون يعرضون الجوهر عند النصارى على أنه القائم بنفسه، وهذا التعريف خاص بالأقنوم، ويرجع هذا إلى أن نصارى ذلك الوقت كانوا يرون أن الجوهر ، هو القائم بنفسه وليس في موضوع، كما أنه من معاني الأقنوم الجوهر. راجع ص6 من البحث.

2-راجع : ص 242 من البحث، على سبيل المثال .

وقد أرجع المفكرون المسلمون مفهوم الأقنوم إلى الصفة[1]، كما أنهم لم يجدوا مبررا لحصر الأقانيم في العدد ثلاثة.

-بحث الرادون المسلمون سبب قول النصارى بالتثليث، وتوصلوا إلى أن النظرية الثالوثية لا تستند إلى نص إلهي منزل، بل هي عملية تأويلية متأخرة منافية للتوحيد ومجافية للعقل والمنطق. فالتوراة تعارض التثليث، لأنها زاخرة بالنصوص التوحيدية، والأناجيل لم تصرح بألوهية المسيح، وكثيرا ما كان المسيح نفسه يفرق بينه وبين الله.

وأما بنوة المسيح فقد فسرها المفكرون المسلمون على ثلاثة أوجه؛ فهي إما البنوة بالتبني، وقد اختلفوا في الرد عليها، وإما البنوة الحقيقية، وهي مرفوضة بنص القرآن الكريم [2]، وإما تعني العبد الصالح[3]، وهذا ما أجمع عليه كل المفكرين.

-إن الرادين المسلمين أبدعوا في ردهم على عقيدة التثليث، لكنهم لم يعتمدوا على المنهج القرآني في رده على هذه العقيدة، بل ردوا كل ما أنتجه اللاهوت النصراني بالعقل ، وهذا لا ينفي اعتماد البعض منهم على الرد القرآني، أمثال القاضي عبد الجبار، الذي توصل إلى نتائج رائعة حين اتجه إلى النقد التاريخي لعقيدة التثليث، معتمدا على المنهج القرآني. وكان ابن تيمية كثيرا ما ينطلق من الآيات القرآنية في رده على النصارى، لكنه كغيره لم يتناول الرد القرآني بالدراسة.

-إن اختلاف مذاهب الرادين المسلمين ، قد أدى إلى تعدد وجهات النظر، وأدى ذلك إلى محاصرة عقيدة التثليث بطرق ومناهج فكرية مختلفة، مما أعطى للردود الإسلامية قيمة أكبر.

1- لقد كان نصارى ذلك الوقت، يعتبرون الأقانيم صفات، وهذا واضح من كتاباتهم، لهذا فاتهام Guy Monnt (راجع، ص10 من البحث)، بأن الفكر الإسلامي قد فشل في رده على الأقانيم النصرانية، وهذا لاعتبارهم الأقانيم صفات، لا أساس له، فقد كان الفكر الإسلامي يرد على الفكر النصراني الموجود في ذلك الوقت حسب معطياته الفكرية.

2- يقر النقاد الغربيون بأن " فكرة البنوة الإلهية تعني حرفيا أن الله اشترك في صلة جنسية بيولوجية" فرانسيس يونغ: **أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح**، ص174.

3- توصل النقاد الغربيون إلى أن ابن الله، " بالنسبة لليهود يعني كائنا بشريا له صفات مشابهة لصفات الله، أو أنه واحد دعاه الله بصورة خاطئة، أو اختاره للقيام بواجب معين" المرجع نفسه، ص174.

الفصل الخامس

موقف المحدثين من عقيدة التثليث

المبحث الأول : موقف رحمة الله الهندي(ت1891م) من عقيدة التثليث

المبحث الثاني: موقف محمد جواد البلاغي(ت1931م) من عقيدة التثليث

المبحث الثالث: موقف أحمد ديدات من عقيدة التثليث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

إنّ معالم الرّد الإسلامي على عقيدة التثليث النصرانية، لم تتغيّر مع انتهاء القرن الخامس/الحادي عشر الميلادي، و هذا لسببين هما:

1–أن الحضارة الإسلامية بدأت في الانطواء على الذات فالجمود بعد هجمات التخريب المغولية التتارية[1]على المجتمع الإسلامي، وعواصمه الثقافية، وأصبح المسلمون في حالة من الضعف المادي والنفسي، عاقهم عن الابتكار ودفعهم إلى العيش على الماضي، والمحافظة على إبداعاته ، وقد عمّت هذه الظاهرة جميع العلوم الإسلامية و التي من بينها علم مقارنة الأديان.

2– أن سمات النصرانية تغيّرت، فتقلّص دور الكنائس شيئا فشيئا، لفائدة الكنائس الغربية[2]، وقد حصلت تغيرات كبرى في موقف النصارى إزاء الإسلام، بدءا من القرن السادس عشر، حيث إن الأوروبيين بدؤوا يلمسون كيف أن السبق الثقافي تحوّل إلى صفهم، وبدءا من نهاية العصر الوسيط لم يعودوا ينظرون إلى الإسلام بوصفه منافسا حقيقيا في ميدان العقا ، والعلم[3].

و لم تتغيّر معالم علم الأديان إلا في منتصف القرن الماضي، إذ أخذت منعرجا آخر على إثر تبدل الظروف التاريخية؛ فبعد الحروب الصليبية[4]، تغيّر أسلوب مجابهة الإسلام، وأصبح يعتمد على

1– هو اسم يطلق على شعوب اكتسحت أجزاء من آسيا وأوروبا بزعامة المغول، في القرن الثالث عشر، وقد ظلّت إمبراطوريتهم حتى أواخر القرن الخامس عشر، حتى تمزقت إلى خانات عديدة مستقلة، سقطت في أيدي العثمانيين.(**موسوعة السياسة**، ج1، ص684.

2–عبد المجيد الشرفي:**الفكر الإسلامي في الرّد على النصارى**، ص16.وعبد المجيد النجّار: **مباحث في منهجية الفكر الإسلامي**، ط1، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992م)، ص 118.

3–أليكسي جورافسكي: **الإسلام والمسيحية**، ص97.

4– هي الحملات العسكرية التي قامت بها أوروبا المسيحية على المشرق العربي والإسلامي في خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي(1096–1291م)، وقد جرت تحت ستار الدوافع الدينية.(**موسوعة السياسة**، ج2، ص238–239)

الحرب الفكرية التي تقوم على التشويه والتشكيك، لتنفير الناس من اعتناق الإسلام، ولقد تحمّل المستشرقون والمبشرون مهمة تحقيق هذا الهدف [1].

ولقد سهّل مهمة التبشير الاستعمار، الذي حاول غزو العالم الإسلامي، لا بقوة السلاح فقط بل بالغزو الفكري، فقد كان المبشرون يؤلفون الكتب والرسائل، ويعظون في الأسواق والنوادي، مبينين محاسن النصرانية، ومشككين في دين الإسلام، فأصبح المسلمون في موقف الدفاع عن البلد والدين وظهر علماء في شتى العلوم، وقد برز في علم مقارنة الأديان علماء كسروا الستاتيكية التي لازمت هذا العلم لمدّة قرون.

و قد اخترنا نماذج ثلاثة، من الرّادين المعاصرين، وهم رحمة الله الهندي ومحمد جواد البلاغي وأحمد ديدات، وقد احتكمنا في اختيارنا هذا، لمعيار التميّز والإبداع في الرّد على عقيدة التثليث.

وقد اخترنا أحمد ديدات كنموذج للعصر الحاضر بالرغم من وجود كتاب أكاديميين[2]، وهذا لما يميزه من اهتمام بالغ بهذه العقيدة، الشيء الذي خوّله الوصول إلى نتائج غاية في الأهمية، بالإضافة إلى أن رد الكتاب الآخرين يرتكز على ثلاثة محاور، تناولناها بالدراسة في الفصول السابقة،وهي:

1–الجذور التاريخية لعقيدة التثليث (استنادا إلى نتائج النقد الغربي) .

2–دور المجامع وبولس في تغيير مسار الديانة المسيحية.

3–الرد على أهم النصوص من العهدين(استنادا على الردود القديمة، وكذلك نتائج النقد الغربي).

ومعظم هذه المحاور تناولناها بالدراسة، وإعادتها لن يضيف شيئا للموضوع.

1–محمد فتح الله الزيادي: **انتشار الإسلام وموقف المستشرقين**، ط[ ]، (بيروت، دمشق: دار قتيبة، 1990م)، ص16.

2–أمثال:محمد أبو زهرة: **محاضرات في النصرانية**؛ أحمد شلبي: **المسيحية**؛ أحمد عبد الغفور عطار: **الديانات والعقائد**؛ محمد عبد الغني عبود:**المسيح والمسيحية والإسلام**؛ عبد الكريم الخطيب:القرآن الكريم والتوراة والإنجيل وغيرهم.

المبحث الأول

رحمة الله الهندي و موقفه من عقيدة التثليث

المطلب الأول: حياتـــه

هو رحمة الله بن خليل المعروف بخليل الرحمان، بن الحكيم نجيب الله ، بن الحكيـــم حبيـــب الله ...بن عبد العزيز الكبير، بن عبد الله الكبير، بن عمر بن أمير المؤمنين ذي النورين عثمـــان بـــن عفـــان رضوان الله عليهم.[1]

ولد رحمة الله في غرّة جمادى الأولى سنة 1233هـــ الموافق ل(9 مارس 1818م)، كـــانت عائلتـــه واسعة الثراء وعظيمة الجاه والنفوذ، ولد في قصر من قصورها، ودرس كتب الشريعة الإسلامية، على يـد آبائه، وعند بلوغه الثانية عشرة، كان قد قرأ القرآن وعرف اللغة الفارسية .

ارتحل رحمة الله في عام 1835م، إلى دلهي لطلب التعليم العالي، فتعلم الآداب والطب والهندســـة، ولمّا أنس في نفسه القوّة، تصدر مجالس الدرس والإفتاء، ثم أسس مدرسة شرعية في مســـجد كيرانـــه، ودرس فيها مدّة غير طويلة، لأن ظروف الهند ونفوذ النصرانية شغلاه عن التدريس وأجبراه على مواجهة التبشير والدفاع عن الوطن[2].

وفي سنة 1842م، عيّنه الملك الهندوسي في وظيفة السكرتير الأول، ولم يلبث أن تنازل عن منصبه، واشتغل بالتدريس وبتأليف كتابه " إزالة الأوهام"، وفي ذلك الوقت كان النصارى يســـتهدفون الإسلام بكل طاقاتهم، فقام رحمة الله ومعه آخرون بمقاومة الغزو الديني، و الحرب الفكرية، و الدفاع عن

1- حفظ نسب العثمانيين الذين استوطنوا الهند جيلا بعد جيل، في سجل تاريخي قديم ، يوجد حتى اليوم في مبـــنى ضريـــح جلال الدين المخدوم ، في مدينة باني بت (محمد سليم بن محمد سعيد: **أكبر مجاهد في التاريخ، الشيخ رحمـــة الله الهنـــدي**، ترجمة: أحمد حجازي السقا، عبد الله محمد علاّم، ط1، (مصر: مكتبة الكليات الأزهرية، 1977م)، ص24.

2- المرجع نفسه، ص 24، و رحمة الله الهندي: **إظهار الحق**، تحقيق: عمر الدسوقي، ط[ ]، (منشورات دار الكتـــب، ت[ ])، ج2، ص5.

الإسلام، ودحض النصرانية.

كما قام رحمة اللّه في ذلك الوقت أيضا بدعوة أحد أكبر القسس، و رئيس البعثة التبشيرية في الهند، القس **بفندر** للمباحثة و المناظرة على مرأى و مسمع من الناس، وقد أفحم خصمه مما جعله يعترف في نهاية المناظرة، بوجود التحريف في الكتاب المقدس، لكن في مواطن قليلة [1].

و في سنة 1257هـ اعتبر رحمة اللّه خارجا عن القانون و هذا لمشاركته في الثورة، فأعلنت المحكمة عن جائزة لمن يقتله، فهاجر إلى جدّة سنة 1274هـ، فدرّس بمكة علوم الفلسفة و الرياضيات وعلوم أخرى لم تعرف بعد في أرض الحجاز، ثم أنشأ المدرسة الصولتية [2] وهي مدرسة نظامية، تدرس فيها جميع العلوم، في وقت لم يكن التعليم في أرض الحرم مرتبا و منظما [3].

توفي رحمة اللّه في اليوم الثاني و العشرين من شهر رمضان المعظم من سنة ألف و ثلاثمائة وثمانية من الهجرة النبوية الموافق لـ(1 ماي 1891م)، و قد دفن في مكة بجوار قبر خديجة أم المؤمنين رضي اللّه عنها [4].

خلف رحمة اللّه العديد من الكتب خاصة في الأديان و أشهرها كتابه **إظهار الحق** [5].

1- محمد سليم بن محمد سعيد: **أكبر مجاهد في التاريخ**، ص34-35.

2- نسبة إلى إحدى أميرات الهند و هي السيدة صولت النساء، التي قدمت لأداء فريضة الحج سنة 1289هـ، وقد استشارت الشيخ في بناء رباط في مكة، فلفت انتباهها إلى ضرورة إنشاء مدرسة نظامية، فقامت بتمويلها (**إظهار الحق**، ص16).

3- محمد سليم بن محمد سعيد: **أكبر مجاهد في التاريخ**، ص 47-50.

4- المرجع نفسه ، ص 74-75 ،و **إظهار الحق**، ص 22-23.

5- و فيه تفاصيل مناظرته مع بفندر وأيضا كتاب : إزالة الشكوك، يجيب فيه عن أسئلة النصارى، وكتاب" إزالة الأوهام"، وهو رد على كتاب " ميزان الحق " لبفندر، و كتاب" الإعجاز المسيحي" ، أثبت فيه تحريف الأناجيل و نسخها و كتاب "أحسن الأحاديث في إبطال التثليث"، و كتاب" البروق اللامعة" و" معدن اعوجاج الميزان"، و "البحث الشريف في إثبات النسخ و التحريف" و "تقليب المطاعن"، رد فيه على كتاب تحقيق الدين الحق للقس " مندكارواور " و كتاب" معيار التحقيق"، رد فيه على كتاب "تحقيق الإيمان" للقس " صفدر علي ". (محمد سليم بن محمد سعيد: **أكبر مجاهد في التاريخ**، ص 39-42).

المطلب الثاني : ابطال عقيدة التثليث بالبراهين العقلية

ناقش رحمة الله عقيدة التثليث بالأدلة العقلية المنطقية، و أود عدة براهين على بطلانها.

البرهان الأول :

لما كان التثليث و التوحيد حقيقيين عند النصارى، لزم أن يكون القول بالتثليث منافي للتوحيد الحقيقي، فالقول بأن التثليث الحقيقي و التوحيد الحقيقي و إن كان ضدين حقيقيين في غير الواجب، فهما بالنسبة للواجب غير ضدين، باطل، لأنه "إذا ثبت أن الشيئين بالنظر إلى ذاتيهما ضدان حقيقيان أو نقيضان في نفس الأمر، فلا يمكن في أمر واحد شخصي، في زمان واحد، من وجهة واحدة، واجبا كان ذلك الأمر أو غير واجب" [1].

و يسترسل رحمة الله في إثبات أن النقيضان لا يجتمعان في الواجب عز وجل، فيقول بأن الواحد الحقيقي ليس له ثلث صحيح، و الثلاثة لها ثلث صحيح، كما أن الواحد الحقيقي جزء الثلاثة، فلو اجتمعا في محل؛ يلزم كون الجزء كلا و الكل جزءا، و هذا الاجتماع يستلزم أن يكون الله مركبا من أجزاء غير متناهية، فإذا كان الكل مركب لزم أن يكون كل جزء من أجزائه أيضا مركب من الأجزاء التي تكون غير ذلك الجزء. و كون الشيء مركبا من أجزاء غير متناهية بالفعل باطل قطعا، وكما أن هذا الاجتماع يستلزم كون الواحد ثلث نفسه، وكون الثلاثة ثلاثة أمثال نفسها، و الواحد ثلاثة أمثال الثلاثة [2].

البرهان الثاني :

لو وجد في ذات الله ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيقي [بمعنى أن كل أقنوم مختلف عن الآخر]، لزم أن يكون الله مركبا اعتباريا، بمعنى أن كل جزء فيه منفصل عن الآخر، و إذا لم تفتقر بعض الأجزاء

1- **إظهار الحق**، ج 1، ص 583.

2- المصدر نفسه، ص 584، تناول القاضي عبد الجبار و ابن حزم هذا الدليل العقلي على بطلان عقيدة التثليث راجع ص209 و ص230-231، لكن لكل واحد منهم طريقته في الوصول إلى نفس النتيجة.

إلى بعض لم تتآلف منها الذات الأحادية، بالإضافة إلى أن كون الله ثلاثة أقانيم يستلزم كونه مركب، وكل مركب يفتقر إلى غيره، و كل مفتقر إلى غيره ممكن لذاته، فيلزم أن يكون الله ممكنا لذاته، و هذا باطل.

البرهان الثالث :

إذا ثبت الامتياز الحقيقي بين الأقانيم، فهي إما أن تكون امتازت بصفات الكمال أو لا يكون، فإذا امتازت بصفات الكمال، فكل أقنوم يختلف عن الآخر، و هذا يعني أن صفات الكمال لم تستغرق كل أقنوم بدليل اختلافهم، و هو خلاف ما تقرر عند النصارى، من أن كل أقنوم من هذه الأقانيم متصف بجميع صفات الكمال، و إذا كان ما ميز الأقانيم صفات غير صفات الكمال، فالموصوف به يكون موصوفا بصفة ليست من صفات الكمال، و هذا نقصان يجب تنزيه الله عنه [1].

البرهان الرابع :

لو كانت الأقانيم الثلاثة ممتازة بامتياز حقيقي، وجب أن يكون المميز غير الوجوب الذاتي، وهذا لأنه مشترك بينهم، و ما به الاشتراك مختلف عن الشيء الذي به الامتياز؛ بمعنى أن الذات تكون مختلفة عن الأقانيم، و على ذلك يكون كل أقنوم مركب من جزأين، الجزء المشترك و الجزء المتميز، وكل مركب ممكن لذاته، فيلزم أن يكون الأقانيم ممكنة لذاتها [2].

البرهان الخامس :

و هذا البرهان خاص بأقنوم الابن، فيرى رحمة الله أن إتحاد الجوهر اللاهوتي و الناسوتي إذا كان حقيقيا، لزم أن يكون أقنوم الابن محدودا متناهيا، و كان قبوله للزيادة و النقصان ممكنا، و كل ما كان كذلك فهو محدث فيلزم أن يكون أقنوم الإبن محدثا و يستلزم حدوثه حدوث الله تعالى عن ذلك [3].

1- **إظهار الحق**، ج1، ص585.

2- المصدر نفسه، ج1، ص585-586.

3- المصدر نفسه، ج1، ص585.

المطلب الثالث : إبطال التثليث من نصوص العهد القديم

أورد رحمة اللّه عدّة أدلة من العهد القديم على بطلان عقيدة التثليث النصرانية و هي كالآتي:

1- **دليل الوحدانية :** إن كتب العهد القديم تصف اللّه بأنه واحد أبدي لا يموت، ليس كمثله شيء لا في الذات ولا في الصفات، يقول رحمة اللّه: " و هذا الأمر لشهرته و كثرته في تلك الكتب غير محتاج إلى نقل الشواهد "[1].

ففي تلك الكتب أن عبادة غير اللّه حرام، و هذه الحرمة مصرح بها في مواضيع شتى منها: "**لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تصنع لك تمثالا منحوتا و لا صورة ما مما في السماء من فوق و ما في الأرض من تحت و ما في الماء من تحت الأرض، لتسجد لهن و لا تعبدهن** "[2].

2- **نفي الجسمية :** إن الفقرات الكثيرة من العهد القديم فيها إشعار بالجسمية و الشكل للّه تعالى : " **لأن اللّه على صورته عمل الإنسان** "[3]. و قد ذكرت فقرتان تنزه اللّه عن الجسمية و هما: "**فكلمهم الرّب من وسط النار. و أنتم سامعون صوت كلام. و لكن لم تروا صورة بل صوتا.** " [4] و كذلك "**فإنكم لم تروا صورة ما يوم كلمكم الرّب في حوريب من وسط النار. لئلا تفسدوا و تعملوا لأنفسكم تمثالا منحوتا صورة مثال ما شبه ذكر أو أنثى.** " [5]، و يقول رحمة اللّه بأن مضمون هاتين الفقرتين مطابق للبراهين العقلية لذلك وجب تأويل الفقرات غير المحصورة.

و التأويل لا ينكره أهل الكتاب، كما أن كتابهم مليء بالمجازات و التأويلات، و مثال ذلك، أن اللّه و عد إبراهيم بتكثير نسله " **و اجعل نسلك مثل تراب الأرض. فإن استطاع أحد من الناس أن يحصي تراب الأرض فإنه يستطيع أن يحصي نسلك** " [6].و كذلك " **أباركك و كأكثر نسلك كنجوم**

1- **إظهار الحق**، ج 1، ص 543.

2- **خروج**، 20/ 3-5 و كذلك **خروج**، 20 و **تثنية**، 13 و 17.

3- **تكوين**، 9/ 6 و أيضا **تكوين**، 27/1 ، **إشعيا**، 17/59 و **دانييل**، 9/9، إلى غير ذلك.

4- **تثنية**، 12/4 و النص عند رحمة اللّه " فكلمهم الرّب من جوف النار. فمسعتم صوت كلامه. و لم تروا الشبه البتة ".

5- **تثنية**، 15/4.

6- **تكوين**، 6/13.

السماء و مثل الرمل الذي على شاطئ البحر..."[1]. و كذلك وعد يعقوب بأن يكون نسله مثل رمل الأرض، و يعلق رحمة الله بقوله : " و أولادهما لم يبلغ مقدارهم عدد رطل رمل في الدنيا في وقت من الأوقات، فضلا عن مقدار رمل شاطئ البحر أو رمل الأرض "[2]،فهذا دليل على وجود المجاز في الكتاب المقدس[3].

3- نفي المكان : هناك فقرات غير محصورة من العهد القديم و الجديد تثبت المكان لله تعالى، مثال ذلك: " فيصنعون لي مقدسا لأسكن في وسطهم "[4]، و لا توجد في العهدين ما يتره الله عن المكان إلاّ فقرتان، و هما: " هكذا قال الربّ السماوات كرسيي و الأرض موطئ قدمي. أين البيت الذي تبنون لي و أين مكان راحتي. و كل هذه صنعتها يدي فكانت "[5]، ويشرح هذه الفقرة ما جاء في سفر أعمال الرسل: " و لكن سليمان بنى له بيتا. لكن العلي لا يسكن في هياكل مصنوعات الأيادي كما يقول النبي السماء كرسي لي و الأرض موطئ لقدمي. "[6]

و يرى رحمة الله أن تؤول الآيات الكثيرة المشعرة بالمكان لا الآيات القليلة المترهة، لأن الكثير إذا كان مخالفا للبراهين يجب إرجاعه إلى القليل الموافق له، و لا يعتد بكثرته[7].

4- إطلاق إسم الله على الملاك : تنبه رحمة الله إلى إطلاق العهد القديم إسم " الله " على الملاك، فتناول هذا الموضوع بالدراسة علما أن المسيحيين قالوا بأن ملاك يهوه، و الذي كان يسمى أحيانا الله، ما هو إلا المسيح كان يتمرن ليتجسد[8].

1- **تكوين**، 22 17.

2- **إظهار الحق**، ج1، ص 560.

3 - و قد أتى رحمة الله بعدة أدلة على وجود المجاز في العهد القديم أنظر المصدر السابق، ج1، ص 560-568.

4- **خروج**، 8/25، و كذلك **خروج**، 29/45-96، **عدد**، 5/35، 35، **تثنية**، 26 15 و **صموئيل الثاني**، 5/7-6 إلى غير ذلك.

5- **إشعيا**، 66/1-2.

6- 48/7.

7- المصدر نفسه، ص 547.

8- راجع ص 17-18 من البحث، ففيها كلام مفصل عن هذا الموضوع.

و يرى رحمة اللّه أن لإطلاق اسم اللّه في العهد القديم على غير اللّه وجه مناسب لكل محل، فقد أطلق في التوراة على بعض الملائكة لأجل ظهور جلال اللّه فيه أكثر من غيره، و هذه بعض النصوص التي تدل على ذلك [1].

" و قال في ملاك اللّه في الحلم يا يعقوب. فقلت هاأنذا، فقال ... **أنا إله بيت إيل حيث مسحت عمودا.حيث نذرت لي نذرا. الآن قم اخرج من هذه الأرض وارجع إلى أرض ميلادك** " [2] و في نفس السفر: " و قال يعقوب يا إله أبي إبراهيم و إله **أبي إسحاق الرّبّ الذي قال لي ارجع إلى أرضك و إلى عشيرتك فأحسن إليك** " [3] فالذي ظهر على يعقوب عليه السلام و وعده وعهد و نذر و صارعه كلن ملاكا أطلق عليه لفظ اللّه.

و قد يطلق لفظ اللّه أيضا على الأنبياء: " فقال الرّب لموسى أنظر أنا جعلتك إلها لفرعون، وهارون أخوك يكون نبيك. " [4]، و كذلك: " و هو يكلم الشعب عنك. و هو يكون لك فما و أنت تكون له إلها. " [5] فقد وقع لفظ الإله في حق موسى.

و على ذلك لا يجوز لعاقل أن يستدل بإطلاق إسم اللّه على بعض الحوادث، على أنه إله، لأنه مناقض للبراهين العقلية و كذلك النقلية [6].

و بعد هذا العرض يختم رحمة اللّه استدلاله على بطلان التثليث من العهد القديم بقوله : "وظاهر ذات اللّه و صفاته الكمالية قديمة غير متغيرة، موجودة أزلا و أبدا، فلو كان التثليث حتما لكلن الواجب على موسى عليه السلام و أنبياء بني إسرائيل أن يبينوه حق التبيين، فالعجب كل العجب أن تكون الشريعة الموسوية التي كانت واجبة الإطاعة لجميع الأنبياء إلى عهد عيسى عليه السلام خالية من هذه العقيدة التي هي مدار النجاة على زعم أهل التثليث " [7].

1- **إظهار الحق**، ج1، ص 548.

2- **تكوين**، 11/31-13.

3- **تكوين**، 9/32.

4- **خروج**، 1/7.

5- **خروج**، 16/4.

6-**إظهار الحق** ، ص 559-560. أورد رحمة اللّه أدلة نقلية كثيرة للبرهنة على أن لفظ " اللّه " أطلق على بعض المحدثات راجع ص 547-560.

7- المصدر نفسه، ج 1، ص 578.

المطلب الرابع : إبطال التثليث من نصوص العهد الجديد

أولا : إبطال التثليث بأقوال المسيح

بحث رحمة الله عن أقوال المسيح التي تنفي عنه الألوهية في العهد الجديد، فوجد أنه دعـــا إلى التوحيد و نفى عن نفسه صفات الكمال، و وصف نفسه بالعجز كما اعترف برسالته و إنسانيته، فكـل ذلك دليل على بطلان ألوهيته، و نفي لعقيدته التثليث، و تفصيل أقوال المسيح ما يلي :

1- ***الوحدانية*** :دعا المسيح في غير موضع إلى ضرورة عبادة الله الواحد، فقد جاء في إنجيـــل يوحنا: " **و هذه هـي الحيـاة الأبديـة. أن يعرفـوك أنـت الإلـه الحقيقـي وحـدك. و يسـوع المسـيح الـذي أرسلته**"[1]، فبيّن أن الحياة الأبدية، أن يعرف الناس أن الله واحد حقيقي، و أن عيسى عليـــه الســـلام رسول الله، و كون المسيح رسولا ضد كونه إلها، لأن التغاير بين المرسل و المرسَل ضروري.

و جاء أيضا : " **فجاء واحد من الكتبة و سمعهم يتحاورون. فلما رأى أنه أجابـهم. سـألهم أيـة وصية هي أول الكل، فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هي اسمع يـا إسـرائيل الـرّب إلهنـا رب واحـد. وتحب الرّب إلهك من كل قلبك و من كل نفسك و من كل فكرك و من كل قدرتـك. و هـذه هـي الوصيـة الأولى... فقال له الكاتب جيدا يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد و ليس آخر سواه** " [2].

فالمصرح به في هذا النص و غيره أن أول الوصايا في التوراة و جميع كتب الأنبياء أن يعتقـــد أنّ الله واحد و لا إله غيره، و لو كان اعتقاد التثليث مدار النجاة لكان مبينا في التوراة و كتب الأنبيـــاء، كما كان التوحيد مبينا [3].

2- ***نفي صفات الكمال عن المسيح*** : جاء في مرقس : " **و أما ذلك اليوم و تلـك السـاعة فـلا يعلم بهما أحد و لا الملائكة الذين في السماء و لا الابن إلا الأب** " [4]، و هذا القول يبطل التثليث سواء

1- 3/17.

2- مرقس، 12/28-34.

3- أنظر: تثنية، 6/4-5 ، تثنية، 4/35، 39، و إشعيا، 45/5-6 ، 46/9. إظهار الحق، ج 1، ص 28.

4- 13/32.

على مذهب القائلين بالحلول، أو على مذهب القائلين بالانقلاب فلو كان إلها لعلم الساعة.

و جاء أيضا: " ... أما الجلوس عن يميني و عن يساري فليس لي أن أعطيه إلا للذين أعد لهم من أبي " [1].فبعد أن نفى المسيح عن نفسه العلم نفى عن نفسه القدرة و خصها بالله وحده.

كما نفى المسيح عن نفسه الصلاح، فقد جاء في متى: " ... فقال له لماذا تدعوني صالحا. ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله " [2]، فإذا لم يرضى المسيح أن يدعى صالحا، فكيف يرضى أن يدعي إلها؟، كما أن المسيح صرح عن عجزه في عدة مواطن، فقد جاء في الأناجيل: " و نحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا إيلي إيلي لما شبقتني. أي إلهي إلهي لماذا تركتني " [3].

والأناجيل تذكر أنه مات:" و نادى يسوع بصوت عظيم و قال يا أبتاه في يديك أستودع روحي، و لما قال هذا أسلم الروح " [4]، و هذا القول ينفي ألوهية المسيح، خاصة على مذهب القائلين بالحلول أو الانقلاب، فلو كان إلها لما استغاث بإله آخر في قوله: " إلهي إلهي " و لما قال: " في يديك أستودع روحي"، فلو كان إلها لامتنع العجز و الموت عليه، ففي إشعيا : " أما عرفت أم لم تسمع إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض لا يكل و لا يعيا " [5]، " أنا الأول و أنا الآخر و لا إله غيري " [6].

ويعلق رحمة الله على هذه الفقرات متسائلا، كيف يعجز و يموت الذي هو إله سرمدي بريء من الضعف و التعب حي قدوس لا يموت، أيكون الفاني العاجز إلها ؟

و قد صرح المسيح بإنسانيته [7]، فكان كثيرا ما يسوي بينه و بين باقي البشر: " قال لها يسوع لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي. و لكن اذهبي إلى اخوتي و قولي لهم إني أصعد إلى أبي و أبيكم وإلهي و إلهكم " [8]، فالمساواة بينه و بين غيره واضحة و هي دليل إنسانيته، كما أن في قوله " أبيكم "

1- متى، 20/20-23.

2- 19/6-17.

3-متى، 27/46-50.

4- لوقا، 23/46.

5- إشعيا، 40/28.

6- إشعيا، 44/6 و كذلك: ارميا، 10/10 ، حبقوق، 1/12، تيموناوس، 1/17 . إظهار الحق، ج 1، ص 30-31.

7- أنظر مثلا : متى، 8/20، 9/6، 16/13-27، 17/9-12-16-22،18/11، 19/28، 20/18-28،24/17،16/45-64 . إلى غير ذلك. رحمة الله الهندي: إظهار الحق، ج1، ص 39.

8- يوحنا، 20/17.

دليل على عدم ألوهيته و نفي بنوته الإلهية، فكما هم ليسوا أبناء الله حقيقة بل مجازا، فكذلك هو. ويرى رحمة الله أن هذا القول -أبي و أبيكم- يطابق ما حكى الله عنه في القرآن المجيد حيث قال: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ [1].

و مما يدل على إنسانية المسيح أيضا، تصريحه بأن الله أعظم منه فقد جاء في يوحنا: " لأن أبي أعظم مني " [2] ففي هذه الجملة نفي للألوهية، فالإله لا يوجد من هو أعظم منه [3].

3- ***الرسالة و العبودية***: جاء في إنجيل يوحنا: " الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي. و الكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للأب الذي أرسلني " [4]، ففي هذا النص تصريح بالرسلة و نفي للألوهية.

و جاء أيضا: "و لا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السماوات، و لا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح " [5] و الفرق واضح بين الإله و المعلم.

و جاء في إنجيل متى: " ... و ابتدأ يحزن و يكتئب. فقال لهم نفسي حزينة جدا حتى الموت. امكثوا هاهنا و اسهروا معي. ثم تقدم قليلا و خر على وجهه و كان يصلي قائلا : يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس و لكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت ...فمضى أيضا ثانية وصلى قائلا: يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك. " [6]

فأقوال المسيح و أحواله المندرجة في هذه العبارات تدل على عبوديته و نفى ألوهيته، فالإله لا يحزن و لا يكتئب و لا يصلي لإله آخر.

و إذا كان قد جاء إلى العالم، و تجسد ليخلص العالم بدمه من عذاب الجحيم، فما معنى الحزن و الاكتئاب و الصلاة و الدعاء :" إذا كان ممكنا فلتعبر عني هذه الكأس."

1- *المائدة* / 117.

2- 14/28.

3- **إظهار الحق**، ج1، ص 37-38.

4- 14/24.

5- متى، 23/9-10.

6- 26/36-44.

إن كل ما تقدم ما هو إلا دليل على عبودية المسيح للّه عزّ و جلّ، و على أنه بشر رسول شأنه شأن باقي الرسل [1].

ثانيا : التأويل في إطلاق " ابن اللّه " على المسيح

إن الكتاب المقدس بعهديه مليء بالمجاز، و الكتّاب النصارى يعترفون بكثرة وقوع المجـــاز في الكتب السماوية، فقد جاء في كتاب " **مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمـــين** ": " و اصطـــلاح العهد الجديد أيضا هو استعاري جدا، و خاصة مسامرات مخلصنا، و قد اشتهرت آراء كثـــيرة فاســـدة لكون بعض معلمي النصارى شرحوها حرفيا، و لأجل ذلك نقدم بعض أمثال لـــنرى بهـــا أن تـــأويل الاستعارات حرفيا ليس صوابا، ... قال ربنا لليهود : أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء، فكل مـــن أكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد، و الخبز الذي أنا أعطيه هو جسدي سوف أعطيه لحيـــاة العـــالم [2]، فاليهود الشهوانيون فهموا هذه العبارة بالمعنى الحرفي، و قالوا كيف يقدر هذا الرجل أن يعطينا جســـده لنأكله ؟ و لم يلاحظوا أنه عنى بذلك ذبيحته التي وهبها كفارة لخطايا البشر " [3].

و قد ذكر رحمة اللّه العديد من الأمثلة على وجود التأويل في العهد الجديد [4]، و قال بأنـــه لا بد أن لا يخالف هذا التأويل البراهين العقلية و النصوص، و مثال ذلك إطلاق النصارى اسم " الابـــن" على المسيح، فهو دليل في غاية الضعف و هذا لسببين :

الأول : أنه معارض بإطلاق ابن الإنسان و ابن داود على المسيح، فلا بد من المطابقة بحيث لا يثبت المخالفة للبراهين العقلية، و لا يلزم منه محال.

الثاني : لا يصح أن يكون لفظ الابن بمعناه الحقيقي، لأن معناه " من تولد من نطفة الأبوين " و هذا محال هاهنا، فلا بد من الحمل على المعنى المجازي المناسب [5].

1- **إظهار الحق**، ج1، ص38-39.

2- أنظر: **يوحنا**، 6/15-52.

3- **إظهار الحق**، ج1، ص 562-563.

4- أنظر: المصدر نفسه، ج1، ص 560-582، فقد أورد رحمة اللّه العديد من الأمثلة ليؤكد وجود التأويل في الكتاب المقدس.

5- المصدر نفسه، ج2، ص 40-41.

و بعد أن بيّن رحمة اللّه أن لفظ " ابن اللّه " معارض لبعض التسميات الموجودة في الأناجيل، كما أنه لا يصح أن يطلق على المسيح و يراد به البنوة الحقيقية، وضّح المعنى المراد من هذا اللفظ من خلال فقرات الأناجيل.

فقد جاء في إنجيل مرقس: " **و لما رأى قائد المائة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا و أسلم الروح. قال حقا كان هذا الإنسان إبن اللّه** " [1]، و نقل لوقا قول القائد في إنجيله : " **فلما رأى قائد المائة ما كان. مجّد اللّه قائلا بالحقيقة كان هذا الإنسان بارّا** " [2].

فاستبدل لوقا كلمة " **ابن اللّه** " بـ " **البار** " و الذي معناه الصالح.

و قد استعمل هذا اللفظ في حق الصالح غير المسيح أيضا، مثال ذلك : " **طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء اللّه يدعون** " [3] و أيضا : " **و أما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم . أحسنوا إلى مبغضيكم. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم و يطردونكم. لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات.** " [4]، فأمر المسيح تلاميذه بالأعمال الحسنة ليكونوا أبناء اللّه أي صالحين.

و جاء في يوحنا: " **أنتم تعملون أعمال أبيكم. فقالوا له إننا لم نولد من زنا. لنا أب واحد وهو اللّه. فقال لهم يسوع لو كان اللّه أباكم لكنتم تحبونني ... أنتم من أب هو إبليس و شهوات أبيكم تريدون أن تعملوا.** " [5]، فاليهود ادعوا أن لهم أب واحد هو اللّه، و المسيح قال لهم : بل أبوكم الشيطان، والظاهر من كلامهم و كلام المسيح أن اللّه ليس أبا لهم بالمعنى الحقيقي، وكذلك بالنسبة للشيطان، "فلا بد من الحمل على المعنى المجازي، فغرض اليهود؛ نحن صالحون و مطيعون لأمر اللّه، و غرض المسيح؛ إنكم لستم كذلك بل أنتم صالحون مطيعون للشيطان." [6].

و يدعم هذا ما جاء في الرسالة الأولى ليوحنا: " **كل من هو مولود من اللّه لا يفعل خطيئة لأن زرعه يثبت فيه ولا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من اللّه. بهذا أولاد اللّه ظاهرون و أولاد إبليس. كل من**

1- 15/39.

2- 23/47.

3- متى 5/9.

4- متى 5/44-46.

5- 8/41-44

6- **إظهار الحق**، ج 2، ص 42.

لا يفعل البر فليس من الله و كذا من لا يحب أخاه." [1]

و بالإضافة إلى معنى "الصالح" فقد جاء لفظ "الابن" في العهدين ليفيد معاني مختلفة من بينها:

1- جاء في بيان نسب المسيح: "..و هو على ما كان يظن ابن يوسف ابن هالي بن ... بن شيت ابن آدم ابن الله " [2].

و الظاهر أن لوقا نسب آدم إلى الله لأنه ولد بلا أبوين، فهو ليس ابن الله بالمعنى الحقيقي، و يعلق رحمة الله على ما قاله لوقا: "و لله در لوقا لقد أجاد هاهنا، لأنه لما كان المسيح عليه السلام مولودا بلا أب فقد نسبه إلى يوسف النجار، ولما كان آدم عليه السلام مولودا بلا أبوين نسبه إلى الله " [3]. وقد جاء " ابن الله " هنا بمعنى " الذي خلقه الله ".

2- جاء في سفر الخروج: " فتقول لفرعون هكذا يقول الرب إسرائيل ابني البكر. فقلت لك أطلق ابني ليعبدني فأبيت أن تطلقه. ها أنا أقتل ابنك البكر " [4]، فأطلق على إسرائيل لفظ "ابن الله" في موضعين.

3- أطلق لفظ "ابن الله" بالنسبة للأنبياء، فقد سمى سليمان عليه السلام "ابن الله" " أنا أكون له أبا وهو يكون لي إبنا "[5]، و سمى أفرايم ابن الله البكر: ".. لأني صرت لإسرائيل أبا. و أفرايم هو بكري"[6]، و كذلك داود عليه السلام ".. هو يدعوني أبي. أنت إلهي و صخرة خلاصي. أنا أيضا أجعله بكرا أعلى من ملوك الأرض "[7].

1- 3/9-10.

2- إظهار الحق، ج2، ص43.

3- لوقا، 3/ 23-38.- إظهار الحق، ج 2، ص 43.

4- خروج، 4 /22-3 وكذلك: تثنية، 4 /1، إشعيا، 1 /2، 30 /1، 63 /8، و هوشع، 63 /8.

5- صموئيل الثاني، 7 /14.

6- إرميا، 31 /9.

7- مزمور، 89 /26-27.

4- وقد يضاف لفظ "**الابن**" أو "**الأب**" في التوراة إلى شيء له مناسبة ما، كقولها أبناء جهنم، و أولاد أورشليم[1]، و أبناء الدهر و أبناء القيامة على أهل الجنة [2]، و أبناء النور و أبناء النهار على أهل تسالونكي [3]، و أبو اليتامى [4].

ثالثا: أسباب تأليه المسيح

يرى رحمة الله أن سبب تأليه النصارى للمسيح هو أمرين:

الأول: أنه ولد بلا أب. و يرد هذا السبب بأنه ضعيف جدا، فجميع المخلوقات كما هو مذكور في كتب النصارى خلقت في أسبوع واحد بلا أب ولا أم، و آدم كذلك**وملكي** صادق الكاهن، فقد وصف بأنه "**بلا أب بلا أم بلا نسب. لا بداية أيام له ولا نهاية حياة**"[5].

الثاني: أنه جاء بالمعجزات. وهذا أيضا ضعيف، لأن من أعظم معجزات المسيح إحياء الموتى، وقد أحيا ثلاثة**أشخاص** كما هو مذكور في الأناجيل، فلو كان هذا هو سبب تأليهه، لأله آخرون غيره فقد أحيا حزقيال ألوفا [6]، و أيضا إيليّا ميتا [7]، و أحيا اليسع ميتا أيضا [8].

و بعد هذه الردود، يمكن القول أن رحمة الله الهندي مطلع كثيرا على الكتاب المقدس بعهديه، وقد أضاف الكثير إلى صرح الردود السابقة، و كان دقيقا، يعرف متى يضع الحجر المناسب في الثغرة المناسبة، فلم ينكر أن يسمى الملك في العهد القديم باسم الله، بل بحث ووجد أن إطلاق إسم الله على

1- **متى**، 23.

2- **لوقا**، 20.

3- في الرسالة الأولى إلى أهل تسالونكي.

4- **مزمور**، 68 /5.

5- **رسالة إلى العبرانيين**، 7 /3.

6- **حزقيال**، إصحاح 37.

7- **ملوك الأول**، إصحاح 17.

8- **ملوك الثاني**، إصحاح 4،و إصحاح13.

غير الله وجه مناسب لكل محل، فاليهود سموا الرسول باسم "الله ".

كما أنه تعرض لموضوع التأويل في العهدين و أتى بعدة أدلة على وجوده في النصوص، كل هذا ليصل إلى أنهم تأولوا قولهم "ابن الله"، و قد أجاد في ذلك، و توصل إلى نفي البنوة و بالتالي عقيدة التثليث [1].

كما أنه أتى في ردوده على النصوص بفقرات جديدة لها وزنها في النقد لم يتعرض لها أحد من الرّادين المسلمين من قبله مما يدل على دراسته العهدين دراسة مفصلة و دقيقة، مكّنته من استخراج تلك النصوص، وقد أظهر براعته و ذكاءه في رده على الأدلة العقلية .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- ردّ رحمة الله على عقيدة التجسد ، بطريقة فريدة لم يسبقه لها أحد من الرادين ، راجع: **إظهار الحق**، ج2، ص48-53.

المبحث الثاني

محمد جواد البلاغي و موقفه من عقيدة التثليث

المطلب الأول : حيـــاتـــه

هو محمد جواد بن حسن بن طالب بن عباس بن إبراهيم بن حسين بن عباس بن حسن بن عباس بن محمد علي بن محمد البلاغي النجفي الربعي [1]، ولد في النجف الأشرف [2] بالعراق سنة 1282 هـ، نشأ حيث ولد و أخذ العلم عن أعلام النجف [3] ثم هاجر إلى السمراء (4) سنة 1326 هـ، و ألّف هناك عدّة كتب، ثم غادرها إلى الكاظمية [5] عند احتلالها من قبل الجيش الإنجليزي، ومكث بها سنتين دعا فيها إلى الثورة ،و حرض على طلب الاستقلال [6] .

عاد البلاغي إلى النجف الأشرف، و واصل نشاطه في التأليف، حتى استولى على زمام الاجتهاد والاستنباط، و أضحت داره مدرسة، امتازت بطابعها الخاص و هو دراسة فن الجدل

1- خير الدين الزركلي : **الأعلام**، ط2، ج5، ص 302.

2- هي مدينة أسسها الخليفة هارون الرشيد، في القرن الثامن ، وبها ضريح علي رضي الله عنه ، وتقع قريبا من الكوفة.

(Encarta 99, Atlas du Monde, CD2)

3- من بينهم الشيخ محمد طه نجف و الشيخ آغا رضا الهمذاني والشيخ محمد كاظم الهمذاني ،و السيّد محمد الهندي(محمد جواد البلاغي: **التوحيد و التثليث** ،ط2 (بيروت : دار المؤرخ العربي، 1992) ص 8).

4- حضر في السمراء للميرزا محمد تقي الشيرازي، القائد الروحي للثورة العراقية الكبرى سنة 1920 م و قد لازمه مدة 10سنوات (المصدر نفسه، ص 8) .

و السمراء، مدينة عراقية يقطنها حوالي 61000ساكن، تعتبر من أهم المدن التي يقصدها الحجاج الشيعيين، تأسست في القرن الحادي عشر الميلادي، وقد كانت مأوى سبعة خلفاء عباسيين. (**Mon Encyclopédie,** CD 1)

5- تقع على بعد كيلومترات من بغداد و هي معروفة بمسجدها ذو القبة الذهبية و بمقابر عدد كبير من أئمة الشيعة.

(Encarta 99, Atlas du Monde, CD2)

6- **التوحيد و التثليث**، ص 8 .و **الهدى إلى دين المصطفى**، ط3 (بيروت :مؤسسة الإعلام للمطبوعات، 1985)، ج2، ص9.

والمناظرة ،ودراسة قواعد الدفاع العلمية و الفلسفية و الأدبية في حومات المعارك الفكرية [1].

وقف البلاغي قبال النصارى، و بين لهم سمو الإسلام على جميع الأديان، كما تصدى للفرق المنحرفة كالبابية[2] و القاديانية[3] و غيرهما، و قد بلغت شهرته أقاصي البلاد، حتى أن أعلام أوروبا كانوا يفزعون إليه في المسائل العويصة، و قد ترجمت بعض مؤلفاته إلى الإنجليزية للاستفادة منها.

تميز البلاغي بدراسته الأديان و الرد على أهل الكتاب و أباطيلهم، و قد ساعده على ذلك تمكنه من اللغات العبرية و الفارسية و الإنجليزية بالإضافة إلى اللغة العربية [4].

و قد كان بالإضافة إلى غزارة علمه أديبا كبيرا و شاعرا .توفي العالم الإمامي ليلة الاثنين 22 شعبان 1352 هـ (1931م) [5]، و قد خلف ثروة فكرية كبيرة خاصة في الرد على النصارى [6]، بالإضافة إلى مؤلفات في الإلهيات و الفقه و أصوله و تفسير القرآن، كما كتب عن فقه الشيعة الإمامية[7] ، وألف كتبا كثيرة في الشعر و الأدب.

1- محمد جواد البلاغي، **الهدى إلى دين المصطفى**، ص9.

2- حركة نشأت سنة 1844م، تحت رعاية الاستعمار الروسي، واليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزي، أسسها المرزا علي محمد رضا الشيرازي (1819-1849م)، وأعلن أنه الباب سنة1844م، ومن المعتقدات البابية أن الباب هو المبدأ الذي ظهر عنه جميع الأشياء، كما يؤمنون بالتناسخ وخلود الكائنات، ويقدسون العدد 19، ويؤولون القرآن تأويلات باطنية، وتنتشر في إيران، ولبنان وفلسطين.(**الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب الإسلامية**، ص61-62).

3- حركة نشأت سنة1900م، بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في القارة الهندية، وقد كان المرزا غلام أحمد القادياني(1839-1908) أداة التنفيذ الأساسية، من معتقداتهم أن الغلام هو المسيح الموعود، كما يعتقدون أن النبوة لم تختم بسيدنا محمد ﷺ وأن كل مسلم كافر حتى يدخل القاديانية.(المرجع نفسه، ص389-390)

4- **التوحيد و التثليث**، ص9 - 10.

5- المصدر نفسه، ص10. و **الهدى إلى دين المصطفى**، ص19.

6- أهمها ما يلي: الهدى إلى دين المصطفى (في الرد على النصارى) الرحلة المدرسية (في الرد على اليهود و النصارى)، أعاجيب الأكاذيب(في الرد على النصارى) ،عمانوئيل في المحاكمة مع بني إسرائيل، داعي الإسلام و داعي النصارى، التوحيد و التثليث(في الرد على النصارى) ،رسالة في الرد على جرجيس سايل و هاشم العربي (في الرد على النصارى)المسيح و الأناجيل، رسالة في الرد على كتاب ينابيع الإسلام " ، رسالة في الرد على كتاب " تعليم العلماء " (في الرد على النصارى).(**التوحيد و التثليث**، ص11 و **الهدى إلى دين المصطفى**، ص13 - 16).

7- هم القائلون بإمامة علي- رضي الله عنه-نصا ظاهرا وتعيينا صادقا، و يرون أنه لاشيء في الإسلام أهم من تعيين الإمام، وقد قالوا باثني عشر إماما آخرهم السرداب بسمراء، تنتشر هذه الفرقة في إيران والعراق وباكستان وهناك طائفة في لبنان.(**الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب الإسلامية**، ص299-304 و الشهرستاني: **الملل والنحل**، ص1621-163.)

المطلب الثاني : الرد على نصوص العهد القديم

ركز البلاغي على الرّد من خلال النصوص، فلم يتناول أدلة النصارى العقلية بل عمـــد إلى أدلتهم النقلية و انتقد أهم النصوص التي يرتكز عليها النصارى في القول بالتثليث و هي كالآتي :

أولا : إستدلال النصارى بما جاء في سفر التكويـن [1]: " **في البدء خلق الآلهة** ... و **دعا الآلهة** ... و قال الآلهة " حيث جاءت لفظة إلوهيم (אֱלֹהִים)بصفة الجمع مما يدل على أن الآلهـة ثلاثة.

و يرد البلاغي، بأن علامة الجمع في اللغة العبرية هي الميم بعد الياء (ים)، و قد تجـيء في أواخر الأعلام نحو " موفيم " (מֻפִּים) و " حوفيـم " (חֻפִּים) ولـدا بنيـامين(בִּנְיָמִין)، وحوشيم (חֻשִׁים) بن دان و شليم (שַׁלֵּמִים) بن نفتالى [2] و شحريم (שַׁחֲרַיִם) و حوشيم امرأته[3].

و قد تجيء في أواخر أسماء الأجناس ، كما جاء في الشعير (شعريم) (שְׂעֹרִים) ،أو في العد س "عد سيم" (עֲדָשִׁים) ، وفي الماء "ميم" (מַיִם) [4] ، و العنب "عنبيـم" (עֲנָבִים) ، والرمان " رمنيم" (רִמֹּנִים) [5].

و يتساءل البلاغي لماذا لا يكون لفظ " **إلوهيم**" علما مفردا هو اسم الله جل شـأنه، و إن وقعت الميم في آخره كما وقعت في الأعلام التي ذكرت.

و يؤكد ذلك أن اللفظة لم تقترن في الأصل العبراني بعلامة التعريف و التي هي " الهـاء" (ה) في الموارد التي ذكرت، فلم يقل " هإلوهيم "(הָאֱלֹהִים) مما يوضح العلمية،فقد جاء في التوراة الرائجة اسم علم يلحق بالميم تارة، و يجرّد منها أخرى. وهذا مثل: " بني عنـاق" (בְּנֵי עֲנָק) أي ابـني عناق ،وتارة أخرى" يلدى هاعناق"(יֶלֶד הָעֲנָק) أي أولاد عناق [6] ،وتارة أخرى يقولون"

1- 1/1-6.

2- أنظر: **تكوين**،46 / 21 -25.

3- أنظر: **تاريخ الأيام الأول**، 8/8.

4- أنظر: **خروج**، 9/4

5- أنظر: **عدد**، 23/13، و تاميم (التين) **عدد**، 23/13 ، وتفوحيم (التفاح) **نشيد الإنشاد**، 9/7، وزيتيـم (الزيتـون) **زكريا**، 12/4، و بستيم (الكتان) **إشعيا**، 9/19 ،و حطيم (الحنطة) **نشيد الإنشاد**، 3/7 إلى غير ذلك.

6- **عدد**، 33/13، **تثنية**، 2/9.

بني عناقيم"(בְּנֵי עֲנָקִם) [1] ،فلو كانت لفظة " إلوهيم " اسم جنس أو جمعا لما حسن تجردها من علامة التعريف .

بالإضافة إلى أن التوراة خاطبت موسى عليه السلام، في شأن هارون بهذا القـــول: " و أنـت تكون له إلها" (וְהָיָה הוּא יִהְיֶה־לְּךָ לֵאלֹהִים) [2] و خاطبته أيضا بمـــا يلـــي: " جعلتك إلها لفرعون" (רְאֵה נְתַתִּיךָ אֱלֹהִים לְפַרְעֹה) [3] فهذا دليل علـــى أن " إلوهيم" ليست مجموع إله ذو ثلاثة أقانيم.

و يضيف البلاغي، أنه من المتعارف في المحاورات العبرانية، أن لفظ " إله"، يلحقون الميم به و بوصفه، مع أنهم لا يريدون إلا الواحد المفرد . و يظهر هذا من محاورة شاول مع صاحبة الجـــان إذ قالت له: "رأيت آلهة يصعدون من الأرض"(אֱלֹהִים רָאִיתִי עֹלִים מִן־הָאָרֶץ) [4] ففهم أنه واحد فقال لها : ما صورته ؟ فقالت " رجل شيخ صاعد و هو مغطى بجبّة". فمن الواضـــح أن"إلوهيم" يراد به الواحد مع أنه مقرون بالميم بعد الياء [5].

ثانيا : جاء في التوراة " و قال الإله ، لنعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ... الإنســان صار كواحد منا..." [6] (וַיֹּאמֶר אֱלֹהִים נַעֲשֶׂה אָדָם בְּצַלְמֵנוּ כִּדְמוּתֵנוּ)

فقد استدل النصارى على أن الإله مثلث الأقانيم، بوجود كلمـــة(נַעֲשֶׂה) " نعمـــل" بصيغة الجمع.

و يذكر البلاغي، أن التوراة العبرانية بها كثير من الأخطاء، كما كثر اضطرابها بشأن الفعـــل وهيئته، فتارة تقول في الفعل **يرتحلون** (יִסָּעוּ) " يسعو"بالياء [7]، وتارة تقول (יִסְעוּ)"نسعو"

1- أنظر:**عدد**،22/13، و28.

2- أنظر: **تثنية**، 28/1 و 2/9 و **يشوع**، 15/13-14.

3- **خروج**، 16/4.

4- **خروج**، 1/7.

5- محمد جواد البلاغي: **التوحيد والتثليث**، ص49-50

6-**صموئيل الأول**، 28/13-14 .

7- **عدد**، 9/ 17-20.

بالنون "نرتحل" [1].

و ذكرت اسما واحدا من أولاد شمعون بن يعقوب تارة (יְמוּאֵל) "يموئيل"[2]،و تارة أخرى (נְמוּאֵל) " نموئيل" [3].

و تارة تقول في **أعطى** للماضي الغائب المفرد(יִתֵּן) "يتن"[4] ،وتارة تقول (נְתַן) "نتن"[5].

و تقول في **خلق** للمفرد المذكر(יְנַצֵּל) " يشبع" بالياء ،و(נְנַצֵּל) "نشبع" بالنون [6] و أمثال ذلك كثير في العهد القديم.

و يقول البلاغي تعليقا على ما تقدم: " ولماذا لا تكون النون في(נַעֲשֶׂה) "نعسه" كهذه النونات في عدم الدلالة على إرادة غير المفرد، بل جيء بها كغيرها مما ذكرنا " [7].

و يضيف ردا على هذا الدليل بأنّه من المحتمل أن تكون(נַעֲשֶׂה) " نعسه"، فعل مضارع مبني للمجهول، ترجمته " يصنع" فقد جاءت في التوراة و اللغة العبرانية، النون في أول الفعل المبني للمجهول المستند إلى المفرد الغائب، ويؤتى بالنون في أوله علامة للبناء للمجهول و من أمثله ذلك:

تقطع :(נִכְרְתָה) "نكرتاه" [8]

يحرق :(נֵאָכֵל) "نأكل "[9]

يقدم :(נִקְרָב)" نقرب "[10]

يكسر :(נִנַּצֵּל) "نشبر " [11]

1- **عدد**، 21/9 و18/10،21..

2- **تكوين**، 10/46، **خروج**، 15/6.

3-عدد، 12/26.

4،5 –تكوين، 53/24.

6- **لاويين**، 14/5، 22.

7- **التوحيد و التثليث** ،ص51-52.

8- **خروج**، 19/12.

9،10، 11- **خروج**، 5/12 ، 6، 9.

ينهب :(נְבֵּהוּ) " نشبّاه " [1]

يباع : (נִמְכָּר) "نمكّر" [2]

يبقى : (נוֹתָר) "نوتر" [3]

فمن الممكن أن تكون كلمة " نعسه" فعل ممني للمجهول ترجمته يصنع، ويؤكد ذلك أن آدم وقع في الفقرة نائب فاعل، فلو كانت " نعسه" فعلا مبنيا للفاعل ،و " آدم " مفعولا، لقيل(נַעֲשֶׂה אֶת אָדָם) " نعسه آت آدم "،لأن لفظة(את) " آت" لازمة في اللغة العبرية للمفعول به ، ولا تذكر مع نائب الفاعل، فعدمها في الفقرة المذكورة حجة قاطعة على أن " نعسه " فعل مبني للمجهول و آدم نائب فاعل [4].

ثالثا : جاء في التوراة " على صورتنا كشبهنا" [5] و قد استدل النصارى على وجود التثليث بهذه الفقرة، إذ تكلم الله بصيغة الجمع و لم يتكلم بصيغة المفرد.

و يرد البلاغ ،بأن الاعتماد على هذا النص(בְּצַלְמֵנוּ כִּדְמוּתֵנוּ)"بصلمنو كدموتنو " "هوإعتماد واه و تشبث سخيف، يعرف سخافته كل من وقف على الغلط الفاحش في الأصل العبراني ... وكل من وقف على الهرج و المرج القائم في أمر النون في أواخر الكلمات " [6].

فقد ذكرت التوراة اسما في آخره نون وحذفتها عند النسبة إليه، وهو " نعمان و نعمي"، (נַעֲמִי)و (נַעֲמָן) [7]وأحيانا تزيد النون عند النسبة إلى ما لا نون فيه نحو " أدموني" (אֲדָמוֹנִי) للأحمر من(אֲדֹם)" أدوم"[8]، وكذلك (שִׁלֹה)/(שִׁלֹנִי) " شلاه و شلاني" [9].

1- خروج، 5/12 ، 6، 9.

2- لاويين، 39/25.

3- خروج، 10 /15 و عدد 65/26.

4- التوحيد و التثليث،ص 54.

5- تكوين، 27/1.

6-التوحيد والتثليث،ص 54.

7-عدد، 26، 40.

8-تكوين، 25/25.

9- عدد، 20/26.

و تقول في بعد: (לְעֹד)"عود"[1]، وبعدك: (לְעֹדְךָ)"عودك"[2] وفي بعده : (לְעֹדֶנּוּ) "عودنو" [3]. و تقول في تحت -أي عوض-(תַּחְתֶּנָּה) "تحتنه" أي عوضها[4]، وفي تفتح و تتفتح (תִּפְקְחוּ) و(תִּפָּקַחְנָה)"تفقحوا وتفقحنه"[5].

و قالت التوراة أيضا في الوثن الذي سمته (תּוֹעֵבָה)"توعباه" أي قبيحا أو رجسا: (כִּי תוֹעֲבַת מִצְרַיִם הִוא לָכֶם) [6] أي بغضا تبغضه و كراهة تكرهه.

فالنون إذن في قول التوراة (בְּצַלְמֵנוּ כִּדְמוּתֵנוּ)" على صورتنا كشبهنا"، سبيلها كسبيل الموارد المذكورة، و أمثالها كثير جدا من حيث الغلط في الكتابة و التوسع في اللغة [7].

بالإضافة إلى أن التوراة نزهت الله عن الصورة و الشبيه ،حيث جاء " لأنه من في السماء يعادل الرب. من يشبه الرب بين أبناء الله " [8] وكذلك "فبمن تشبهون الله و أي شبيه تعادلون به. الصنم يسبكه الصانع و الصائغ يغشيه بذهب ويصوغ سلاسل فضة .....فبمن تشبهونني فأساويه يقول القدوس " [9] وكذلك : " بمن تشبهونني وتسوونني و تمثلونني لنتشابه" [10]. فكل هذه الفقرات تنفي الشبه عن الله عز وجل.

رابعا : جاء في التوراة " هلم ننزل و نبلبل هناك لسانهم" [11]. فهذا دليل على أن الإله مثلث الأقانيم، فقد قال نترل واستعمل صيغة الجمع.

1-تكوين، 3/45.

2-تكوين ، 46/ 30.

3-تكوين، 27/43،28.

4- تكوين، 21/2.

5- تكوين، 7/3.

6- تثنية، 26/7.

7- التوحيد والتثليث، ص55.

8- مزمور 89/6.

9- إشعيا، 18/40- 25.

10- إشعيا، 5/46.

11- تكوين، 7/11.

ويرد البلاغي، بأن التوراة قالت قبل ذلك " فنزل الرب لينظر المدينة و البرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما، وقال الرب : هو ذا شعب واحد، و لسان واحد لجميعهم، وهذا ابتداؤهم بالعمل، والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه هلم ننزل و نبلبل هناك لسانهم " [1].

وحاصل هذه الخرافة، هو أن الله يقول إن بناءهم بهذا الاستحكام سيؤول إلى استقلال تلك الرعية، فلا بد من تدارك الأمر قبل أن يحدث ما لا يمكن دفعه، لذلك قال هلمنترل، فلا بد أنه طلب النزول ممّن لم ينزل معه من الملائكة.

و أما من قال بأن ذلك الطلب للأقنومين اللذين بقيا في السماء و لم ينزلا معه، فيرد البلاغي عليه بقوله : " سامحناك في سخافة هذا الزعم، ولكنه دعوى بلا شاهد . ولو بمثل سخافتها، ولماذا لا يكون طلبا لنزول جند السماء وروح الكذب؟ " [2]. فقد ذكر في العهد القديم في تاريخ " أخاب" ملك إسرائيل، أن الرّب كان جالسا على كرسيه و كل جند السماء وقوف، فاستشارهم فيمن يقوى " أخاب" فتفاوضوا في المشورة، إلى أن توفق روح الكذب للرأي السديد، ففوض إليه العمل لأجل اقتداره [3].

ويتساءل البلاغي، فلما لا يكون قوله " نترل" خاص بجند السماء ؟ [4].

خامسا : جاء في التوراة : " ثم قال أنا إله أبيك إبراهيم و إله إسحاق و إله يعقوب " [5] فتكررت لفظة الجلالة ثلاث مرات إشارة إلى أن الله واحد ذو ثلاثة أقانيم .

وبغض النظر عن هشاشة هذا الدليل، يرد عليه البلاغي و يقول بأن النص في الأصل العبراني

(אֱלֹהֵי אָבִיךָ אֱלֹהֵי אַבְרָהָם אֱלֹהֵי יִצְחָק וֵאלֹהֵי יַעֲקֹב)

بمعنى " إله آبائك إله إبراهيم إله إسحاق و إله يعقوب ".

1- **تكوين**، 11/5-7.

2- **التوحيد والتثليث** ، ص 57.

3- أنظر: **الملوك الأول**، 22/19-23 و **الأيام الثاني**، 18/18-22.

4- نظن أن النصارى قد ورطو أنفسهم باستدلالهم بالفقرة المذكورة سابقا وذلك لأن زعمهم بأن الأقنومين الآخرين بقيا في السماء، دليل على انفصال الأقانيم و تعدد الآلهة و القول بالثالوث الذي يرفضونه و انتقاد لقولهم " إله واحد ثلاثة أقانيم " .

5- **خروج**، 6/3. وكذلك 15/3 و 5/4.

فلفظ الجلالة هنا تكرر أربع مرات ، و إن كان اعتمادهم على المغايرة بالعطف بالواو، فليس في المقام إلا عطف واحد، فإن اعتمدوا على هذا الدليل فليس أمامهم إلا أن يقولوا إن الإلـــه أربعـــة أقانيم أو أقنومين كقول المجوس [1].

سادسا : جاء في التوراة بخصوص ضيوف إبراهيم عليه السلام " **ظهر لـه مـلاك الـرب عنـد بلوطات** (ممرا) و هو جالس في **باب الخيمة وقت حـر النـهار فرفـع عينـه و نظـر و إذا ثلاثـة رجـال واقفون لديه** . فلمّا نظر ركض لاستقبالهم **من باب الخيمة وسجد إلى الأرض**" [2] ، فوجـــود ثـــلاثة رجال دليل على أن الأقانيم ثلاثة.

و يضيف البلاغي بأن التوراة كثيرا ما تسمى الملاك بالله و الرّب، جهلا من كاتبها الذي قـد يكون دفعه إلى ذلك طوايا الوثنية و عبادة جند السماء.

فالتوراة تقول بأن الرّب يسير أمام بني إسرائيل [3]، و بأن السائر هو **ملاك الرب** [4].

كما تقول إن الذي ظهر لموسى في عليقة النار هو ملاك الرب [5] ثم تقول بأنّ الذي ظـــهر هو الرّب الإله [6] ، و تقول إن الذي كلّم موسى هو الله [7]، ثم تقول إن الملاك الذي كان سائرا مع موسى في البرية هو الذي كلمه [8].

ويتساءل البلاغي كيف يدعو إبراهيم ضيوفه إلى الضيافة و ليغسلوا أرجلهم و يتكئوا تحت

1- **التوحيد والتثليث**، ص58-59.

2- **تكوين**، 18/1-8.

3- أنظر : **خروج**، 21/13 ، 24/14 ، **عدد**، 14/14 و **تثنية**، 32/1،33.

4- أنظر : **خروج**، 19/14 و **عدد**، 16/20.

5- أنظر : **خروج**، 2/3.

6- أنظر : **خروج**، 16/3.

7- أنظر : **خروج**، 4/3، 11 و 10/4 ، و**عدد**، 8/12.

8- أنظر : **أعمال الرسل**، 38/7.

الشجرة و يسندوا قلوبهم بكسرة خبز و هو يعلم بأنهم آلهة ؟ [1].

سابعا : جاء في المزامير " قال داود بكلمة الله صنعت السماوات و بروح فيه كل جنودها " [2] فقد ذكرت كل الأقانيم في الفقرة، الله و كلمته وروحه.

ويرد البلاغي بأنه في نفس المزمور جاء فيه " ... **ليخف كل سكان المسكونة. لأنه قال فكان، هو أمر فصار** " [3]. وفي المزامير أيضا " **لتسبح اسم الرب لأنه أمر فخلقت** " [4].

وجاء في الأناجيل " **قد كتب الله ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله** " [5].

فمن الواضح أنّ الكلمة في الفقرات السابقة كناية عن المشيئة التكوينية التي يعبر عنها بـ (كن ولتكن ، وكلمة) ، وقد ذكرت التوراة خلق الأشياء بقوله تعالى " لتكن" [6].

المطلب الثاني : الرد على نصوص العهد الجديد

ردّ البلاغي على أهم النصوص التي يعتمد عليها النصارى في الاستدلال على ألوهية المسيح، وعقيدة التثليث، و التي أهمها ما يلي :

أولا : يستدل النصارى بنصوص العهد الجديد على بنوة المسيح الإلاهية، فقد كثر تسميته فيها ب "ابن الله" و " الرّب" [7] .

1- بالإضافة إلى ما ذكر البلاغي فإن الله " الأب " كما يسمونه، لا يمكن رؤيته فقد جاء في إنجيل **يوحنا** 18/1: " الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذي هو في حضن الأب هو خبر " فكيف يمكن لإبراهيم أن يراه ؟ .فهذا دليل على أن الذين رآهم إبراهيم ليسوا الله مثلث الأقانيم

2- **مزمور 33**/6.

3- **مزمور 33**/9.

4- **مزمور 148**/5 وكذلك **تثنية**، 3/8.

5- **متى**، 4/4 و **لوقا**، 4/4.

6- راجع: **تكوين**، الإصحاح الأول . **التوحيد والتثليث**، ص63.

7- مثال ذلك ما جاء في **متى**، 3/21 ، **مرقس**، 3/11 و**لوقا**، 31/19.

و يرد البلاغي بقوله: " و هذا اصطلاح جرى عليه العهدان في أن المؤمنين و الصالحين يسمون ابن الله البكر و أبناء الله و أولاد الله، ومولودين من الله، و الله ولدهم ، و الله أبوهم، ولا يسهل أن يحصى ذلك من العهدين لكثرته" [1] .

و أما بالنسبة لكلمة رب فيقول بأن ترجمتها العبرية " רַב " أي السيد أو المولى، كما " أن الإنجيل نفسه يصرح بأن لفظ الرب تفسيره " المعلم"، مثال ذلك ما جاء في إنجيل يوحنا: " **والتفت يسوع فرآهما يتبعانه، فسألهما ماذا تريدان ؟ فقالا " رابي" أي يا معلم أين تقيم** " [2] ،وكذلك "**فناداها يسوع " يا مريم" فالتفتت و هتفت بالعبرية " ربوني " أي يا معلم** " [3].

وذكرت حواشي العهد الجديد أن المذكور في إنجيل متى 7/23 في العربية " سيدي يا سيدي " وهي في الإنجيل: " **و أن تلقى عليهم التحيات في الساحات، وأن يدعوهم الناس " يا معلم يا معلم** ..." و الواضح أن السيّد و المعلم لهما نفس المعنى.

وهذه الفقرة في اللغة العبرانية(ويقصد بالعبرانية، نسخة متى الأصلية). "רַבִּי רַבִּי" (ربي ربي).

ويشهد لذلك قول متى في نفس الفقرة " **لأن معلمكم واحد** " و"هذه شهادة كافية من ذات الإنجيل على أن اللغة العبرية التي هي لغة المسيح و خصوصا في خطابه للتلاميذ و اليهود يدعى فيها الرئيس و المعلم **الرب وربي** و المذكور في إنجيل يوحنا 5/3، في العربية " **يا معلم** " وهو في اليونانية "**ربي**" [4].

كما أن نفس الأناجيل تذكر أن **الرب محتاج** و الرب لا يحتاج إلى أحد، و الأناجيل تشهد أن المسيح لم يكن يمكنه تبيين مراتبه من النبوة و الكمال البشري لبني إسرائيل، فكيف يدعى الألوهية؟

1- أنظر مثلا: **تكوين**، 2،4/6. **تثنية**، 1:4، **تاريخ الأيام الأول**، 10/22، **هوشع**، 10/1، متى، 6/6-32، **يوحنا**، 12، 13. **رسالة يوحنا الأولى**، 1،2،9،10/3 و 1،2،4/5 إلى غير ذلك. محمد جواد البلاغي: **الهدى إلى دين المصطفى**، ج2، ص 314.

2- **يوحنا**، 38/1.

3- **يوحنا**، 16/20.

4- **الهدى إلى دين المصطفى** ، ج2، ص 315.

وقد كان المسيح عليه السلام إذا أراد أن يعبر عن نفسه يسمي نفسه "ابن الإنسان"، كما كان يدعى النبي [1]، وهو النبي الذي أخبر عنه موسى [2]، وسمى رسول الله و خاصة في إنجيل يوحنا.

ثانيا : يستدل النصارى على ألوهية المسيح بهذا النص : " **وفيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع ماذا تظنون في المسيح. ابن من هو. قالوا له ابن داود.قال لهم فكيف يدعوه داود بالروح ربا قائلا قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك، فإن كان داود يدعوه ربا، فكيف يكون إبنه ...** "[3].

و يقول البلاغي بأن الأصل العبري لما جاء في المزامير [4] و الذي وضعه كاتب الإنجيل في الفقرة السابقة، هو: (נְאֻם יְהוָה לַאדֹנִי שֵׁב לִימִינִי ...) بمعنى قال الرب لسيدي وقد غيرت من كلمة " سيدي" إلى " ربي" عند ترجمتها إلى اللغات الأخرى.

ويرى البلاغي بأنه لا منافاة بين أن يكون المسيح ابن داود و بين أن يدعوه داود " سيدي" فكثير من الأنبياء يكونون بشأنهم الجليل ورتبهم العظيمة سادة لآبائهم، كما يكون الأنبياء بالنسبة إلى آبائهم الذين ليسوا بأنبياء، ومقام المسيح عليه السلام في النبوة و الرسالة ليقتضي لداود و إن كان نبيا أن يدعوه سيدا.

ويعزو البلاغي سبب قول النصارى بأن المسيح رب داود، إلى كون إنجيلهم صرح بأن المسيح ابن داود، و لأنهم يعلمون أن ابن البشر لا يكون إلها ولا ربا فقالوا بمثل ذلك [5].

ثالثا : استدل النصارى بتسمية المسيح **صورة الله** على ألوهيته " **الذين أعمى إله هذا العالم أذهانهم حتى لا يضيء لهم نور الإنجيل المختص بمجد المسيح الذي هو صورة الله** "[6]

1- أنظر : **أعمال الرسل**، 20/3، 25.

2- أنظر : **تثنية**، 15/18.

3- **متى**، 41/22-46، أيضا **مرقس**، 35/12-38 **ولوقا**، 41/20-45.

4- **مزمور 1/110** " قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك".

5- **الهدى إلى دين المصطفى**، ج2, ص316.

6- **الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس** ، 4/4.

ويرد البلاغي، بأنه جاء في سفر التكوين أنّ آدم صورة الله[1]، و ذكر الإنجيل أيضا أن الرجل صورة الله " ذلك أن الرجل عليه ألا يغطي رأسه،باعتباره صورة الله ومجده، وأما المرأة فهي مجد الرجل "[2]، فإذا كان سبب تأليه المسيح كونه صورة الله,فآدم أيضا صورة الله وكذلك الرجل،بتصريح الإنجيل نفسه.

رابعا:يرى النصارى أنّ أقوى دليل على عقيدة التثليث، ما جاء في إنجيل متى :" **فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس**"[3].

ويرى البلاغي بأن معنى هذه الجملة "عمدوهم باسم الإله واسم النبي، العبد الصالح صاحب الدعوة ومبلغ الرسالة، واسم الروح القدس الملك المتوسط بين الله ورسله"[4].

فالابن في اصطلاح العهدين هو الموحد و المؤمن، فقد سمت التوراة بني إسرائيل بالابن البكر[5]، و جاء في متى: " فتكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات "[6]. وعلى هذا الأساس لا يمكن أن يقصد بالبنوة، البنوة الإلهية، لأن شأن المسيح في ذلك شأن جميع بني إسرائيل وكذلك الحواريين[7].

خامسا : يستدل النصارى على التثليث بهذا النص : " **فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة : الأب و الكلمة و الروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد** "[8].

1- راجع: 27/1.

2- **الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس**، 7/11.

3- متى،19/28.

4- **التوحيد والتثليث**,ص65.

5- راجع: **خروج**، 22/4،23.

6- 45/5.

7-**التوحيد والتثليث**،ص65-66.عرفنا في ص56 من البحث، أن الكتاب النصارى أنفسهم يعترفون أن صيغة التعميد كانت معروفة في الكنيسة في الوقت الذي كتب فيه متى إنجيله ما بين سنتي 80-90م ، فمن الممكن أن متى أو كاتب الإنجيل أضافها حتى ينسبها إلى المسيح عليه السلام.

8- **رسالة يوحنا الأولى**، 7/5.

يرد البلاغي، بأن كثيرا من النصارى أنكروا هذه الفقرة، بالإضافة إلى أنها أسقطت من عدة ترجمات، و أكثر مطبوعات الكتاب المقدس تجعلها بين الخطين الهلاليين الذين هما علامة الشك، كما أنها غير موجودة في أقدم النسخ و أصحها [1]

سادسا : إن سجود بعض الأشخاص للمسيح، كمريم المجدلية و مريم أم يعقوب و التلاميذ، دليل على ألوهية المسيح إذ كيف يرضى أن يسجد له لو لم يكن إلها حقيقيا؟.

يرد البلاغي بأن التوراة نقلت سجود البشر للأنبياء، والأنبياء للبشر، وسجود النبي للنبي، فإبراهيم سجد لشعب الأرض لبني حث وكان هؤلاء مشركين [2]، ويعقوب عند ملاقاته لعيسو سجد إلى الأرض سبع مرات، وسجد نساؤه أيضا، وأولاده لأنهم كانوا خائفين منه [3]، وأخوة يوسف سجدوا له [4]، و سجد يوسف أمام وجه أبيه[5]، وموسى خرج لاستقبال حميه وسجد له وقبله[6]، وسجد داود ثلاث مرات لما ودع يوناثان بن شاول [7]، وسجد ناثان النبي لداود النبي [8]، وسجد سليمان النبي لأمه[9].

فلا يمكن اعتبار سجود بعض الأشخاص للمسيح دليلا على ألوهيته، لأن التوراة كما رأينا سجلت سجود العديد من البشر للأنبياء و لم يعتبروا آلهة.

سابعا : يستدل النصارى على ألوهية المسيح، بقول توما للمسيح: " ربي و إلهي" و أن المسيح ارتضى ذلك .

1- **التوحيد والتثليث**، ص 66. يذكر أحمد ديدات لاحقا أدلة أكثر دقة بخصوص زيادة هذا النص، راجع ص 299 .

2- **تكوين**، 12،7/23.

3- **تكوين**، 7-3/33.

4- **تكوين**، 6/42 ، 28،26/43.

5- أنظر : **تكوين**، 12/48.

6- أنظر : **خروج**، 7/18.

7- أنظر : **صموئيل الثاني**، 21/1.

8- أنظر : **ملوك أول**، 23/1.

9- أنظر: **ملوك الثاني**، 19/1.

ويرد البلاغي بأن لفظ الرب تفسيره المعلم [1]، و قد ذكر يوحنا أن المسيح قال للتلاميـــذ: "إني أصعد إلى أبي و أبيكم و إلهي و إلهكم " [2]، فإن كان إله التلاميذ و منهم توما هو إله المسـيح، فكيف يكون المسيح هو إله توما ؟ و المسيح قد قال مرارا بأنه مرسل من الله [3]، كما صرح بـــأن الأب أعظم منه[4]، وبأنه لا يعلم الساعة[5]، وأنه غير قادر على الفعل و العطاء إلا بعون الله تعالى[6].

ثامنا : إن الدليل على ألوهية المسيح هو قيامه من الأموات.

ويرد البلاغي بأن المسيح لما أراد إحياء أليعازر اتجه إلى الله حتى يمكنه من إحيائه و يثبـــت بذلك رسالته " ..... ورفع يسوع عينيه إلى السماء و قال : **أيّها الأب ، أشكرك لأنك سمعت لي، وقد علمت أنك دوما تسمع لي و لكنني قلت هذا لأجل الجمع الواقف حولي ليؤمنوا أنك أنت أرسلتني**"[7].

فالمسيح لم يكن يقوم بالمعجزات إلا بعون الله، فكيف له أن يقوم من القبر بنفسه، بالإضافـــة إلى أن الكتاب المقدس يذكر في أكثر من عشرين فقرة، أن الله أقام المسيح من الأموات [8]

تاسعا: إنّ الدليل على ألوهية المسيح، ولادته من الروح القدس.

ويرد البلاغي من وجهين.

1- إنّ أزلية الإله وكماله ليسفه القول بألوهية من حدث بالولادة كيفما كانت، كيف لا وهي دليل النقص و الحدوث و الإمكان.

1- أنظر: **يوحنا**، 38/2.

2- أنظر: **يوحنا**، 17/20.

3- **يوحنا**، 3/17.

4- **يوحنا**، 28/4.

5- **مرقس**، 32/13.

6- **يوحنا**، 5 /30، 19 و **مرقس**، 5/6 و متى، 23/20.

7- **يوحنا**، 11/ 41-42.

8- راجع:**أعمال الرسل**، 2/3/4/10/13/7/، **رومية**، 8/4، غلاطية1، **أفسس1**، **تسالونكى1**، **بطـــوس1/2**، **كلوســـي1**، **العبرانيين13**.

ب- إن آدم المتكون بلا ولادة، أولى بالوصف بالألوهية من المسيح المولـــود مـــن الـــروح القدس[1].

وبعد هذا العرض لردود البلاغي يمكن القول بأنه امتاز عن غيره من الرادين المسلمين بتمكنـه من اللغة العبرية، هذا السلاح الذي جعله يقف على عدة أخطاء في الترجمة تنبه إلى بعضها الـــرادون السابقون، لكن ليس بنفس الدقة.

كما ردّ تقريبا على جميع النصوص التي يعتمد عليها النصارى في القول بالتثليث، سواء مـــن العهد القديم أو الجديد .

و لم يرد البلاغي على الأدلة العقلية، بالرغم من قدرته على خوض غمارها، وربما يرجـــع ذلك لقناعته أن الأدلة النقلية هي الأصل، فإذا هدم الأصل أو النص فلا داعي للمناقشات العقلية.

وعموما نقول بأن البلاغي، أظهر براعة فائقة و تميّز واضح في رده على عقيدة التثليـــث النصرانية.

1- **التوحيد و التثليث**، ص 76.

المبحث الثالث

موقف أحمد ديدات من عقيدة التثليث.

المطلب الأول : حياتـــه

هو أحمد حسين ديدات،ولد بالهند سنة ألف وتسعمائة وثماني عشرة، لحق بوالده في جمهوريـــة جنوب إفريقية بعد تسع سنوات من ولادته، وأقام هناك حيث لقن تعاليم الإسلام في المركز الإســـلامي في مدينة ديربان [1]، وفي سنة 1934م أنهى مرحلة تعليمه الأولى[2].

عمل بعد ذلك في محل تجاري، ثم في مصنع للأثاث، وأخيرا عمل في دار لنشر الكتب النصرانيـة لمبشر نصراني أمريكي، وقد قام هذا المبشر برصد ما يمتلكه من أموال لخدمة الأهداف التبشيرية ،حتى أنـه خصص معهدا ملحقا بالمكتبة لتخريج المبشرين. وكان طلبة المعهد يحاولون تطبيق ما درسوه على أحمـد ديدات وغيره من الشباب المسلم [3] ويقول ديدات في ذلك : "عندما كنت أشتغل مساعد بـــائع عـــام 1939م بجانب معهد لتخريج الوعاظ، كنت وأصدقائي هدفا دائما لخريجي هذا المعهد ، فلم يكن يمر يـوم لا يضايقنا فيه هؤلاء بإهانتهم للإسلام والنبي والقران"[4].

ونتيجة هذه الظروف التي أحاطت بالداعية، كرس جهده ووقته لدراسة الإسلام، والتعمق في

1- هي مدينة بجنوب إفريقيا، تقع في الجنوب الشرقي، تطل على المحيط الهندي، تأسست في سنة 1835م، على يد المســـتعمر البريطاني، وتطورت بسرعة نظرا لاكتشاف الذهب به، وأغلب سكانها من أصل آسيوي.(**Mon Encyclopédie**, CD-ROM 1)

2-أحمد ديدات: **المناظرة الحديثة بين ديدات وسويجرت**،جمع وترتب: أحمد مجـازي السـقا، ط [ ]، (الجزائـر : مكتبـة رحاب،ت[ ])، ص 13 . و المسلم في الصلاة ، ترجمة : علي عثمان ط [ ] (الجزائر: :دار الهدى) ص 5.

3- أحمد ديدات : **المسلم في الصلاة، -مقارنة بين صلاة المسلمين وصلاة أهل الكتاب-**، ترجمة: علي عثمان (الجزائـر: دار الهدى، ت[ ])ص 5-6.

4- أحمد ديدات : **هل الكتاب المقدس كلام الله** ؟ ترجمة : نورة أحمد النومان، ط[ ]، (قسنطينة: دار البعـــث، ت[ ]) ، ص85.

علم مقارنة الأديان، و لم تكن دراسته أكاديمية، يقول ديدات: " قررت دراسة القرآن و الكتاب المقدس، والكتب التي تتحدث عنهما، و اكتشافي لكتاب **إظهار الحق** ، كان أول خطوة في تغيير مجرى حياتي، وبعد فترة كانت لدي القدرة على أن أدعو أولئك الوعاظ للمناقشة و أحرجهم بالحقائق المعروضة مما أضطرهم لاحترام الإسلام و نبيه " [1].

و أصبح صوت ديدات، يدوي في أرجاء المعمورة بين المسلمين و غيرهم بمناظراته، وكانت أول مناظرة له عام 1944م .

و في عام 1959م تفرغ للدعوة الإسلامية، و مناقشة النصارى و الرد عليهم ، وأقام مركزا يسمى المركز الإسلامي للدعوة [2].

وقد اهتم ديدات بعقيدة التثليث،لأنها حسب رأيه أصل الخلاف بين المسلمين و النصارى يقول في ذلك: " علينا أن نتجاوز القضايا الهامشية في مناظرتنا ، ونجادلهم في أصل الخلاف الذي هو قضية التوحيد" [3].

1- المصدر نفسه، ص 85.

2- **المسلم في الصلاة** ، ص 7.

3- أحمد ديدات : **بين الإنجيل و القرآن**، ط [ ]،(الجزائر : دار الهدى للطباعة و النشر) ، ص 8 .

المطلب الثاني : موقف ديدات من النسق التثليثي

ينتقد ديدات النص الوحيد الذي ذكر عقيدة التثليث في الكتاب المقدس، و الذي جاء في إنجيل يوحنا: " **لأن الذي يشهدون في السماء هم ثلاثة : الأب و الإبن و الروح القدس، هؤلاء الثلاثة هم واحد**"[1].

و يتساءل إذا كان يوحنا قد كتب هذه الفقرة بنفسه، ثم يقول ردا على تساؤله بأن مترجم المخطوطة اليونانية [2]، كتب يقول: " إن هذه الآية التي تشمل على الشهادة بالألوهية غير موجودة في أي مخطوط إغريقي مكتوب من قبل القرن الخامس عشر ، إنها لم تذكر بواسطة أي كاتب إكليركي إغريقي أو أي من الأباء اللاتينيين الأولين، حتى حينما يكون الموضوع الذي يتناولونه يتطلب بطبيعته الرجوع إليها ، لذلك فهي بصراحة مختلقة "[3].

وقد قام بإزالة هذا النص من الكتاب المقدس مراجعو النصوص المنقصة [4] – وهم اثنان وثلاثون عالما يساندهم خمسون من الطوائف المسيحية– بدون أي تفسير لتصرفهم.

ويقول ديدات بأن طبعتي العهد الجديد المقروءة عموما بين البروتستانت و الكاثوليك وهما نسخة جيمس و نسخة ديوى للكاثوليك ظهرتا عامي 1600م ، 1611 تقريبا أي منذ أكثر من 300 سنة لكليهما، و عندما ترجمت هاتان الطبعتان، لم تكن اللغة الإغريقية الكونية التي كتب بها مخطوطات الكتاب المقدس مفهومة في ذلك الوقت، كما هي عليه الآن، لذلك وقع المترجمون في أخطاء كثيرة، والتي قام بتصحيحها الدارسون المحدثون.

1- **رسالة يوحنا الأولى**، : 7/5.

2- و هو بنيامين بولس.

3- أحمد ديدات: **خمسون ألف خطأ في الكتاب المقدس و حوار مع البابا المسلمين**، ترجمة : رمضان الصفناوي، ط[ ]، (القاهرة : المختار الإسلامي، ت[ ]) ص12 .

4- كان مراجعو النصوص المنقحة أول من رجع إلى أقدم المحفوظات (Most ancient capies) ،و التي ترجع إلى ثلاث أو أربعمائة سنة بعد المسيح،و النصوص المقدسة المطبوعة قبل سنة1881م، كانت كلها تعتمد على المخطوطات القديمة (Ancient copies) . (مجلة: إستيقظوا لجماعة شهود يهوه ،عنوان المقال: خمسون ألف خطأ في الكتاب المقدس،عدد:8 سبتمبر 1957م.(نقلا عن،أحمد ديدات: **هل الكتاب المقدس كلام الله**،ص27)) .

كما ساهم علماء الآثار، في الأبحاث الخاصة بالكتاب المقدس، باكتشاف الكثير من المخطوطات[1] .

وبعد نقد ديدات لفقرة رسالة يوحنا، أخذ ينتقد عقيدة التثليث بالأدلة الفكرية، فقال بأن النصارى على اختلاف فرقهم، يقولون بأن الأب إله و الإبن إله و الروح إله، و لكن ليسوا ثلاثة آلهة،بل إله واحد، كما يقولون الأب عظيم، و الابن عظيم و الروح القدس عظيم، ولكن ليسوا ثلاثة عظماء بل عظيم واحد، و أيضا الأب شخص و الابن شخص و الروح شخص و لكن ليسوا ثلاثة أشخاص إنما هم شخص واحد.

ويتساءل ديدات بأي لغة يتكلمون، فالتمييز و التغاير لا يؤدي إلى الوحدة، و يعطي مثالا توضيحيا يقول فيه : " إن كنت أنت و أخواك الإثنان تكونون ثلاثيا متجانسا، لا نجد أي فرق بينكم أنتم الثلاثة، كلكم متشابهون،لكن إذا ارتكب أحد منكم جريمة قتل، أسأل هل نشنق الشخصين الآخرين؟ تقولون لا ، أقول لم لا؟ إنهم متشابهون، وعند إذن يكون الجواب: إنه شخص مميز" [2].

فعندما يقول النصارى باسم الأب والابن والروح القدس، فهذا يعني أن لهم ثلاث صور ذهنية متميزة في عقولهم، فهم عندما يذكرون الأب لا يرون الابن، و عندما ما يذكرون الإبن لا يرون الروح القدس، ولن يستطيعوا أبدا أن يركبوا الصور الثلاثة في صورة واحدة، وستبقى دائما ثلاثة أشخاص في أذهانهم، إلا إذا كان العقل مريضا يرى الثلاثة واحد.

و يسترسل ديدات في الرد على النسق التثليثي، ويقول بأن النصارى يكفرون من يقول بأن المسيح هو الأب، و يؤمنون بالثالوث المقدس و يقولون :إن المسيح هو الشخص الثاني في الثالوث، ويعبرون عن الثالوث بقولهم " باسم الأب و الابن وروح القدس"، ولا تذكر هذه العبارة أبدا بصيغ وترتيب آخر، و مع ذلك نجد النصارى في دعواتهم يقولون: " أيها الأب السماوي الودود أشكرك على المعجزات التي أنجزتها في حياتي، المعجزة الكبرى كانت أنك مت من أجلي لأنك تحبني كثيرا" [3].

1- أحمد ديدات: **خمسون ألف خطأ في الكتاب المقدس**،ص 13.

2- "المناظرة الكبرى الثانية ،ديدات و شروش: **هل المسيح هو الله ؟**"، الجزائر، جريدة النصر:1987/04/27م، ص6، العمود الثاني.

3-هذه العبارات كان كثيرا ما يرددها شروش مناظر ديدات في صلواته، هو و غيره من النصارى (المرجع نفسه، ص6.)

فكيف يقال إن المسيح هو الأب و المسيح ينفي ذلك بهذه العبارات: " **لا تدعو أحدا على الأرض لأن أباكم واحد وهو الأب الذي في السماوات** » [1].

المطلب الثالث : الرد على بنوة المسيح

يقول ديدات، بأن النصارى يستدلون على بنوة المسيح الإلهية، بما جاء في إنجيل يوحنا : " **لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل إبنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية**"[2].

و يضيف بأن الوعاظ و المبشرين و الدعاة المتحمسين، يستعملون كلمة " **المولود له**" في وعظهم مكان "**إبنه الوحيد** " و تلك العبارة موجودة في نسخة الملك جيمس " For God so leved the world he gave his only begotten son, that who soever. Believeth in him shonlol not pevish, but have ever Lasting life"

و يقول ديدات بأن نسخة الملك جيمس، فيها عيوبا خطيرة و كثيرة، وقد ذكر فيها أن المسيح " مولود الله" « Begotten » ،وقد قام مراجعو النسخة القياسية المنقحة، بحذف هذه الكلمة في صمت بعد أن اكتشفوا بأنها مدسوسة وملفقة، و المسيحيون بالرغم من حذفها من النسخ الحالية ماعدا نسخة الملك جيمس، لازالوا يستعملونها في الاستدلال على بنوة المسيح وولادته الإلهية [3] .

ويقول ديدات بأن كلمة « Begotten » كلمة كافرة، وهي واحدة من عدة كلمات محرفة في الكتاب المقدس، و الله بحكمته عارض هذه الكلمات بعد اختراعها، و لم ينتظر ألفي عام حتى يكتشف العلماء زيفها، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۞ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۞ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۞ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۞ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾[4]،و يعلق ديدات قائلا:فعلى العالم الإسلامي أن يهنئ الاثنين و الثلاثين عالما بالإضافة إلى الخمسين طائفة دينية،

1- متى 9/23.

2- يوحنا 16/3.

3- هل المسيح هو الله ؟ موضوع: 27/04/1987م، ص 6 .

4- مريم / 88-92.

لتقريبهم الكتاب المقدس لحقيقة القرآن ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [1].

فالإسلام يعارض مصطلح الولادة لأن الولادة بطبعها عمل حيواني، ينتمي إلى أحط الوظائف الحيوانية، وهذا لا يمكن أن ننسبه إلى الله تعالى عن ذلك [2].

وقد نفى ديدات هذه البنوة الإلهية، بدليل غاية في الدقة، فقد اتجه إلى موت الإله الإبن ،الذي يعتقد النصارى أنه حمل ذنوب العالم بأسره [3] ،و تساءل: " إذا الإله مات؟

إني أتساءل تعتقدون أن الإله مات ؟ تقولون إنه أبدي و خالد، ولكنه مات، إذا عندما يموت ماذا يحصل لخلقه... لو أن الرب العظيم ذهب نوره ،من الذي يسير كونه؟ و من الذي جعل النهار مبصرا عندما كان بعيدا مدة ثلاثة أيام و ثلاث ليال في قبره، طيلة هذه المدة من كان يشرف على الكون ؟"[4].

فديدات بتساؤلاته هذه نفى أمرين؛ أن يكون المسيح إلها، لأن الموت من خصوصيات المخلوقات و الإله لا يطرأ عليه العدم بحال من الأحوال، كما نفى إتحاد الأقانيم الثلاثة في إله واحد، فكأنه يقول: حين صلب المسيح هل أصبح الإله مثلث الأقانيم ناقصا أم أنه ظل كما هو؟ فإن أصبح ناقصا فالإله مثلث الأقانيم طرأ عليه النقص و التغيير، و هذا لا يجوز في حق الإله.

و إذا ظل الإله كما هو، فما فائدة صلب المسيح لتكفيره عن خطايا البشر؟، فإن كانت مجرد تمثيلية، تكون عقيدة الخلاص التي بنيت عليها العقيدة المسيحية مجرد خرافة.

و بعد نفى ديدات لاحتمال موت الإبن الإله، يرد على من قال بأن الله أو أقنوم الإبن يستطيع أن يكون رجلا و يمكنه أن يفعل أي شيء، بأن الله لا يمكنه أن يكون رجلا و أنه لا يمكن أن يفعل بعض الأشياء، مثال ذلك :

1–الله لا يستطيع أن يخلق إلها، هو غير مخلوق أبدي أزلي، فعندما يخلق أي شيء يكون هذا

1- *الإخلاص*/ 3.

2- أحمد ديدات : **هل الكتاب المقدس كلام الله**، ص 25، و المناظرة الحديثة، ص 135.

3- يتساءل ديدات بخصوص عقيدة الخلاص، كيف يمكن للأب الحي أن يقتل إبنه من أجل التكفير عن ذنوب البشر،، كأنه لم يتمكن من اصطلاحهم و تكفير خطاياهم، ثم يقول " ترتكبون ذنبا و يقتل إبنه؟ إني أتساءل هل هذا حب؟ شخص يسرقك أو يقتل زوجتك أو ولدك أو يعتدي على ابنتك و أنت لا تستطيع أن تفعل شيئا و تبقى مضطربا ، فماذا تفعل؟تذهب وتقتل إبنك الحقيقي، وتسمى هذا حبا، أقول هذا تصور خاطئ للعدالة و السلوك." (**هل المسيح هو الله**، جريدة النصر : 29/28 – أفريل 1989م، ص 6).

4-**هل المسيح هو الله**، جريدة النصر : 1989/04/27 ،ص6 .

الشيء مخلوقا، و هذا يعني أن الله لا يمكنه أن يخلق غير المخلوق.

2-لا يمكن لله أن يلقي بنا خارج ملكه، فالله يستطيع أن يمحق العباد ،لكنه لا يستطيع أن يرميهم خارج سيطرته، و خارج ملكه، و هذا لا يعني أنه محدود القدرة ، بل يعني كم هو قوي، وسيطرته تمتد إلى أي مكان يمكن التفكير فيه و ما وراءه.

فالله إذن يستطيع فعل أي شيء، ولكن ما يفعله هو إلهي، وعلى ذلك لا يمكن لله أن يخلق إلها آخر و يجعله إبنا له [1].

المطلب الرابع : الرد على الأدلة النقلية

أولا :نصوص العهد القديم.

جاء في سفر التكوين " בְּרֵאשִׁית בָּרָא אֱלֹהִים אֵת הַשָּׁמַיִם "[2]

و إلوهيم معناها الإله و الياء بعد الميم "ים" هو جمع الإجلال بالعبرية و العربية، و في العربية نوعان من الجمع مثلما في العبرية، فعندما قال عز وجل ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[3]، لا أحد يقول من هو " نحن " ؟ ومن هو " إنا" ؟ و في العبرية أيضا يوجد نوعان من الجمع جمع الإجلال وجمع العدد لكن النصارى يروق لهم أن يجعلوا إلوهيم جمع عدد [4].

جاء في سفر إشعيا " ها العذراء تحبل و تلد إبنا، و تدعو اسمه عمانوئيل" [5].

و يقول ديدات بأنه في النصوص المنقحة نجد كلمة " العذراء" قد استبدلت بلفظة " صبية" وهي الترجمة الصحيحة للكلمة العبرية "עַלְמָה" و هي الكلمة التي استخدمت دائما في النص العبري ولا وجود لكلمة «בְּתוּלָה» التي معناها عذراء.

و الفقرة في النسخة العبرية كالتالي : " הִנֵּה הָעַלְמָה הָרָה וְיֹלֶדֶת בֵּן "

1- هل المسيح هو الله، جريدة النصر : 1989/04/27 ،ص6 .

2- 1/1-5. النص بالعربية :" في البدء خلق الله السماوات و الأرض".

3- الحجر/ 9.

4-هل المسيح هو الله؟ جريدة النصر : 1989/04/30م، ص6. عمود 2.

5- 14/7.

אות הנה העלמה הרה ויולדת

فهذا النص الذي لازال النصارى إلى يومنا هذا يستدلون به

كلمة " صبية" لتوضح كلمة " عذراء"حتى يتوهم الناس أنّ

ثانيا : نصوص العهد الجديد

I- عقيدة الأبوة : يقول ديدات بأن اسم " ا

غير مخصوص بالمسيح أي ليس الله أبو المسيح، لأن المسيح

إنه أبوكم و أبي.

فمتى يبدأ إنجيله في الإصحاح الأول العدد الأول ب

13 مرة، قبل أن تأتي لأول مرة عبارة " أبي".

بالإضافة إلى أن كلمة " **أب**" توحي لعملية الإنجا

الوظائف الحيوانية التي مصدرها الجنس، ولا يمكننا أن ننس

و الذي يقرأ الكتاب المقدس، يعرف بأن لله أولاد

وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات.

وفي سفر الخروج: " فقال الرب لموسى أنظر أنا جعلتك إله

دليل على أن كل من اتبع ما أنزل الله هو إبن الله في الكتا

ابن الله" يعني شخصا عاديا [4].

II- عقيدة البنوة :استدل ديدات على نفي بنو

الجديد، تندرج تحت هذه المحاور.

1- النص بالعربية، **تكوين**، 1/1-5، " في البدء خلق الله السماوات والأ

2-3/6.

3-1/7.

4- **هل المسيح هو الله ؟** النصر : 1988/04/27م، الحلقة الرابعة، ص6.

1- نفي ألوهية المسيح : جاء في إنجيل يوحنا: " قال له يسوع أنا معكم زمانا هذه مدته. ولم تعرف يا فيلبس[1] الذي رآني فقد رأى الأب . فكيف تقول أرنا الأب " [2].

فهذا النص يستدل به النصارى على أن المسيح هو الله أو أن المسيح إله.

و يرد ديدات، بأنه هناك سلسلة من سوء الفهم لكلمة إله في الإصحاح 14،فالمسيح يقول لحواريه: " وتعلمون حيث أنا أذهب و تعلمون الطريق"[3]، فقال الحواريون: " يا سيد لسنا نعلم أين تذهب، فكيف نقدر أن نعرف الطريق؟ " [4]، فالحواريون لم يفهموا المسيح، فهو كان يتكلم عن الرحلة الروحية، وهم فهموا المواقع الجغرافية، فهو يتكلم عن الذهاب إلى الإله فيقول : " أنا الطريق و الحق والحياة ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي " [5] فلم يفهموا ما كان يقول فقالوا له: " يا سيد أرنا الآب. وكفانا" [6] فطلبوا منه أن يظهر لهم إلاله فقط،ويروه بأعينهم، وهذا سيكفي لإقناعهم.

وللإجابة عن ذلك الطلب قال المسيح لفيلبس بأنه كان معه مدة طويلة ،و بأنه بصفته يهوديا يجب أن يعرف خيرا من الآخرين، أن ليس هناك رجلا يمكنه رؤية الإله و يعيش بعد ذلك، ثم قال : "الذي رآني فقد رأى الآب " [7] و هذا يعني إذا فهمتموني، فسوف تفهمون من هو الآب. والرؤية هنا ليست مادية فهو يقول لو عرفتم من أنا لعرفتم من هو الإله، ولما تجرأتم على طرح ذلك الطلب السخيف [8].

و جاء في إنجيل يوحنا أيضا : " أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل، ولا يقدر أحد أن يخطفها من يد أبي، أنا و الأب واحد "[9].

1- أحد الرسل الاثني عشر، وأصله من بيت صيدا، من مدينة أندراوس وبطرس.(يوحنا، 43/1 و 21/12) (صبحي حموي اليسوعي: **معجم الإيمان المسيحي**، ص361.)

2- 9/14.

3- 4/14.

4- 5/14.

5- 6/14.

6- 8/14.

7- 9/14.

8- **هل المسيح هو الله.؟** جريدة النصر : 1989/05/2، الحلقة الأخيرة، ص6.

9- 29/10-30.

وهذا النص، يستدل به النصارى على ألوهية المسيح، وعلى عقيدة التجسد.

و الحقيقة أن هذا النص غير مفهوم، فما معنى أن يكون المسيح و الآب واحد؟ فهل معنى هذا أنهما معا يكونان الله؟ وفي هذه الحالة أين مكانة الروح القدس؟

و إذا كان الأب و المسيح واحد، فهذا ينفي تعدد الأقانيم، ويستلزم أن يكون هناك أقنوم واحد، لا ثلاثة في الإله[1].

و يقول ديدات بخصوص هذا الموضوع: " تعلمون أنه لمدة أربعين سنة، وأنا أكلم الناس في هذا المجال ، وكلّما ذكرت هذا العدد الذي قال فيه المسيح " أنا و الآب واحد" و الذي هو موجود في الإنجيل لا محالة، وسألت ما هو المضمون ؟ صدقوني، لمدة أربعين سنة، لم ألتق بمسيحي واحد مثقف استطاع أن يعطي لي المضمون" [2].

و يحاول ديدات فهم النص في الإطار الذي ذكر فيه، ويبدأ بسرد قصة المسيح عدد 23، و يقول بأن المسيح كان يتمشى في الهيكل في رواق سليمان، فأحاط به اليهود، وقالوا له إلى متى تعلق أنفسنا إذ كنت أنت المسيح فقل لنا، فكان اليهود يريدون المشاجرة ، حتى أنهم قالوا لأحدهم، أضربه بقوة، عندئذ أجابهم المسيح : " إني قلت لكم، و لستم تؤمنون، الأعمال التي أنا أعلمها باسم أبي تتشهد لي. لكنكم لستم تؤمنون لأنّكم لستم من خرافي. كما قلت لكم. خرافي تسمع صوتي .وأنا أعرفها فتتبعني. وأعطيها حياة أبدية. و لن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحد مني " [3]، ثم قال " أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل. ولا يقدر أحد أن يخطفها من يد أبي، أنا و الأب واحد " [4].

فالمسيح يريد أن يقول بأن هدفه و الرب العظيم واحد، وهذا الهدف: هو الحرص على صدق إيمان كل من ادعى الإيمان، ولكن اليهود كانوا يبحثون عن مشاجرة المسيح، فتناولوا الحجارة ليرجموه، فقال لهم : " أعمالا كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي. بسبب أي عمل منها ترجمونني ؟ أجابه اليهود قائلين : لسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديفك فإنك وأنت إنسان تجعل

1- لقد أشار القرآن الكريم، إلى كفر وضلال من قال إن الله هو المسيح والله عند النصارى هو الأب، فقال عز وجلّ :﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ المائدة /17 . راجع ص151-156 من البحث.

2- هل المسيح هو الله؟ جريدة النصر : 28-1988/04/29م، ص4.

3- يوحنا، 10/25-28.

4- يوحنا، 10/29-30.

نفسك إلها" [1] ، لكن المسيح لم يفكر بأنه كان أهلا للألوهية فقال لهم: "أليس مكتوبا في ناموسكم أنا قلت إنكم آلهة؟ إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله. ولا يمكن أن ينقص المكتوب. فالذي قدسه الأب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تجدف لأني قلت إني ابن الله. " [2] .

فمعنى هذا، أن الأنبياء كانوا يدعون آلهة في لغة الإنسان، وقد تكلم الله مع موسى وقال له: "أنظر إني جعلتك إلها لفرعون و هارون أخوك يكون نبيك" [3] ، وقد جاء في الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس بأن الشيطان إله هذا العالم [4] ،فهل الشيطان إله؟.

و يعلق ديدات على هذه النصوص قائلا: " .....موسى إله إلى فرعون و أنتم اليهود كلكم آلهة، هذه هي عبقرية اللغة العبرية " [5].

فعندما قال المسيح " أليس مكتوب في ناموسكم أنا قلت إنكم آلهة" ،عنى بذلك المسيح الذي ينتظره اليهود،و بشر به الأنبياء ،قال لهم أنهم آلهة، فإذا كان اليهود و الأنبياء يسمون آلهة، فكيف لا يسمى المسيح إبن الله و الله له أبناء بالأطنان؟" [6].

2-أدلة إنسانية المسيح

أولا : الأكل و الشرب

يذكر الإنجيل أن المسيح أكل و شرب " جاء ابن الإنسان يأكل و يشرب، فيقولون هو ذا إنسان أكول و شريب خمر، محبّ للعشارين و الخطاة " [7].

فأكل المسيح و شربه، دليل على إنسانيته.فهو مفتقر و محتاج لمن يوفر له الأكل والشرب.

1- يوحنا، 32/10.

2- 10/ 35-36.

3- خروج، 1/7.

4- أنظر: 4/4.

5- المرهل المسيح هو الله؟ جريدة النصر ، يوم : 28-89/04/29 حلقة 5 ، ص6.

6- المرجع نفسه، ص6.

7- متى، 19/11 .و لوقا، 34/9.

و الملاحظ أن اليهود لم يكونوا يقصدون في اعتراضهم على تسمية المسيح بابن الله، البنوة الإلهية التي يقول بها النصارى، ولكنهم قصدوا بذلك " النبوة" أو" الإنسان الصالح" لذلك اعترض عليهم المسيح، بأنهم و الأنبياء يدعون " أسيادا" أي آلهة ،فكيف لا يكون هو الذي أرسله الله ،نبيا أو عبدا صالحا؟.

ثانيا : الولادة .

إذا كان السبب الذي جعل المسيح إلها ،و إبنا لله، ولادته من غير أب بشري، فإن القرآن يجيب على ذلك ببساطة ،في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [1].

فإن كان المسيح هو الله، و إبن الله الحقيقي لأنه ليس له أب ،فآدم هو إله أكبر منه لأنه ليس له أب ولا أم، فهذا هو الصواب الذي يتماشى مع المنطق.

بالإضافة إلى أنه ذكر في الإنجيل، أن الكاهن ملكي صادق[2]، ليس له بداية في الزمن وهو بدون أب ولا أم،" لأن ملكي صادق هذا ملك استقبل راجعا من كسرة الملوك وباركه الذي قسم له إبراهيم عشرا من كل شيء .المترجم أولا ملك البر، ثم أيضا ملك سالیم، أي ملك السلام، بلا أب، بلا أم ،بلا نسب ،لا بداية أيام له و لا نهاية حيوان، بل هو مشبه بابن الله .هذا يبقى كاهنا إلى الأبد" [3].

والمسيح كانت له بداية في الإسطبل، وكانت له نهاية،أما هذا الرجل فلا بداية له ولا نهاية، ويتساءل ديدات من هو أعظم، ملكي صادق أم المسيح؟ولماذا لم يعبد ملكي صادق،فهو يستحق أن يعبد أكثر من المسيح؟[4].

و يبدوا مما تقدم أن ديدات استقى هذين الدليلين (الأكل و الشرب و الولادة) من القرآن الكريم،و من الردود السابقة.

1- ***آل عمران*** / 59.

2- ملك شليم، الكنعاني، يطلق عليه اسم " كاهن العلي"، تشرح الرسالة إلى العبرانيين اسمه بمعنى " ملك البر" (2/7)، وتجعل من كهنوته صورة من كهنوت المسيح (7/ 11-19).(صبحي حموي اليسوعي: **معجم الإيمان المسيحي**، ص481.)

3- **عبرانيين**، 1/1-7.

4- جريدة النصر : 1989/04/30/ حلقة 6، ص6.

ثالثا : الحزن و البكاء

جاء في متى : " إيلي،إيلي لما شبقتني " [1]، يعني إلهي، إلهي لما تركتني، ويتساءل ديدات، إلى من يبكي المسيح؟ إلى نفسه، أكان يمثل تأسيا على نفسه لأنه سيموت قائلا : يا إلهي يا إلهي لماذا تركتني هنا في الأسفلين،فلو كانت للمسيح قدرة لما ترك نفسه في الأسفلين [2].

وهذه العوارض التي ظهرت على المسيح إنسانية، فالضعف و الافتقار إلى الخالق من صفات البشر، والمسيح نفسه صرح بإنسانيته في أماكن مختلفة من الأناجيل [3].

رابعا : الرسالة

إن المسيح، قال بأن المرسَل ليس أعظم من المرسِل [4] و بأنه لا يستطيع أن يقول شيئا من تلقاء نفسه، و أن الكلام الذي يسمعه الناس ليس كلامه، و لكن كلام الأب الذي أرسله.

و القارئ للإنجيل، لا يجد أي إعلان شفوي ،في أي ترجمة من ترجماته ، يقول فيه المسيح، أنا الإله، أو يقول فيه اعبدوني ، بل كرر في عدة مواطن أنه مرسل من الله [5].

خامسا : العلم و القدرة

يقول المسيح : " إن كنت بإصبع الله أخرج الشياطين " [6]، فالمسيح يتكلم عن القدرة التي أعطيت له، فهي ليست قدرته، بل أعطيت له من الآب السماوي، على أن يبرئ الأكمه و الأبرص ويحي الموتى، و يقتل الخنازير و يخمد العواصف. فالقدرة إذن من الآب و ليس منه.

وكذلك العلم جاء في الإنجيل: " و أما ذلك اليوم و تلك الساعة فلا يعلم بهما أحد، ولا الملائكة

1- **متى**، 27 / 45.

2- هل المسيح هو الله؟ جريدة النصر : 1989/04/30 حلقة : 6، ص 6.

3- أنظر : **أعمال الرسل**، 22/2، **يوحنا**، 10/19، **يوحنا**، 7/20 ، **مرقس**، 32/13، **يوحنا**، 40/8.(أحمد ديدات : **المسلم ،مقارنة بين صلاة المسلمين وصلاة أهل الكتاب**، ترجمة: علي عثمان (الجزائر : دار الهدى، ت[ ]) ص 37.

4- أنظر : **لوقا**، 24/14 ، **يوحنا**، 49/12، **يوحنا**، 3/17 ، 16/13 .

5- جريدة النصر: 1989/04/30 الحلقة السادسة، ص6.

6- **لوقا**، 20/11

في السماء، ولا الابن، إلا الآب"[1].

فما دام المسيح لا يعلم ما يعلمه الآب، فكيف يكون إلها ؟ إن جهل المسيح بما يعلمه الآب،دليل على إنسانيته [2].

ويبدو مما تقدم، أن أحمد ديدات الذي لمع في سماء العالم الإسلامي و الغربي بمنهج المناظرة والجدل، كان مقتنعا أن أساس الخلاف بين المسلمين و النصارى هو اعتقادنا بالتوحيد و اعتقادهم بالتثليث، فركز في مناظراته على منهج الله "قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ" [3].

ثم يأخذ ذلك البرهان بالنقد معتمدا على مطالعته الواسعة، خاصة فيما يخص الأديان، كما أن تمكنه من اللغة الإنجليزية خوله الوصول إلى مواطن الخطأ، الموجودة في الكتاب المقدس، و التي قام بالكشف عنها علماء غربيون، وقد استغلها أحسن استغلال في الرد على أدلة النصارى النصية .

وقد أضاف ديدات إبداعات ، ميزته عن غيره من الرادين، فقد عمد إلى شرح النصوص الإنجيلية-رغم اقتناعه بتحريفها- وتفسير الفقرات حسب السياق الذي ذكرت فيه، لا كما فهمها الحواريون ،الذين كانوا كثيرا ما يؤولون كلام المسيح على غير ما يريده، ولا كما فهمه النصارى فيما بعد.

ويمكن القول بأن الردود الحديثة على عقيدة التثليث كانت في معظمها دفاعية، وقد ظهر فيها نوع من الإبداع، فقد استفاد الرادون المسلمون من تمكنهم من اللغات الأجنبية، كالعبرية والإنجليزية، مما جعلهم يقفون على مواطن الخلل في الكتاب المقدس من جهة، وخولهم الإطلاع على التطور الحاصل في مدارس النقد الغربية من جهة أخرى، مما أكسب النقد الإسلامي الفاعلية أكثر.

وقد اعتمد الرادون المحدثون كثيرا على الردود الكلاسيكية، لكنهم أضافوا إليها بعض الإبداعات الشخصية.

وقد اعتمد الرادون المحدثون على الردود النصية، وهذا راجع إلى تغير الظروف التاريخية؛ ففي القديم كان علم الكلام هو الوسيلة الدفاعية التي استعملها الرادون، وعلم الكلام بطبعه يفرع المسائل، ويعتمد كثيرا على الأدلة العقلية، أما في العصر الحديث فلم يعد لعلم الكلام تلك المكانة التي كانت في القديم، مما جعل المحدثون يعزفون عن مناقشة مسألتي الجوهر والأقانيم.

1-مرقس 13/32.0

2- جريدة النصر ، 28-1989/04/29، ص6.

3- *البقرة*/111.

والحقيقة أن الفكر المسيحي أصبح يوظف الفلسفات الحديثة في عرضه لعقيدة التثليث كما رأينا سابقا[1]، فلا بد من قيام علم كلام جديد ينهض قوي الأسس للدفاع عن الإسلام،ورد ما يوجه إليه من الطعنات، بلغة العصر وفكره وأسلوبه.

وعليه، فإن كانت الردود الحديثة قد أبدعت في الرد على الأدلة النصية، باعتبارها الأساس الأول الذي لابد من رده، فهي قد قصرت في الرد على الفرق المسيحية الكبرى؛ البروتستانت، والكاثوليك، والأرثوذكس.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- راجع الفصل الأول من البحث.

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بعد انتهائنا من البحث، يحق لنا تلخيص أهم المسائل والنتائج التي توصلنا إليها، والتي نوجزها في النقاط التالية:

1-إن الرادين المسلمين، يرفضون عقيدة التثليث رفضا باتا، ، لاقتناعهم أنها تجافي العقل والمنطق وأنها دخيلة على النصوص الكتابية، فالتوراة زاخرة بالنصوص التوحيدية، والإنجيل كثيرا ما يفرق بين ذات الله وذات المسيح، وانطلاقا من قناعتهم هذه، قاموا بتفكيك النسق التثليثي، وبيّنوا أن الوحدة والتثليث تركيبة خاطئة، كما أن تثليث الأقانيم من شأنه أن يؤدي إلى تثليث الآلهة. وقد ردّوا على عقيدة بنوة المسيح وأجمعوا على أن المقصود بها في الكتاب المقدس العبد الصالح، وهذا ما توصلت إليه مدارس النقد الغربية الحديثة، كما نفوا ألوهية المسيح من الكتاب المقدس الذي تزخر نصوصه بأدلة إنسانية المسيح، وعبوديته لله عزّ وجل.

2-إن اعتقاد بعض الكتاب النصارى، أن المسلمين أخفقوا في الرّد على عقيدة التثليث- ذلك أنهم لم ينطلقوا من مفهوم النصارى للجوهر والأقانيم، بل انطلقوا من المفهوم الإسلامي لهما-لا ينطبق على جميع الردود، وإن كان يصدق على بعضها.

فقد تميّز الباقلاني، والقاضي عبد الجبار، وابن تيمية، بمناقشة تعريف النصارى للجوهر من جهة المحتوى،وبالإضافة إلى ذلك ناقشوا الجوهر من حيث التعريف الكلامي له، فرفضوا أن يسمى الله بالجوهر.

وقد أنتجت محاورة القدامى للنصارى، خاصة في موضوع الجوهر، تفكيرا إسلاميا خالصا في **"الجوهر والعرض"**.

وقد ردّ القدامى على مسألة الأقانيم التي عبّر عنها المسلمون بالصفات، ليس جهلا منهم بمعناها عند النصارى، بل لأن المسيحولوجيا النصرانية في ذلك الوقت ، كانت تعتبر الأقانيم صفات، وتصف الله بأنه حي ناطق ، حياته هي الروح القدس، وكلمته هي الابن،- وكتب نصارى ذلك الوقت تدل على ذلك- وقد تناول الرادون مصطلح الأقنوم بالدراسة، و أنكروا على النصارى تحديد الأقانيم بالعدد ثلاثة، كما بحثوا مسألة اختصاص كل أقنوم بما لا يختص به الآخر، وعمل الأقانيم، و علاقة

الجوهر بالأقانيم، واتفاق الأقانيم في الجوهرية واختلافها في الأقنومية، واستطاعوا تفكيك النسق التثليثي،وأبدعوا في ذلك، وتوصلوا إلى نتائج غاية في الأهمية، وعلى ذلك يمكن القول بأن الفكر الإسلامي في القديم، قام بدوره في الرّد على الأقانيم النصرانية.

3- إن الردود الإسلامية على النصارى، لم تدرس النقد التاريخي لعقيدة التثليث، وقد كان القاضي عبد الجبار أول من استعمل هذا المنهج، معتمدا على القرآن الكريم، فتعرض للجذور التاريخية لعقيدة التثليث، و دور بولس في تحريف الديانة النصرانية، ثم دور المجامع الكنسية في تقرير عقيدة التثليث، ولا تكاد نتائجه تختلف عمّا توصل إليه الباحثون المعاصرون في مجال نقد الكتاب المقدّس.

4-إن أصحاب الردود القديمة في الفترة التي درسناها، في جملتهم مطلعين على كتب النصارى، وعلى تفاصيل الخصومات المسيحولوجية، بين الكنائس الرئيسية في عصرهم، وحتى على اللغات المستعملة في تلك الكنائس، أما الرادين المحدثين ، فما زالوا في حاجة إلى تتبع تطور حركة المجامع المسكونية، وتيارات الفكر النصراني المتشعبة، ولابد أن يقتنعوا أنه من العبث محاورة النصارى وكأنهم ما زالوا إما ملكيين أو نساطرة أو يعاقبة.

5- إن الرادين المسلمين المحدثين استفادوا من أدلة القدامى العقلية والنصية، وأضافوا لها، وطوروها، واقتنعوا أنه من العبث مناقشة القول بالأقانيم والأشخاص، كما لو كانت ما زالت تحتل في واقع ذلك الفكر، نفس المكانة التي كانت لها في القديم، لهذا لم يتكلموا عنها. لكن، كان عليهم الرّد على أدلة النصارى العقلية التي تعج بها كتبهم في عصرنا الحالي والتي أصبحت -كما عرفنا في البحث- تتبنى الفلسفات والإيديولوجيات المعاصرة.

6- إن المفكرين المسلمين قديمهم وحديثهم، لم يدرسوا بتعمق الرد القرآني على عقيدة التثليث، بالرغم من أن دافعهم إلى الرّد عليها هو الرفض القرآني لها. وقد استفاد الرادون من بعض الأدلة القرآنية على إنسانية المسيح، ومن نقد القرآن التاريخي لعقيدة التثليث. وقد تناول المفسرون آيات التثليث، دون تعمق في معناها، وقد يرجع ذلك إلى عدم إحاطتهم بالأنساق المكوّنة لعقيدة التثليث. مما فتح الباب للتشكيك في الموقف القرآني من عقيدة التثليث، وفي مصداقيته، هذا لأنه في نظر البعض لم يتكلم عن

التثليث النصراني، وإنما تطرق إلى الثالوثات البدائية، وحاربها بشدة، بالإضافة إلى أنه أخطأ إذ اعتبر التثليث النصراني، مكونا من الأب والابن ومريم.

7- إن القرآن الكريم في رده على عقيدة التثليث، بيّن تحريف النصارى لعقيدة التوحيد، وألغى أي إمكان لتجسيد الطبيعة الإلهية، أو بمعنى أدق رفض أن يكون الله هو المسيح أو يكون الله ثالث ثلاثة أو يكون المسيح ابن الله ، وقد قام بتفكيك النسق التثليثي، وبيّن أن الله لا يمكن أن يكون أقنوما، فإذا كان الأب هو الله عند النصارى، فكيف يكون الأب أقنوما وإلها مثلث الأقانيم في آن واحد ؟؟،كما تناول القرآن موضوع الأقانيم، وردّ عليه بأدلة كثيرة ومختلفة، يتقبلها العقل والمنطق. كما انتقد عقيدة لم ينتبه إليها الفكر الإسلامي، وهي "عقيدة النصارى في مريم".

وقد حاولنا جهدنا استخراج ما أمكن من الردود القرآنية على عقيدة التثليث، وأملنا أن تتجه أنظار الباحثين إلى دراسة الرد القرآني على عقائد أهل الكتاب، كما نأمل أن نستفيد من ردود القدامى وأن تكون مصدر إلهام حقيقي لنا، نستطيع من خلاله بناء علم أديان حديث ينهض قوي الأسس للدفاع عن العقيدة ورد الطعنات التي توجه إليها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله

رب العالمين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس

1- فهرس القرآن الكريم

2- فهرس الأحاديث

3- فهرس الكتاب المقدس

4- فهرس الأعلام

5- فهرس الفرق والبلدان

6- فهرس البلدان

7- فهرس المصادر والمراجع

8- الفهرس التحليلي للموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: فهرس القرآن

الآية	رقمها	رقم الصفحة
البقرة		
- ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب ...﴾	87	249-184
- ﴿و قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان ...﴾	111	310
- ﴿و قالوا اتخذ الله و لدا سبحانه .....﴾	116	173-171
- ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض .....﴾	253	184
آل عمران		
- ﴿فنادته الملائكة وهو قائم يصلي .....﴾	39	180
- ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم .....﴾	45	180-53
- ﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ....﴾	55	265
- ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل أدم .....﴾	59	308-174-173
النساء		
- ﴿يأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم .....﴾	171	-180-171-160-151 186-184-182
- ﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله .....﴾	172	186
المائدة		
- ﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم .....﴾	13	206
- ﴿لقد كفر الدين قالوا إن الله هو المسيح .....﴾	17	306-183-167
- ﴿لقد كفر الدين قالوا إن الله ثالث ثلاثة .....﴾	73	160-158-151
- ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله ...﴾	75	168-167
- ﴿قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ...﴾	76	168
- ﴿إذ قال الله يا عيسى ابن مريم أذكر نعمتي عليك .....﴾	110	249-184
- ﴿إذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس .....﴾	116	167-160-152
- ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به .....﴾	117	275

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
الأنعام		
- ﴿و جعلوا لله شركاء الجن و خلقهم و خرقوا له ...﴾	100	246-175
- ﴿بديع السماوات و الأرض أنى يكون له ولد ...﴾	101	246-175
التوبة		
- ﴿و قالت اليهود عزير بن الله .....﴾	30	206-187
- ﴿اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون الله .....﴾	31	166-161
يونس		
- ﴿و يعبدون من دون الله ما لا يضرهم و لا ينفعهم ...﴾	18	167
- ﴿قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه .....﴾	68	171
هود		
- ﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى .....﴾	69	232
الحجر		
- ﴿إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون .....﴾	9	303
الإسراء		
- ﴿و يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي .....﴾	85	184
الكهف		
- ﴿قل لو كان البحر مداد لكلمات ربي .....﴾	109	251
مريم		
- ﴿فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا ...﴾	17	168
- ﴿ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ...﴾	34	182-180
- ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه ...﴾	35	173
- ﴿وقالوا اتخذ الرحمان ولدا ...﴾	92-88	301

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
طه		
- ﴿وما تلك بيمينك يا موسى ...﴾	17	162
الأنبياء		
- ﴿و قالوا اتخذ الرحمان ولدا سبحانه بل عباد ...﴾	26	176
- ﴿و لقد آتينا إبراهيم رشده من قبل ...﴾	52-51	94
الشعراء		
- ﴿وتلك نعمة تمنها علي أن عبّدت بني إسرائيل ...﴾	22	303
يس		
- ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ...﴾	82	250-180-138
الصافات		
- ﴿و لقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ...﴾	171	181
الزمر		
- ﴿ألا لله الدين الخالص و الذين اتخذوا من دونه ...﴾	3	165
- ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ...﴾	4	177
فصلت		
- ﴿ثم استوى إلى السماء و هي دخان ...﴾	11	174
الشورى		
- ﴿و كذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ...﴾	.52	185-181
الزخرف		
- ﴿قل إن كان للرحمان ولد فأنا أول العابدين ...﴾	.81	177

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
المجادلة		
- ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله و اليوم الآخر ...﴾	22	184-184
الحشر		
- ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو ...﴾	24-22	232
الصف		
- ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله ...﴾	14	256
المدثر		
- ﴿و ما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ...﴾	31	258
القدر		
- ﴿تتنزل الملائكة و الروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ...﴾	4	184
الإخلاص		
- ﴿قل هو الله أحد الله صمد، لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد.﴾	السورة	253
- ﴿لم يلد و لم يولد ....﴾	3	202

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: فهرس الأحاديث

طرف الحديث	الصفحة
-" إن الله خلق آدم على صورته ..."	257
-" إن الروح القدس نفت في روعي ..."	249-185
- " إن لله تسعة و تسعين اسما من أحصاها دخل الجنة ..."	242
-" لا تسبوا الريح فإنها من روح الله ..."	249
- " لا تطروني كما أطرت النصارى ..."	151
- " من شهد أن لا إله إلا الله وحدة ..."	160
- " يؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه ..."	180

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا : فهرس الكتاب المقدس

الفقرة	الإصحاح	العدد	الصفحة
العهد القديم			
"التكوين"			
"في البدء خلق الله السماوات و الأرض..."	1	5-1	-303-283-250-23 304
"و روح الله ترف على وجه المياه..."	1	2	249
"و قال الله ليكن نور..."	1	3	51-19
"و قال الله نعمل الإنسان على..."	1	26	257-22
"فخلق الله الإنسان على صورته..."	1	27	286
"و قال الرب الإله، هو ذا الإنسان..."	3	22	257-22
"و حدث لما ابتدأ الناس..."	6	1	231-158
"دخل بنوا الله على بنات الناس..."	6	4	304
"لأن الله على صورته عمل الإنسان..."	9	6	270
"فنزل الرب لينظر المدينة..."	11	7-5	288
"هلم نترل و نبلبل هناك..."	11	7	287-22
"و اجعل نسلك كتراب الأرض..."	13	16	270
"فوجدها ملاك الرب على..."	16	13-7	16
"و ظهر الرب عند بلوطات..."	18	8-1	289-232
"أباركك مباركة و أكثر نسلك..."	22	17	271
"و قال لي ملاك الله في الحلم..."	31	13-11	272
"و قال له يعقوب يا إله أبي إبراهيم..."	32	9	272
"فقال فرعون لعبيده هل نجد..."	41	39-38-	21

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفقرة	الإصحاح	العدد	الصفحة
العهد القديم			
"الخروج"			
"أنا إله أبيك إله إبراهيم و إله..."	3	6	288-258
"إله آبائكم أرسلني إليكم..."	3	14	19
"و أنت تكون له إلـــها..."	4	16	284
"إسرائيل ابني البكر..."	4	22	-260-247-221-158 278
"أنا جعلتك إلها لفرعون..."	7	1	307-304-272
"لا يكن لك آلهة أخرى أمامي..."	20	5-3	270
"فيصنعون لي مقدسا لأسكن..."	25	8	271
"العدد"			
"فقال الرجل لموسى اجمع..."	11	17-16	21
"التثنية"			
"فكلهم الرب من وسط النار..."	4	12	270
"يوم كلمكم الرب في حوريب..."	4	15	270
"القضاة"			
"و لبس روح الرب جدعون..."	6-	34-	21-
"فحمل عليه روح الرب فشقه..."	14	6	21
"صموئيل الأول"			
"رأيت آلهة يصعدون من..."	28	14-13	284
"صموئيل الثاني"			
"أنا أكون له أبا و هو يكون..."	7	4	249

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفقرة	الإصحاح	العدد	الصفحة
العهد القديم			
"أيوب"			
"روح الله صنعني و نسمة القدير..."	33	4	249
"مزامير"			
"قال لي أنت ابني، أنا اليوم ولدتك..."	2	7	260-43
"بكلمة الرب صنعت السماوات..."	33	6	-249-23-20-19 290-250
"لأنه قال فكان هو أمر..."	33	9-8	290-19
"مسحك الله إلهك بدهن..."	45	7	231
"يا سيد رب الجنود..."	69	6	287
"الله قائم في مجمع الله..."	82	1	231
"كما يترأف الأب على البنين..."	103	14-13	16
"لتسبح اسم الرب لأنه..."	148	5	290
"الأمثال"			
"منذ الأزل مسحت منذ البدء..."	8	31-22	163-50
"إشعيا"			
"و هذا نادى ذاك و قال قدوس..."	6	3	258-23
"ها العذراء تحبل و تلدا ابنا..."	7	14	304-256-200-18
"لأنه يولد لنا ولد و نعطى الرئاسة..."	9	6	221-23-19
"و أما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد..."	40	8	250
"فبمن تشبهون الله و أي..."	40	25-18	287
"إله الدهر الرب خالق..."	40	28	274
"أنا الأول و الآخر و لا إله غيري..."	44	6	274
"بمن تشبهونني و تسوونني..."	46	5	287

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفقرة	الإصحاح	العدد	الصفحة
العهد القديم			
"منذ وجوده أنا هناك..."	48	16	79
"لأنه كما ينزل المطر و الثلج..."	55	11-10	20
"فإنك أنت أبونا و إن..."	63	16	15
"و الآن يا رب أنت أبونا..."	64	8	15
"هكذا قال الرب السماوات كرسي..."	66	2-1	271
"إرميا"			
"لأني صرت لإسرائيل أبا و أفرايم..."	31	9	278
"حزقيال"			
"و تصعد و تأتي كزوبعة..."	38	9	20
"ميخا"			
"أما أنت يا بيت لحم أفراتة..."	5	2	19

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفقرة	الإصحاح	العدد	الصفحة
العهد الجديد			
"متى"			
"طوبى لصانعي السلام..."	5	9	277-158
"و أما أنا فأقول لكم أحبوا أعدائكم..."	5	46-44	277
"لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي..."	5	45	158
"فكونوا أنتم كاملين كما أن..."	5	48	234
"أبانا الذي السماوات..."	6	9	234-221
"فإنكم إن غفرتم للناس زلاتهم..."	6	14	234-221
"فمتى أسلموكم فلا تهتموا..."	10	20-19	53
"جاء ابن الإنسان يأكل و يشرب ..."	11	19	307
"و أما التجديف على الروح..."	12	31	53
"لأن من يصنع مشيئة أبي الذي..."	12	50	226-41
"و لما جاء يسوع إلى نواحي..."	16	17-13	44
"و بعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس..."	17	8-1	55
"...فقال له لماذا تدعونني صالحا..."	19	17-6	274
"حينئذ تقدمت إليه أم زبدي..."	20	23-20	274
"و فيما كان الفريسيون مجتمعين..."	22	46-41	292
"و أن يدعوهم الناس سيدي..."	23	7	291
"و لا تدعو لكم أبا على الأرض لأن..."	23	10-9	275
"و أما ذلك اليوم و تلك الساعة..."	24	32	226
"ثم يقول الملك للذين عن يمينه..."	25	24	41
"حينئذ جاء معهم يسوع..."	26	40-36	259
"حينئذ جاء معهم يسوع..."	26	44-36	200-275
"يا أبتاه إن كان ممكنا..."	26	42	200

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفقرة	الإصحاح	العدد	الصفحة
العهد الجديد			
"...إيمي إيلي لما شبقتني..."	27	45	309
"و من الساعة التاسعة كانت..."	27	50-45	274-235-200
"اذهبوا و تلمذوا جميع الأمم..."	28	20-19	293-56
"مرقس"			
"أنا عمدتكم بالماء و أما هو..."	1	8	53
"و في تلك الأيام جاء يسوع من..."	1	10-9	55
"و جاء واحد من الكتبة و سمعهم..."	12	31-28	273
"ثم أجاب يسوع و قال و هو يعلم..."	12	37-35	44
"لأن داود نفسه قال بالروح القدس ..."	12	36	249
"السماء و الأرض تزول و لكن..."	13	32-31	310-234-45
"و لما رأى قائد المائة الواقف..."	15	39	277
"لوقا"			
"لأنه يكون عظيما أمام الرب..."	1	15	235
"فقال لهما لماذا كنتما تطلباني..."	2	49	41
"و لما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة..."	3	38-23	278
"أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئا..."	4	1	235
"و في تلك الساعة تهلل يسوع بالروح..."	10	22-21	45
"و أنا أجعل لكم كما جعل لي أبي..."	22	29	41
"و لما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب..."	22	71-66	44
"و نادى يسوع بصوت عظيم و قال..."	23	46	247-41
"فلما رأى قائد المائة ما كان مجد الله ..."	23	47	277
"فقال لهما و ما هي فقالا المختصة..."	24	19	260

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفقرة	الإصحاح	العدد	الصفحة
العهد الجديد			
"يوحنا"			
"في البدء كان الكلمة و الكلمة كان عند الله ..."	1	1	229-183-140
"في البدء كان الكلمة و الكلمة كان عند الله ..."	1	3-1	127
"في البدء كان الكلمة و الكلمة كان عند الله ..."	1	14-1	45
"و الكلمة صار حسدا و حل بيننا..."	1	14	45
"الله لم يره أحد قط..."	1	18	75-18
"أجاب يسوع الحق الحق أقول..."	3	5	291
"المولود من الجسد جسد..."	3	6	76
"أجاب يسوع و قال له..."	3	10-9	278
"لأنه هكذا أحب الله العالم..."	3	16	301-43-42
"الذي نؤمن به لا يدان..."	3	18	42
"الله روح و الذين يسجدون..."	4	4	79-76
"قال لهم يسوع، طعامي أن أعمل..."	4	24	79
"من لا يكرم الابن لا يكرم الأب..."	5	23	259
"لأني قد نزلت من السماء..."	6	38	259
"و في اليوم الأخير العظيم من العيد..."	7	38-37	80
"من آمن بي كما قال الكتاب..."	7	39-38	80
"و الذي أرسلني هو معي..."	8	29	45
"أنتم تعلمون أعمال أبيكم..."	8	44-41	277
"قال لهم يسوع الحق الحق أقول..."	8	58	201
"الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي ..."	10	28-25	306
"أبي الذي أعطاني إياها..."	10	30-29	306-305
"أجابهم يسوع أعمالا كثيرة..."	10	32	307

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفقرة	الإصحاح	العدد	الصفحة
العهد الجديد			
"إن قال آلهة لأولئك الذين..."	10	36-35	307
"أيها الأب أشكرك لأنك..."	11	41	295
"و تعلمون حيث أنا أذهب..."	14	4	305
"قال له توما يا سيد..."	14	5	305
"قال له يسوع أنا هو الطريق..."	14	6	305
"قال له يسوع أنا هو الطريق..."	14	11-6	44
"قال له فيلبس يا سيد..."	14	8	305
"قال له يسوع أنا معكم زمانا..."	14	9	305
"قال له يسوع أنا معكم زمانا..."	14	10-9	201
"صدقوني إني في الأب و الأب في..."	14	11	305-78
"إن كنتم تحبونني فاحفظوا و وصاياي..."	14	15	54
"و أنا أطلب من الأب فيعطيكم..."	14	16	54
"الذي لا يحبني لا يحفظ..."	14	24	275
"و أما المعزي الروح القدس..."	14	26	80-54
"سمعتم أني قلت لكم..."	14	28	275-260
"لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي..."	16	8-7	54
"و أما متى داء ذاك روح الحق..."	16	14-13	273
"و هذه هي الحياة الأبدية..."	17	3	273
"و أنا قد أعطيتكم المجد الذي..."	17	23-22	89
"أيها الأب أريد أن هؤلاء..."	17	24	75
"لا تلمسني لأني لم أصعد بعد..."	20	17	-259-247-221-42 295-274

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفقرة	الإصحاح	العدد	الصفحة
العهد الجديد			
"أعمال الرسل"			
"هذا هو الذي كان في الكنيسة..."	7	48	271
" أنت ابني أنا اليوم ولدتك..."	13	33	75
"أنا رجل يهودي ولدت في..."	22	4-3	25
"فحدث لي و أنا ذاهب و مقترب..."	22	11-6	26
"رسالة بولس إلى أهل رومية"			
"الذي صار من نسل داود من..."	1	3	31
"... من جهة روح القداسة..."	1	4	79-32
"إلى جميع الموجودين في رومية..."	1	7	32
"و لكن الله بين محبته لنا..."	5	8	32
"و أما الآن فقد تحررنا من..."	7	6	30
"لأن ناموس روح الحياة..."	8	17-2	79
"لأن كل الذين ينقادون بروح الله..."	8	15-14	31
"و ليكونوا مشابهين صورة ابنه..."	8	29	72
"لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة..."	13	1	31
"لأن منه و به و له كل الأشياء..."	11	36	35

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفقرة	الإصحاح	العدد	الصفحة
العهد الجديد			
"الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس"			
"نعمة لكم و سلام من الله..."	1	3	32
"لكننا نتكلم بحكمة بين..."	2	8-6	50
"فأعلنه الله لنا بروحه..."	2	11-10	79
"أم لستم تعلمون أن جسدكم..."	6	19	34
"فأنواع مواهب موجودة و لكن الله..."	12	6-4	36
"الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس"			
"لأن ابن الله يسوع المسيح..."	1	19	32
"و أما الرب فهو الروح و حيث ..."	3	17	34
"الذين فيهم إله هذا الدهر..."	4	4	292
"إذا نحن من الآن لا نعرف..."	5	16	34
"يسلم عليكم جميع القدسيين..."	13	13	36
"نعمة ربنا يسوع المسيح..."	13	14	88
"رسالة بولس إلى أهل غلاطية "			
"و أعرفكم أيها الاخوة الإنجيل..."	1	12-11	26
"و لكن لما جاء ملء الزمان أرسل..."	4	4	43
"و لكن لما جاء ملء الزمان أرسل..."	4	5-4	31
"و لكن لما جاء ملء الزمان أرسل..."	4	7-4	36
"ليفتدي الذين تحت الناموس..."	4	6-5	31
"رسالة إلى أهل أفسس"			
"كي يعطيكم أله ربنا يسوع..."	1	17	79
"الذي فيه أنتم أيضا مبنيون..."	2	22	35
"بسبب هذا أحني ركبتي لدى..."	3	15-14	31

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفقرة	الإصحاح	العدد	الصفحة
العهد الجديد			
"مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح..."	4	6-3	35
"رسالة بولس إلى أهل كولوسي"			
"الذي هو صورة الله غير المنظور..."	1	15	72
"الذي هو صورة الله غير المنظور..."	1	16-15	33
"فإنه فيه خلق الكل ما في السماوات..."	1	20-16	140
"فإن كنتم قد قمتم مع المسيح..."	3	1	33
"الرسالة الثانية إلى أهل تسالونكي"			
"و أما نحن فينبغي لنا أن نشكر الله..."	2	14-13	36
"الرسالة إلى العبرانيين"			
"الله بعد ما كلم الآباء بالأبناء..."	1	3-1	227-72-33
"الله بعدما كلم الآباء بالأبناء..."	1	4	308
"بلا أب بلا أم بلا نسب..."	7	3	279
"الذي بروح أزلي قدم نفسه..."	9	14	79
"رسالة بطرس الأولى"			
"لأن روح المجد و الله يحل عليكم"	4	14	74
"رسالة يوحنا الأولى"			
"كل من هو مولود من الله لا يفعل..."	3	10-9	278
"أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضا..."	4	8-7	73
"أرسل ابنه الوحيد إلى العالم..."	4	9	42
"الله محبة و من يثبت في المحبة..."	4	16	73
"فإن الذين يشهدون في السماء..."	5	7	299-293

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"رؤيا يوحنا اللاهوتي" "و رآني نهرا صافيا من ماء حياة..."	22	1	80

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رابعا: فهرس الأعلام

العلم	الصفحة
" أ "	
– إبراهيم (عليه السلام)	294.164
– آبي ABBé	17
–أثناسيوس ATANASE	147.62
– أحمـــد شلـــبي	38.119
– أحمـــد عبد الغفور عطـــار	101
– أحمـــد يوسف داود	114.52
– أخناتون	103
– آدم عليه السلام	164
–أرسطو	142.7
– آرنلديز	235
– آرنـــولد تويـــنبي	114
– آريـــوس	69.62.60.59
– إريـــني IRENNEE	89
– إسحـــاق (عليه السلام)	23.7
– إشـــعيـــا	303.274.259.256.251.250.43.20.19
– أفلوطـــين	143.142.141.140.137.136.7
	147.146.145.144
– آلبيـــر ديفـــو	139
– الأنبا أثناسيوس	55
– أمـــونيوس سكاس	142.140
– أوسابيوس القيصري EUSEBE DE CESAREE	26
– الألوســـي	161
– أوريـــجـــان ORIGENE	8

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

العلم	الصفحة
- أوغسطيـــن AUGUSTIN	106.88.87 .83.82.79.77.36.35
"ب"	
- الباقـــلانـــي	197.166.195.194.193.192.191
	219.202.201.200.199.198
- برقلس	3
- برنـــابـــا	28-27
- بريـــو BRIAULT	119
- بطـــرس	56.27
- بـــفندر	267
- بـــوذا	134.133.132.131.130.129.125.124 147
- بـــوست	84
- بوطـــر	21
- بـــولس	31.30.29.28.27.26.25.24
	39.38.37.36.35.34.33.32
	222.208.207.90.57.52.50.40
- بولس الساموساطي PAUL DE SAMOSATE	59.7
- بواس إليـــاس اليسوعي	74
- بـــونـــويـــك	116
- بـــيـــري BERRY	38
- بيـــاتـــمان BULTMANN	49
"ت"	
- تـــرتليـــان TERTULLIEN	3
- تومـــا الأكويـــني	77.72.70
- تـــومـــاس ميشـــال	155.154.71.9

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

العلم	الصفحة
- تيتـــوس كليمـــان	134
- تيطس	29
- تـــيموثاوس	29
- ابن تيمية	242.241.240.239.238.191.162 249.248.247.246.245.244.243 256.255.254.253.252.251.250 260.259.258.257
"ث"	
- ثيودوسيوس THEODOSE	66.65
- ثيودوز زاهـــن THEODOSE ZEHEN	10
- ثيوفيلس الأنطـــاكي THEOPHILE D'ANTIOCHE	14.3
"ج"	
- الجاحظ	220.219
- ابن الجوزي	161
- جوميـــيه JOMIER	179
- جون فيلبون JEAN PLULIPEN	153
- جـــون هـــك	130
- جـــون والفـــورد	42.17
"ح"	
- ابن حزم	230.229.228.227.226.224.223.191. 237.236.235.234.233.232.231
- حبيـــب سعيـــد	27
- حســـان بن ثابت	249
- حمـــورابـــي	97.95.94

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

العلم	الصفحة
"ج"	
- الخطيب البغدادي	192
"د"	
- داود عليه السلام	294.290.71
- دوان	124.123
- دونيس سورات DENIS SAURAT	102
- دونيس ماسون DENIS MASSON	179
- ديـــدات	-302-301-300-299-298-297-265 310-308-307-306-305-304-303
- ديفـــاكي	125
"ر"	
- الـــرازي	152
- رامـــا	121
- رؤوف شـــلبي	121
- رحمة الله الهنـــدي	-272-271-270-268-267-266-265 279-277-276-275-274-273
- رودريغو براون	85
"ز"	
- زكريـــا عليه السلام	149
"س"	
- سطاركـــي STARKY	52
- سقـــراط	62
- سليمان (عليه السلام)	294
- سويـــدنيـــورغ	86

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

العلم	الصفحة
"ش"	
- شارل جنيبر	26
- شـــاول	27-24
- شلنغ	86
"ع"	
- عبد الكريم الخطيب	50-33
- عبد المجيد شرفي	162-153
- عثمان ابن عفان	166
- العقاد	116
- أبو على الجبائي	218
- عمار البصري	9
"غ"	
- غريغوريوس النازيانزي Grégoire de Nazianze	65
- غي موني Guy Monnot	261-222-10
"ف"	
- فاسيديفا	125
- فاضل سيداروس	86-84-76-75-64-63
- فالونتان VALLENTIN	82
- فتحي النجار	236
- فرانسيس يونغ	140-39
- فورفويوس الصوري	141
- فيلـــون	140-139-138-137-136-52-39-16
- فيلبـــس	44
- فيليب حتي	224

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

العلم	الصفحة
- فيليمـــون	30-29
"ق"	
- القاضي عبد الجبار	162-191-201-203-204-205-206-
	207-208-209-210-211-212-213-
	214-215-216-217-218-219-202-
	221-222
- قسطنطين	60-61-208
"ك"	
- كرشنـــا	121-124-125-126-127-128-
	134-147
- كمســـا	125
- كنت	86
- كيرلـــس CERILLE	66
"ل"	
- لوقـــا	44-45
- ليوطنس البيزنطـــي	8
"م"	
- مايـــا	119
- مارتـــالا	125
- مانو	119
- متـــى	44-45
- محمد (ﷺ)	154-155-160-177-206-242
- محمد أبو زهرة	69
- محمد رشيد رضـــا	116-123
- مرقيـــون	65

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

العلم	الصفحة
- مرقس	45-44
- مريـــم	-154-153-152-151-149-132-37 -165-164-163-162-161-160-155 -199-182-181-180-168-167-166 .252-230-225
- مريـــم أم يـــعـــقوب	294
-مريـــم المجـــدلية	294
- الـــمسيح	في معظم صفحات البحث.
- مقدنيـــوس	65
- موسى (عليه السلام)	294-219-200-162-103-56
- موريس بوكاي	54
- موريتر S. MORENZ	112-111-104
"ن"	
- نسطور	67
"هـــ"	
- هارون (عليه السلام)	200
- هـــانس بلســـار	76
- هـــانس كونزلمان HANS Conzelmann	50-49-30
- هـــرقليطس	52-51-50
- هنري ميشو HENRI MICHAUD	179-159-155-153
- هـــيجل	86
- هـــيرودوت	102
- ول ديورانت	166-27
- ولـــز WELLS	40

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

العلم	الصفحة
"ي"	
- يحيـــا (عليه السلام)	180-149
- يعقوب (عليه السلام)	294-17
-يعقوب الحواري	56
- يوسف (عليه السلام)	294-103
- يوسف النجار	58
- يوحنـــا	-53-52-50-49-48-47-46-42-14
	140-55-54
- يوحنا (أخو يعقوب)	56
- يوحنا الدمشقي	82-78-77-75
- يوحنا المعمدان	44

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خامسا: فهرس الفرق و المدارس

اسم الفرقة	الصفحة
"أ"	
- الآباء الشرقيون	85- 9
- الآباء الغربيون	85- 9
- الإبيونيون EBIONITES	58
- الأريانية	65-64
- الأرثوذكس	311-165-81
- الأشاعرة	203-198-192-191
- الأفلاطونيون الجدد	3
- الأفلاطونية المحدثة	142-141-69
- الإليـــانيـــة	59
-الأوريجانية	8
"ب"	
- البـــابـــية	282
- البربرانية	59
- البرهميـــة	128-125-118
- البروتستانت	311-236-165-81
- البوذية	135-134-131-128-69
- البوليقانية	59
"ت"	
- التبنية ADOPTIANISME	58
"ث"	
- الثنويـــة	205
"ج"	
- الجهمية	252

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

اسم الفرقة	الصفحة
"د"	
- الدرافيدية	119
- الديانة البابلية	233-147-95-94-93
- الديانة الفيدية	118
- الديانة المصرية	206-205-147-69
"ر"	
- الرواقية	141-138-51-24
"ز"	
- الزرادشتية	189
"س"	
- السابليون	86-4
- السلفية	191
- السيفية	123
"ش"	
- الشيعة الإمامية	282
"ص"	
- الصائبة	252
"ظ"	
- الظاهرية	237-236-235-223
"غ"	
- الغنوصية	57
- الغنوصية المسيحية	58
"ف"	
- الفريسية	38-25
- الفلاسفة الألمان	3

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

اسم الفرقة	الصفحة
- الفلسفة الأفلاطونية	138
- الفيشنية	121
" ق "	
- الـقاديـانـية	282
"ك"	
- الكاثوليك	311-225-81-67-34
- الكاثوليك الكلدان	68
- الكنيسة الشرقية	81-30
- الكنيسة القبطية	69
- الكنيسة اللاتينية	66
- الكنيسة اليونانية	66
- الكنيسة اليعقوبية	69
"ل"	
- اللاهوت الأوغسطيني	81
- اللاهوت الشرقي	85-81
- اللاهوت الغربي	85-81
- اللاهوتيون المدرسيون Les Théologiens Scolastique	22
"م"	
- المانوية	189-205
- المجوس	289-205
- المدرسة الإسكندرية	140-136-134-117-69-65-38
- المدرسة الألمانية	30
- المزدكية	189
- المظهرية	57

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

اسم الفرقة	الصفحة
- المعتزلة	213-212-204-203-190
-الملكية	-225-216-209-199-198-197- 11
	240
- المونوفيزيون	68
- الميثرائية	40
	"ن"
- النسطورية	240-225-209 -197-67-11
	"هـ"
- الهرمسية	141
	"ي"
- اليعقوبية	240-225-209-197- 11
- اليهودية	189-141-138-137-133-71-40

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سادسا: فهرس البلدان

البلد	الصفحة
" أ "	
- أبيدوس	105
- آدفو	108
- إسبانيا	159
- الإسكندرية	37
- آسيا الصغرى	60
- أسيوط	140
- أفسس	165-68-67-66-35-29
- أندونيسيا	92
- أنطاكية	66
-أور	94
- إيران	94
"ب"	
- بابل	99-97-94
- بغداد	192
"ت"	
- تركيا	68
- تسالونكي	68
"ج"	
- جدة	267
- الجزيرة العربية	154

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

البلد	الصفحة
"ح"	
- الحجاز	155-154
"خ"	
- خليكدونية	69-68-67-66
"د"	
- ديربان	297
- دلـــهي	266
"ر"	
- روما	69-68-67
	35-30
- الري	204
"س"	
- السمرّاء	281
- سوريا	69
- سيبيريا	93
"ط"	
- طرسوس	40-39-38-37-24
- طيبة	.108-104
"ع"	
- العراق	281-68-67
"غ"	
- غلاطية	30-29

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

البلد	الصفحة
"ف"	
- فارس	67
- فيلبي	30-29
"ق"	
- القدس	38-28
- القسطنطينية	253-69-68-67-66-65-64
- قرطبة	233
"ك"	
- الكاظمية	281
- كورنثوس	30-28
- كولوسي	33-29
"م"	
- متهيرا	125
- مصر	60-65-69-103-104-105-106-108-111-112-140-142-205.
- مكة	267-154
- منف	107
"ل"	
- ليبيا	60
"ن"	
- النجف	281
- نيقية	29-57-61-62-63-64-65-67-68-84-253
"هـ"	
- هرموبوليس	112
- همـــذان	203-204

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

البلد	الصفحة
- الهند	266-205-126-123-67
-هليوبوليس	115-112-107
"ي"	
- اليونان	142-140-136

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سابعا: فهرس المصادر والمراجع

أولا: الكتب المقدسة.

1- *القرآن الكريم*، على رواية حفص.

2-**الكتاب المقدس**،(كتب العهد القديم والعهد الجديد)، ترجم من اللغات الأصلية (دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، 1989م).

3-ספרים קדושים (wihn : druck von Adolf Halzbauzen KK Haf- und universitats von buch drucker)

ثانيا: كتب التفسير والحديث

4-**الأصفهاني** أبو القاسم الحسين بن محمد:

المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط1، (لبنان : دار المعرفة 1998م)

5-**الألوسي** وشهاب الدين محمود (ت 1270هـ):

روح المعاني في تفسير السبع المثاني،ط[ ]،(مصر: إدارة الطباعة المنيرية، ت[ ])

6-**البخاري** محمد بن إسماعيل (ت 256هـ):

الصحيح، ط[ ]، (دار الفكر، 1991م)

7-الترمذي **محمد بن عيسى بن الضحاك (ت 279هـ):**

سنن الترميذي، **تحقيق و تصحيح عبد الرحمان محمد عثمان، ط2، (بيروت : دار الفكر، 1983م)**

8-**ابن الجوزي** :

زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله، ط 1، (بيروت دار الفكر للطباعة و النشر 1987م)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

9-**بن حنبل** أحمد (241هـ) :

المسند، ط[ ]، (دار الفكر، ت[ ])

10-**الدارمي** محمد بن عبد الرحمان (255هـ):

السنن، تحقيق وتخريج: السيد عبد الله هاشم، (باكستان: حديث أكاديمي، 1984م)

11-**أبو داود** سليمان بن الأشعث (ت275هـ):

السنن، تحقيق: محمد بن عند الحميد، ط[ ]، (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، ت[ ])

12-**الرازي** أبو عبد الله فخر الدين (ت606هـ) :

التفسير الكبير، ط3 (بيروت : دار إحياء التراث العربي)

13-**الزمخشري** محمود بن عمر (ت528هـ) :

الكشاف عن حقائق غوامض التزيل، ط1، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى،1929م)

14-**سيد قطب** :

في ظلال القرآن، ط2، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ت[ ])

15-**بن عاشور** محمد الطاهر:

التحرير و التنوير، ط [ ]، (تونس: الدار التونسية للنشر 1984 المؤسسة الوطنية للكتاب ت[ ])

16-**العسقلاني** محمد بن حجر الشافعي (ت 852هـ) :

فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق و تصحيح : عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (بيروت: دار المعرفة، ت[ ])

17-**القاسمي** محمد جمال الدين (ت1914م):

محاسن التأويل، تعليق وتصحيح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، (دار إحياء العربية، 1957)

18-**ابن ماجة** أبو عبد الله محمد بن يزيد (ت275هـ):

السنن، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط[ ]، (دار الفكر، ت[ ])

19-**محمد** رشيد رضا :

تفسير المنار، ط2،(بيروت : دار المعرفة، ت[ ])

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

20-**مسلم** أبو الحسن (261هـ):

صحيح مسلم، تحقيق وتصحيح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط2، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ت[ ])

ثالثا: كتب علم الكلام والأديان

21-**إرمان** أدولف:

ديانة مصر القديمة، ترجمة : عبد المنعم أبو بكر، محمد أنور شكري، ط [ ] ، (مصر : مطبعة مصطفى البابي و أولاده)

22-**الأشعري** أبو الحسن علي بن إسماعيل (330هـ):

مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية، 1990م)، ج2، ص8.

23-**الأعظمي** ضياء الرحمان:

فصول في أديان الهند(الهندوسية والبوذية والجينية والسيخية وعلاقة التصوف بها) ط1، (المدينة المنورة: دار البخاري للنشر، 1997)

24-**الباقلاني** أبو بكر:

الإنصاف فيما يجب اعتقاده، ولا يجوز الجهل به، تحقيق وتعليق وتقديم: محمد زاهد بن الحسين الكوثري، ط3، (القاهرة: مكتبة الخازجي، 1993م)

تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، ط1، (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1987م)

26-**بالتسار** هانس أورس فون:

نؤمن، تأملات في قانون الرسل، ترجمة: كميل حشيمة اليسوعي، ط1، (بيروت : دار المشرق 1994)

27- **بدوي** عبد الرحمان:

مذاهب الإسلاميين ، المعتزلة والأشاعرة، ط3، (بيروت: دار العلم للملايين، 1983م)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

28- **البصري** عمار:

كتاب البرهان وكتاب المسائل والأجوبة، حققه وقدم له: ميشال الحـــايك، ط[ ]، (بيروت: دار المشرق، 1986)،

29- **البغدادي** عبد القادر بن ظاهر بن محمد (ت429 هـــ)

الفرق بين الفرق، (بيروت، صيدا: المكتبة العصرية، 1990)

30- **البلاغي** محمد جواد:

التوحيد و التثليث ،ط2 (بيروت : دار المؤرخ العربي، 1992)

الهدى إلى دين المصطفى، ط3 (بيروت :مؤسسة الإعلام للمطبوعات، 1985).

32- **البوطي** محمد سعيد رمضان:

كبرى اليقينيان الكونية ، ط 8، (دمشق : دار الفكر 1987)

33-**بوكاي** موريس:

القرآن الكريم و التوراة و الإنجيل و العلم – دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعـلوف العلمية، ط[ ]، (القاهرة : دار الفتح لإعلام العربي، ت [ ])

34-**ابن تيمية** ، تنقي الدين:

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ط[ ]، (مطابع المجد التجارية، ت[ ])،

الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق : محمد محي الدين عبـــد الحميـــد،ط[ ]، (بيروت : دار الكتب العلمية، ت[ ])

الفتاوى ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (الرباط : مكتبة المقارن)

37-**الجاحظ** أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ:

المختار في الرد على النصارى، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي، ط1، (بـــيروت: دار الجيل، 1991م)

38-**جنيبر** شارل:

المسيحية نشأتها و تطورها، ترجمة : عبد الحليم محمود، ط [ ]، (بـــيروت : المكتبـــة العصرية، ت[ ])

39-**ابن حزم**:

الذرة فيما يجب اعتقاده، تحقيق وتعليق ودراسة: محمد بن ناصر بن محمد الحمد بـــن سعيد بن عبد الرحمان بن موسى القرفي، ط1، (القاهرة: مطبعة المدني، 1988م)

الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمان عميرة، ط1، (المملكة العربية السعودية: شركة مكتبات عكاظ، 1982م).

41-**الحفني** عبد المنعم :

موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ط1، (القاهرة: دار الرشاد، 1993م)

موسوعة فلاسفة و متصوفة اليهودية، ط[ ] ، (مكتبة مدبولي،ت[ ]).

43-**حفني** ناصف عصام الدين :

المسيح في مفهوم معاصر،ط1، (بيروت : دار الطباعة 1979م)

44-**حلمي** مصطفى:

معالم المنهج الإسلامي في دراسة الأديان، ط [ ]، (الإسكندرية : دار الدعوة)

45-**حماية** محمود علي:

ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، ط1، (القاهرة: دار المعارف،1983م).

46-**الخطيب** عبد الكريم:

المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، ط1، (دار الكتب الحديثة، 1965 م)

43-**أبو خليل** شوقي:

الحوار دائما و حوار مع مستشرق، ط2 (بيروت : دار الفكر المعاصر، سورية : دار الفكر 1995م)

47-**داود** أحمد يوسف:

الميراث العظيم، إعادة بناء المنجز الحضاري من الألف الرابع قبل الميلاد و ظهور الإسلام، ط1، (بيروت: دار المستقبل مارس 1991)

48-**ديدات** أحمد:

بين الإنجيل و القرآن، ط [ ]،(الجزائر : دار الهدى للطباعة و النشر)

خمسون ألف خطأ في الكتاب المقدس و حوار مع البابا المسلمين، ترجمة : رمضان الصفناوي، ط[ ]، (القاهرة : المختار الإسلامي، ت[ ])

المسلم ،مقارنة بين صلاة المسلمين وصلاة أهل الكتاب، ترجمة: علي عثمان (الجزائر: دار الهدى، ت[ ])

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المناظرة الحديثة بين ديدات وسويجرت،جمع وترتب: أحمد مجازي السـقا، ط [ ]، (الجزائر : مكتبة رحاب،ت[ ])

هل الكتاب المقدس كلام الله ؟ ترجمة : نورة أحمد النومان، ط[ ]، (قسـنطينة: دار البعث، ت[ ])

53-الزاوي عبد الستار :

العقل و الحرية في فكر القاضي عبد الجبار المعتزلي ، ط 1 (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات و النشر 1980 م)

54-أبو زهرة، محمد:

ابن تيمية حياته وعصره ،ط[ ]، (دار الفكر العربي ، دار الثقافة، ت[ ]) ، ص19.

ابن حزم، حياته وآراءه، وفقهه، ط[ ]،(القاهرة: دار الفكر،ت[ ])

مقارنات الأديان، الديانات القديمة، ط[ ]، (القاهرة: دار الفكر العربي، ت[ ])

محاضرات في النصرانية، تقديم عمار طالبي، تصدير الشيخ محمد الغـزالي، (الجزائـر، شركة شهاب)

58-أبو السعد محمد عبد الحليم مصطفى:

دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس تاريخيا و موضوعيا، ط 1،(الدار [ ]، 1994)

59-السقا أحمد حجازي:

نبوءة محمد في الكتاب المقدس، ط1، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1978)

60-سيداروس فاضل:

سر الله الثالوث- الأحد، ط2، (بيروت: دار المشرق 1995م).

يسوع المسيح في تقليد الكنيسة، ط[ ]، (دار المغرب، 1996)

بين وحي الله وإيمان الإنسان، ط[ ]، (دار المشرق، 1992)

63-الشرفي عبد المجيد:

الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع/العاشر، ط[ ]،(تونـس: الدار التونسية للنشر،1986)

64-شلبي أحمد:

مقارنة الأديان، أديان الهند الكبرى، الهندوسية، البوذية، ط8، (القـاهرة: مكتبـة النهضة المصرية ، 1988م)،

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقارنة الأديان ،المسيحية ، ط8، (القاهرة: مكتبة النهضة العربية، 1984م)

66-**شبلي** رؤوف :

آلهة في الأسواق، دراسة في النحل القديمة في الشرق، ط2، (الكويت : دار القلم، 1983)

67-**شلبي** عبد الجليل:

عظماء قادة الأديان، ط1، (مؤسسة الخليج العربي 1991)

68-**الشهرستاني** أبو الفتح محمد عبد الكريم أحمد:

الملل والنحل، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، ط[ ]، (بيروت : دار الفكر،ت[ ])

69-**صبحي** أحمد محمود:

في علم الكلام، دراسة في الفرق الإسلامية،وأصول الدين (الأشاعرة)، ط5، (بيروت: دار النهضة العربية، 1985م)

في علم الكلام، دراسة في الفرق الإسلامية و أصول الدين -المعتزلة-، ط[ ]، (بيروت : دار النهضة العربية 1985 م)

71-**العاملي** محمد علي برو:

الكتاب المقدس في الميزان، ط [ ]، (بيروت: الدار الإسلامية، 1993م)

72- **عبد الجبار** أحمد الهمذاني(ت 415 هـ):

تثبيت دلائل النبوة، تحقيق وتقديم: عبد الكريم عثمان، ط[ ]، (بيروت: الدار العربية، ت[ ])

المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحقيق : محمود محمد الخضري، مراجعة : إبراهيم مدكور، إشراف : طه حسين، ط[ ]، (مصر : الدار المصرية للتأليف والترجمة، ت[ ])

شرح الأصول الخمسة، تقديم: عبد الرحمان بوزيدي، ط[ ]، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1990)

المحيط بالتكليف، تحقيق عمر السيد عزمي، مراجعة أحمد فؤاد الأهواني، ط [ ]، (الدار المصرية للتأليف و الترجمة، ت [ ]).

76-**عبد الجبار (القاضي)**، أبو القاسم البلخي، الحاكم الجشمي

فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق: فؤاد سيد، ط2، (الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس: الدار التونسية للنشر، 1986)،

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

77-**عبد الملك** بطرس ، طمس جون ألكسندر، مطر إبراهيم:

قاموس الكتاب المقدس، ط10، (دار الثقافة، بالاتفاق مع رابطة الإنجيليين بالشرق الأوسط، 1995م).

78-**عبود** عبد الغني:

المسيح و المسيحية و الإسلام، ط1، (دار الفكر العربي، 1984)

79-**العثماني** محمد تقي:

ما هي النصرانية؟؟، ترجمة: عالم الأميني الندوي، ط[ ]، (كراتشي: مكتبة العلوم، 1983م).

80-**عطاء الرحيم** محمد:

عيسى يبشر بالإسلام، ترجمة و تعريب: فهمي م شما، ط1، (دمشق: المكتبة العمومية، 1990م)

81-**عطار** أحمد عبد الغفور:

الديانات و العقائد، ط1، (مكة المكرمة، 1981).

82-**عطيتو** حربي عباس

ملامح الفكر الفلسفي الديني في مدرسة الإسكندرية،وتياراتها الفكرية والعلمية، تقديم: علي عبد المعطي، ط1، (بيروت: دار العلوم العربية،1992م)

83-**العقاد** عباس محمود:

الموسوعة ،توحيد و أنبياء، ط1، (بيروت : دار الكتاب العربي، 1970م)

84- **عويس** عبد الحليم:

ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، ط[ ]، (دار الاعتصام، ت[ ]).

85- **غرديه** لويس ، قنواتي ج:

فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، ترجمة: صبحي الصالح، فريد جبر، ط2،(بيروت: دار المعارف للملايين، 1979م)

86- **فيومي** محمد إبراهيم:

في الفكر الديني الجاهلي قبل الإسلام، ط[ ]، (القاهرة: عالم الكتب، 1979)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

87- ابن القيم الجوزية (751هـ):

إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ط[ ]، (بيروت: المكتبة الثقافية، 1989م)

88-**كامبي** جان:

دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، ط 1، (بيروت: دار المشرق، 1994)،

89-**محمد هاشم** شريف:

الإسلام و المسيحية في الميزان، ط1، (بيروت: مؤسسة الوفاء، 1988)

90-**المعتق** عواد بن عبد الله:

المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، ط3،(الرياض: مكتبة الرشد، 1996م)

91-**المقريزي** تقي الدين (845هـ):

المواعظ بذكر الخطط بذكر الخطط و الآثار، ط[ ]، (القاهرة: مؤسسة الحلبي وشركاه، ت[ ])

92-**المنوفي** محمد أبو الفيض

موسوعة وحدة الدين و الفلسفة و العلم، الدين المقارن، بحث في سائر الديانات العالمية، ط، (القاهرة : دار النهضة الفجالة، ت [ ])

93-**الندوي** محمد إسماعيل:

الهند القديمة حضاراتها و دياناتها،ط[ ]، (دار الشعب، 1970)

94-**النجار** عبد المجيد:

مباحث في منهجية الفكر الإسلامي، ط1، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992م)

95-**النجار** عبد المجيد ، أبو لبابة حسين، علي الشابي:

المعتزلة بين الفكر والعمل، ط[ ]،(تونس:الشركة التونسية للتوزيع،ت[بدون])

96-**النشار** علي سامي:

نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط7، (دار المعارف،1977م)

97-**نصري** ألبير:

مدخل إلى الفرق الإسلامية السياسية والكلامية، ط3، (بيروت: دار المشرق، 1989م)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

98- **هك** جون(مشرفا):

أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح، تعريب: نبيل صبحي، ط1، (الكويت: دار القلم ، 1985م)،

99- **الهندي** رحمة الله:

إظهار الحق، تحقيق: عمر الدسوقي، ط[ ]، (منشورات دار الكتب، ت[ ])

100-**وافي** علي عبد الواحد:

الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للمسيحية، ط[ ]، (الفجالة، القاهرة: دار النهضة، ت[ ])

101- **والفورد** جون ف:

يسوع المسيح ربنا، ترجمة: حزقيال بسطوروس، مراجعة: إميل بطرس، ط[ ]، (القاهرة: دار الجيل 1988م)

102- **اليسوعي** بوتمان:

البطريك طيموتاوس الأول أو الكنيسة والإسلام في العصر العباسي الأول،

(بيروت: دار المشرق، 1986)

103-**اليسوعي** توماس ميشال

مدخل إلى العقيدة المسيحية، ترجمة : كميل حشيمة اليسوعي، ط[ ]، (بيروت : دار المشرق، 1992م)

104-**اليسوعي** دوناسيان ملا:

قراءات في إنجيل يوحنا، دراسات في الكتاب المقدس(7)، ترجمة: حليم عبد الله، ط4، (بيروت: دار المشرق، 1993م)

105-**اليسوعي** رامي إلياس:

من هو الله ، موسوعة المعرفة المسيحية (العقيدة 4)، ط1، (بيروت : دار المشرق 1994)

106-**اليسوعي** صبحي حموي:

معجم الإيمان المسيحي، أعاد النظر فيه من الناحية المسكونية: جان كوربون، ط1، (بيروت: دار المشرق بالتعاون مع مجلس كنائس الشرق الأوسط، 1994م)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

107–**التفكير الديني في العالم قبل الإسلام:**

عرض وترجمة وتعليق: رؤوف شلبي، ط[ ]، (الدوحة: دار الثقافة، ت[ ])

108–**الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة:**

ط1، (الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، 1988م).

رابعا: الكتب التاريخية

109–**برستيد** جيمس هنري:

صفحات من تاريخ مصر، تاريخ من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ط[ ]، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1995)

110–**البغدادي** الحافظ أبي بكر علي الخطيب (463هـ):

تاريخ بغداد أو مدينة السلام، (بيروت: دار الكتاب العربي، ت [ ])

111–**توينبي** أرنولد:

تاريخ البشرية، ترجمة: نقولا زيادة، ط 2، (بيروت: الأهلية للنشر و التوزيع 1983)

112–**مختار** جمال (مشرفا) :

تاريخ الحضارات العام، حضارات إفريقيا القديمة، (اليونسكو ،1985)

113**خشاب** عبد المحسن:

تاريخ اليهود القديم بمصر، ط1، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1989)

114–**ابن خلكان** شهاب الدين (ت681هـ):

وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، ط[ ]، (بيروت: دار صادر، ت[ ])

115–**ديورانت** ول:

قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، تقديم: محي الدين صابر، ط[ ] ، (بيروت: دار الجيل، ت[ ])

قصة الحضارة، إعداد وترتيب: محمد عبد الرحيم، ط1، (بيروت: دار الجيل، 1992م)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

117-**الذهبي** شمس الدين (ت748 هـ):

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1993م)، ج 28 ، ص89.

العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط1، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1985م)ج2،ص 207.)

119-**السمعاني** أبو سعد عبد الكريم (ت562هـ):

الأنساب، تعليق وتقديم: عبد الله عمر البارودي، ط1،(بيروت: مؤسسة الكتاب الثقافية، 1988م)

120-**أبو العماد** بن عماد الحنبلي (ت1089):

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، (بيروت:منشورات دار الآفاق الجديدة،ت[ ])

121-**غربال** محمد شفيق:

تاريخ الحضارة المصرية، العصر الفرعوني، ط1، (لبنان: بيروت 1979).

122-**ق.ي** :

تاريخ توت عنخ آمون، محرر مصر العظيم، ط1، (القاهرة : مكتبة مدبولي 1991)

123-**بن كثير** أبو الفداء (774هـ):

البداية والنهاية،ط6، (بيروت: مكتبة المعارف، 1985م)

124-**كروزيه** موريس:

تاريخ الحضارات العام، الشرق و اليونان القديمة، ط2،(بيروت : منشورات عويدات)

125-**الكيلاني** عبد الوهاب (مؤسسا)، ماجد نعمة(مديرا):

موسوعة السياسة، شارك في التحرير: محمد بشير الكافي ، -سعد زروق، لبيب شقير، ط3، (عمّان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990)

126-**أبو المحاسن عصفور** أحمد:

معالم حضارات الشرق الأوسط القديم، ط ، بيروت : دار النهضة العربية، 1987

127-**نمير سيف الدين** إبراهيم ، زكي علي، أحمد نجيب هاشم :

مصر في العصور القديمة، ط[ ]، (القاهرة : مكتبة مدبولي)

خامسا: كتب عامة

128-**البستاني** بطرس :

دائرة المعارف، ط[ ]،(تهران: مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان، ت[ ])

129-**بدوي عبد الرحمان**:

موسوعة الفلسفة ، ط1، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، 1984م).

130-**بيرم** مختار:

مباحث فلسفية، ط[ ]، (الجزائر:دار الهدى، ت[ ])

131-**التهاوني** محمد علي الفاروقي:

كشاف اصطلاحات الفنون ، تحقيق: لطفي عبد البديع ، ترجمة: عبد النعيم حنين،(مصر: الهيئة المصري للكتاب، 1972)

132- **الحموي** شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ):

معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية ، 1991م)

معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1990م..

134-**خالد** غسان:

أفلوطين رائد الوحدانية، و منهل الفلاسفة العرب، ط1، (بيروت، باريس : منشورات عويدات 1983)، ص102

125-**روزنتال** م (مشرفا)و يودين ب:

الموسوعة الفلسفية، ترجمة: سمير كرم، ط6، (بيروت: دار الطليعة،1987م)

136-**الزركلي**خير الدين:

الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين، ط2، (د[ ]، ت[ ]).

137-**الزيادي** محمد فتح الله:

انتشار الإسلام وموقف المستشرقين، ط[ ]، (بيروت، دمشق: دار قتيبة، 1990م).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

138-صليبا جميل:

المعجم الفلسفي، ط[ ]، (بيروت: الشركة العالمية للكتاب ش م ك، 1994م)،

139-**غالب** مصطفى:

في سبيل موسوعة فلسفية، ط [ ]، (بيروت : دار مكتبة الهلال، 1986)

140-**الفاخوري** حنا ، **الجر** خليل:

تاريخ الفلسفة العربية، ط2، (بيروت: دار الجيل، 1982).

141-**فخري** ماجد:

تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس (585 ق.م) إلى أفلوطين (270م) و برقليس (485م)، ط 1، (بيروت: دار العلم للملايين، 1991)

142-**فروخ** عمر:

تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، ط4 (بيروت: دار العلم للملايين)،

143-**كارليل** توماس:

الأبطال، ترجمة: محمد السباعي، ط3،(مصر: المكتبة المصرية بالأزهر، 1930م)

144-**كحالة** عمر رضا:

معجم المؤلفين، ط1، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1993م)-

145-**بن محمد** سعيد محمد سليم:

أكبر مجاهد في التاريخ، الشيخ رحمة الله الهندي، ترجمة: أحمد حجازي السقا، عبد الله محمد علام، ط1، (مصر: مكتبة الكليات الأزهرية، 1977م)

146-**مرحبا**محمد عبد الرحمان:

مع الفلسفة اليونانية، ط3، (بيروت، باريس: منشورات عويدات، 1988م)

147-**ابن منظور** أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت 711هـ):

لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي،ط[ ]، (القاهرة: دار المعارف ت[ ])

148-**بن نبي** مالك:

الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، تقديم : عبد الله دراز ، محمود محمد شاكر، ط 4، (دمشق : دار الفكر 1987م

149-**نعيمة** ميخائيل:

المجموعة الكاملة ، ط 2 ،(بيروت: دار العلم للملايين، 1981م)

150-**وجدي** محمد فريد :

دائرة معارف القرن العشرين،ط[ ]، (بيروت: دار الفكر، ت[ ])

151-**يعقوب** محمد:

معجم الفلسفة، ط [ ]، (الجزائر : مكتبة الشركة الجزائرية)

سادسا: المجلات والدوريات والرسائل الجامعية

152-**شتيوي** محمد شلبي إبراهيم:

عقيدة التثليث عند النصارى ، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة الثالثة، عدد: 5، (الخالدية: جامعة الكويت، يوليو 1986)

153-**عبد العال** حمدي

: **تحقيق القول في تحول بولس**، مجلة الشريعة و الدراسات الإسلامية، (الكويت: جامعة الكويت عدد 16، سنة 7، مارس 1990)

154- **فرحات** عبد الكريم: **منهج القاضي عبد الجبار في الرد على النصارى**، رسالة ماجستير، (معهد الدعوة وأصول الدين جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية1995/1996).

155-**جريدة النصر**"المناظرة الكبرى الثانية ،ديدات و شروش: **هل المسيح هو الله ؟**"، الجزائر: 25 –26–27–28–29–1987/04/30م، ص6، العمود الثاني.

156-**دائرة المعارف الإسلامية**، (بيروت ، دار المعرفة)،

157- **L'esprit saint**
Fêtes et saisons (mensuel n^0 407-0408 septembre / octobre/ 1986, Paris)

158- **Fuornier Froncois : incroyants et Acte de Foi**
quel longage pour la foi aujourd'hui, Culture et foi (cahier n^0 **35-36 été 74, Lyon)**

159- **découvrir jésus**
Le monde de la bible, ((Mensuel n^0 0154 9049 août, sep, oct., 1987, Paris)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سابعا: المراجع الأجنبية

160 -Abbé A D , Beltier :

Dictionnaire des conciles , (Paris : Ateliers catholiques du petit-Montrouge, 1947)

161 -Aigrain Abbé. R (Sous la direction):

Ecclésia, Encyclopedie populaire des connaissances religieuses, Préface: S.G.M^{gr} Courcoux, (Paris : librairie Bloud et Gay, 1941)

162 -Aubry Alain (sous présidence):

Encyclopaedia universalis, (Paris: Encyclopaedia universalis SA, 1996).

163 -Boesplug François et **Duvand** François (Sous la direction) :

le comparatisme en histoire des religions, (Paris : les editions du cerf 1997)

164 -Bouamama Ali:

La Litterature polemique musulmane contre le Christianisme Depuis SES origines jusqu au 13eme siecle, (Alger: Enterprise nationale du livre), p 39

165 -Bouyer .L:

Dictionnaire Théologique, (Belgique: Desclée, 1963

166 -Brilliaut Maurice, **Aigrain** René (Sous la direction):

Histoire des religions (Blond et gay)

167 -Briault R P M : **Polythéisme ET fétichisme**,

(librairie Bloud et gay, 1929)

168-Gonzelmann Hans:

Théologie du nouveau testament, traduit en Français par: Etienne de Peyer.

(Paris : Editions du centurion, Genève : Edition Laber et Fides)

169- De la brosse Olivier **Marie henry** Antonin, **Rouillard** Philip (sous la direction) :

Dictionnaire des Mots de la Foi Chretienne, (Paris : les Editions du cerf ,1989)

170 -De provin Glavis:

Notre Dame de la trinité, d'après la théologie, l'art ET la mystique, 4eme édition, (France: Bloie, Belgique: Gembloux, 1932).

171 - Di Beradino Angelo (Sous Direction)

Dictionnaire Encyclopedique du Christianisme Ancien, (Belgique: Les Editions du Cerf, 1990)

172 - **Divina** Lectio:

La création dans l'orient ancien, (Paris: les éditions du cerf, 1987)

173 - **Ferlay philippe:**

Dieu et saint esprit (petite Encyclopédie moderne du christianisme), (Desclée de brouwer1990)

174 -**Fournier** .P:

Histoire des religions non chrétiennes, (Paris: A.G, Raudon, 1928)

175 -**Garriguet** . L:

La vierge Marie, édition(5), (Paris: pierre téqui libraire-éditeur, 1924)

176 -**Gorce** Maxime et **Martier** Raoul (Sous la direction) :

Histoire générale des religions, introduction générale primitifs, ancien arien, indo-Européens, (Paris : Librairie Austode Guillet)

177 -**Guerry** M:

Dans le Christ total, (Paris: desclée de bronwer, 1952)

178 -**Haddad** Rachid:

La Trinite divine chez Les Theologiens arabes 750-1050, **(Paris: Beauchesne editeur,1985)**

179 -**Le chanoine** l. cristiani:

Jésus Christ files de Dieu, sauveur, (Lyon: Le comité catholique d'apostolat par l'évangile)

180 -**Legasse** Simon:

Paul apôtre, (éditions Cerf Fides, 1992).

181 -**Legrand** Gérard :

Dictionnaire de La Philosophic, (Paris, Bruxelles, Montréal: Bordas, 1995).

182 - **Lenoir** Frédéric ET **Masquilier** Ysé Tordan (Sous la direction):

Encyclopédie des religions, (Bayard Edition 1997)

183 -**Marchaud** Ennery:

lexique Hébreux-Français, 6eme édition, (Paris : librairie durlacher, 1947)

184 -**Masson** Denis:

Le monothéisme coranique ET le monothéisme biblique (doctrines comparées), préface: Jean Gros Jean, 2eme édition, (desclée de Brouwer, 1976)

185 -**Mennier** Bernard. **schone** Bernard:

Dieu peut-il avoir un fils ?, (Paris : les éditions du cerf, 1993)

186 -**Metz** René:

Histoire des conciles, (Paris: presses universitaires de France, 1964)

187- **Michaud** Henri:

Jésus selon le Coran : cahiers théologique N°46, (de la chaux et Nirstlé, S A Neuchâtel 1960)

188 -**Moltmain** J:

Trinité ET Royaume de Dieu, (Paris; les édition du cerf 1984

189 -**Monnot** Guy:

Islam et Religions, **(Paris: Maison noeuve,1986)**

190 -**Mornz** .S:

La religion égyptienne, (Paris: Bibliothèque historique 1962),

191 -**Posener** Georges ET autres:

Dictionnaire de la civilization égyptienne, (Paris: Fernand Hazan, 1959)

192 - **Royston** Pike.E:

Dictionnaire des religions, adaptation francaise: Serge hutin (Paris: Presses universitaires de france, 1954) p: 308

193 - **Saurat** Denis:

Histoire des Religions, (Paris: les éditions Donoel et Steele, 1933),

194 -**Schönbor** Christoph:

Au cœur de notre Foi, le credo, traduction: Afra Hildebrandt, (cedex : Edition saint Paul, 1995)

195 -**Sepieter** Abbé G:

La doctrine catholique, (Paris: Lethillieux Editeur, Lille: René Girard librairie)

196 - **Vallentin** J:

La Foi des chrétiens (Paris: Editions Atstion 1949,

197 -**Vigouroux:**

La Bible ET la découverte moderne en Palestine, en Egypte et en Assyrie, 5ème édition, (Paris: Brèche et Tralin)

198- Dictionnaire de la théologie catholique, (Paris: Librairie Letouzey et Ané, 1950).

199- Egypte, le Nil égyptien et soudanais du delta a Khartoum (Paris : Hachette guides bleus 1986)

200 - La bible du peuple de Dieu, le nouveau testament, (le centurion, le cerf 1973)

201- Mémo, larousse encyclopédie ,(Paris : librairie larousse, 1991)

ثامنا: الأقراص المضغوطة

202-القرآن الكريم، الإصدار السادس 31. 6 شركة صخر لبرامج الحاسب (1991-1996م)

203-الحديث الشريف، الإصدار السادس، 1.2 شركة صخر لبرامج الحاسب (1991-1996م)

204 -Encyclopédie Encarta 99 , Atlas du Monde , Behavior Tech Computer Corp, CD ROM2

205 -Mon Encyclopédie, (Paris : Micro Application, 1996), CD-ROM N^0 1 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثامنا: الفهرس التحليلي للمحتويات

الإهداء

المقدمة

التمهيد : عقيدة التثليث و النسق المكون لها 01

أولا : تعريف التثليث 02

ثانيا : الجوهر 04

ثالثا : الطبيعة 06

رابعا : الأقنوم 06

خامسا : الشخص 09

الفصل الأول : عقيدة التثليث النصرانية 12

تمهيد 13

المبحث الأول : التثليث في العهد القديم 15

المطلب الأول : الأقانيم في العهد القديم 15

أولا : أبوة الله 15

ثانيا : ملاك الربّ أو "الابن" 16

ثالثا : النبوءات بالمسيح "الإله" 18

رابعا : الكلمة 19

خامسا : الروح القدس 20

المطلب الثاني : النسق التثليثي في العهد القديم 22

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني : عقيدة التثليث عند بولس

المطلب الأول : حياته 24

المطلب الثاني : رسائل بولس و مكانتها من الكتاب المقدس 28

المطلب الثالث : العقائد التي أضافها بولس للنصرانية 30

أولا : عقيدة الأبوة 31

ثانيا : عقيدة البنوة و ألوهية المسيح 32

ثالثا : عقيدة بولس في الروح القدس 34

رابعا : انسق التثليثي عند بولس 35

المطلب الرابع : العوامل و المؤثرات التي جعلت بولس يمهد لـ[illegible]زل بالتثليث 37

أولا : تأثر بولس بالديانة اليهودية 38

ثانيا : تأثر بولس بتعاليم مدرسة الإسكندرية 38

ثالثا : تأثر بولس بالأفكار السائدة في البيئة الرومانية 39

المبحث الثالث : عقيدة التثليث في الأناجيل الأربعة

المطلب الأول : الأقانيم في الأناجيل المتوافقة و إنجيل يوحنا 40

أولا : أقنوم الأب 41

ثانيا : أقنوم الابن 42

ثالثا : العلاقة بين الأب و الابن 44

رابعا : الكلمة عند يوحنا 46

1- مدى نسبة الإنجيل إلى يوحنا 46

2- مفهوم الكلمة عند يوحنا 47

3- أصل الكلمة عند يوحنا 50

خامسا : الروح القدس 53

المطلب الثاني : النسق التثليثي في الناجيل الأربعة 55

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الرابع : المجامع الكنيسية و دورها في تقرير عقيدة التثليث

المطلب الأول : مجمع نيقية و تقرير ألوهية المسيح 57

أولا : الوضع الديني قبل مجمع نيقية 57

ثانيا : مجمع نيقية 61

المطلب الثاني : مجمع القسطنطينية و تقرير ألوهية المسيح 64

أولا : الوضع الديني قبل مجمع القسطنطينية 64

ثانيا : مجمع القسطنطينية الأول 65

المطلب الثالث : مجمع "أفسس" و "خليكدونية" 66

أولا : الوضع الديني قبل المجمعين 66

ثانيا : مجمع أفسس 67

ثالثا : مجمع خليكدونية 68

المبحث الخامس : عقيدة التثليث في الفكر النصراني

المطلب الأول : الأقانيم و علاقتها ببعضها 70

أولا : أقنوم الأب 70

ثانيا : أقنوم الابن 71

ثالثا : العلاقة بين أقنومي الأب و الابن 73

1- المحبة 73

2- الإلادة 75

رابعا : أقنوم الروح القدس 78

خامسا : العلاقة بين أقنومي الأب و الابن و أقنوم الروح القدس 80

المطلب الثاني : الثالوث الأحد 83

أولا : إشكالية الوحدة و التثليث 83

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا : بعض التشبيهات التي استعملها اللاهوت النصراني 86

المطلب الثالث : التثليث و الحياة النصرانية 88

الفصل الثاني : عقيدة التثليث في الديانات القديمة 91

تمهيد 92

المبحث الأول : التثليث في الأديان السائدة في بابل 94

المطلب الأول : الثالوثات البابلية 95

أولا : الثالوث الأول 96

ثانيا : الثالوث الثاني 97

ثالثا : الثالوث الثالث 97

رابعا : الثالوث الرابع 98

المطلب الثاني : الكلمة عند البابليين 99

المبحث الثاني : التثليث في الديانة المصرية القديمة 102

المطلب الأول : نشأة التثليث في الديانة المصرية 103

المطلب الثاني : أهم الثالوثات المصرية 105

ثالوث أبيدوس 105

ثالوث هليوبوليس الأول 107

ثالوث هليوبوليس الثاني 107

ثالوث منف 108

ثالوث طيبة 108

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالوث آدفو
المطلب الثاني : نسق التثليث المصري 109
النسق الأول 109
النسق الثاني 109
النسق الثالث 113
المطلب الثالث : الكلمة في الديانة المصرية 115

المبحث الثالث : التثليث في الديانتين البرهمية والبوذية

المطلب الأول: التثليث في الديانة البرهمية 118
أولا : التثليث البرهمي 119
- برهما 120
- فيشنو 120
- سيفا 122
ثانيا : نسق التثليث في الديانة البرهمي 123
ثالثا : كرشنا و المسيح 125
128
المطلب الثاني : التثليث في الديانة البوذية
أولا : حياة بوذا 129
ثانيا : بوذا و المسيح 130
ثالثا : أثر البوذية على الديانة النصرانية 134

المبحث الرابع : التثليث في مدرسة الإسكندرية 136

المطلب الأول : فيلون و أثره في عقيدة التثليث النصرانية 137
أولا : حياته 137
ثانيا : فلسفته و أثرها في عقيدة الكلمة النصرانية 137
المطلب الثاني : أفلوطين و أثره في عقيدة التثليث النصرانية 140
أولا : حياة أفلوطين 140

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا : فلسفة أفلوطين و أثرها في عقيدة التثليث النصرانية 142

أ- فلسفته:

الواحد 142

العقل 143

النفس 145

ب- أثر المثلث الأفلوطيني على الثالوث النصراني 146

الفصل الثالث : *موقف القرآن الكريم من عقيدة التثليث* 148

تمهيد 149

المبحث الأول : موقف القرآن الكريم من النسق التثليثي والقضايا المثارة حوله

المطلب الأول : الرّد القرآني على عقيدة التثليث 151

المطلب الثاني : موقف القرآن الكريم من التثليث النصراني وألوهية مريم 156

أولا : الرّد على عقيدة التثليث 156

ثانيا : الموقف القرآني من ألوهية مريم 160

1- ألوهية مريم في الفكر الإسلامي 160

2- عقيدة النصارى في مريم 163

أ- أزلية مريم

ب- صفات مريم

ج- علاقة مريم بالثالوث 163

د- علاقة مريم بالبشر 164

3- القرآن وألوهية مريم 167

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني : موقف القرآن من الأقانيم

المطلب الأول : موقف القرآن من أقنوم الأب 170
المطلب الثاني : موقف القرآن من عقيدة البنوة 171
1- دليل الملك 171
2- دليل الإبداع و التكوين 173
3- دليل الصاحبة 175
4- دليل العبودية 176
5- دليل الوحدانية 177
6- دليل التحريف 177
7- دليل المضاهاة 178
المطلب الثالث : موقف القرآن من الكلمة 180
المطلب الرابع : موقف القرآن الكريم من أقنوم الروح القدس 184

الفصل الرابع : *موقف القدامى من عقيدة التثليث* 188

تمهيد

المبحث الأول : الباقلاني و موقفه من عقيدة التثليث (النموذج الأشعري)

المطلب الأول : حياته 192
المطلب الثاني : رد الباقلاني من مسألة الجوهر 193
المطلب الثالث : رد الباقلاني على الأقانيم 196
أولا : التحديد العددي للأقانيم 196
ثانيا : علاقة الجوهر بالأقانيم 197
ثالثا : الرد على معنى الأقانيم 198
رابعا : الرد على بنوة المسيح 199

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الرابع : الرد على الأدلة النقلية 200

203

المبحث الثاني : القاضي عبد الجبّار و موقفه من عقيدة التثليث (النموذج الاعتزالي)

المطلب الأول : حياته 203

المطلب الثاني : **الجذور التاريخية لعقيدة التثليث و تطورها** 205

أولا : جذور عقيدة التثليث 205

ثانيا : تطور الديانة النصرانية 207

المطلب الثالث : **رد القاضي على الجوهر و الأقانيم** 209

أولا : الرد على كون الله جوهر 209

ثانيا : اختصاص الأقانيم 210

ثالثا : اتفاق الأقانيم و اختلافها 211

رابعا : الأقانيم و الصفات 212

خامسا: عمل الأقانيم 214

سادسا: عدد الأقانيم 215

سابعا : علاقة الجوهر بالأقانيم 216

المطلب الرابع : **الرد على الأدلة النقلية** 218

223

المبحث الثالث : ابن حزم و موقفه من عقيدة التثليث (النموذج الظاهري)

المطلب الأول : حياته 223

225

المطلب الثاني : **رد ابن حزم على الفكر النصراني**

أولا : الرد على كون الله ثلاثة أشياء 225

ثانيا : الرد على كون حياة الله هي الروح و علمه هو الابن 226

ثالثا : الرد على كون الثلاثة أكمل الأعداد 228

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رابعا : الرد على موضوع الكلمة 229

المطلب الثالث : رد ابن حزم على الأدلة النقلية 231

أولا : نصوص العهد القديم 231

ثانيا : نصوص العهد الجديد 233

1- عقيدة الأبوة 233

2- عقيدة البنوة 234

3- اختلاف الأب عن الابن 234

4- الروح القدس 235

المبحث الرابع : ابن تيمية و موقفه من عقيدة التثلث (النموذج السلفي)

المطلب الأول : حياته 238

المطلب الثاني : الرد على النسق التثليثي 240

1- الرد على مسألتي الجوهر و الأقانيم 240

أولا : الأقانيم 240

ثانيا : الجوهر 243

2- الرد على بنوة المسيح 246

3- الرد على ألوهية الروح القدس 248

4- الرد على ألوهية الكلمة 250

المطلب الثالث : الرد على قانون الإيمان النصراني 252

1- مناقشة ألوهية الابن 253

2- مناقشة ألوهية روح القدس 255

المطلب الرابع : الرد على أهم الأدلة النقلية 256

أولا : نصوص العهد القديم 256

ثانيا : نصوص العهد الجديد 259

1- دعاء المسيح 259

2- الرسالة 259

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3- البنوة 260

الفصل الخامس : موقف المحدثين من عقيدة التثليث 263

تمهيد 264

المبحث الأول : رحمة الله الهندي و موقفه من عقيدة التثليث

المطلب الأول : حياته 266

المطلب الثاني : إبطال عقيدة التثليث بالبراهين العقلية 268

المطلب الثالث: إبطال التثليث من نصوص العهد القديم 270

1- دليل الوحدانية 270

2- نفي الجسمية 270

3- نفي المكان 271

4- إطلاق اسم الله على الملاك 271

المطلب الرابع : إبطال التثليث من نصوص العهد الجديد 273

أولا : إبطال التثليث بأقوال المسيح 273

1- الوحدانية 273

2- نفي صفات الكمال عن المسيح 273

3- الرسالة و العبودية 275

ثانيا : التأويل في إطلاق "ابن الله" على المسيح 276

ثالثا : أسباب تأليه المسيح 279

281

المبحث الثاني : محمد جواد البلاغي و موقفه من عقيدة التثليث

المطلب الأول : حياته 281

المطلب الثاني : الرد على نصوص العهد القديم 283

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث : الرد على نصوص العهد الجديد 290

المبحث الثالث : موقف أحمد ديدات من عقيدة التثليث

المطلب الأول : حياته 297
المطلب الثاني : موقف ديدات من النسق التثليثي 299
المطلب الثالث : الرد على بنوة المسيح 301
المطلب الرابع : الرد على الأدلة النقلية 303
أولا : نصوص العهد القديم 303
ثانيا : نصوص العهد الجديد 304
1- عقيدة الأبوة 304
2- عقيدة البنوة 304
3- نفي ألوهية المسيح 305
4- أدلة إنسانية المسيح 307
أ - الأكل و الشرب 307
ب- الولادة 308
ج - الحزن و البكاء 309
رابعا — الرســـالة 309
خامسا- العلم و القدرة 309

الخاتمة 312

الفهارس 316
أولا : فهرس القرآن الكريم 317
ثانيا : فهرس الحديث الشريف 321
ثالثا : فهرس الكتاب المقدس 322
رابعا : فهرس الأعلام 334

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خامسا: فهرس الفرق والمدارس 342
سادسا: فهرس البلدان 346
سابعا: فهرس المصادر والمراجع 350
الكتب المقدسة 351
كتب التفسير 351
كتب العقيدة ومقارنة الأديان 353
الكتب التاريخية 361
كتب عامة 363
المجلاّت والدوريات والرسائل الجامعية 365
المراجع الأجنبية 366
الأقراص المضغوطة 369
ثامنا: الفهرس التحليلي للموضوعات 370

تمت بحمد الله وعونه

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية